الدُّرُّ النَّظِيمُ

في

أخبارِ موسى الكليم عليه السلام

تأليف

قاضي القُضاة شيخ الإسلام نجم الدين أبي البقاء محمد
ابن برهان الدين إبراهيم بن جمال الدين عبد الله
ابن جماعة المقدسي الشافعي
المتوفى ٩٠١ هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور محمود علي محمود العلو

Title: **AL-DURR AL-NAẒĪM FĪ AḤBĀR MŪSĀ AL-KALĪM**
(The biography of the Prophet Moses)

Author: Muḥammad ben Ibrāhīm Ibn Jamā'ah

Editor: Dr. Mahmood al-Alw

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 344

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: الدر النظيم في أخبار موسى الكليم

المؤلف: محمد بن إبراهيم ابن جماعة المقدسي

المحقق: د. محمود علي محمود العلو

الناشر: دار الكتب العلميـــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 344

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى

هذا الكتاب في الأصل رسالة تقدم بها المؤلف الى الجامعة الإسلامية ببغداد لنيل شهادة الدكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور غانم هاشم السلطاني .

ISBN 2-7451-5084-7
90000
9 782745 150844

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon
No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban
Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٥٨٠٨١٠ +٩٦١ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٥٨٠٨١٣ +٩٦١ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

الإهداء

إلى من تغمدهما الله برحمته، ولم تكتحل عيناي برؤيتهما :

والدتي التي أضناها الحزنُ لفراقنا حتى لزمت الفراش قريباً من نصف عقدٍ من الزمن، ولسانها رطب بذكر الله تعالى.

والدي الذي ذوَّقني حلاوة القرآن الكريم منذ طفولتي من خلال ترتيله الرَّخيم لكتاب الله تعالى

إلى سكني وأهل بيتي زوجتي المخلصة التي كانت عوناً لي في تحمُّل صعاب الغربة والبعد عن الأهل.

إلى أشقائي الأعزاء، وأولادي الأحباء، وإلى كل من يقرأ هذه الأطروحة، ولا ينسانا من خالص دعواته

إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي المتواضع

مصطلحات التحقيق

الرمز	معناه
﴿ ﴾	لحصر الآيات القرآنية في المتن والحواشي
{ }	حصر الأحاديث النبوية الشريفة في المتن والحواشي
( )	المتن نصّاً
[ ]	لحصر الزيادات أو الطمس .
[/ و]	وجه ورقة المخطوطة .
[/ ظ]	ظهر ورقة المخطوطة .
(م . ن)	المصدر نفسه أو المرجع نفسه في الحاشية .
(بلا . ت)	المصدر أو المرجع بلا تاريخ .
(ط)	رقم الطبعة .
ينظر :	النص بتصرف .

شكر وتقدير

أشكر الله تعالى شكراً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وأصلي وأسلم على سيدنا ومولانا محمد ابن عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإني أتقدم بشكري وعرفاني لأستاذي الكريم د. غانم هاشم السلطاني الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه الأطروحة بالرغم من مشاغله الكثيرة. فأفدت من توجيهاته الدقيقة، وآرائه السديدة، وملحوظاته القيّمة، فجزاه الله تعالى عن العلم وأهله خير الجزاء.

وكان حقّاً عليّ شكر أساتذتي الأجلاء الذين نهلت من موارد علومهم وتوجيهاتهم في السنة التحضيرية لنيل درجة الدكتوراه، ومنهم: أ. د. شاكر محمود عبد المنعم، وأ. د. رشيد عبد الله الجميلي، وأ. د. حسين أمين. أطال الله في أعمارهم.

وتحية شكر وتقدير إلى الأساتذة النجباء أعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتفضلهم القيام بهذه المهمة الجليلة، وأرجو من الله تعالى أن يكونوا عوناً لي ولإخواتي السائرين في طريق العلم لتصحيح ما يجدونه من هفوات وتقويم البحوث والدراسات.

كما أتقدم بشكري وتقديري إلى الذي أخذت من ملحوظاتهم وتوجيهاتهم القيمة، وإلى ذوي المكتبات الخاصة الذين مدوا لي يد المساعدة بأريحية عالية منهم: د. عمار أمين الدَّدو، ود. أحمد محمد فرُّوح، ود. علي الطويل، ود. محمد فضيل الكبيسي، ود. محمود تركي الهيبي، ود. مولود العرَّان، وطالب الدكتوراه محمد الخلف، وطالب الدكتوراه أحمد درويش.

وأقدّمُ شكري إلى كل من أسدى لي معروفاً أو دعوة صالحة فجزى الله الجميع عني خير الجزاء، وأتقدم بتقديري وعرفاني لوطني الثاني العراق المسلم العربي الأبيّ الغيور لما لقيته من حسن الضيافة، وفتح أبواب العلم للمتعلمين، والباحثين من العرب والمسلمين، على الرغم من محنته التي أُلّمت به من قبل أعداء الإسلام والعروبة والإنسانية، فنسأل الله تعالى أن يكشف عنه البلاء، ويشدَّ أزره ويوجد كلمته إلى ما فيه خير للبلاد والعباد. إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الذي كلَّم موسى من جانب الطور الأيمن وجعله نبيًّا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آل بيته الطيِّبين الطاهرين، وأصحابه الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

فإنَّ أفضل العلوم قاطبة علوم القرآن الكريم، لاتصاله بكتاب الله تعالى، والسُّنَّة المطهَّرة؛ لأنها مرتبطة أيضاً بوحي الله تعالى، ثم سيرة الأنبياء المرسلين؛ لأنهم صفوة الله المختارين اختارهم الله تعالى لنا أجمعين، وجاؤوا جميعهم بكلمة التوحيد، فسيرتهم تطبيق عملي للدين القويم، نهتدي بهديهم، ونقتفي أثرهم إلى يوم يبعثون.

أما بعد:

فإنني آثرتُ أن أختار موضوعاً في السيرة، سيرة النبي موسى عليه السلام لا لفضلها على سابقتيها، وإنما لندرة من كتب فيها من بدء خلقه حتى وفاته بصيغة مرتبة حسب الزمان والمكان، وكثير من العلماء والكتاب من تناول سيرة موسى عليه السلام في جزئيات وشذرات مبعثرة، فجاءت هذه المخطوطة بجهد ابن جماعة - رحمه الله تعالى - مفصلة هادفة حبكت الموضوع نسجاً رفيعاً بعد أن عمَّقتْ أركانه ودونته تدويناً أكاديمياً متناسقاً متكاملاً.

وبفضل الله تعالى ثم بالعمل الدؤوب حصلت على هذه المخطوطة الفريدة من مكتبة الجامعة الأردنية مصورة عن نسخة الأصل في مكتبة (تشستربتي) في إيرلندا. وبعد أن حزتُ عليها، وتمعَّنتُها من أولها إلى نهايتها فوجدتها تكاد أن تكون خالية من الطمس أو السقط أو البياض إلاَّ ما ندر.

ومما دفعني على المضيِّ قدما في هذا الموضوع أنه لا يشمل سيرة النبيِّ موسى عليه السلام فحسب، بل تناول علوم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وعلم التاريخ. فشكرتُ الله تعالى على ذلك، وعقدت العزم لإنجاز دراسة الكتاب وتحقيقه وإخراجه - بعون الله تعالى - في أفضل صورةٍ ممكنة قدر استطاعتي لما لهذا الموضوع من أهمية، وكان يدور في خاطري أن أسافر إلى قطر آخر لكي أحصل على مصادر مهمةٍ ومفقودةٍ في هذا البلد المصابر بسبب الحصار الظَّالم المفروض عليه من أعداء هذه الأمة من اليهود وأعوانهم، فما أن شرعتُ في تحقيق هذا الكتاب القيِّم إلاَّ وقد فجعتُ وفُجِعَ كل أهل هذا البلد بلد العراق الجريح بكارثة كبرى وهي كارثةُ الاحتلال الغاشم الذي خرَّبَ

ودمَّرَ كافة البنية التحتيَّة، فلم تجد إلاَّ السماء ملبَّدةً بالغيوم السوداء التي عصفت رياحها لتشمل كافة وسائل الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية... وغيرها. وما أن انقشعت هذه الغيوم إلا وقد فوجئنا بخبرٍ ثانٍ وهو إغلاق الحدود عن يميننا وعن شمالنا ومن فوقنا...

وبعد هذا كلِّه بدأتُ متوكِّلاً على الله عزَّ وجلَّ في هذا الطريق الشاقّ لكي أنجزَ ما كنت عقدتُ العزمَ عليهِ، وعلى الرُّغم من هذا كلِّه وبفضل الله تعالى وببركة العلم وبمساعدة إخوةٍ أحبَّةٍ فتحوا لي مكتباتهم الخاصة، ولم يبخلوا عليَّ بشيءٍ مما حوته من مصادر قيِّمةٍ وكتب نادرةٍ؛ أنجزتُ دراسةَ وتحقيقَ هذا الكتاب الموسوم (بالدرِّ النظيم في أخبار موسى الكليم) لأبي البقاء نجم الدين محمد بن جماعة المقدسي المتوفى سنة (٩٠١هـ).

وقد جاءت هذه الأطروحة على قسمين، القسم الأول: للدراسة، والثاني: للنص المحقَّق، وانفردت الدراسة على فصلين سبقتها مقدمة، وتمهيد، وتلتها خاتمة.

تضمّن الفصل الأول منها: المؤلِّف محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة المقدسي رحمه الله تعالى، والمؤلَف: الدر النظيم في أخبار موسى الكليم (عليه السلام)، وجعلته في مبحثين:

تحدَّثتُ في الأول منهما عن ابن جماعة: حياته، وشيوخه، وتلاميذه، ومنزلته العلمية، وآثاره، وتحدَّثتُ في المبحث الثاني عن (الدرِّ النظيم): اسمه وتوثيق نسبته إلى المؤلف، ومنهجه، ومصادره الرئيسة والفرعية، والمآخذ على الكتاب. وتكلَّمتُ في الفصل الثاني عن وصف الكتاب (المخطوطة) ومنهج التحقيق، وقد اشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: عن وصف الكتاب (المخطوطة)، والثاني: عن منهج التحقيق.

أما القسم الثاني: فقد حوى نص الكتاب مُحَقَّقاً على وفق الضوابط العلمية، وقد جاءت حواشي التحقيق مُتَرجِمَةً لهذا السِّفرِ القيِّم. وبعون الله تعالى بعد العناء الشديد استقامت هذه الصفحات على أصولها، وأصبحت كتاباً مقروءاً.

وختاماً: هذا ما تيسَّرَ في هذه المقدمة من توضيح عام لكتاب (الدرّ النظيم في أخبار موسى الكليم) عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأتم التسليم، فإني اجتهدتُ في تحرير ما جمعته من تتبع كتب التفاسير، والسنن، والتراجم والمعاجم، فلم أظفر بغير ما نقلته.

فهذا جهدٌ ابتغيت به مرضاة الله عز وجل، وتوخيت فيه الدقة والأمانة، وأرجوه أن يجعله لي ذخراً في الدنيا والآخرة، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، وما كان فيه من خطأ فمني وأستغفر الله.

وأسأل الله تعالى أن يغفر لنا زلاتنا ويتجاوز عن سيئاتنا ويتفضَّل علينا بعفوه ورحمته.

والحمد لله رب العالمين

تمهيد

ارتأيتُ في دراستي هذه فيما يخصُّ المؤَلِّفَ والمؤَلَّفَ أن أُعرِّجَ قليلاً على عصر المؤلف، للتعرف على أوضاع دولة المماليك السياسية، والحركة العلمية فيها، رغم أنني لم آتِ بجديد، وقد أغنت المصادر والمراجع هذا الجانب، إلاَّ أنني أحسبه عملاً مفيداً وغير مخلّ.

عاش أبو البقاء نجم الدين محمد بن جماعة المقدسي في الثلثين الأخيرين من القرن التاسع الهجري، وكان ذلك في زمن المماليك، والذين كانوا يحكمون مصر والشام في ذلك الحين، وللملك (خشقدم)[1] الذي له فضل في تعيين ابن جماعة مدرساً في تلك الحقبة، وسوف نتكلَّم عنه في منزلته العلمية.

وأغلب ملوك ذلك العصر كانوا من الجراكسة، حيث ظهر منهم عدة ملوك استطاعوا أن يقوموا بإصلاحات عمرانية في كثير من البلاد ما زالت معالمها إلى اليوم مشيدة تشهد لهم بالفخر والثناء[2]، ومواقف سياسية وعلمية سوف نتطرق إليها باختصار.

(١) هو الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد خشقدم الناصري، وهو روميُّ الأصل، وكانت مدة سلطنته ست سنين ونصف تقريباً من (٨٦٥-٨٧٢ هـ). ينظر: ابن العماد، عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بلا.ت)، ٧/ ٣١٥.

(٢) ينظر: (م. ن)، ٨/ ٧.

الفصل الأول

المؤلِّفُ والكِتَاب

المبحث الأول:

- نبذة مختصرة عن عصر المؤلف من الناحية السياسية والعلمية.
- المؤلف.
- شيوخه.
- تلاميذه.
- منزلته العلمية.
- آثاره.

المبحث الثاني: الكتاب:

- اسمه، وتوثيق نسبته إلى المؤلف.
- منهجه.
- مصادره.
- مآخذ على الكتاب.

المبحث الأول

نبذه مختصرة عن عصر المؤلف من الناحية السياسية والعلمية

أ - عصر المؤلف السياسي

نشأ أبو البقاء بن جماعة - رحمه الله - في عصر المماليك التي ظهرت فيه دولة الجراكسة، الذين استولوا على الحكم بعد المماليك البحرية الذين كانوا امتداداً لدولة الأيوبيين[1]، وكان ابتداء ملكهم سنة (٧٨٤ هـ)، أربع وثمانين وسبع مئة للهجرة، وانقضاؤها سنة (٩٢٣ هـ)، ثلاث وعشرين وتسع مئة للهجرة، وكانت عاصمة حكمهم (القاهرة)[2]، وأول ملوكهم: سيف الدين برقوق[3]، وبعده ابنه الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق، ثم المؤيد[4]، وسيف الدين ططر[5]، والأشرف

---

(١) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن كامل، الذي انتصر على الإفرنج في دمياط، وأسر ملكهم (ريدا). والملك الصالح هو أول من اشترى المماليك واتخذ منهم جنداً كثيفاً، وبنى لهم قلعة الروض وأسكنهم فيها، وسمَّاهم (البحرية). ينظر: الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٣٧ هـ)، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجبل، بيروت، ١/ ٢٨.

(٢) ينظر: (م. ن) ١/ ٢٨.

(٣) هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن أنس الظاهر الجركسي، صاحب الديار المصرية والشامية والحجازية... وغيرها، ممن له مآثر جليلة، وكان يبعث في بعض السنين قمحاً وفي بعضها ذهباً لكي يتصدق بها بالحرمين الشريفين، وقد عمَّر فيهما أماكن شريفة، (ت ٨٠١ هـ). ينظر: ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي، يكنَّى أبا المحاسن، (ت ٨٧٤ هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، (بلا.ت)، ١١/ ٢٢١. السخاوي، محمد ابن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م، ١/ ٢١٢-٢١٣.

(٤) هو: المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي، قدم القاهرة، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وكان جميل الصورة، فمات جالبه فاشتراه محمود تاجر المماليك، وانتسب إليه وقدمه لبرقوق فأعجبه وجعله خاصكياً، ثم تقلبت به الأحوال من الإمارة على الحج وغير ذلك إلى أن ولي نيابة الشام، ثم تسلطن يوم الاثنين سنة (٨١٥ هـ) خمس عشرة وثمان مئة، وكان ملكاً شجاعاً مقداماً مهاباً عارفاً بالحروب والوقائع. (ت ٨٢٤ هـ)، ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ١٦٤.

(٥) هو: ططر بن عبد الله الظاهري، ملك الديار المصرية والشامية، كان من جملة مماليك الظاهر برقوق، ولا يزال يترقى حتى تسلطن ولُقِّبَ بالملك الظاهر أبي الفتح، وجلس على كرسي الملك، إلا أنه مرض في =

برسباي[١]، إلى أن انتهى على يد الأشرف قانصوه الغوري[٢].

وكان إلى جانب سلاطين المماليك خلفاء عباسيون، ليس لهم حول ولا قوة ولا رأي في سياسة الأمور، إلاَّ أن الخليفة يعتضد به السلاطين يوم الشدائد، ويبايعهم يوم تنصيبهم، وربما سجنوه وأقصوه عن أنظار الأمة إذا شعروا بأن هواه مع غيرهم، أو يمكن أن يكون كذلك، اتخذوه آلةً كما كان خلفاء العباسيين في عهد السلاطين السلجوقيين والبويهيين.. وغيرهم في بغداد[٣]. ويمكن أن يقرَّ من استولى على السلطة بجدِّ سيفه[٤].

فإذا وقع اختيارهم على معهود إليه بالملك من أبيه أو أخيه أقاموا رسوم التولية، ولو كان رضيعاً أو صغيراً، ولا يستمرون على طاعته إلا بمقدار ما يجلبه إليهم من نفع، ويقرر من يعاونه أحد كبار الأمراء، وقد ينقض عليه الأتابكي[٥] أو نائبه فيصير سلطاناً[٦] وفي تولية مراسيم السلطان يحضر الخليفة والقضاة الشرعيون، فيبايعونه، ثم تبايعه الأمراء، والأمراء الذين هم أصحاب الأمر ثمَّ يبايعه الأمراء أصحاب الأثر الأكبر في تثبيته أو خلعه من السلطة[٧]، وبانتهاء دولة المماليك الجراكسة انتهت الخلافة العباسية

=

نفس السنة، وأخذ مرضه يتزايد إلى أن توفي سنة (٨٢٤هـ). ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ١٦٥- ١٦٦، الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، (بلا.ت)، ١/ ٣٠٢.

(١) الملك الأشرف برسباي بن عبد الله، أبو النصر الدقماقي الظاهر الجركسي، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحجازية، (ت ٨٤١هـ). ينظر: السخاوي، التحفة اللطيفة ١/ ٢١٢ ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ٢٣٩.

(٢) هو: السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه بن عبد الله الجركسي، المشهور بالغوري، وسماه ابن طولون (جندب) وجعل قانصوه لقباً له، والغوري نسبةً إلى طبقة (الغور) إحدى الطبقات التي كانت بمصر معدة لتعليم المؤدبين. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٨/ ١١٣، والجبرتي، تاريخ عجائب الآثار ١/ ١٩٢.

(٣) ينظر: محمد كرد علي، خطط الشام، ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٢/ ١٥٤.

(٤) ينظر: أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٥/ ٢٧٤.

(٥) هو اسم لمن يربي أولاد الملك، وقد أصبح أهم شخصية بعد السلطان. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٦.

(٦) ينظر: الكمال، ابن الهمام (ت ٨٦١ هـ)، إعراب قوله ﷺ (كلمتان خفيفتان على اللسان) تحقيق، قحطان عبد الرحمن الدوري، ط١، مطبعة جامعة بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٥.

(٧) (م. ن)، ص١٥.

في مصر، وكان آخر من تلقب منهم بلقب الخليفة هو المتوكل على الله محمد بن يعقوب (ت ٩٥٠هـ)[١].

ويتولى البلاد من الناحية القضائية أربعة قضاة كل منهم يسمى قاضي القضاة، وكل واحد منهم يمثل مذهباً من مذاهب السنة الأربعة، ويعاونهم قضاة موزعون على جميع البلاد الخاضعة لحكم السلطان، وقد كان هذا الصنيع منذ القرن السابع الهجري، واستقرت الأحوال على هذا الشكل في السلطنة المملوكية ويمكن بهذا التعدد حل المشاكل بما يناسب الظروف من الأحكام تحقيقاً للعدالة والمصلحة العامة[٢].

والمذاهب الإسلامية ما هي إلا مدارس فكرية تستقي من معين واحد وهو كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ويختار القضاة عادةً من أبرز علماء كل مذهب ممن اشتهروا بالفضل والفقه، وقد ينتقل القاضي من قضاء دمشق إلى مصر، أو بالعكس، وتولية القاضي تكون بأمر السلطان وحده، فيخلع عليه خلعة المنصب المسمى بالتشريف، وعزله منوط بإرادة السلطان أيضاً[٣].

وقد تولى عرش السلطنة عدد غير قليل من الجراكسة خلال هذه الحقبة، وتعد أيام السلطان الظاهر ابو سعيد جقمق[٤] من أهدأ سنوات حكم المماليك، وهو أول السلاطين الذين عاصرهم نجم الدين بن جماعة، وكانت مدة حكمه تقرب من خمس عشرة سنة، والذي استمر من سنة (٨٤٢ هـ) إلى أن توفي سنة (٨٥٧ هـ)[٥].

ومن أبرز سلاطين الجراكسة سيرة وخلقاً وديناً، ورغبةً في الإصلاح هو السلطان

---

(١) ينظر: الجبرتي، عجائب الآثار ١/ ٣٦، ود. عدنان محمد سلمان، السيوطي النحوي، ط١، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص١٣-١٤.

(٢) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، (ت٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١٣/ ٢٨٦.

(٣) ينظر: الكمال، ابن الهمام، كلمتان خفيفتان، ص ٢٠.

(٤) هو: الملك الظاهر أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلائي الظاهري، سلطان الديار المصرية، والبلاد الشامية، والأقطار الحجازية، وآل أمره بعد تنقلاتٍ وتقلُّباتٍ إلى أن ولي السلطنة، وتوطدت له الدولة، خصوصاً بعد أن قتل نائب حلب ونائب الشام لَمَّا خرجا عن طاعته، وقد عمَّر في أيامه أشياء كثيرة من مساجد، وقناطر، وجسور.... وغير ذلك، (ت ٨٥٧هـ). ينظر: السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين، (ت ٩١١هـ)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المكتبة العلمية، بيروت، ص١٠٣، ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ٢٩٠.

(٥) ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ٢/ ١٢٢، ابن العماد، شذرات الذهب ٨/ ٧.

الأشرف قايتباي[١]، الذي لم يكن في زمنه منازع ولا مرافع، وسيرته في الناس سيرة حميدة، وقد اجتهد في بناء المشاعر العظام، وأسهم في كثير من المراكز العلمية والدينية ما لم يقع لغيره من الملوك، كعمارة مسجد الخيف[٢] بمنى، ولا يزال ما عمَّرهُ قائماً حتى الآن، وأجرى عين عرفة بعد انقطاعها أزيد من قرن، وأصلح بئر زمزم والمقام، وكان يرسل للكعبة الشريفة كسوة فائقة جداً في كل سنة، وأنشأ في المدينة بجانب المسجد النبوي مدرسةً عظيمة، وبجانبها رباطاً مع إجراء الخيرات لأهلها كل يوم، وسبيلاً عظيماً للخاص والعام، ومكتباً للأيتام، وعمل ببيت المقدس مدرسة كبيرة، وأقام في غزَّة مدرسةً عظيمة، وجامعاً بالصالحية، قال السخاوي: (فلم يجتمع لملك ممن أدركناه ما اجتمع له ولا حوى من الحذق والذكاء والمحاسن مجمل ما اشتمل عليه)[٣].

فكان مقبلاً على أفعال الخير مقرِّباً للعلماء والصلحاء، محباً للفقراء، كثير العدل، كثير العبادة، مائلاً إلى العلم، عفيفاً عن شهوات الملوك، لم يكن له نظير في ملوك الجراكسة، وكان السلطان قايتباي آخر السلاطين المماليك الذين عاصرهم ابن جماعة، الذي دام حكمه تسعاً وعشرين سنة، فقد تولى السلطة سنة (٨٧٢ هـ)، ومكث في الحكم إلى أن خلع بسبب مرضه الذي توفي فيه سنة (٩٠١ هـ) وهي نفس السنة التي توفي فيها ابن جماعة - رحمهما الله[٤].

ولا يخلو عهد المماليك الجراكسة من الاضطرابات الخارجية والداخلية التي أنهكت قوى البلاد، فقد اعتاد أمراء سوريا، وأمراء الحجاز أن يقوموا بحركات ثورية عنيفة

---

(١) قايتباي أبو النصر، الملك الأشرف الجركسي الظاهري، نسبة إلى الظاهر جقمق. اتصل بالملك الظاهر فأعتقه، ولم يزل عنده يترقَّى من مرتبة إلى أخرى حتى آل أمره أن بويع له بالسلطنة سنة (٨٧٢هـ) اثنتين وسبعين وثمان مئة، وفعل من المحاسن ما لم يفعله غيره، وأحسن في العام والخاص، (ت ٩٠١هـ). ينظر: العيدروسي، محيي الدين عبد القادر بن الشيخ عبد الله، (ت ١٠٣٨هـ)، النور السافر في أخبار القرن العاشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ١/ ١٥-١٦، ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ٦- ٧.

(٢) مسجد الخيف: لا يزال قائماً حتى الآن بمنطقة (مِنىً) بالكسر والتنوين، وهو المكان الذي ينزله الحجاج، ويرمون فيه الجمرات من الحرم، وسُمِّيَ بذلك لما يُمنى به من الدماء - أي: يراق - وقيل: لأن آدم عليه السلام تمنَّى فيه الجنة. ينظر: ياقوت، معجم البلدان ٥/ ١٩٨.

(٣) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٤م، ٦/ ٢٠٦، ابن العماد، شذرات الذهب ٨/ ٨.

(٤) ينظر: العيدروسي، النور السافر، ص ١٦، ابن العماد، شذرات الذهب ٨/ ٢٩، الشوكاني، البدر الطالع، ٢/ ٥٥- ٥٦.

شغلت جانباً كبيراً من جهود السلاطين[١]، فضلاً عن غارات البدو المتكررة على أطراف البلاد، وغزوات المغول، ولا سيما في عهد تيمورلنك، ثم هجمات الصليبيين على الثغور المصرية، وكان دائماً يصاحب هذه التقلبات السياسية والتغييرات المفاجئة في السلطة توتر عام يسود البلاد، وتتخلله الفتن والاضطرابات، فتنتهك الحرمات وتسلب الأموال، ويُعتَدَى على الأعراض، وتداهم البيوت، إما من أجل التفتيش عن أمير هارب، وإما للانتقام من الموالين للعهد السابق، فتحدث الويلات المدمرة المهلكة، وتحرق البيوت، وتصادر الأموال، ويتهجم على الآمنين في الليل والنهار، وقد يضطر الناس إلى ملازمة بيوتهم أياماً كثيرة خوفاً على أنفسهم بسبب الاضطرابات، وانتشار القلاقل وكثرة المناوشات بين الفرقاء المتخاصمين[٢].

وأودُّ أن أعرج قليلاً على ما تقدَّم من جراء التقلبات السياسية؛ لأننا نعيش اليوم في أوجها، فلربما وقفت وراءها في ذلك الوقت قوى خفية لإثارة الفوضى، إلا أننا نواجه اليوم في العالم الإسلامي بشكل عام، وفي الأمة الإسلامية على وجه الخصوص، وفي فلسطين وأفغانستان والعراق ـ حصراً ـ حالة من الاضطهاد ليس لها مثيل، تشنها أو تدار من قبل أعتى وأعظم دول العالم، لما تمتلك من وسائل التكنولوجيا الحديثة التي صُنعت بأيدٍ علمانية خبيثة، من شأنها تدمير الحضارة الإسلامية، بالتدخل في مناهجها التربوية لما تتصف به من قيم حضارية عالية، فضلاً عن تدخلها في تدمير البنية التحتية والاستيلاء على ثرواتها وإثارة الفتن الداخلية.

فنحن اليوم في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وسنبقى عقوداً عديدة نعاني الظلم والحرمان والقهر المبين إن لم نتخلص من الطغاة المجرمين، والسبيل إلى ذلك إعداد العدَّة، والتمسك بحبل الله المتين ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٣]، ولا يمكن أن يعود للمسلمين ملكهم المسلوب وعزَّهم القديم إلاَّ إذا اعتصموا بالكتاب والسنة المطهرة.

وبعد هذه المداخلة لا ننسى أن هناك عامل آخر يجب اعتباره بالحسبان وهو زيادة قوة

---

(١) ينظر: محمد فريد بك المحامي (لم تذكر وفاته)، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق د. إحسان حقي، ط٢، دار النفائس، بيروت، (بلا. ت) ١/ ٩٥، د. عدنان محمد سلمان، السيوطي النحوي، ص٢٢-٢٣.

(٢) ينظر: الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار١/ ٣٦، د. عدنان محمد سلمان، السيوطي النحوي ص٢٢-٢٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

آل عثمان في عهد السلطان محمد الفاتح[١] الذي حقق الله تعالى على يده إحراز النصر العظيم في تلك العملية الحربية الجريئة التي أدت إلى كسر أصلاب الصلبان والأصنام، ومن أعظمها أنه فتح القسطنطينية الكبرى سنة (٨٥٦ هـ/ ١٤٥٣م)، وساق إليها السفن تجري براً وبحراً وانقض عليها بجنوده وأبطاله، وقضى على دولة الروم الشرقية[٢]، وقد رحب المماليك ترحيباً واضحاً بالانتصارات التي حققها العثمانيون ضد بيزنطة، وعندما سقطت القسطنطينية شاركت مصر وسوريا العثمانيين في أفراحهم من خلال مواكب النصر التي ازدهرت هنا وهناك بمناسبة هذا الحدث البهيج[٣].

إلاَّ أنَّ فتح القسطنطينية زاد أطماع العثمانيين فيما بعد، وقد ورثوا الإمبراطورية البيزنطية، وأصبحوا من حماة الإسلام، وتحقيقاً لهذا الهدف احتلوا بغداد حقبة طويلة، ثم اتجهوا إلى مصر واستولوا عليها، وقتلوا طومان باي سنة (٩٢٣ هـ)، وانتهت بذلك دولة المماليك، وأصبحت مصر وسورية خاضعتين للحكم العثماني[٤]، وسوف نكشف النقاب بإيجاز عن أثر الحركة العلمية في ذلك العصر التي تسوده السلطنة المصرية.

ب - عصر المؤلف العلمي

بعد تقهقر الخلافة العباسية من جراء الهجمة الصليبية والتترية، وإثارة الفوضى، مما كان له أثرٌ كبير في تضاؤل النشاط العلمي والفكري في بغداد، إلاَّ أنه لم يتأثر في مصر بل بقي في حركة ونشاط في ظل المماليك، فنمت في القاهرة مراكز العلم ودور المعرفة، وانتشرت فيها المكتبات، وازدهرت حركة العلم، وأصبحت مصر ملاذ العلماء ومأوى طلبة العلم الذين توافدوا إليها من أنحاء البلاد الإسلامية، فكان لهم أثر في نشر الثقافة الإسلامية وتطورها. فقد أسهم سلاطين مصر وأمراؤها في فعالية وتنشيط حركة العلم والمعرفة[٥]، فأنشأوا دور التعليم في أرجاء مصر والشام، فعمِّرت المساجد والخوانق

---

(١) هو: محمد بن مراد خان بن محمد بايزيد بن عثمان السلطان محيي الدين صاحب القسطنطينية وفاتحها، وكان من أعظم سلاطين بني عثمان جهاداً، وأقواهم إقداماً واجتهاداً، وأكثرهم توكلاً على الله، (ت ٨٨٦ هـ). ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص١٧٣، وابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ٣٤٤.

(٢) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ٣٤٤.

(٣) ينظر: د. شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي ٥/ ٢٨١.

(٤) (م. ن)، ٥/ ٢٨٣.

(٥) ينظر: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك، ط١، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م، ص٢٣٠، د. عدنان محمد سلمان، السيوطي النحوي، ص٣٠.

والأربطة وزوايا الصوفية، ومعاهد تعليمية تُعنى بتعليم الصبية مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم، واختير لها أفاضل العلماء، وسبل التعليم مفتوحة مجاناً يفدُ إليها الجاهل والعالم والصغير والكبير، ويمنح الطلاب بعد إكمال دراستهم شهادات من أعلام العلماء، يشهد فيها الشيخ بأن الطالب الفلاني قرأ عليه كذا وكذا[١].

ومما يدلُّ على النشاط الفكري والعلمي والمعرفي، هو ذلك التراث الضخم من الموسوعات الدينية والتاريخية واللغوية التي خلَّفها ذلك العصر، فكان الملك قايتباي ينتهز فرصة اجتماع العلماء عنده، فيثير أمامهم كثيراً من المسائل العلمية[٢].

وكان السلطان قانصوه الغوري أيضاً شديد الحرص على عقد المجالس العلمية والدينية مرة أو أكثر في كل أسبوع، التي يشترك فيها كبار العلماء لمناقشة الأمور المهمة[٣].

وقد ازدهر ذلك العصر بعلماء الفقه على المذاهب المختلفة، كالبلقيني سراج الدين أبو حفص الكناني المصري (ت ٨٠٥ هـ)، الذي حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الشاطبية، والمحرر للرافعي، والكافية الشافية لابن مالك، ومختصر ابن الحاجب[٤].

وابن قاضي شهبة فقيه الشام ورئيسها ومؤرخها[٥]، والإسفراييني، صدر الدين بن محمد الشافعي الذي اشتغل بأنواع العلوم، منها: القرآن الكريم، والفقه والنحو... وغيره[٦].

والكمال بن الهمام (ت ٨٦١ هـ)، وابن مفلح الحنبلي صاحب المبدع في الفقه[٧]، وأحمد بن زكريا الأنصاري الأزهري الشافعي، صنف في الفقه والتفسير والحديث، والنحو، واللغة، والمعاني... وغيرها من العلوم، وولي التدريس في عدة مدارس رفيعة، وأصبح قاضي القضاة بعد امتناع وتعفُّف، ثم استمر قاضياً مدة ولاية السلطان

---

(١) ينظر: الكمال بن الهمام، كلمتان خفيفتان، ص١٨.

(٢) ينظر: العيدروسي، النور السافر ١/ ١١٥.

(٣) ينظر: العيدروسي، النور السافر ١/ ٩٧، د. عدنان محمد سلمان، السيوطي النحوي، ص٣٢.

(٤) ينظر: ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١ هـ)، طبقات الشافعية تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٤/ ٤٢، السيوطي، نظم العقيان، ص٩٤.

(٥) ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص٩٤.

(٦) (م. ن)، ص١٦٥.

(٧) ينظر: ابن مفلح، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن عبد الله (ت ٨٨٤هـ)، المبدع، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، صفحة العنوان.

الأشرف قايتباي - رحمه الله تعالى - وكان هو المجدد على رأس القرن التاسع لشهرة الانتفاع به وبتصانيفه، واحتياج غالبية الناس إليها[١]، وزخر أيضاً بكبار المؤرخين، كالإمام الذهبي[٢] وابن الوردي[٣]، والمقريزي[٤] وابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) والسخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، والسيوطي (ت ٩١١ هـ).

وقد برزت مؤلفات تعدُّ من أعظم ما أُلِّفَ في ذلك العصر، مثل: مقدمة ابن خلدون[٥] في علم الاجتماع، والمعاجم المشهورة، مثل: قاموس المحيط للفيروز آبادي[٦]، وكتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني[٧] وكتاب صبح الأعشى للقلقشندي[٨]، وغيرها.... فاتساع حركة التأليف، وظهور الكتب الموسوعية الضخمة هي الدليل على خصوبة الفكر في هذه الحقبة.

وبعد هذا العرض المختصر عن عصر المؤلف، فإن دراستنا ألصق ما تكون بحياته وكتابه رحمه الله تعالى.

---

(١) ينظر: العيدروسي، النور السافر، ١/ ١١٥.

(٢) ينظر: الذهبي، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام، المغازي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٥.

(٣) هو: يوسف بن مظفر بن عمر بن أبي الفوارس محمد المعرِّي جمال الدين بن الوردي، ولي قضاء منبج (حلب). هو شاعر، وأديب، ومؤرخ، (ت ٧٤٩ هـ). ينظر: ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط٢، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ٦/ ٢٥٢.

(٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أشهر مؤرخي مصر الإسلامية في القرن التاسع الهجري (ت ٨٤٥هـ)، ينظر: كتابه فضل آل البيت، (بلا.ت)، تحقيق: السيد علي عاشور، ص٧.

(٥) هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الأشبيلي المالكي المعروف بابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ٧٦.

(٦) هو: العلامة مجد الدين، أبو طاهر محمد بن يعقوب، الفيروز آبادي، صاحب القاموس المحيط (ت ٨١٧هـ). ينظر: حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ٢٢/ ١٨٠.

(٧) ينظر: ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، عنوان الكتاب.

(٨) هو: العلامة علاء الدين أبو الفتوح، علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي القلقشندي الشافعي القرشي، حفظ القرآن الكريم، وتفقه بعلماء عصره (ت ٨٥٦هـ). ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ٢٨٩.

ج ـ المُؤَلِّف

المؤلف – رحمه الله تعالى – من عائلة عريقة في العلوم الإسلامية، وجديرة في القضاء، والخطابة، والفقه، والتدريس، ويُشْهَدُ لها في العفَّة والنزاهة والورع.

وسوف أقتصر على ترجمة المؤلف ووالده وجدِّه فقط خشية الاستطراد والإسهاب في مناقبهم، وأترجم لبعض شيوخه الذين عثرت عليهم، ولتلاميذه، ونبذة عن منزلته العلمية، وآثاره.

فالمؤلف: هو قاضي القضاة، شيخ الإسلام، نجم الدين، أبو البقاء، محمد بن برهان الدين إبراهيم بن جمال الدين عبد الله بن جماعة المقدسي، الشافعي ولد في أواخر صفر سنة (٨٣٣ هـ) ثلاث وثلاثين وثمان مئة بالقدس الشريف ونشأ بها، واشتغل في صغره بالعلم على يد والده جدِّه وغيره من علماء عصره الذين كانوا قريبين منه، وتوفي سنة (٩٠١ هـ) إحدى وتسع مئة للهجرة[(١)].

والده: قاضي القضاة، وخطيب الخطباء، برهان الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن قاضي القضاة شيخ الإسلام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن الإمام العلامة نجم الدين أبي عبد الله محمد بن جماعة الكناني الشافعي[(٢)].

مولده بالقدس سنة (٨٠٥ هـ)، خمس وثمان مئة للهجرة، أجازه جماعة وقرأ بنفسه على مشايخ عصره، وباشر خطابة المسجد الأقصى نيابة عن والده، وكان يخطب من إنشائه بفصاحة لفظٍ، وصوت عالٍ صقيل، وناب في الحكم عن والده، حين ولي قضاء القدس الشريف سنة (٨٥٧ هـ)، فباشره بشهامةٍ وحرمةٍ زائدة، وحشمةٍ وافرة، وعلت كلمتُه، ونفذ أمرُه، وكان شكلاً حسناً، بسيط اليد مع قلَّة المال، له اعتقاد في الفقراء على طريقة آبائه المتقدمين، وهو آخر قضاةِ بيت المقدس المعتبرين.

توفي رحمه الله تعالى وهو باقٍ على القضاء بعد عشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء ثاني عشر من صفر سنة (٨٧٢ هـ)، وكانت جنازته حافلة[(٣)].

---

(١) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥، الغزِّي، نجم الدين (ت١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ١/ ٢٥، ابن العماد، شذرات الذهب ٨/ ٩ -١٠، إسماعيل باشا محمد أمين البغدادي، (ت١٣٣٩هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ١/ ٤٥٣.

(٢) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع ١/ ٧٢، العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ٢٢٣.

(٣) ينظر: العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ٢٢٣-٢٢٤.

جدُّه: قاضي القضاة، شيخ الإسلام أحد الأئمة، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن الإمام العلامة نجم الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب زين الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي، مولده في القدس في ذي القعدة سنة (٧٨٠ هـ)، نشأ في عفَّة وصيانة، واشتغل في العلوم. من أجلِّ شيوخه: شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، أخذ عنه العلم، وأذن له بالإفتاء، وقصده الناس للفتيا من كلِّ مكان، فوردوا عليه من القدس[١]، وعجلون[٢]، والكرك[٣]، وأصبح المشار إليه لعفته وديانته[٤].

كان قليل الكلام في المجالس، باشر الخطابة بالمسجد الأقصى الشريف في سنة (٨٠٩هـ)، وولي قضاء الشافعية بالقدس الشريف في خامس عشر ربيع الآخر، سنة (٨١٢هـ)، في سلطنة الناصر فرج بن برقوق[٥]، ثم ولي تدريس الصلاحية في سنة (٨٥٠هـ)، فباشر على أحسن الوجوه وحمدت سيرته، وكان عنده ورعٌ، وظهرت له كرامات، وكان مستجاب الدعوة. توفي بالمدينة (الرملة)[٦] في ضحى نهار الجمعة، في الحادي عشر من ذي القعدة الحرام سنة (٨٦٥ هـ)، ونقل إلى القدس الشريف في نهار السبت، وصُلِّيَ عليه بالمسجد الأقصى الشريف، وكان له مشهدٌ عظيمٌ رحمه الله تعالى[٧].

---

(١) ينظر: العليمي، مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ)، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، تحقيق: محمد عودة الكعابنة، ط١، مكتبة دندس، الخليل، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٢/١٩٦. والقدس: هي المدينة المقدسة الثالثة بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، في فلسطين.

(٢) عجلون: تقع في الأردن بناحية الرمثا، وهي مدينة حسنة، لها أسواق كثيرة، وقلعة. يشقها نهر ماؤه عذب. ينظر: ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ت ٧٧٩ هـ)، تحفة النظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ١/٨٠.

(٣) الكرك: موضع يقال له حطين بين طبرية وعكا، بينه وبين طبرية نحو فرسخين، بالقرب منها قرية يقال لها: خيارة، فيها قبر النبي شعيب عليه السلام وهذا صحيح لا شك فيه. ينظر: ياقوت، أبو عبد الله بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (بلا. ت) ٢/٢٧٤.

(٤) ينظر: العليمي، الأنس الجليل، ٢/١٩٦.

(٥) هو: الملك الناصر فرج بن برقوق بن أنس، ولاَّه أبوه وعمره عشر سنين وستة أشهر سنة (٨٠١هـ)، وقُتِلَ سلطاناً سنة (٨١٥هـ). ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٧/١١٢.

(٦) هي مدينة في فلسطين، كبيرة كثيرة الخيرات، حسنة الأسواق، فيها الجامع الأبيض، وفيها من كبار الفقهاء، مثل: مجد الدين النابلسي... وغيره. ينظر: ابن بطوطة، تحفة النظَّار ١/٨٠.

(٧) ينظر: العليمي، الأنس الجليل، ٢/١٩٦-١٩٨.

د ـ شيوخه

على الرغم من أن شيوخ ابن جماعة يزيدون عن (٣٠٠) ثلاث مئة شيخ كما ذكر السخاوي[١]، إلاَّ أنني بمزيد من التحرِّي والتقصِّي لم أعثر سوى على هذه المجموعة من شيوخه، الذين قرأ عليهم أو سمع منهم، أو أذنوا له بالتدريس أو أجازوه، كما وصفهم في الضوء اللامع[٢].

أوَّلاً: الذين قرأ عليهم وسمع منهم :

١- عائشة، أم عبد الله بنت القاضي علي بن محمد بن علي بن عبد الله الكناني العسقلانية الأصل ثم المصرية الحنبلية الكاتبة الفاضلة الصالحة[٣]، (ت٨٤٠ هـ).

٢- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، أخذ عنه شرحه النخبة، ويسميه دائماً شيخنا، (ت ٨٥٢ هـ)[٤].

٣- عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرات، فاضل مصري، له تذكرة الأنام في النهي عن القيام، ونخبة الفوائد في فقه الحنفية[٥]، (ت ٨٥١ هـ).

٤- زين الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ تقي الدين أبي بكر بن الشيخ نجم الدين أبي سليمان داود بن عيسى الحنبلي الدمشقي الصالحي الصوفي، من مصنفاته: الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونزهة النفوس، والأفكار،... وغيرها[٦]. (ت ٨٥٦ هـ).

٥- ومن شيوخه أخوه، الذي قرأ عليه: إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة، فاضل من فقهاء الشافعية من أهل القدس، له شرح الألفية في الحديث للزين

---

(١) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع ٦/ ٢٥٥، والزركلي، خير الدين، (ت ١٤١٠هـ)، الأعلام قاموس تراجم، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، (بلا. ت)، ٥/ ٣٠١.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥.

(٣) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٢٣٤.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٦.

(٥) ينظر: الضحَّاك، عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)، كتاب السنة، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٦٣٨.

(٦) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٢٨٨، والزركلي، الأعلام، ٣/ ٣٠٠، وكحالة، معجم المؤلفين، ٥/ ٢١٢.

العراقي، وشرح ألفاظ الشفاء... وغيره، كان خطيباً فصيحاً زاهداً[١]، (ت٨٦١ هـ).

٦- شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشحَّام الحنبلي، المؤذن في الجامع الأموي. سمع من جماعة وروى عنه جماعة من الأعيان[٢] (ت ٨٦٤هـ).

٧- ومن بين شيوخه الذين سمع منهم وقرأ عليهم: جدُّهُ عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن إبراهيم الكناني الحموي، المعروف بابن جماعة[٣] (ت ٨٦٥هـ).

٨- عبد الله بن محمد بن إسماعيل، تقي الدين القلقشندي المقدسي الشافعي إماماً عالماً محدِّثاً وفقيهاً[٤]. (ت ٨٦٧هـ).

٩- وسمع أيضاً من: عبد الرحمن بن خليل بن سلامة زين الدين الأذرعي القابوني، فقيه شافعي، صنف بشارة المحبوب بتكفير الذنوب[٥]. (ت ٨٦٩هـ).

١٠- ومن النساء، سمع على عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني، أم عبد الوهاب، شاعرة أديبة، فقيهة، نسبتها إلى باعون من قرى عجلون شرقي الأردن[٦]. (ت ٩٢٢هـ).

١١- سمع أيضاً على سارة بنت عبد الله بن عمر بن جماعة[٧] (ت٨٧٦ هـ)

١٢- كما سمع من التدمريّ، أبي الثناء، محمود بن محمد بن محمود بن خليل، الحنفي، المعروف بابن أجا، له اشتغال بالحديث، ولي قضاء حلب (لم تذكر سنة وفاته)[٨].

ثانياً: الذين أذنوا لابن جماعة بالتدريس، هم :

١- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر، صاحب طبقات الشافعية، كان إماماً علامة، تفقَّه على والده، وغيره، وسمع من أكابر عصره وأفتى ودرَّس، وجمع وصنَّف. من مصنفاته: شرح المنهاج، ولباب التهذيب وغيره[٩]. (ت ٨٥١هـ).

٢- فضلاً عن الإذن بالتدريس أخذ ابن جماعة: شرح جمع الجوامع لشيخه المحلّي،

---

(١) ينظر: العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ٥٢٧، الزركلي، الأعلام، ١/ ٣٠٨.

(٢) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٣٠٣.

(٣) ينظر: (م. ن)، ٧/ ٣٠٥.

(٤) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ١١/ ٦٩، السيوطي، نظم العقيان، ص٦٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٣٠٦.

(٥) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥.

(٦) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ١١١، الزركلي، الأعلام، ٣/ ٢٤٠.

(٧) ينظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، ٢/ ١٩٣.

(٨) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ١٣٩، الزركلي، الأعلام، ٧/ ١٨٧.

(٩) ينظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ١/ ١، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٢٦٩.

جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلّي الشافعي، برع في الفقه والأصول، والمنطق، والنحو،... وغيره[١]. (ت ٨٦٤ هـ).

ثالثاً: المشايخ الذين أجازوا ابن جماعة، هم :

١- ابن الطحّان، عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن سليمان بن داود بن سليمان بن قريج الحنبلي، عمل في علم الحديث، وقصده الطلبة من نواحي الأرض. من مصنفاته: تيسير الوصول إلى جامع الأصول، ومصباح المشكاة، وغاية المطلوب،... وغيره[٢]. (ت ٨٤٥ هـ).

٢- علاء الدين علي بن إسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكي الحنبلي، الشيخ الإمام المحدِّث[٣]. (ت ٨٤٥ هـ).

٣- كما أجازه شيخه: شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد ابن محمد الذهبي المعروف بابن ناظر الصاحبية الحنبلي[٤]. (ت ٨٤٩ هـ).

٤- ومن بين النساء التي أجازته: أم المساكين، زينب بنت عبد الله بن أسعد ابنة عفيف الدين اليافعي اليماني، ثم المالكي، فاضلة عارفة بالحديث[٥]. (ت ٨٤٦ هـ).

هـ - تلاميذه

أقام ابن جماعه في منزله بالمسجد الأقصى يفتي ويدرِّس ويشغل الطلبة ويباشر الخطابة[٦]، إلا أنني لم أجد له سوى تلميذين فقط، وهما:

١- مجير الدين الحنبلي العليمي (ت ٩٢٧ هـ)، فقد عرض قطعة من كتاب المقنع في الفقه في شهر ربيع الأول، سنة (٨٧٣ هـ)، على ابن جماعة، فأجازه[٧].

٢- ابنه: برهان الدين إبراهيم بن نجم الدين محمد بن برهان الدين، إبراهيم بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن جماعة، الإمام العلامة المحدِّث المقدسي الشافعي ولد يوم الإثنين خامس عشر المحرَّم سنة (٨٧٠ هـ) سبعين وثمان مئة، وسمع على والده الكتب الستة، وغيرها، وولي تدريس الصلاحية ببيت المقدس سنين، ثم قطن دمشق،

---

(١) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٣٠٣، حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٤٤٥.

(٢) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣/ ٧٣.

(٣) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣/ ٨١، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٢٦٣.

(٤) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣/ ٧٣، ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٢٦٣.

(٥) ينظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، ٢/ ١٩٣، الزركلي، الأعلام، ٧/ ١٨٣.

(٦) ينظر: الغزّي، نجم الدين (ت ١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة، ١/ ٢٥.

(٧) ينظر: العليمي، الأنس الجليل ٢/ ٢٠٠.

وحدَّث بها كثيراً عن والده وغيره، وولي تدريس الشامية البرانية، وسافر من دمشق إلى سعسع[١]، ثم توفي فيها في آخر ليلة الثلاثاء، الخامس عشر من شوال سنة (٩٤٨هـ)، بعد أن بقي سنيناً مستلقياً على ظهره، جراء زلقة حصلت له بسبب رش الماء داخل دمشق، فانفك فخذه ولم يمكنه الصبر على علاجه لنحافة بدنه، ولطف مزاجه، ثم حمل من سعسع وأعيد إلى دمشق، وغُسِّل بمنزله، ودفن بباب الصغير[٢].

و- منزلته العلمية

إن المتأمل لشهادة السخاوي، والزركلي في هذا الكم الهائل من مشايخ ابن جماعة الذين يتجاوز عددهم ثلاث مئة شيخ[٣] كافية لبيان علوِّ منزلته العلمي، فضلاً عن أنه كان فقيهاً أصولياً إخبارياً[٤]، وقد اشتغل منذ صغره بالعلم، حيث تعيَّن في حياة والده وجدِّه، وكان والده قاضي قضاة الشافعية، فتكلَّم له في تدريس الصلاحية[٥] عند الملك الظاهر (خشقدم) فأنعم له بذلك، وكتب له التوقيع بولايتها، ثم عيَّن القاضي برهان الدين أن يكون التدريس لولده الشيخ نجم الدين، لاشتغاله هو بمنصب القضاء، والنظر في أحوال الرعية، فروجع السلطان[٦] في ذلك فأجاب، وولي الشيخ نجم الدين وكتب توقيعه بذلك، وباشرها أحسن مباشرة، وحضر معه يوم جلوسه الأعيان[٧]، كقاضي القضاة حسام الدين ابن العماد الحنفي قاضي دمشق[٨]،

---

(١) هي قرية من قرى ريف دمشق السورية، وتقع إلى الجنوب الغربي من العاصمة، وهي مركز ناحية تابع لقضاء الكسوة، يمر منها نهر الأعوج، وتشتهر ببساتينها.

(٢) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ٢٧٢.

(٣) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥، الزركلي، الأعلام، ٥/ ٣٠١.

(٤) ينظر: العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ٤٦٢-٤٦٣، الغزِّي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٥-٢٦.

(٥) هي: المدرسة الصلاحية الذي قام ببنائها نور الدين محمود زنكي، ونسبت إلى الملك الناصر صلاح الدين، فاتح بيت المقدس رحمه الله تعالى. قال الحافظ ابن كثير: سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، بنيَ للشافعيةِ المدرسة الصلاحية، ويقال لها: الناصرية، وكان موضع كنيسة على جسد حِنَّة، أي: على قبر حنَّة أم مريم (عليها السلام)، وقد تنافس بنو أيوب فيما يفعلونه من الخيرات في القدس الشريف للقادمين والقاطنين، فجزاهم الله تعالى خيراً أجمعين. ينظر: النعيمي، الدمشقي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٨هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ٢٥٠-٢٥١.

(٦) السلطان المؤيد أبو الفتح، أحمد بن إينال العلائي. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٣٠٥.

(٧) ينظر: العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ١٩٨.

(٨) ينظر: النعيمي، الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ١/ ٤٩١.

وكمال الدين[١]، وبرهان الدين[٢] أبناء أبي شريف، وغيرهم من الأعيان.

ولم تزل الوظيفة بيده حتى توفي والده قاضي القضاة برهان الدين في شهر صفر سنة (٨٧٢ هـ)، واستقر بعده في وظيفة قضاء الشافعية بالقدس، وأصبح له منصب القضاء وتدريس الصلاحية، وخطابة المسجد الأقصى الشريف، وذلك في أواخر دولة الظاهر خشقدم في شهر ربيع الأول سنة (٨٧٢ هـ)، فباشر القضاء بعفَّة ونزاهة وصيانة، وعن لين جانب، ولم يلتمس على القضاء درهماً واحداً، حيث تنزَّه عن معالم الأنظار مما يستحقه شرعاً[٣]. ثم صرف عن القضاء والتدريس بالعز الكناني[٤]، فانقطع في منزله بالمسجد الأقصى يفتي ويدرِّس، ويشغل الطلبة، ويباشر الخطابة بالمسجد الأقصى. ثم عزل قاضي القضاة عز الدين، فتولَّى تدريس الصلاحية: الكمال بن أبي شريف في صفر، سنة (٨٧٦ هـ)، واستمر بها إلى سنة (٨٧٨ هـ)، ثم أُعيد ابن جماعة إلى تدريس الصلاحية في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، ووصل إليه التوقيع الشريف، والتشريف السلطاني في شهر جمادى الأولى، وقرئ توقيعه بالمسجد الأقصى الشريف، حين دخوله وهو لابس التشريف، وكان يوم الخميس سابع شهر جمادى الأولى، ولم تجر بذلك عادة، لأن المصطلح قراءة التوقيع عقب صلاة الجمعة، ثم جلس للتدريس بعد ذلك وحضر معه خلق كثير، وألقى خطبة بليغة بألفاظ فائقة من معناها، أن هذه الوظيفة كانت بيده وخرجت عنه، فمنَّ الله بعودها[٥]، ثم تكلَّم عن قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ﴾[٦] وألقى درساً مطوَّلاً، ثم انصرف إلى منزله بالمسجد الأقصى الشريف، وكذا

---

(١) هو: كمال الدين أبو المعالي، محمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن علي بن أبي شريف، المقدسي الشافعي، الشهير بابن عوجان، حفظ القرآن العظيم، والشاطبية، والمنهاج الفقهي، وألفية ابن مالك، (ت ٩٠٦هـ). ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ٢٩، الزركلي، الأعلام، ٧/ ٥٣.

(٢) هو: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الأمير ناصر الدين، (ت ٩٢٣هـ). ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٤/ ١١٨، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/ ١١٥٧.

(٣) ينظر: العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ١٩٨، الغزِّي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٥.

(٤) هو: قاضي القضاة عز الدين أبو البركات أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد الكناني العسقلاني، اشتغل بالعلم وبرع ولقي المشايخ، وروى الكثير في الصغر، وكان ورعاً زاهداً مع لين جانب وتواضع، وهو عالم بالفقه والأصول والنحو والصرف والحساب... وغيره، (ت ٨٧٦هـ). ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ٧/ ٣٢١- ٣٢٢.

(٥) ينظر: العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ٢٠٠، الغزِّي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ١٠.

(٦) سورة يوسف، الآية ٦٥.

خطب بالمسجد الأقصى، وحدَّث وأفتى، وذكرت له أوصاف حسنة[١] والناس في خدمته، ومن جملتهم: الشيخ سعد الله الحنفي إمام الصخرة المشرَّفة[٢]، وتنزَّه عن منصب القضاء، فلم يلتفت إليه بعد ذلك، ولم يكن بعده من القضاة من هو في معناه في العفَّة والحشمة، ثم تنزَّه عن حصته في الخطابة، وانجمع عن الناس، فلم يتكلم في شيء من أمور الدنيا لفساد الزمان[٣].

ز – آثاره:

* ذكرت مصادر ترجمة ابن جماعة أنه صنف الكتب الآتية: –

تعليق على الروضة للنووي، في مجلدات[٤].

تعليق على المنهاج للنووي، في مجلدات لم تكتمل[٥].

الدرُّ النظيم في أخبار موسى الكليم[٦] وهو النصُّ المحقق.

النجم اللامع في شرح جمع الجوامع، لابن السبكي[٧].

وجميع هذه المؤلفات مفقودة سوى المخطوطة التي بين يدي، والموسومة (الدرّ النظيم في أخبار موسى الكليم)، وهي نسخة فريدة.

---

(١) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥، العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ٢٠٠.

(٢) هو: سعد الدين أبو السعادات سعد الدين بن محمد بن عبد الله الديري العبسي الحنفي، الإمام انفرد بالتفسير، واستوطن مصر (ت ٨٦٧ هـ). ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٣/ ٢٤٩، السيوطي، نظم العقيان، ٥/ ١١٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ٣٠٦.

(٣) ينظر: العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ٢٠١، الغزّي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٥.

(٤) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥، العليمي، الأنس الجليل، ١/ ٤٦٢، الغزّي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٨ /١٠، اسماعيل باشا محمد أمين البغدادي، (ت ١٣٣٩هـ)، إيضاح المكنون في ذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ١/ ٤٥٣، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ٨/ ٢٠٧.

(٥) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥، العليمي، الأنس الجليل ١/ ٤٦٢، الغزّي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ١٠، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ١/ ٤٥٣، د. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا. ت)، ٨/ ٢٠٧.

(٦) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥، العليمي، الأنس الجليل، ١/ ٤٦٣، الغزّي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ١٠، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ١/ ٤٥٣.

(٧) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥، العليمي، الأنس الجليل، ١/ ٤٦٣، الغزّي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ١٠، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ١/ ٤٥٣، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ٨/ ٢٠٧.

المبحث الثاني

الكتاب

أ – اسمه وتوثيق نسبته إلى المؤلف:

ليس هناك مريةٌ ولا اشتباه في صحة نسبة الكتاب (الدر النظيم في أخبار موسى الكليم) إلى مؤلفه أبي البقاء بن جماعة المقدسي، وأدلة ذلك ما يأتي :

ذكر المؤلف اسم كتابه في مقدمته، فقال: وسميته بـ (الدر النظيم في أخبار موسى الكليم)[1]، فضلاً عن بعض المصادر التي ترجمت لابن جماعة ومؤلفاته، فقد ذكروا من بين مؤلفاته: (الدر النظيم في أخبار موسى الكليم)[2].

ب ـ منهجه:

سأعرض- بعون الله تعالى- منهج ابن جماعة في كتابه (الدر النظيم في أخبار موسى الكليم) وسأضرب بعض الأمثلة إن لزم الأمر للتوثيق، أو أحيل على النص المحقق تجنُّباً للتكرار.

١- من منهجه: توظيف الآيات القرآنية في مقدمته، مثل: (حباه واجتباه ورفعه مكاناً سنيًّا)، (وقذفته أمه باليمِّ فألقاه اليم بالساحل)[3].

٢- اعتمد في نقل ما جاء به من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وما نقله عن الصحابة والتابعين، وأئمة المفسرين والمؤرخين، كما جاء في قول ابن جماعة: (جمعته معتمداً في النقول ما جاء من كتاب الله، وصحَّ عن الرسول، أو صحَّ نقله عن الصحابة وكبار التابعين وأئمة الدين)[4].

٣- قسم خطته في كتابه على أبواب، وضمَّنها فصولاً، ورتَّبها ترتيباً تصاعدياً بدأ بنسبه

---

(١) ينظر: المخطوطة، ورقة [٢ظ].

(٢) ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ٦/ ٢٥٥، العليمي، الأنس الجليل، ١/ ٤٦٢-٤٦٣، الغزّي، الكواكب السائرة، ١/ ٢٥-٢٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ٨/ ١٠، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون، ١/ ٤٥٣، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ٨/ ٢٠٧.

(٣) ينظر: مقدمة النصّ المحقق، [/ ١ظ].

(٤) (م. ن)، [/ ٢ ظ].

ثم مولده، وانتهى بوفاته، وبزيارة قبره، وقبور الأنبياء (عليهم السلام)، وسأقتصر على ذكر الأبواب فقط من دون الفصول خشية الإطالة، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى محتويات هذا الكتاب.

أما الأبواب، فهي كالآتي:

الباب الأول: في نسبه المنيف.

الباب الثاني: في مولده الشريف .

الباب الثالث: في نبوته ورسالته، وعظيم قدره ومكانته.

الباب الرابع: في ثناء الله عليه وعظيم شرفه لديه.

الباب الخامس: في سيادته وما أعطيه من غزير نعمته من العلم والحلم.

الباب السادس: في تكميله، وما أوتي من الأفعال الحميدة، والأوصاف المجيدة.

الباب السابع: في ذكر مناجاته، وما منحه الله به من هباته.

الباب الثامن: في ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات، وشرَّفه الله تعالى من الكرامات.

الباب التاسع: في رأفته وشفقته خصوصاً على هذه الأمة، إعظاماً لنبيها وإجلالاً لعلو رتبته.

الباب العاشر: في وفاته.

الباب الحادي عشر: وهو ختامها: في وجوه الأحكام فيمن انتقصه، أو سبَّهُ أو عابه من الأنام[1].

٤- معظم الأحاديث الذي استشهد بها من كتب الصحاح والمسانيد، والسنن المعتمدة، فأحياناً يورد سند الرواية كاملاً يتبع فيها طريقة المحدِّثين، وقد يلجأ أحياناً إلى اختصار السند. مثال ذلك: ما رواه البخاري في صحيحه، عن محمد بن بشار عن عثمان بن عمر عن علي بن المبارك عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: {لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنَّا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون}[2]. وحديث آخر من دون تسلسل السند: روى الزبير بن بكار أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: {أشعرتُ أن الله تعالى زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة

(١) ينظر: مقدمة النص المحقق، [/ ٢ ظ - ٤ و].

(٢) ينظر: ضمن النص المحقق [١٦ و].

فرعون}[١]. واستشهاده بكتب السنة، كما جاء في محاجَّة آدم وموسى (عليهما السلام) روى مالك والعلائي ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: {حاجَّ آدم موسى...}[٢].

٥- إذا اشتبه الحرف المهمل بين الإهمال والإعجام، ضبطه بإحدى علامتي الإهمال، كما يقوم بضبطه لغةً وشكلاً، وبيَّن ذلك كما جاء في نسب موسى عليه السلام: (ابن شالخ بالمعجمتين، واللام المفتوحة، ومعناه الرسول أو الوكيل...)[٣].

٦- ينسب الآراء التي ينقلها في معظم الأحيان إلى قائليها، لذلك يكثر من ذكر الأعلام في كتابه، ويمكن التحقق من ذلك بالرجوع إلى فهرست الأعلام.

٧- ينقل بعض الأخبار التي ورد ذكرها في قصص الأنبياء (عليهم السلام) وينسبها إلى ابن عباس، ووهب بن منبِّه، وكعب الأحبار، من دون أن يعلِّق عليها، أو ينظر لها نظرة متأمِّل[٤].

٨- لم يضع الناسخ علامات الترقيم من فوارز ونقاط وقف، وإشارات استفهام وتعجب... وغيرها في مادته.

٩- عندما ينسب الكلام له يبدأ بكلمة: (قلتُ)، و(سنوضح كذا).

١٠- في الغالب يهمل همزة الألف، وبعد بيان الهمزة سأعرض أمثلة على ذلك.

١١- في حال وجود همزتين متواليتين، الأولى على الألف المضمومة والثانية على الألف المفتوحة، يقلب الألف المفتوحة إلى الواو.

١٢- الألف المقصورة يكتبها ياءً.

١٣- الهمزتان المتواليتان، الأولى على الألف المفتوحة، والثانية على نبرة مكسورة، فإنه يجعل من الهمزة الثانية ياءً. أمثلة الهمزة: ولم أزل أقدِّمُ رجلاً وأؤخِّرُ أخرى، وأتحرى ما فيه الأصوب والأحرى، وقوله: وكبار التابعين وأئمة الدين[٥].

١٤- اهتمامه بتفسير وتوضيح الكلمات القرآنية التي تحتمل أكثر من معنى، نراه يذكر ما يتعلَّق بها من معنى وتفسير ولغة وصرف وإعراب، وقراءة إن وجدت[٦]، أما

---

(١) (م. ن)، [/ ٩ ظ].

(٢) (م. ن)، [/ ٤٤ ظ].

(٣) ينظر: ضمن النص المحقق، [/ ٤ و].

(٤) (م. ن)[/ ٧ و].

(٥) (م. ن)، [٢ و - ٢ ظ].

(٦) ينظر: ضمن النص المحقق، [١٤ ظ - ١٥ و].

الآيات التي لا تحتمل على أكثر من وجه فلم يتعرض لها.

١٥- كان رحمه الله تعالى يبيِّن المقصود من القصة دون الإطالة خوفاً من ملل القارئ، وفي ذلك يقول: (في هذه القصة فوائد جمَّة أعرضنا عنها صفحاً خوف الإطالة)[١].

١٦- يذكر بين الفينة والأخرى بعض الفوائد المستنبطة من النص، ولا تخلو من الطرفة أحياناً[٢].

١٧- نقل في كتابه كثيراً من النصوص عن الأئمة الأعلام الذين سبقوه، وكانت نقولاته من ميادين متفرقة، في التفسير، وكتب المعاني، وكتب السنة المعتمدة، وقصص الأنبياء (عليهم السلام) والتاريخ، واللغة... وغيرها. وبالرجوع إلى قائمة المصادر نجد ما أثبتناه.

١٨- يدخل المؤلف في مادته قضايا أصولية، وفقهية، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾[٣]. قال الرازي: (يدل على أن علم الأصول مقدم على علم الفروع؛ لأن التوحيد من علم الأصول، والعبادة من علم الفروع، وأيضاً الفاء في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ تدل على أن عبادته إنما لزمت لألوهيته، وهذا هو تحقيق العلماء أن الله هو المستحق للعبادة)[٤]. وما يتعلق بالفقه: في خرق السفينة ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها، وفي صحيح مسلم: الحكمة بخرق السفينة، وذلك قوله: فإذا الذي جاء يسخرها وجدها منخرقة فتجاوزها[٥].

وسوف أنبه على بعض القضايا الأصولية والفقهية أيضاً، مثل: إن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا لم يرد في شرعنا ما ينسخه بل يقرره[٦].

ج ـ مصادره:

اعتمد ابن جماعة- رحمه الله – على عدد غير قليل من المصادر، ونظراً لكثرتها

---

(١) ينظر ضمن النص المحقق، ورقة [/ ٤٤ و].

(٢) (م. ن) [٢٧ و].

(٣) سورة طه، الآية ١٤.

(٤) الفخر الرازي، محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الرِّي، (ت ٦٠٤هـ)، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٢٢/ ١٩، وضمن النص المحقق، [/ ٢٦ و].

(٥) ينظر: ضمن النص المحقق، [٤٢ و].

(٦) (م. ن)، [٤٩ و].

وتنوعها، فقد عرَّفتُ بأشهرها حسب الترتيب الزمني لكل مجموعة منها، مما كان لها الأثر في إخراج هذا الكتاب بحلَّتِهِ الجديدة.

أولاً: القرآن الكريم، وكتب التفاسير :

قدَّمتُ القرآن الكريم؛ لأنه كلام الله تعالى، وهو القديم أيضاً ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]، وقد استشهد المؤلف - رحمه الله - بآيات كثيرة تبيِّنُ لنا حياة النبي موسى عليه السلام منذ ولادته ومحنته بين يدي ألدّ أعدائه، مروراً برسالته وتبليغ دعوته.. وحتى وفاته.

أما كتب التفسير، فقد أَثْرَت هذا الكتاب أيضاً، منها: تفسير الطبري (ت٣١٠هـ) الذي يمتاز بسعته وشموليته، وتفسير البغوي (ت ٥١٦هـ) وتفسير الرازي (ت ٦٠٤هـ)، الشامل للأقوال والآراء، وما يرجحه مستنداً على أدلَّة.

وكذلك تفسير القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، الذي يمتاز بالدقة والتفصيل والشمولية أيضاً، ويأتي في مقدمة المصادر التي اعتمد عليها ابن جماعة المقدسي، فضلاً عن القرطبي كان رجلاً ثقة.

وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، الذي يستشهد كثيراً بأقوال المفسرين الذين سبقوه، وبالسنة المطهرة.

ثانياً: كتب الحديث الستة، والمسانيد:

دونت هذه الكتب تحت ضوء القواعد النقدية العلمية الدقيقة، التي تتمثل في قواعد مصطلح الحديث المتعلقة بكل من السند والمتن، وفي قواعد الجرح والتعديل المتعلقة بالرواة وتراجمهم وأحوالهم، وتمييز الصحيح منها عن غيره.

ثالثاً: كتب التأريخ:

كان لكتب التأريخ حيِّز مهم في إثراء مادة (كتاب الدر النظيم في أخبار موسى الكليم)، ولم تكن أقل استخداماً من سابقتها، مثل: (تأريخ الطبري)، الذي يستعرض أغلب الروايات القوية منها والضعيفة، ويترك للقارئ مهمة النقد والترجيح. و(البداية والنهاية) لابن كثير، وهو شامل وواسع وغزير المادة، ومتعدد الروايات، وكثيراً ما ينتقد الروايات الإسرائيلية، و(قصص الأنبياء)، للكسائي (ت ١٨٩هـ)، و(قصص الأنبياء) للثعلبي (ت ٤٧٢هـ)، المسمَّى عرائس المجالس، التي لا تخلو من الإسرائيليات.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

وقد أدخل المؤلف- رحمه الله- في كتابه (الدر النظيم) جزأً غير قليل من كتاب (حلية الأولياء)، لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، وهو كتاب واسع يستطرد فيه نفحات الأولياء والصالحين.

رابعاً: النصوص المنقولة عن أهل المعاني:

لقد أودع المؤلف في كتابه أيضاً كثيراً من النصوص التي نقلها عن أهل المعاني، مثل: (معاني القرآن)، للأخفش (ت ٢١٥هـ)، و(معاني القرآن) للفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، و(معاني القرآن وإعرابه)، للزجَّاج (ت٣١١هـ)،و(معاني القرآن)، للنحَّاس(ت٣٣٨هـ).

وأهل هذه المعاني يبذلون جهداً كبيراً في توضيح ما يشكل فهمه من القرآن الكريم، فيحتاج لبيان معناه، فضلاً عن تفصيله في اللغة، والنحو، والصرف.

خامساً: كتب أخرى:

يوجد كتب أخرى يصعب حصرها، فيمكن الرجوع إلى فهرس الأعلام الذين ذكرت أسماءهم في هذا الكتاب، لمعرفة المصادر الثانوية التي كان اعتماد ابن جماعة عليها أقل من المصادر السابقة، وهي كثيرة، على سبيل المثال لا الحصر :

- القراءات الأربع عشرة، للدمياطي، (ت ١١٦٧ هـ).
- والمختصر في شواذّ القراءات، المنسوب لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ).
- وكتب اللغة، مثل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)
- والصحاح، للجوهري، (ت ٣٩٨ هـ).
- وكتب التراجم، مثل: الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ).
- والطبقات، لابن خياط (ت ٢٤٠ هـ).
- والثقات، لابن حبان (ت ٣٥٤ هـ).
- ومن كتب المعاجم: معجم البلدان، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ).
- والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ).
- وغيرها من المصادر المعتمدة.....

د ـ مآخذ على الكتاب:

يمكن أن أنبه منذ البداية على أن ما سيأتي ذكره من مآخذ على الكتاب لا يقلل من جهد نجم الدين بن جماعة، ولا من شأنه، وكل إنسان يعتريه النقص، وما الكمال إلا لله وحده.

١- اتبع ابن جماعة طريقة النقل، أوردها عن الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، وقد ذَكَرَتْها مصادر قبل القرطبي، مثل تفسير البغوي وغيره، لكن ابن جماعة أغفل

ذكـر البغوي، ويمكن أن يورد مسألة لغوية أو صرفية، أو حديثاً نبوياً بسنده، فلم يـرجع للمصـدر الـذي أخـذ القرطبي منه مادته؛ فنلتمس له العذر لعله لم يطلع علـى هـذه الكتب، وإمَّا أن تكون له ثقة عالية في القرطبي فينقلها كما أوردها في كتابه[١].

٢- في القـراءات لم يفصل عندما تمر كلمة فيها أكثر من وجه للقراءة، فيقول: وقُرِئَ ﴿ بِرِسَلَـٰتِى ﴾[٢]،وهـذا مختصـر مخـلٌّ، فـنعذره أيضـاً؛ لأن موضـوعه لـيس في القراءات، وإنما تفضَّل بها علينا من عنده.

٣- ينقل بعض الأخبار التي أوردها الكسائي في قصصه، وابن الفرات (ت ٢٨٩ هـ) في قصصـه، ونسـبت إلى ابـن عباس، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار، ولم يعلّق عليها، ويتركها كما هي[٣].

٤- لم يرجح بين الروايات المختلفة[٤].

٥- عندما يرد ذكر موسى عليه السلام لم يقل عليه السلام في أكثر الأحوال.

٦ – الكـتاب لايخلـو مـن الإسـرائيليات كمـا ورد ذكره ضمن النص المحقق، ورقة: [/ ٤٣ظ، ٦٨ظ، ٧١ظ]... إلا أن تلـك الإسـرائيليات لاتخفـى علـى ذوي الألباب.

(١) ينظر: ضمن النص المحق، [/ ٢١ ظ].
(٢) ينظر: (م. ن)، [١٤/ ظ].
(٣) ينظر (م. ن)، [/ ٧ و].
(٤) ينظر: (م. ن)، [/ ١٦ ظ - ١٧ ظ].

الفصل الثاني

وصف نسخة الكتاب المخطوطة

ومنهج التحقيق

المبحث الأول: وصف نسخة الكتاب المخطوطة

المبحث الثاني: منهج التحقيق.

المبحث الأول

أ- وصف نسخة الكتاب المخطوطة

المخطوطة التي اعتمدت عليها هي صورة عن مخطوطة مكتبة (جستربتي) المرقمة(٣٦)، وقد حصلتُ على النسخة المصورة عن نسخة الأصل التي بين يدي ذات الرقم (٣٤٦١) في مكتبة الجامعة الأردنية. وهذه النسخة لم تطبع ولم تحقق من قبل، وهي نسخة فريدة اسمها: (الدُّرُّ النَّظيم في أخبار موسى الكليم عليه السلام).

تحتوي المخطوطة على (١١٤) ورقة، تضم كل ورقة صفحتين، معدَّل السطور في الصفحة الواحدة (١٦) سطراً، وعدد الكلمات في السطر الواحد (٨) كلمات، وطول الصفحة (١٧,٧سم)، وعرضها (١٣ سم)، وقد كتبت بخط نسخي واضح غير مضبوط الشكل، خالية من الطمس والسقط إلا ما ندر يأتي في موضعه، وهي تامَّة لا نقص فيها، قليلة الأخطاء.

وضع في حاشية الصفحة الأولى بعض الأدعية المأثورة مثل {اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لاإله إلا أنت} وكذلك {اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر،لاإله إلا أنت}.

المخطوطة لمالكها الشيخ شمس الدين ابن ملونون، وقد جعلها وقفا لمدرسة أبي عمر بالصالحية.

المخطوطة خالية من الترقيم، وعوضاً عن ذلك فقد ثبت المؤلف رحمه الله تعالى، على حاشية نهاية كل ورقة أول كلمة من الورقة التي تليها، وذلك لضبط تسلسل الأوراق.

لم يذكر المؤلف تاريخ بداية كتابته للمخطوطة، ولا تاريخ انتهائه منها، وإنما ذكر الناسخ فراغه من نسخها، وكان ذلك في سحر يوم الثلاثاء، شهر ذي الحجة الحرام، من سنة اثنتين وتسع مئة.

إذاً فعملية النسخ قد تمت بعد سنة واحدة فقط من وفاة المؤلف- رحمه الله تعالى. ويدل على أنها نسخت على نسخة الأصل لقرب العهد بها.

المخطوطة خالية من علامات الترقيم، كما يوجد بعض التصحيف والتحريف اليسيرفي مادة الكتاب.

يقسم الناسخ الكلمة الواحدة في سطرين إذا لم يسعها آخر السطر، مثل كلمة (زوجها)، الزاي والواو في نهاية السطر، وباقي الكلمة في أول السطر الذي يليه.

قدم المؤلف المخطوطة بمقدمة طويلة متأنقة ومسجوعة ابتدأها :

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي كلَّم موسى وقرَّبه نجيًّا، وجعله مخلصاً ورسولاً نبيًّاً، وناداه بالواد المقدَّسِ من جانب الطور الأيمن واختاره صفيًّا...) وآخرها: (والله تعالى يوفقنا للقول والعملِ، ويصلحنا من الخطأ والخطل، ويعصمنا من الإثم والزلل، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على أشرف خلقه محمد أكرم من اصطفاه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه ومن والاه، وصلي اللهم على كافة المرسلين، ورضي الله عن العلماء العاملين والكل وسائر الصالحين، وحسبنا الله ونعم الوكيل).

في نهاية الصفحة الأخيرة من المخطوطة، يبدو أن الناسخ قد أضاف أبياتاً شعريةً استقاها من ديوان الشافعي رحمه الله تعالى، طرأ عليها بعض التغيير، وهي مغايرة لخط المخطوطة.

المبحث الثاني

ب – منهج التحقيق

١- بعد أن بذلت جهداً كبيراً في الحصول على هذه النسخة الفريدة فيما أعلم شرعت في كتابة النسخة العائدة لنسخة الأصل في مكتبة (تشستربتي) وفق قواعد الإملاء الحديثة، وأدخلت عليها علامات الترقيم، من فواصل، ونقاط وقف، واستفهام وغير ذلك.

٢- ثبَّتُ في المتن ما رأيته صواباً مع وضع هامش له، ونبَّهت إلى الصحيح منه في الحاشية مع ذكر المصدر إن وجد.

٣- اقتضى السياق في مواضع قليلة جداً زيادة كلمة أو أكثر لإقامة المعنى، فوضعتها بين معقوفتين، وأشرت إلى ذلك في الحاشية.

٤- وضعت الآيات القرآنية ضمن أقواس مزهَّرة، وجعلت كتابتها وفق رسم المصحف مضبوطاً بالشكل، ووضعت لها هامشاً في المتن، وخرَّجتها مشيراً إلى السورة ورقم الآية في الحاشية.

٥- إن وردت الآية مجزَّأة، أجعل الجزء الأول منها بين قوسين مزهرين، وأثبت لها هامشاً، وأشير إلى السورة ورقم الآية في الحاشية، وأذكر تتمَّة الآية، وأضع الجزء أو الأجزاء المتبقية من الآية والتي تليها بين أقواس مزهَّرة بدون وضع هامش عليها في المتن، ولم أشر إليها في الحاشية كي لا أثقلها.

٦- عند ورود العلم والكتاب لأول مرة أجعل له رقماً في المتن، وأشير إليه في الحاشية كاملاً، وأبدأ باسم المؤلف وكنيته، وبعض من مؤلفاته إن وجدت، وسنة وفاته، وفي الغالب إن كان محدِّثاً يخضع للجرح والتعديل إن أمكن ذلك، ثم أشير إلى المصدر كاملاً في الحاشية.

٧- عند ورود العلم والكتاب مرة ثانية لا أجعل له هامشاً ولا أشير إليه في الحاشية، ولا أحيل إليه ضمن النص المحقق لكثرة وروده.

٨- إذا تكرر الحديث أحيل إليه ضمن النص المحقق لتلافي تكراره.

٩- دأبت على توثيق القراءات التي وردت في المتن، وذلك بالرجوع إلى كتب القراءات المعتمدة.

١٠- خرجت الأحاديث الشريفة من كتب الحديث المعتمدة.

١١- وثَّقت أقوال المفسرين والمؤرخين، وقصص الأنبياء من مصادرها الأصلية ما أمكن

توثيقه، أو من المصادر التي ذُكرت فيها.

١٢- خرَّجتُ أقوال النحويين واللغويين من مصادرها ما أمكن.

١٣- ترجمت للأعلام الذين وردت أسماؤهم في النص، باستثناء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين ﷺ.

١٤- ضبطت الشواهد الشعرية، وخرَّجتُ ما أمكن تخريجه.

١٥- وضعت أرقام صفحات نسخة المخطوطة [بين معقوفتين] في داخل النص، ورمزت إلى وجه الورقة وظهرها، كما هو مبين في مصطلحات التحقيق.

١٦- جعلت أرقام الصفحات في أعلى الورقة.

١٧- ألحقت بالنص صور بعض صفحات نسخة الكتاب المخطوطة للتوثيق.

١٨- عملتُ على عدم إثقال الحاشية، باتباع ثلاثة مصادر في تخريج أي مسألة من مسائل النص المحقق في الغالب.

١٩- في حال ورود آيات قصار مترابطة، ومكملة للمعنى، أجعل لها هامشاً واحداً ضمن النص المحقق، وأشير لها في الحاشية بوضع رقم الآية الأولى والأخيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ ﴾، سورة طه، الآيات: ٢٥-٣١.

٢٠- في بعض الأحيان يورد المؤلف نصاً طويلاً قد نقله نقلاً حرفياً، فلم أجد له مُسوِّغاً أن أجعل له هامشاً واحداً، وقد يتكون من عدة صفحات، فأبذل جهداً على أن أوفِّق بين هذه العبارات، أو الوصايا بما يناسبها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، المطهرة كما جاء في نص أبي نعيم، حلية الأولياء[1].

٢١- بينت المصطلحات التي إستخدمتها في التحقيق.

٢٢- شرحت بعض معاني الكلمات التي تحتاج إلى بيان، ويصعب على القارئ معرفتها.

٢٣- عملت على استكمال النقص، أو الطمس من الكتب التي لها صلة بالموضوع، لكون المخطوطة نسخة فريدة.

٢٤- صححت الأخطاء النحوية القليلة التي وجدتها في المتن، وأشرت إلى الخطأ في الحاشية.

---

(١) ينظر: ضمن النص المحقق، [/ ٧٤ و- ٨٢ و].

الخاتمة والنتائج

بعد أن منَّ الله تعالى عليَّ بمعيَّتِهِ، وفرغت من تحقيق كتاب (الدر النظيم في أخبار موسى الكليم)، لابن جماعة، شرعت بتسجيل أهم النتائج التي استخلصتها من خلال عملي، وهي:

١- براعة المؤلف - رحمه الله تعالى- في استخلاصه لسيرة النبي موسى عليه السلام منذ ولادته، إلى أن بشَّره الله تعالى بالرسالة في بضع أسطر من الصفحة الأولى من مقدمته، جعلها بصيغة الدعاء.

٢- إستهانة فرعون في شعب بني إسرائيل ومدى تمسكه بالسلطة، فعندما انتابت فرعون رؤيا عابرة، بأن هناك غلاماً يخرج فيقهره، ويستولي على ملكه، فأمر بذبح كل طفل يولد من أجل أن لا ينتزع عرشه، وهذا نهج كلِّ حاكم مستبد.

٣- مشيئة الله تعالى: لقد عاش موسى عليه السلام في زمن المحنة، وفي دار فرعون تحدياً له، فضلاً عن ذلك أن فرعون تعرَّض للإهانة أكثر من مرة من قبل موسى عليه السلام[١]، وقد ذبح الطاغية (٩٠٠٠٠) تسعين ألف طفل[٢] لكي يكسب النجاة حسب زعمه، وما يدري أن قدرة الله تعالى فوق كل قادر.

٤- إن المحن والآيات تجعل رجالاً ونساءً مؤمنين حقّاً لا تأخذهم في الله لومة لائم، كما حدث لمؤمن آل فرعون، ولآسية زوجة فرعون، ولماشطة ابنته، ولسحرته، عندما تبين لهم الحق.

٥- ناحية شرعية يمكن الأخذ بها فيما إذا انتاب الإنسان أمر يهدد حياته، يسوِّغ له أن يورِّي بغيره، كما جرى لأم موسى عليه السلام، ولأخته أيضاً عند البحث له عن مرضعة[٣].

٦- البشارة العظيمة لهذه الأمة، أمة محمد ﷺ في حديث الإسراء والمعراج {فقال له ربه: قد اتخذتك رسولاً... وجعلتُ أمتك هم الأولين وهم الآخرين}[٤].

٧- شفاعة النبي محمد ﷺ لأمته بعد أن عُرض على من قبله من أولي العزم هي دلالة

---

(١) ينظر: ضمن النص المحقق، ورقة [/ ١٣ ظ]، البغوي، تفسير، ١/ ٧٠.

(٢) ينظر: البغوي، تفسير، ١/ ٧٠.

(٣) ينظر: ضمن النص المحقق، [/ ١٣ و].

(٤) ينظر: ضمن النص المحقق [/ ٢٤ و - ٢٥ ظ].

على تفضيله ﷺ على جميع الخلق من الرسل والملائكة والناس أجمعين.

٨- للإيمان نفحة خاصة لا يحس بها إلاَّ من خالطت بشاشته قلب الإنسان، فيصبح بها مؤمناً حقاً لا يبالي بالطغاة وجبروتهم، فزوجة فرعون آسية تعيش معه منعَّمة مكرَّمة، إلاَّ أنها رفضت هذه النعمة الزائلة، ودعت الله تعالى أن ينجيها من فرعون وكفره، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

٩- ابتلى الله تعالى قوم فرعون بآيات كثيرة ومؤثِّرة، منها: الدَّم، والضفادع والقُمَّل... وبنقص الثمرات، والسنين لعلهم يتعظون، إلاَّ أنهم لم يتذكروا ولم يتعظوا، وظلُّوا مصرِّين على كفرهم وعنادهم. وقد أخبر الله تعالى عنهم، بقوله: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2].

١٠- إن الابتلاء يمكن أن يخصَّ فرداً، ويمكن أن يعمَّ جماعةً، كما أن الفرج قد يشمل فرداً، ويمكن أن ينقذ جماعة. فقد ابتلى الله تعالى أم موسى بموسى عليه السلام حيث قذفته في البحر، ورده إلى أمِّه وهو رضيع ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]. فكثيراً ما تكون الجماعة مبتلاة بطغاة لا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة، كما حدث لقوم موسى عليه السلام مع فرعون وجنوده، حيث قتلوا أبناءهم واستحيوا نساءهم، وسخَّروهم في الأعمال القذرة، ومن بعد هذا الابتلاء جاء الفرج لهم بإغراق فرعون وجنوده في البحر، وخروج موسى عليه السلام وقومه سالمين معافين، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[4]، أي فرعون وجنوده[5].

١١- (يجوز عند الضرورة خروج الداعي من بلده فراراً من عدوه، ولهذا قبل موسى عليه السلام نصيحة مؤمن آل فرعون بالخروج من مصر؛ لأن الملأ من قوم فرعون يتشاورون في

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٣.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٦٥-٦٦.

(٥) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، ٣/ ٣٣٨.

قتله)[١]، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[٢]

١٢- السياسة التي اتبعها فرعون، وسائر الطغاة مع الدعاة في الماضي، يتبعها الطغاة معهم في الحاضر، فهي سياسة لا تتبدل ولا تتغيَّر تقوم على البطش والتنكيل بالحبس والقتل والتهجير، فالطغاة من ديدنهم لا يقابلون الدعاة إلى الله تعالى بالحجة والبرهان، وإنما يقابلونهم بالحديد والنار، مستغلِّين سلطانهم، وتبعية الناس لهم[٣]. قال الله تعالى مخبراً عن فرعون، وما قاله لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[٤].

١٣- يجوز للضرورة أن تعمل المرأة خارج بيتها، كما شاء الله تعالى لابنتي شعيب عليه السلام أن يخرجا مع الغنم، ووجه الضرورة: لا يوجد له ولد ذكر يرعى له الغنم، وهو شيخ كبير.

١٤- أخلاق النبي موسى عليه السلام وحفظ الله تعالى له جعله يتحرَّج من أن يمشي خلف ابنة شعيب عليه السلام كي لا ينظر إلى قفاها[٥].

١٥- من سنة الله تعالى في رسله أن يجعل للأنبياء معجزة محتَّمة، وخارقة للعادة؛ ليعلم بها صحة نبوته، كما مرَّ ذكرُهُ في معجزة العصا واليد[٦]... وغيرها.

١٦- تحريم موالاة الظالم والركون إليه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[٧]. ومعنى الركون، هو: الميل اليسير إلى الذين ظلموا، ومصاحبتهم، ومداهنتهم، والرضى بأعمالهم، وذكرهم بما فيه تعظيماً لهم[٨].

---

(١) عبد الكريم زيدان، المستفاد، ١/ ٣٧٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٠.

(٣) ينظر: زيدان، المستفاد، ١/ ٣٨٠-٣٨١.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٩.

(٥) ينظر: ضمن النص المحقق، ورقة [٥٥ و].

(٦) (م. ن)، [٢٨ و - ٢٨ ظ].

(٧) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٨) ينظر: البيضاوي، القاضي ناصر الدين، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت ٦٨٥ هـ)، تفسير البيضاوي، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م، ٣/ ٢٦٦، الشوكاني، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، (بلا. ت)، ٢/ ٥٣٠.

١٧- أعوان الطغاة الظلمة، ظلمةٌ مثلهم، ودليل ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَٰطِـِٔينَ ﴾[١].

١٨- لقد بلغ في فرعون الضعف والانهيار أمام النبي موسى عليه السلام إلى أن يستشير الملأ من حوله، الذين يعتبرهم عبيده وهو إلههم من فرط الدهشة والحيرة التي حلَّت به، وهكذا تظهر حقيقة الطغاة المتجبرين المستكبرين إذا قرعتهم حجج الحق، وظهر زيفهم وباطلهم[٢]. فأخبر الله تعالى عنهم: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[٣].

١٩- الحرص على العلم مع المشقة، ومصاحبة العلماء والتواضع لهم، كما حصل لموسى عليه السلام من المشقة في رحلته من أجل طلب العلم، وهو كليم الله تعالى، وأنزلت عليه التوراة، وهو يعلم الشيء الكثير، ولم يمنعه علمه من مصاحبة الخضر عليه السلام. وفي الحثِّ على العلم دعاء رسول الله ﷺ: { اللهم انفعني بما علمتني، وعلِّمني ما ينفعني، وزدني علماً، الحمد لله على كل حال، ربِّ أعوذ بك من حال أهل النار}[٤]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [٥].

٢٠- في قول الخضر لموسى (عليهما السلام) كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾[٦]، قال ذلك؛ لأنه علم أنه يرى أموراً منكرة، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات[٧].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨.

(٢) ينظر: زيدان، المستفاد، ١/ ٣٢٨.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٣٤-٣٥.

(٤) عبد بن حميد، أبو محمد بن نصر الكسي، (ت ٢٤٩ هـ)، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ط ١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م، هذا ماكتب على الغلاف، وفي الكتاب، طبعة عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١/ ٤١٥، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السُّلمي، (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٥ / ٥٧٨، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ٢/ ٢٠٨.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٦٧.

(٧) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٣/ ١٧٣.

٢١- الأخذ بمبدأ أخف الضررين وفي خرق السفينة من قبل الخضر (عليه السلام) هو بحدّ ذاته ضرر، إلاّ أنه أخف ضرراً من الاستيلاء عليها وغصبها كاملاً من قبل الحاكم الظالم، لذلك إذا تعارضت مفسدتان دفع أعظمهما بارتكاب أخفّهما، كما في خرق السفينة، لدفع غصبها وذهاب جملتها[١].

٢٢- من سنن الله تعالى في خلقه أن صلاح الآباء ينفع الذرية ولو بعد حين. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[٢].

٢٣- خيبة فرعون، ظناً منه أنه يحقق نصراً عظيماً بجمعه للسحرة ومايدري أن قدرة الله فوق كل جبار متكبر، فجاءوا السحرة بعد شروق الشمس كفاراً، وأمسوا قبل الغروب شهداء!!.

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث: محمود علي العلو

(١) ينظر: النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مرّي (ت ٦٧٦ هـ)، شرح النووي على صحيح مسلم، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٥/ ١٤٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

مقدمة المؤلف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر

الحمد لله الذي كلّم موسى وقرّبه نجيًّا وجعله مخلصاً ورسولاً نبياً وناداه بالوادي المقدس من جانب الطُّور الأيمن واختاره صفيًّا، وحباه واجتباه ورفعه مقاماً سنيًّا، وأدناه ورقّاه مكاناً علياً، أنقذه من فرعون وهو طفل وليد ومنحه من لدنه فضلاً زكيًّا، فكم قتل في طلبه طفلاً وأورث أُمًّاً على ولدها ثكلاً، وأبى الله إلاّ حراسته وأن يكون تقياً نقيا، قذفته أمه في اليم فألقاه اليم بالساحل ساحة عدوه، فكان هو الكافل وكان أمر الله قدراً مقدورا وحتما مقضيا، ألقى الله عليه محبته حتى في قلوب أعدائه تنفيذا لحكمه وإمضاء لقضائه، وألقى عليه مع المحبة سمتاً وجعله هاديا مهديا[2] أحمده على ما منح من آلائه السابغات [التي][3] منها أن فضّل بعض الرسل على بعض ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[4] حمداً زاكياً نامياً وفيا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له [/ ١ ظ] البر الرحيم، وأن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالدين القويم، صلى الله عليه وعلى أبيه إبراهيم الخليل،وعلى أخيه موسى الكليم، صلاة أرجو أن[5] أكون بها عند الله عبداً مرضيا.

وبعد: فهذا جزء لطيف ومجموع منيف يتضمّن جملة من أخبار النبي الكريم، والرسول العظيم موسى الكليم عليه أفضل الصلاة والتسليم، الذي أوقع الله محبته في قلب كل إنسان، وشهد برسالته كل جنان ولسان، ونطق بذلك الرّحيم الرّحمن في محكم القرآن، ولقد أوتي من وافر العقل والعلم والحلم والحكمة مالا يحتاج إلى بيان، شرفه غزير لا ينكر، وفضله شهير لا يحصر يجل أن يحقر قد شاع وذاع بين كل قاص ودان، تشنّفت بذكره الأسماع. هيجني لجمعه وحثني على وضعه سؤال سائل وقصد نائل.ولم يسعني في

---

(١) من المحقق .

(٢) اقتبس المؤلف رحمه الله تعالى كلامه هذا من القرآن الكريم، ينظر: سورة الأعراف، الآية :١٤٣ مريم / ٥١-٥٢-٧١، طه، الآية: ٢٩ .

(٣) (الذي) كذا في الأصل، وما أثبته ،صحيح .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣ .

(٥) (لأن) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح .

ذلك مخالفته، وعلمت أنه يجب عليَّ إجابته لحديث: {من سئل عن علم علمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار حيث كتمه}[١].

ولم أزل [/ ٢و] أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وأتحرى ما فيه الأصوب والأحرى، جمعته معتمداً في النقول ما جاء من كتاب الله[٢]، وصحّ عن رسوله، أو صح نقله عن الصحابة وكبار التابعين، وأئمة الدين مما ليس فيه مرية ولا اشتباه، وسمّيته بالدّر النظيم في أخبار موسى الكليم[٣].

وحصرت الكلام في أبواب ليسهل الكشف عنها[٤] متضمّنة هذه الأبواب فصولاً لا يستغني اللبيب عنها، وأنا أسأل الله الإعانة على تحصيل المطلوب منه وحسن الثناء عنه فأقول وبالله أستعين وعليه أتوكل.

الباب الأول: في نسبه المنيف

[الباب][٥] الثاني: في مولده الشريف، وفيه فصول .

[الفصل الأول][٦]: في سبب وجوده إلى الوجود بأمر الملك المجيد لما سبق في علم الله

---

(١) لفظ الحديث كما أورده أصحاب السنن جاء بألفاظ متقاربة ومتفقة بالمعنى، فقد أورده الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: قال رسول الله ﷺ: {من سئل عن علم يعلمه فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار} ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (بلا.ت) ٢/ ٤٩٥، وأورد ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: {ثم ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه يوم القيامة إلا أُتي به يوم القيامة ملجماً بلجام من نار} ابن ماجه، أبو عبد الله محمد ابن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (بلا.ت) ١/ ٩٦ وأورده الطبراني، في المعجم الصغير، والأوسط ، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة} الطبراني، أبو القاسم بن أحمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ)، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط ا، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ١/ ١١٢، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله ابن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ٣/ ٣٣٥ .

(٢) قصد بذلك القرآن الكريم حصراً، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج إنه سمع أبو هريرة ﷺ يقول: لولا آيتان في كتاب الله تعالى ما حدثت عنه، يعني عن النبي ﷺ شيئاً أبدا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ البقرة، ١٧٤، ابن ماجه، السنن، ١/ ٩٧. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ البقرة، ١٥٩، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ آل عمران، ١٨٧.

(٣) هو اسم الكتاب الذي سمّاه به المؤلف رحمه الله تعالى وهو الذي نعمل على تحقيقه.

(٤) (منها) كذا في الأصل وما أثبته يقتضيه سياق الكلام .

(٥) لمقتضى لسياق

(٦) لمقتضى السياق

تعالى أنه يخرج نبي على فرعون العنيد. وهذا الفصل متضمن أموراً خارقة للعقل موافقة للنقل معجزة لنبيه وكرامة لصفيِّه .

الفصل الثاني: في ذكر رضاعته وكونه لم يقبل ثديا غير ثدي أمه، ورددوه إليها بسفارة أخته[١]، كي تقرَّ عينها ولاتحزن[٢]، وحضانته في دار [/ ٢ظ] عدوِّه وخصمه وستر الحال عن حذَقَ[٣] فرعون وفهمه تنفيذاً لمشيئة الله برغمه وإبطالاً لدعوى فرعون لألوهيته على زعمه فسبحان من لا يخرج مخلوق عن حكمه ولا يعزب شيء عن علمه .

الفصل الثالث: ما اتفق له مع فرعون كما صح في نقل أثره من قبض لحيته بيده وإهانته[٤]، وما أعطاه الله تعالى هناك من كرامته من خلاصه من سطوة عدوِّه ونقمته .

الباب الثالث: في نبوته ورسالته وعظيم قدره ومكانته.

الباب الرابع: في ثناء الله عليه وعظيم شرفه لديه وفيه فصول.

الفصل الأول: ما ورد من ذكر مكانته ورفعة منزلته .

الفصل الثاني: في كلامه مع ربه ودنوِّه منه وقربه .

الفصل الثالث: فيما وصف من الكرامة والإخلاص والاصطفاء والاستقامة وعظيم المنزلة يوم القيامة.

الباب الخامس: في سيادته وما أُعطيه من غزير نعمته من العلم والحلم وفيه فصل: يتعلق بفضله.

الباب السادس: في تكليمه وما أوتي من الأفعال الحميدة والأوصاف المجيدة وفيه فصول.

الفصل الأول: في صفته .

---

(١) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار سويدان، بيروت، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م، ١/ ٣٨٩، ابن كثير، ١/ ٢٢٤ – ٢٢٥.

(٢) لقد استقاها من قوله تعالى في سورة طه، الآيه: ٤٠.

(٣) أي علم الشيء ومهر فيه: حذق الصبي القرآن، أي تعلَّمَه كلَّه ومهر فيه، ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، مادة (حَذَقَ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ٣/ ٢١٩، د. إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢، دار الأمواج، بيروت، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م، ١/ ١٦٢-١٦٣.

(٤) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٣٩٠، الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٤٧٢هـ) وقصص الأنبياء، المسمَّى عرائس المجالس، المكتبة الشرقية، (بلا.ت)، ص ١٧٤. والمقصود بهذه العبارة والله أعلم أولا: هي ابتلاء وامتحان لموسى عليه السلام حيث تربى وترعرع في دار عدوِّه اللديد، الذي قتل من الصبيان ما يزيد عن تسعين ألفاً كما تروي المصادر.

ثانياً: وهذا يدلنا على أنه مذ كانت معية الله معه لم يخلص إليه شيء.

ثالثاً: فقبض موسى لحية فرعون في صغره أنه سيعلوه ويهينه في كبره ويصرعه وكان الله بالغاً فيه أمره.

الفصل الثاني: في خلقه ووحيه[/ ٣و] وتواضعه، ورأفته، وحيائه.
الفصل الثالث: في قوَّته.
الفصل الرابع: في عصمته من العيوب والذنوب .
الباب السابع: في ذكر مناجاته وما منحه الله به من هباته .
الباب الثامن: فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه الله تعالى به من الكرامات، وفيه فصول .
الفصل الأول: في نبع الماء الطاهر له إذ استسقاه قومه وخروجه إليه.
الفصل الثاني: في كلام الحيوانات كالبقرة، والقتيل الذي ضرب ببعض البقرة، فأحياه الله تعالى وأخبر بالقاتل، والذئب بين يديه .
الفصل الثالث: إبراء ذوي العاهات .
الفصل الرابع: في دعواته المستجابات .
الفصل الخامس: في انقلاب الأعيان له، فسبحان من أعطاه وفضَّله .
الفصل السادس: في كفايته ووقايته ممن آذاه وعصمته من القتل .
الفصل السابع: في نصرته على عدوِّه العنيد بمواهب ربنا الحميد .
الباب التاسع: في رأفته وشفقته خصوصاً على هذه الأمَّة إعظاما لنبيها وإجلالاً لعلو رتبته .
الباب العاشر : في وفاته وفيه فصول.
الفصل الأول: فيما وقع له مع مَلَك الموت وموضع قبره، وما سأل أن يدفن فيه، والدنو من الأرض المقدسة التي [/ ٣ظ] هي على التقوى مؤسسة.
الفصل الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ .
الفصل الثالث: في حكم الصلاة عليه وعلى غيره من الأنبياء .
الفصل الرابع: في زيارة قبره وقبور الأنبياء عليهم السلام.
الباب الحادي عشر وهو ختامها: في وجوه الأحكام فيمن نقصه أو سبَّه أوعابه من الأنام. وفيه فصل: فيما يستحيل في حقه وما يمتنع أن يضاف إليه وقد آن لنا أن نشرع فيما [ذكرناه][1] آنفاً على الأسلوب المطلوب، والله تعالى المسؤول أن ينفع بما قصدناه إنه قريب مجيب، وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

(١) لمقتضى السياق .

الباب الأول

في نسبه المنيف

هو موسى بن عمران وبهذا اشتهر، ويقال: عمرم بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب نبي الله ابن إسحاق[١] نبي الله ابن إبراهيم خليل الله ابن تارح، ويقال له: آزر وهو لقب له[٢]، وهو الذي نطق به القرآن[٣]، ومعناه الأعرج[٤]، (ابن ناحور)[٥]، بالحاء المهملة والنون[٦]، ابن ساروح، بالمهملات[٧] ويقال: (ساروغ بن أرغو)[٨]. ويقال: راعو[٩] بضم العين المهملة، ابن فالغ[١٠].

---

(١) ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت٢٣٠ هـ) الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (بلا.ت)، ١/ ٥٤، إلا أنه خلا من اسم عمرم بن يصهر، الطبري، تاريخ، ١/ ٣٨٥ .

(٢) ينظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧ هـ) معاني القرآن، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ١/ ٣٤٠، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٧٥، مخلوف، حسنين محمد، صفوة البيان المعاني القرآن ط٣، (بلا.ت) ص١٨٠.

(٣) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾، الأنعام، ٧٤ .

(٤) ينظر: الزبيدي، محمد مرتضى (ت١٢٠٥ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، (بلا.ت)، ٣/ ١٢.

(٥) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (ت٢١٨ هـ) السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ط٢، (بلا.ت) ١/ ٣ – ٤، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٧٥.

(٦) ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (ت٨٥٢ هـ)، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ٩٥٩م، ٦/ ٣٨٩ .

(٧) ينظر: ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ١/ ١.

(٨) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ) تاريخ اليعقوبي، مؤسسة ونشر فرهنك، أهل البيت (ع)، قم، دار صادر، بيروت، (بلا.ت)، ١/ ٢١، الطبري، تاريخ، ١/ ٢٣٣.

(٩) الحاكم أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ٢/ ٦٠٠، ابن كثير قصص الأنبياء، ط١، مكتبة النهضة، بغداد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٢٨.

(١٠) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ١٣٣، المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ)، مروج =

ويقال: فالَخ بالفاء وفتح اللام وبالعجمة[١] بن [/ ٤و] عابر، ويقال: عيبر بالمهملة ثم مثناة تحت ساكنة ثم موحدة مفتوحة، وهو هود نبي الله[٢] ابن شالخ بالمعجمتين واللام المفتوحة ومعناه الرَّسول أو الوكيل، قاله: ابن هشام[٣]، ابن أرفخشذ[٤]، براء ومعجمات وفاء مفتوحة والخاء ساكنة والشين مفتوحة، ومعناه مصباح مضيء[٥]، ابن سام ابن نوح[٦] أول الرّسل ابن لامك[٧]، بفتح الميم وكسرها ويقال: لَمْك[٨]، بن متُّو شَلَخ بميم مفتوحة ثم مثناة فوق مشدَّدة مضمومة ثم واو ساكنة ثم شين معجمة ثم لام مفتوحتين ثم خاء معجمة[٩] ابن حنوخ بحاء مهملة ويقال: معجمة ثم نون مضمومة ثم واو ثم معجمة[١٠] ويقال: أخنوخ، وهو إدريس النبي في قول ابن إسحاق[١١]

=

الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١/ ٤٣.

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة، ١/ ٣، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٣٨٩.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ٣-٤، الزبيدي، تاج العروس، ٥/ ٢٠١.

(٣) ينظر: ابن هشام، السيرة، ١/ ٣، وفي الطبري، تاريخ، (بالدال المهملة) ١/ ٢٣٣، لكن عند المسعودي، مروج الذهب (بالدال المعجمة) ١/ ٤٣.

(٤) ينظر: ابن هشام، السيرة ١/ ٣، السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (ت٥٨١هـ) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مجدي منصور الشوري،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ١/ ٣٥.

ابن هشام، السيرة، ١/ ٣، أبو سعيد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ)، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله البارودي، ط١، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ٢٥.

(٦) وهو هود نبي الله، ينظر: الشامي، محمد بن يوسف الصالحي(ت٩٤٢ هـ) سبل الهدى في سيرة خير العباد تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ١/ ٣١٣.

(٧) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٩٣، وقصص الأنبياء، ص٦١.

(٨) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٤، وفي الطبري، تاريخ، (لَمَك)، ١/ ٧٤.

(٩) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٤، وفي الطبري، تاريخ، (لَمَك)، ١/ ٧٤.
ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٣٧٢.

(١٠) لم أعثر على مصدر يذكر أنها (بالحاء المهملة) إلا أنه كل ماحصلت عليه (بالمعجمة)، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٣، الثعلبي قصص الأنبياء، ص٥٢، الذهبي، السيرة النبوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، ص٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٩٢.

(١١) قال عبد الملك بن هشام: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله ﷺ إلى آدم عليه السلام ، السيرة النبوية، ١/ ٣.

والأكثرين[١]، ابن يَرد[٢]، (بمثناة تحت مفتوحة ثم ساكنة)[٣].

وبعضهم يقول يارد[٤]، ومعناه الضابط بن مهلائيل ويقال: مهليل ومعناه الممدوح[٥] ابن قينان[٦]، وبعضهم يقول: قَيْنَنَ[٧] ويقال: قاين[٨]، ويقال: قَيْنَيْن[٩]، ومعنى اسمه المستولي[١٠]، بن سامك وهو أنوش بالنون والشين المعجمة، ويقال: يانش[١١]، ويقال: أنش[١٢]، ومعناه الصادق[١٣] بن شيث، ويقال: شاث بالسريانية ومعناه عطية الله أو هبة الله[١٤] ابن آدم[١٥] أبي محمد ﷺ[١٦] هذا ملخص نسبته الشريفة ساقه أبو جعفر محمد بن

---

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٣، الطبري، تاريخ ،١ /٣، مطهر بن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (بلا.ت)، ٤/ ١٣١.

(٢) ابن هشام السيرة النبوية، ١/ ٣، السمعاني، الأنساب، ١/ ٢٥.

(٣) الشامي، سبل الهدى ،١/ ٣١٩.

(٤) ينظر: الكتاب المقدس، العهد القديم والجديد، ط١، جمعية الكتاب المقدس، لبنان، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م ص٤٨٦، الطبري، تاريخ، ١/ ١٦٩ المقدسي، البدء، والتاريخ، ٤/ ١٣١.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٣-٤، السهيلي، الروض، ١/ ٣٦.

(٦) انظر: الكتاب المقدس، ص٤٨٦، الطبري، تاريخ، ١/ ١٦٦، السهيلي، الروض، ١/ ٣٧.

(٧) ابن هشام السيرة النبوية، ١/ ٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٩٣.

(٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٤.

(٩) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ) الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، ١/ ٢٦.

(١٠) ينظر السهيلي، الروض، ١/ ٣٧، ومعنى اسمه عند السهيلي [المستوي] وهو الأصح .

(١١) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٣-٤.

(١٢) حكى السهيلي عن ابن إسحاق أنه بالعربية: أنش وفي شرح القاموس أنوش، ينظر، البخاري، محمد ابن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، المكتبة الإسلامية (بلا.ت)، ١/ ٧، السهيلي، الروض، ١/ ٣٧.

(١٣) السهيلي، الروض، ١/ ٣٧.

(١٤) شاث بالسريانية، وشيث بالعبرانية، ابن سعد الطبقات، ١/ ٢٦، السهيلي، الروض، ١/ ٣٧.

(١٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ١ / ٤، ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٦، السمعاني، الأنساب، ١/ ٢٥.

(١٦) الكتبي، أبو عبد الله محمد بن شاكر الدمشقي (ت ٧٨٣ هـ)، عيون التواريخ، بغداد، دار الحرية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ١/ ٥.

وعن ابن عباس أن النبي (ﷺ) كان إذا انتسب لم يجاوز نسبه معد بن عدنان ثم يمسك ويقول: {كذب النسابون}.

ينظر: ابن سعد، الطبقات، ١/ ٦٥، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ) الجامع الصغير، تحقيق:محمد عبد الرؤوف المناوي، دار طائر العلم، جدة، (بلا.ت) ،١/ ١٠٠، قال الله تعالى: ﴿ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ الفرقان، ٣٨، وكان يقرأ: ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾،

=

جرير الطبري، وأبو علي محمد بن أسعد النسابه[١] قال الحافظ شريف الدين الدمياطي[٢]: هذه أصح الطرق [/ ٤ظ] وأحسنها وأوضحها[٣]. وفي ذلك اختلاف كثير بين المؤرخين، ولذلك كره مالك[٤]، رفع الأنساب إلى آدم في الأنبياء دون غيرهم[٥]، وذهب الأكثر إلى خلاف ما قاله[٦]، فإنه يترتب على ذلك فوائد جمّة ولذلك ذكرناه. واسم أم موسى: يوخايذ كما ذكره الطبري[٧]، والثعلبي وهو المشهور[٨]، وقيل: نجيب[٩]، وقيل: لوجا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب[١٠]. وإنما سمي [موسى][١١]، لأنه وجد في ماء وشجر[١٢]،

=

إبراهيم، (٩). انظر: ابن سعد، الطبقات، ١/ ٥٦، ابن خياط، خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠هـ)، كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م ص٣.

(١) هو أبو علي محمد بن أسعد الجواني النسابة (ت٥٨٨هـ)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ٢١/ ٢٢٩، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت) ٣/ ٢٧٥.

(٢) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدين بن الخضر بن موسى التوني الحافظ النسابة، يكنى أبا محمد (ت٧٠٥هـ) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٦٣، حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، (بلا.ت) ١/ ٤٠٤.

(٣) ينظر: الكتبي، عيون التاريخ، ٣/ ٥.

(٤) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، يكنّى أبا عبد الله، إنه قال: ما أفتيتُ حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك، وهو إمام المذهب المالكي (ت١٧٩هـ) ينظر: ابن خياط، الطبقات ص٢٧٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ١/ ٢٨٩.

(٥) كان كثير من أئمة الدين كمالك بن أنس (ﷺ) وغيره يكرهون تعداد الآباء من فوق عدنان، ويقولون: هم رجما بالغيب، والله تعالى يقول: ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٨، وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) كان إذا انتهى في النسب إلى عدنان أمسك ثم يقول: {كذب النسابون} أي بعده.
ينظر: ابن سعد، الطبقات، ١/ ٥٦، ابن خياط، الطبقات، ص٥٦، السيوطي، الجامع الصغير، ١/ ١٠٠.

(٦) فذهب ابن إسحاق، وابن جرير، وغيرهما إلى جوازه، ينظر: الشامي، سبل الهدى، ١/ ٢٩٨.

(٧) الطبري، تاريخ، ١/ ٣٨٥.

(٨) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٦٩، والمشهور عنده هو يوخابيل.

(٩) (م. ن) ص١٦٩.

(١٠) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أبو إبراهيم اطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧م، ١٣/ ٢٥٠.

(١١) لمقتضى السياق.

(١٢) عندما آمنت آسية امرأة فرعون أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله، فسمته (موشى) لأنه وجد بين

=

في دار فرعون[١]. ولما قيل لآسية امرأة فرعون[٢]، سمِّيه قالت: سمَّيته موسى، فمو:

=

الماء والشجر، وهو بلغة القبط. مو: الماء، وشى: الشجر، فعرِّب فقيل: موسى، ينظر: الطبري، تاريخ،١/ ٣٩٠، والبقاعي أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ١٤/ ٢٤٤-٢٤٥.

(١) فرعون: اسمه الوليد بن مصعب بن معاوية، ينظر : الطبري، تاريخ، ١/ ٣٨٦، وزاد المسعودي، أن الوليد هو الرابع من فراعنة مصر، مروج الذهب، ١/ ٤٨. ولننظر الآن إلى مدرس التاريخ الإسلامي المرحوم عبد الوهاب النجار، في كتابه قصص الأنبياء، ومن خلال اطِّلاعه على الآثار المصرية والتقائه بالمصور لدار الآثار المصرية الفاضل أحمد يوسف أحمد أفندي، وقد نقل من كتاب له بعنوان: كتاب فرعون موسى – قصة الولادة والرسالة والخروج. لقد ذكرت التوراة أن فرعون مصر الذي اضطهد بني إسرائيل كان يستخدمهم في بناء مدينتي رعمسيس، وفيثوم. وقد ثبت من الحفائر الأثرية وجود مدينة باسم (فيثوم) أو (بر-توم) ومعناها بيت الإله توم. ومدينة أخرى باسم (بر رعمسس) أي: بيت أو قصر رعمسيس. فالاولى اكتشفت بواسطة العالم الفرنسي (نافيل) في سنة ١٨٨٣م وموضعها في المسخوطة الآن – الثانية اكتشفت بواسطة العالم المصري الأستاذ محمود حمزة في سنة ١٩٢٨م، وموضعها بلدة (قنتير). إذن فرعمسيس الثاني قد يعتبر الفرعون الذي اضطهد بني إسرائيل، وولد موسى في زمنه، وحيث أن الملك رعمسيس الثاني قد أشرك أبنه الملك (منفتاح) معه في الحكم قبل وفاته، ويكون قد عاصر موسى في بيت أبيه .وبحق قال لموسى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ الشعراء (١٨) ويكون في هذه الحالة منفتاح هو فرعون الخروج الذي أرسل إليه موسى وهارون عليهما السلام لإخراج بني إسرائيل من مصر. وتكون التوراة على صواب عندما قالت: وفي هذه الأثناء كان ملك مصر قد مات، وقد عثر العلامة: فلندرس بترى على حجر من الجرانتين القائم ورقمه (٥٩٩) وهو عبارة عن لوحة كبيرة يبلغ إرتفاعها / ٣ م و ١٤سم، وهو منقوش من الوجهين أحدهما للملك (امنتحب) الثالث من الأسرة (١٨) يذكر فيه كل ما عمله لمعبد أمون .أما الوجه الآخر فقد استعمل في شأن (منفتاح) بن رعمسيس الثاني من الأسرة (١٩)، وذكر فيه عبارات بأسلوب شعري يفتخر فيها بانتصاره على اللوبيِّين، ويشير إلى سقوط عسقلان وجيزر، ويا نوعيم في فلسطين. وجاء من ضمنها عبارة تشير إلى بني إسرائيل ونصها الحرفي: (لقد سحق بنوا إسرائيل ولم يبقى لهم بذر) وهذا أول نص رسمي في الآثار ذكر فيه بنوا إسرائيل. وقد عثر على هذا الحجر في كوم الحيتان بطيبة الأقصر. وهذا الحجر يبدُو منه للمدقق أن (منفتاح) لم يكتبه في عهده لأن هذه الحوادث الهامة يجب أن تدون في أثر خاص لا أن يستعمل له حجر كان لغيره من قبل، ويظهر أن الكهنة التابعين لمنفتاح هم الذين استعملوا هذا الحجر ودونوا ما به، وأرادوا أن يوهموا الناس أن فرعون قد سحق بني إسرائيل تمويهاً وقلباً للحقائق، حتى يستروا أمام الشعب المصري الذي كان يحترم ديانتهم، خذلانهم وخذلان إلههم أمام موسى، حين كان فرعون يتعقب بني إسرائيل، ويكون العثور على جثة (منفتاح) ووجودها الآن بالمتحف المصري مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ يونس، (٩٢). ينظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت)، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٢)هي آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريَّان بن الوليد، فرعون يوسف الأول وكانت زوج قابوس بن مصعب بن معاوية فلما توفي قابوس، تزوج الوليد بن مصعب آسية بنت مزاحم بعد أخيه، ينظر:

=

بالقبطية هو الماء وسا: هو الشجر.

=

الطبري، تاريخ، ١/ ٣٨٦، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٩١.

وقد تحدث رسول الله ﷺ عن آسية ومرتبتها بين النساء. عن عمرو بن مرة قال: سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: {كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون} البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٣/ ١٢٦٦، النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٥/ ٩٣.

الباب الثاني

في مولده الشريف وفيه فصول

الفصل[1] الأول

في سبب وجوده ومولده عليه السلام

قال المؤرخون: لمَّا مات ريَّان بن الوليد، وهو فرعون مصرالأول الذي أسلم على يد يوسف، وولاَّه خزائن الأرض[2]، ولي بعده جبار آخر[3] وتوفي يوسف عليه السلام وقامت بنو إسرائيل بعد يوسف بمصر حتى كثروا ونشأت لهم ذرِّيَّة وهم تحت أيدي العمالقة[4]. وهم على بقايا من دينهم الذي كان يوسف ويعقوب، وإسحاق وإبراهيم (عليهم السلام) شرعوه لهم متمسكين به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه ولم يكن في الفراعنة أعتى منه ولا أقسى قلباً ولا أطول عمراً ولا أسوأ ملكاً لبني [/ ٥و] إسرائيل، وكان يعذِّبهم ويستعبدهم ويجعلهم خدماً وخوَّلا[5]، وعاش فيهم أربعمائة سنة[6] فبعث

---

(١) يقتضيها السياق .

(٢) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٣٣٥ – ٣٣٦، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٢٠.

(٣) هو قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس، وكان كافراً فدعاه يوسف عليه السلام فأبى أن يقبل، الطبري، تاريخ، ١/ ٣٣٦. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٢٠.

(٤) هم قوم من ولد (عمليق) بن لاوذ، بن إرم، بن سام، بن نوح عليه السلام وهم أمم تفرقوا في البلاد. ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ) مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، ط جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ١/ ١٩١، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المركز العربي للثقافة والعلوم بيروت، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ص٤٣٥، وقال ابن عاشور محمد الطاهر: العمالقة هم من الكنعانيين أو من العرب، وهكذا يعبر عنهم مؤرخوا الإغريق بملوك الرعاة، أي: البدو، وقد ملكوا بمصر من عام ١٩٠٠ – ١٥٢٥ ق.م. تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (بلا.ت)، ٢٠/ ٧٢.

(٥) لقد صنفهم فرعون في أعماله، فصنف يبنون، وصنف يحرثون، وصنف يزرعون له ومن لم يكن منهم في صنعة له فعليه الجزية، ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٣٨٦ – ٣٨٧ فسامهم كما قال الله تعالى: ﴿ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ البقرة، ٤٩ .

(٦) ينظر: مجاهد، بن جبر التابعي المكي المخزومي (ت١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، حققه وعلق على حواشيه: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام أباد، الباكستان، (بلا.ت) ٢/ ٤٧٧، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٧٠ .

الله إليه موسى[١]، وكان من أمره ما نقله المفسرون، والمؤرخون عن عطاء[٢]، والضحاك[٣].

ما روى السدِّي[٤]، في خبر ذكره عن أبي مالك[٥]، وعن أبي صالح[٦] عن ابن عباس[٧]، عن مرة الهمداني[٨]، عن ابن مسعود[٩]، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ: أن بني إسرائيل لَمَّا كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي، لم يأمروا بمعروف، ولم

---

(١) انظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٧٢، الجزائري، قصص الأنبياء، ص٢٥٩.

(٢) عطاء بن أبي مسلم أبو عثمان الخراساني، له كتاب تنزيل القرآن وتفسيره، وناسخه ومنسوخه، روى له الخمسة خلا البخاري، ينظر: الداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت٩٤٥هـ) طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مركز تحقيق التراث بدار الكتب ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ١/ ٣٧٩ - ٣٨٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ١/ ١٩٢ -١٩٣.

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، يكنى أبا القاسم (ت١٠٥هـ) ينظر: ابن خياط، ص٣٢٢، وقال عنه الداودي، في طبقات المفسرين، ١/ ٢١٦: أنه صدوق، خرَّج أحاديثه الأربعة.

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدِّي الكوفي، صاحب التفسير، صدوق، (ت١٢٧هـ) ينظر: الذهبي، ميزان الإعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، ١/ ٢٣٦، ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ١/ ١٠٨، الداودي، طبقات المفسرين، ١/ ١٠٩.

(٥) هو عبد الملك بن مهران الذي روى عن أبي صالح، ذكوان، وقد غلب عليه الوهم، ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ٦٦٥.

(٦) هو ذكوان المدني مولى جويرية بنت الأحمس الغطفانية من أجلِّ الناس وأوثقهم يكنَّى أبا صالح السمَّان (ت١٠١هـ) ابن حبَّان، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ص ٧٥، السيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٤١.

(٧) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، يكنَّى أبا العباس، روى عن جمع من الصحابة (ت ٦٨هـ)، ابن خياط، الطبقات، ص٢٨٤، ابن حبان، تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخيار، تحقيق: بوران الضنَّاوي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص١٤٨.

(٨) مرة الطيب لقب به لكثرة عبادته، ابن شراحيل الهمداني أبو إسماعيل الكوفي ثقة (ت٧٦هـ) ينظر: ابن خياط، الطبقات، ص١٤٩، ابن حبَّان، مشاهير علماء الأنصار ١/ ١٠٢، ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/ ٥٢٥.

(٩) هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود الهذلي صحابي جليل (ت ٣٢ هـ)، ينظر: ابن حبان، الثقات، ط١، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ٣/ ٢٠٨ - ٢٠٩، النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت٦٧٦هـ) تهذيب الأسماء و اللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت)، ١/ ٢٨٨.

ينهوا عن منكر، سلَّط الله عليهم القبط[١] فاستعبدوهم إلى أن جاء موسى[٢]، وكان فرعون رأى في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر وأحرقتها، وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل[٣]، وفي بعض القصص أن فرعون كان جالساً مع آسية، إذ هو بهاتف يقول: ويلك يا فرعون لقد دنا زوال ملكك على يد فتى من بني إسرائيل فقال لآسية: ما هذا؟ قالت: ليس هو من علمي ثم نام على سريره فرأى كأنَّ غلاماً دخل عليه وهو راكب على أسد وبيده عصى فضرب بها رأسه، وقال له: اعرف نفسك يابن راعونه، وانظر من أبوك، ثم جرَّ برجله وقذف به إلى النيل فانتبه مرعوباً[٤]، ودعا بهامان[٥]، وقال له: إني رأيت رؤيا هائلة، فادعُ لي بالمعبِّرين، ففعل فحضروا فقصَّها عليهم، فأطرقوا ساعة ثم قالوا: أمهلنا [/ ٥ظ]. يومنا ففعل[٦].

وفي قصص ابن الفرات[٧] أنه أجَّلهم أربعين ليلة، فخرجوا من عند فرعون وصعدوا الجبل ونزعوا ثيابهم ولبسوا الشعر يأكلون خبز الشعير بالملح الجريش وينامون على الرماد وشرابهم من ماء الجبل يقومون الليل ويصومون النهار ويتضرَّعون إلى شياطينهم

---

(١) القبط: بالكسر هم نصارى مِصْر، وهي كلمة يونانية الأصل، ويقصد بهم اليوم المسيحيون من المصريين، جمع أقباط، ينظر: المقري، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيُّومي (ت٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، (بلا.ت) ٢/ ٤٨٢، د. إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط ٢/ ٧١١.

(٢) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٤، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥١، الجزائري، قصص الأنبياء، ص١٦٠-١٦١.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٢٠/ ٢٧ البغوي، تفسير، ١/ ٧٠، السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت ،١٤١٣ هـ -١٩٩٣م، ٦/ ٣٨٩، الألوسي أبو الفضل، كامل محمود الألوسي، (ت١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، (بلا.ت)، ٢٠/ ٤٣.

(٤) ينظر: الكسائيّ، محمد بن عبد الله (السنة الخامسة هـ) قصص الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) تصحيح إسحاق بن ساؤول ايزنبرغ، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ،١٣٤٢هـ - ١٩٢٢م ص٢٠٠.

(٥) هو وزير فرعون، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٨٨.

(٦) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٢٠٠.

(٧) هو وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء الفارسي أبو يزيد المحدث الأخباري (ت٢٣٧هـ) له تصنيفاً كبيراً في المبتدأ وقصص الأنبياء، وله كتاب في أخبار الردة، وفي كتابه أحاديث كثيرة موضوعة، ابن حجر، لسان الميزان، ٦/ ٢١٧.

لكن فيما يخص قصص الأنبياء لابن الفرات، لم أعثر عليه، ويوجد الجزء الأخير منه في الفاتكان الرقم ٢٦٥، ينظر: ابن كثير، ١/ ١٠، وذكره الزركلي خير الدين، أنه في مخطوطات الفاتكان، الرقم ١٦٥ عربي السفر الثاني، الأعلام قاموس تراجم دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ٥/ ٣٧.

أن تخبرهم بالأمر الذي يرومونه، فأوحى الله تعالى إلى حملة العرش[١] إني خالق لكم بشراً مولوداً نبي بني إسرائيل في شهر كذا وكذا، فانطلقت به حملة العرش إلى السفرة الكرام[٢] اللذين يؤدون الكتب إلى الموكلين ببني آدم، فانطلق به الموكلون وهم الحفظة إلى سكان السماوات[٣]، وكان الجن قبل مبعث رسول الله ﷺ يصعدون إلى السماء فيستمعون كلام الملائكة يسترقون السمع[٤] فيلقونه إلى أهل الأرض على ألسنة الكهنة[٥] فلما سمع الجن الذين يسترقون السَّمع من الملآئكة بشأن موسى ومولده هبطوا إلى أوليائهم في الأرض من الكهنة، فأخبروهم بأمر موسى كلّه وبالذي ذكر من مولده في السماء ففشى ذلك الخبر حتى وصل إلى السحرة و الكهنة وذلك لتمام الأربعين الذي كان فرعون أجَّلهم فيه[٦].

وفي قصص الكسائي، أن فرعون رأى في منامه رؤيا ثانية أنَّ الرجل الذي جاء بعينه [/ ٦و] أوّلاً أقبل و العصا بيده وقال له ويلك يا فرعون ما أقل حياءك[٧] من خالق السموات والأرض، كلما رأيت آية ازددت كفراً ثم رأى آسية لها جناحان وهي تطير بين السماء والأرض، ثم دخلت السماء وغابت فيه، وكأنَّ الأرض انفرجت ودخل في

---

(١) حملة العرش ثمانية أملاك، جاء في الحديث :{إنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة أُخرى فكانوا ثمانية }، ينظر: البغوي، تفسير، ٤/ ٣٨٧، القرطبي، الجامع، ١٨/ ٢٦٦.

(٢) وفي الحديث: {الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة}، أي الملائكة: ينظر: ابن الأثير، محمد بن محمد ابن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، ط ٤، مؤسسة إسماعيليان، قم، ١٣٦٤هـ – ١٩٤٤م، ١/ ١١٧، ابن منظور، لسان العرب، ط١، ٤/ ٥٤.

(٣) وهم الملائكة أيضاً، وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾، النجم: ٢٦.

(٤) كان الشياطين من الجن يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا أكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك. ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨)، النبوات، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م، ١/ ٢٧٤، البيضاوي، تفسير ، ٣٧١.

(٥) الكاهن: هو الذي يتعاطى الخبر عن الكاهنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار، ٩٦م، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (كهنة)، ١٣/ ٣٦٣.

(٦) هذا ما ذكره ابن الفرات، وقد ذكرت آنفاً أني لم أعثر عليه لعدم وجوده في القطر .

(٧) (حياك) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، وقول الشاعر:

فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

ينظر: الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م،٥/ ٢١٧.

جوفها[١] فانتبه مرعوباً[٢] ودعا بالمعبرين وقصَّ عليهم رؤياه، وتوعَّدهم إن لم يخبروه جازاهم بالعذاب، فقال أحدهم أيها الملك ما رأيته يدلُّ على مولود هو رسولُ إله الأرض والسماءِ (يكون هلاكُكَ على يديه)[٣] فاغتم لذلك غماً شديداً، فعند ذلك استشار فرعونُ وُزراءَه وكبراء مملكته فقالوا: الرأى أن تُوَكِّلَ بالحبالى، وأيُّ من جاءت بذكر يقتلوه وإن جاءت بأنثى يخلوا سبيلها، ففعلوا ذلك[٤] قال المؤرخون: أمر فرعون القبط أن يجعلوا غلمانهم في البلد وأن يستخدموا بني إسرائيل في الأعمال القذرة[٥]، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾[٦] أي فرقاً يستضعف طائفة منهم يعني بني إسرائيل حين يجعلهم يحفرون الأنهار ويبنون المدائن[٧]. يذبح أبنائهم (فلا يولد لبني إسرائيل مولود ذكر إلا ذبح)[٨] (وقذف الله تعالى في مشيخة بني إسرائيل الموت، فأسرع فيهم فدخل رؤوس القبط على فرعون فكلموه فقالوا: إنَّ [/ ٦ظ] هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلماننا، نذبح أبنائهم فلا يبلغ الصغار ويفنى [الكبار][٩] فلو أنك كنت تُبقي من أولادِهم، فأمر أن يذبحوا سنة ويُتركوا سنة)[١٠].

---

(١) ينظر: الكسائي، قصص الانبياء، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٢) يتبين لنا من جراء ذلك أن الطغاة هم أجبن خلق الله تعالى، فهذا فرعون الذي يدعي الألوهية، فأنَّى له أن يخاف، فمجرد رؤية عابرة رعدت منها مفاصله وتوعد المعبرين بأشد العذاب إن لم يأتوا له بالخبر...

(٣) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص ٢٠١.

(٤) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص ٢٠١.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ١/ ٧٨، السيوطي، الدر المنثور، ١/ ١٦٦، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير، عالم الكتب (بلا.ت)، ١/ ٨٤ .

وينطبق عليهم قوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ البقرة:٤٩.

(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٧٢، السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م، ٦/ ٣٩٠.

(٦) سورة القصص، الآية: ٤.

(٧) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٤، الآلوسي، روح المعاني، ٢٠/ ٤٣.

(٨) الطبري، تاريخ، ١/ ٣٨٨، السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٣٠٤.

(٩) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره الطبري، تاريخ، ١/ ٣٨٨.

(١٠) (م. ن)، ١/ ٣٨٨.

قال وهب[١]: بلغني أن فرعون ذبح في طلب موسى سبعين ألفاً[٢]، وقيل غير ذلك[٣] فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها, ولد هارون أخو موسى فتُرك، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت أم موسى به[٤] بمدينة الاسكندرية[٥] في ليلة الجمعة في ثلاث ساعات ذهبن من أول الليل. نقل ذلك أبو زيد ابن الفرات في قصصه، قال ابن عباس ووهب وكعب الأحبار[٦]: إن فرعون كان [قد][٧] عزل أهل مملكته وخواصه عن نسائهم، وكان عمران أبو موسى إذا نام فرعون يجلس عند رأسه على كرسي له حتى يستيقظ، فنام فرعون ذات ليلة وجلس عمران عند رأسه إذ نظر إلى امرأتِه قد جاء بها ملك وقد وضعها بين يديه ففزع من ذلك وقام على قدميه وقال: ما جاء بك قالت: له المَلَكْ، وقال له المَلَكُ ياعمران إن الله تبارك وتعالى أمرني بذلك فضاجعها وجامعها على فراش فرعون هواناً له ثم جذبَ الملك الفراش من تحته فضاجعها عليه وجامعها [/ ٧و] فعلقت بموسى عليه السلام، كذا ساقه الكسائي في قصصه[٨].

وفي قصص ابن الفرات أنه لّما كان الوقت الذي يتخوف فيه فرعون عزل الرجالَ عن

---

(١) هو: وهب بن منبِّه، يكنى أبا عبد الله، وكان الغالب على وهب القصص، كان ثقة صادقاً كثير النقل من كتب الإسرائيليات (ت ١١٤هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٣٥٣، الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٧٢، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥١.

(٣) وروي أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعين ألف وليد.
الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت ٥٣٨هـ)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، دار الفكر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ٣/ ١٦٦. وذكر ابن كثير أنه بسبب موسى عليه السلام قتل فرعون ألوفاً من الولدان، تفسير القرآن العظيم، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٣/ ٣٦٣.
وذكر الآلوسي أنه ذبح في طلبه عليه السلام تسعون ألف وليد، روح المعاني، ٢٠/ ٤٧.

(٤) ينظر، الطبري، تاريخ، ١/ ٣٨٨، الثعلبي، عرائس المجالس، ص١٧١.

(٥) تقع في مصر بناها الاسكندر، ولما فرغ الإسكندر من مدينته قال: قد بنيت مدينة إلى الله فقيرة وعن الناس غنية وبقيت نضارتها وبهجتها إلى اليوم، ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (بلا.ت)، ١/ ١٨٣.

(٦) هو كعب الأحبار بن ماتع الحميري، يكنّى أبا إسحاق، كان يهودياً فأسلم (ت ٣٤هـ)، ينظر ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: فلا يشهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ١/ ١١٨، ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعجي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٤/ ٢٠٣.

(٧) لمقتضى السياق.

(٨) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٢٠١.

النساءِ، وألان لهم القول وقال: أُحبُّ أن تبيتوا عندي هذه الليلة، فإذا أصبحتم انصرفتم إلى منازلكم. قالوا: نعم. فلما اجتمعوا ركِب فرعون حتى دنا من بابِ الإسكندرية، أمر من معه من عظمائه أن يرجعوا ويبيتوا عند من جمعهم يحرسونهم خوفاً أن ينصرف منهم أحد إلى منزله فيواقع زوجتَه، وكانت مفاتيح المدينة مع عمران أبي موسى، فدعا فرعون عمران ليأخذ منه المفاتيح ويخرجه من المدينة، ويغلق أبواب المدينة دونه، فقال له عمران: عشت دهر الدهرين) لا تدخل المدينة وحدك فلعلَّه يمكر بك بعض من يطمع في ملكك فيواتيك فيها وأنت وحدك، قال فرعون: يا عمران نعم ما رأيت وما هذا أوَّل نصحك أدخل معي فدخل فواقع زوجته خفية فحملت بنبي الله موسى[١]. ثم إن المنجمين دخلوا على فرعون وقالوا: أيها الملك إن المولود الذي كنا نحذرك إيَّاه قد حملت به أمه وظهر نجمه، فعند ذلك شدَّد فرعون في الطلب ودعا بالعجائز والقوابل وأمرهنَّ أن يمررن على نساء بني إسرائيل الحوامل[٢]، وكانت القوابل يدخلن كل [/ ٧ظ] يوم على أهل بيت عمران، فلما تمَّت لموسى عليه السلام تسعة أشهر جاءها الطلق فوضعته وهو يتلألأ وجهه نوراً[٣]. قال ابن عباس: (لمّا وقع موسى بالأرض هال القابلة نورٌ بين عيني موسى، وارتعش كلُّ مِفصلٍ منها ودخل حب موسى قلبها)[٤] وكانت قد دخلت لأجل قتل

---

(١) وما ذكره ابن الفرات والكسائي في قصصهما ونسبت لابن عباس ووهب وكعب الأحبار هي من الإسرائيليات فكيف لفرعون يقتل أولاد بني إسرائيل ويجعل عمران (وهو من بني إسرائيل) حارساً عند رأسه أثناء نومه وما تقدم عن الملك وكلامه لعمران مخالفاً للمنطق، والتاريخ، والواقع. وما ذكره ابن الفرات في قصصه التي لم أعثر عليها فيما يخص الطاغية فرعون ينطبق أو يشبه ما فعله الطغاة من قبل فرعون كمثل الطاغية النمرود اللعين حينما رأى رؤيا هالته فجمع المعبرين فعبروا له أنه يذهب ملكه على يدي مولود، فأمر بعزل الرجال عن النساء، وقيل: أمر بقتل كل مولود ذكر.

وكان آزر من المقربين عند الملك نمرود فأرسله يوماً في بعض حوائجه فواقع امرأته فحملت بإبراهيم الخليل عليه السلام في ذلك الحين فنجاه الله تعالى وصانه من كيد الفجار وشب شباباً باهراً وأنبته الله نباتاً حسناً حتى كان من أمره ما ذكره القرآن الكريم وكتب السنة و التفاسير وغيرها، ينظر: الطبري، تفسير، ٧/ ٢٤٨-٢٤٩، ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٧٢، ابن كثير، قصص الأنبياء، ١/ ٢٤٩. ومن بعد الاستقراء أقول: إن الطغاة منذ أن خلقت البشرية إلى يومنا هذا وحتى تقوم الساعة هذا ديدنهم، فإذا ما علموا أن هناك شيئاً ما يهدد مصالحهم الشخصية فيعمدون إلى ترسانتهم العسكرية والإستخبارية في أساليب قمعية ودموية يوهمون العالم بأعمالهم هذه أنهم يحققون الأمن والإستقرار للناس كافة،وهذا لاينطلي على أحد.

(٢) ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١/ ٣٣، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ١/ ٣٤٢.

(٣) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٢٠١، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥.

(٤) البغوي، تفسير، ٤٣٥، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥١، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٢٨٣.

المولود، وأم موسى تظن أنها صديقة لها)[١]، قال ابن عباس: فسرَّت أمّ موسى به غير أنها خائفة عليه من فرعون، فدعت الله عز وجل أن يحفظه عليها[٢]. وفي قصص الكسائي، عن ابن عباس: (لمَّا وضعت أم موسى موسى استوى جالساً وقال: يا أُمّاه لا تخافي عليَّ فإن الله تعالى معنا)[٣].

قلت: هذه الزيادة من أنه نطق في المهد وهو صغير لم أقف على نقل فيه. بل الذين تكلموا في المهد ثمانية: (ابن ماشطة فرعون)[٤]، وابن الداعية التي قالت: (اللهم اجعل ولدي[٥] مثل هذا قال: اللهم لا) [٦]، وعيسى عليه السلام [٧]، (ويحيى بن زكريا) [٨]، (وشاهد يوسف) [٩]، (ومبارك اليمامة) [١٠]، (وابن الزانية صاحب جُريج

---

(١) البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥١.

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٤٨.

(٣) في قصص الكسائي إن موسى عليه السلام نادى أمه من جوف التنور وهو مسجور قائلاً: لا تخافي عليَّ يا أمي فإن الله سلمني من النار فادخلي يدك في التنور وأخرجيني فإن الله يصرف حرَّها عنك، فمدَّت يدها وأخرجته من التنور ولم تمسها النار وأدخلته المهد، ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٢٠٢. ويبدو من ذلك أن المؤلف لم يرجع الى نص ابن عباس في قصص الكسائي.

(٤) هو ابن ماشطة بنت فرعون، فلما علم فرعون بايمانها عمد الى القائها في النار جراء ذلك، فحينئذ ناداها الغلام وهو في المهد (يا أماه اصبري فإنك على الحق)، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٨٠.

(٥) وردت (ابني) بدلاً من (ولدي)، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، (ت ٢٠٦هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٤/ ١٩٧٧، البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٣/ ١٢٦٨.

(٦) لقد مرت أم الغلام برجل صاحب هيئة وشارة حسنة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فقال: الغلام وهو في المهد تحمله، اللهم لا، لأنه كان جباراً في الأرض ثم مرت بأمةٍ تعذب، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فقال الغلام: اللهم اجعلني مثلها، لأنها كانت متهمة بما هي بريئة منه وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ١٩٩٧، البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٦٨.

(٧) مسلم، صحيح، ٤/ ١٩٧٦، البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٦٨.

(٨) ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٩) عن سعيد بن جبير: وشهد شاهدُ من أهلها: كان في المهد صبيًّا، وعن أبي مرزوق عن جوبير عن الضحاك: وشهد شاهد من أهلها قال: صبي أنطقه الله، ويقال: ذو رأي برأيه، ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١٢/ ٢٥٣.

(١٠) جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة بيضاء، فقال له رسول الله ﷺ: {يا غلام من أنا}، قال: أنت رسول الله، قال: {صدقت بارك الله فيك}، فأطلق عليه لقب مبارك اليمامة، ينظر: الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٤/ ٢١٣.

الراهب)[١]، (وصاحب الأخدود)[٢]. وقد ضمَّن من تكلم في المهد الشيخ محب الدين محمد بن علي بن أحمد بن خلف بن شهاب المحلي[٣] في بيتين فقال:

في المَهد قدْ نَطَقتْ ثمان عَدَّها ... مِنْها ابْنُ ماشِطَةٍ و ابنُ الدَّاعية

عيسَى وَيحْيىَ شاهِدٌ وَمُبَارَكٌ ... قُلْ صَاحِب الأخْدودِ وابْنُ الزانيةِ[٤]

فمعنى هذا لم يُعد موسى ممن تكلم ومقامه أعلى من ذلك ولكن [/ ٨و] لم ينقل أن قيل: جاء في الصحيحين: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى، وصاحب جريج، والغلام الذي كان يرضع)[٥]. وقد تكلَّم غيرهم كما قلناه، فالجواب لعلَّ الرسول ﷺ اطلع أولاً على الثلاثة المذكورين، ثم أطلعه الله تعالى على غيرهم[٦]. قال البغوي في تفسيره: تكلم في المهد إبراهيم[٧]، وما قاله البغوي يكون عدد من تكلم تسعة.

قال المؤرخون: سمع فرعون ليلة ولادته عليه السلام هاتفاً يقول: ولد موسى وهلك فرعون، وليلة ولادته خرَّت الأصنام على وجهها فأصبح فرعون فزعاً، فجدَّ في طلب المولودين[٨].

---

(١) تذاكر بنوا إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغي فقالت: إن شئتم لأفتننَّه فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً وأمكنته من نفسها، فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوا اليه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم قالوا: لقد زنيت بهذه البغي فولدت منك، فقال: أين الصبي، فأتوا به فقال له: ياغلام من أبوك قال: فلان الراعي، ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ١٩٧٦، البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٦٨.

(٢) قصة الأخدود المشهودة في سورة البروج، جاءت امرأة وهي تحمل صبياً لها في المهد فتقاعست أن تقع في النار، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق، ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ٢٣٠٠، ابن حبان، صحيح ابن حبان، ٣/ ١٥٧ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٦٨، مسلم، صحيح، ٤/ ١٩٧٦.
ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق شُعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ١٤/ ٤١١، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٢/ ٦٥٠، الحلبي، علي برهان الدين (ت ٩٧٥هـ)، السيرة الحلبية، في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١/ ١٢٥.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ٤/ ٩١، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٣٤٤.

(٧) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه قال: {تكلم في المهد أربعة وهم: صفار ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج،وعيسى بن مريم عليه السلام، البغوي، تفسير، ٢/ ٤٢١، ولم أقف عليه في تفسيره أن ابراهيم الخليل عليه السلام قد تكلم في المهد، ويبدو أن المؤلف قد اكتفى بقول ابن حجر، ينظر: فتح الباري، ٦/ ٢٤٤.

(٨) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص ٢٠١.

فائدة: نقل كثير من العلماء إن موسى ولد مختوناً[١] كما ولد نبينا محمد ﷺ مختوناً[٢]، قال شارح المصابيح[٣] بعد أن قال: (إن الختان لم يزل مشروعاً في الرسل من لدن إبراهيم)[٤] (وإن عيسى ولد[٥] على شريعة موسى) (عليهما السلام) وكان الختان مشروعاً في دينه، وذكر أنه ولد مختوناً، قال: وقد وجدت في بعض كتب أهل العلم[٦] بالرواية إن أربعة عشر من الأنبياء ولدوا مختونين، وهم (آدم وشيث ونوح [وهود][٧] وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا وعيسى وحنظلة ابن صفوان نبي أصحاب الرّس[٨] ومحمد (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام)، وهذا النقل ذكره غير واحد[٩] وقد رأيته في شرح المنهاج للشيخ كمال الدين

---

(١) ينظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس (ت ٢٦٦هـ)، مسائل الإمام أحمد، تحقيق: د. فضل الرحمن دين محمد، ط١، الدار العلمية، دلهي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ١٣، ابن الجوزي، المنتظم، ٢/ ١٤٦.

(٢) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: {من كرامتي على ربي ولدت مختوناً ولم يرَ أحد سوأتي}، الطبراني، المعجم الصغير، ٢/ ٥٩، المعجم الأوسط، ٦/ ١٨٨، وعن ابن عباس عن أبيه العباس قال: ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً، ومعنى مختوناً، أي: مقطوع الختان، ومسروراً، أي: مقطوع السرة من بطن أمه، ابن كثير، السيرة النبوية، ص ٢١٠.

(٣) هو مظهر الدين الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني (ت٧٢٧هـ)، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/ ١٦٩٩.

(٤) الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط٢، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ٥٨٤.

(٥) في النصوص الآتية ذكر كلمة (كان) بدل من (ولد) عن وهب بن منبّه قال: (إن عيسى كان على شريعة موسى)، الطبري، جامع البيان، ٣/ ٣٨٣، السيوطي، الدر المنثور، ٢/ ٢٢٢، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٣٤٢.

(٦) قال رسول الله ﷺ: {لا تزال طآئفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم}، رواه البخاري، صحيح، ٦/ ٢٦٦٧، وقال الترمذي: وتفسير الجماعة ثم أهل العلم هم: أهل الفقه والعلم والحديث، سنن الترمذي، ٤/ ٤٦٦.

(٧) (هود) لم يذكر في الأصل، وما أثبته موافق لما ذكره: ابن حنبل، مسائل الإمام أحمد، ١/ ١٣، القرطبي، الجامع، ٢/ ١٠٠.

(٨) قال الزجاج: يروى أن الرّس ديار الطآئفة من ثمود، قال: ويروى أن الرس قرية باليمامة يُقال لها فَلج، ويروى أنهم كذّبوا نبيهم ورسُّوه في بئر أي دسُّوه فيها حتى مات،ويروى أن الرّس بئر وكل بئر عند العرب رسّ، ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، (بلا.ت)، ٦/ ٩٨.

(٩) عن كعب الأحبار أنه قال: هم ثلاثة عشر وقال محمد بن حبيب الهاشمي: هم أربعة عشر، كما ورد في النص، ابن حنبل مسائل الإمام أحمد، ١/ ١٣، القرطبي، الجامع، ٢/ ١٠٠، الشربيني، محمد الشربيني الخطيب (ت ٩٧٧هـ)، مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ٤/ ٢٠٣.

الـدميري[١] وهـو [/ ٨ظ] حجّـة فيما ينقله، لكنه أبدل عيسى بهود. (ونقل ابن عساكر[٢] (عن أبي بكرة[٣] موقوفاً[٤] أن جبريل ختن محمداً (عليهما السلام) حين طهر قلبه)[٥] وفي الاسـتيعاب لابـن عـبد البـر[٦] (عـن عكـرمة[٧] عـن ابن عبـاس أنَّ عبد المطلب ختن [محمـداً عليـه الصـلاة و السـلام][٨] يوم سـابعه، وجعـل لـه مأدبـة وسـماه محمدا)[٩]. قلـت المشهور الذي لا مرية فيه عند الجهابذة[١٠]، أن محمداً ﷺ ولد مختوناً، ولا يصح فيه

---

(١) الـدميري، محمـدبن موسـى بن عيسى بن محمد، يكنى أبا البقاء، باحث، أديب، من فقهاء الشافعية، من أهـل دميرة بمصر، لـه كتاب النجم الوهاج في شرح المنهاج للنووي في الفروع وغير ذلك وصنف حياة الحيوان، وشرح ابن ماجة (ت ٨٠٨هـ)، ينظر: علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت٤٧٥هـ) الإكمال لابن ماكـولا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٤/ ٢٤٢، الفاسي أبو الطيب، محمد بن أحمـد الفاسـي المكـي (ت٨٣٢هـ)، ذيل التقييد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ٢٦٩.

(٢) هـو علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم بن عساكر الحافظ الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، ينظر: البغدادي، محمـد بـن عـبد الغـني، يكنـى أبا بكر (ت ٦٢٩هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: يوسف كمـال الحـوت، ط١، دار النشـر العلمـية، بـيروت، ١٤٠٨هــ/ ١٩٨٨م، ص ٤٠٥- ٤٠٦، القنوجي، صـديق بـن حسـن، أبجـد العلـوم، تحقـيق: عـبد الجـبار زكـار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ٣/ ١٠٣.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكرة، يكنى أبا بحر (ت ٨٠هـ)، ينظر: ابن خياط، الطبقات، ص ٢٠٣.

(٤) الموقـوف هـو مـا روي عـن الصحابي من قول أو فعل أو تقرير متصلاً كان أو منقطعاً، وليس له حكم المرفوع عند جمهور أهل العلم، ينظر: د. محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، علومه ومصطلحه، ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٣٨٠.

(٥) ابـن عسـاكر، تـاريخ دمشـق، ٣ / ٤١٠، الشـربيني، المغـني المحـتاج، ٤ /٢٠٣، ابن كثير، السيرة النبوية، ص ٢١٠، وقال ابن كثير هذا غريب جداً.

(٦) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب، في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمـد الـبجاوي، ط١، دار الجـيل، بـيروت، (بـلا.ت)، ١/ ١، ابـن عـبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: د. شوقي ضيف، القاهرة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ٥.

(٧) هـو مولى ابن عباس أبو عبد الله المدني (ت ١٠٥هـ)، قال سفيان الثوري: خذو التفسير عن أربعة، عن سـعيد بـن جـبير، ومجاهـد، وعكـرمة، و الضـحاك، السـيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٤٣، القنوجي، أبجد العلوم، ٢/ ١٨٠.

(٨) ما بين معقوفتين لا توجد في الاستيعاب، نص الحديث (عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمدا)، الاستيعاب، ١/ ٥١.

(٩) ابـن عـبد الـبر، الاسـتيعاب، ١/ ٥١، وقـد عثـرت علـى الحـديث مطابق للنص في كتاب التمهيد لابن عـبد الـبر، تحقـيق: مصـطفى بـن أحمـد العلـوي محمـد بن عبد الكريم البكري، دار النشر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ٢١/ ٦١.

(١٠) هم النقاد والخبراء بغوامض الأمور، ينظر: الفيروز آبادي- القاموس المحيط، مادة (جهبذة)، ٢/ ٣٥٢.

حديث أنه ختن بعد ولادته، وقد صرّح بذلك ابن الجوزي[١] وغيره والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: الطبراني، المعجم الصغير، ٢/ ١٤٥، الصيداوي، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جميع (ت ٤٠٢هـ)، معجم الشيوخ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، مؤسسة الرسالة دار الإيمان، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ١/ ٣٣٦، الحاكم المستدرك، ٢/ ٦٥٧، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ٢/ ١٤٦.

ورواية أبي بكرة: أن جبريل ختن محمدا، قال عنه ابن كثير وغيره، هذا غريب جداً، ينظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ص ٢١٠.

الفصل الثاني

في ذكر رضاعه

قال المفسرون والمؤرخون: لما وضعت أم موسى موسى حزنت من شأنِهِ وخافت عليه وأخذت [تبكي][1] أوحى الله تعالى إليها ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[2] (وهذا الوحي وحي إلهام)[3] كما قاله: قتادة[4] وقالت فرقة: كان قولاً في منامها[5]. قال بعضهم: كان (ملك يُمثَّل لها)[6] قال مجاهد[7]: أتاها جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحي إعلام[8] (وأجمع العلماء على أنها لم تكن نبيّة)[9] فهذا الوحي من قبيل ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[10].

---

(١) لمقتضى السياق .

(٢) سورة القصص الآية: ٧.

(٣) ينظر: الطبري تفسير، ٢٠/ ٢٩، الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ)، النكت و العيون، تفسير الماوردي، تحقيق: خضر محمد خضر، ط١، مطابع مقهوي، الكويت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ٣/ ٢٦، القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٥هـ)، تفسير القشيري المسمّى لطائف الإشارات، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٢/ ٤٣٠.

(٤) هو قتادة بن دعامة السدوسي الأعمى الحافظ أبو الخطاب، أخذ القرآن ومعانيه، ثقة، ثبت ،وروى عن أنس بن مالك وغيره (ت ١١٧هـ)، ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٦، الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٣٨٥، الزركشي، محمد بن الهادر بن عبد الله الزركشي، يكنى أبا عبد الله (ت ٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ٢/ ٢٨، ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/ ١٠٨.

(٥) ينظر: الماوردي، تفسير، ١٣/ ٢١٦، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٠، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٣٤٣.

(٦) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٠، ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ١٥٩.

(٧) عند القرطبي، والآلوسي، [مقاتل] بدلاً من (مجاهد)، الجامع، ١٣/ ٢٥٠، الآلوسي، روح المعاني، ٢٠/ ٤٥.

(٨) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد الواحدي، أبو الحسن (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ٢/ ٨١٣، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٠.

(٩) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٠، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ١٥٩، الشيخ حسين محمد مخلوف، صفوة البيان لمعاني القرآن، ط٣، (بلا.ت)، ص ٤٩٠.

(١٠) سورة النحل الآية: ٦٨.

قال مجاهد[١]: والوحي الواقع لأم موسى كان قبل الولادة[٢] وقال غيره بعد، قال ابن عباس: لما أخذت أم موسى في رضاعه وهي خائفة عليه لا تأمن أحداً، أوحى الله تعالى إليها[٣]: ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾[٤].

[/ ٩و] (أي البحر وهو النيل)[٥] أحد أنهار الجنة الظاهرة[٦]، ولا تخافي أي (لا تخافي عليه الغرق وقيل: الضيعة)[٧]، (ولاتحزني أن يقتل)[٨] وهنا سؤالان: أحدهما: إن قيل ما فائدة وحي الله تعالى لأم موسى بإرضاعه، وهي ترضعه طبعاً. السؤال الثاني: ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف أحدهما على الآخر؟ الجواب: الأول أن الله تعالى أمرها بالرضاعة ليألف لبنها. ولا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون[٩] فلو لم يأمرها بإرضاعه ربما كانت تسترضع له مرضعة. فيفوت ذلك المقصود[١٠]. والجواب عن الثاني:

---

(١) يبدو أن المؤلف رحمه الله تعالى نقل هذا النص بأن الوحي كان لأم موسى قبل الولادة من تفسير القرطبي، وعندما رجعت الى قول مجاهد في تفسيره قائلاً: (فلما ولد موسى أوحى الله تعالى الى أمه أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو البحر) مجاهد، تفسير، ٢/ ٤٧٧، ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠١، السيوطي، تفسير الجلالين، ط١، دار الحديث، القاهرة، (بلا.ت)، ١/ ٤٠٨.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٠، الآلوسي، روح المعاني، ٢٠/ ٤٥.

(٣) والقول الراجح بالوحي لأم موسى (عليه السلام) بعد الولادة والله أعلم، كما جاء عن أبي بكر بن عبد الله قال: لم يقل لها إذا ولدتيه فألقيه في اليم، إنما قال لها: ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ القصص:٧، ينظر الطبري، تفسير،٢٠/ ٢٩، ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠١، النسفي، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود(ت٧١٠)، مدارك التنزيل في حقائق التأويل (بلا.ت)، ٣/ ٥٤.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧. (واليم) كما أجمع أهل اللغة هو البحر، و المقصود هنا هو نيل مصر، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٣١٠، ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٤٢.

(٥) الطبري، تفسير، ١٦ / ١٦١، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٤٨، أبو السعود محمد بن محمد العمادي أبو السعود، (ت ٩٥١هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت)، ٧/ ٣، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٦٤.

(٦) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٤١١، مسلم، صحيح، ١/ ١٥٠، ابن حبان، صحيح، ١/ ٢٣٩، الحاكم، المستدرك، ١/ ٢٣٣ .

(٧) ولا تخافي فيه وجهان: أحدهما لا تخافي عليه الغرق، قاله: ابن زيد، والثاني: لا تخافي عليه الضيعة، قاله يحيى بن سلام القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥١، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٤، الشوكاني،فتح القدير، ٤/ ١٥٩.

(٨) أيضاً فيها وجهان أحدهما: لا تحزني لفراقه، قالها ابن زيد، والثاني لا تحزني أن يقتل قاله: يحيى بن سلام، ينظر: القرطبي، ١٣/ ٢٥١.

(٩) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤٠، الواحدي، تفسير، ٢/ ٨١٤ السيوطي، الدر المنثور،٦ /٣٩٦ .

(١٠) ذلك المقصود: أن الله تعالى وعدها أن يرده عليها، كي لا تحزن على فراقه ولتعلم أن وعد الله حق، وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبراً، ينظر: النسفي، تفسير، ٣/ ٢٢٩، الواحدي، تفسير، ٢/ ٨١٤.

أن الخوف غمٌ يصيب الإنسان لأمر يتوقع في المستقبل، والحزن غم يصيبه لأمر وقع ومضى[١] فلذلك ذكرا معاً. قال المفسرون: لما خرجت القابلة من عند أم موسى أبصرها بعض العيون فجاء إلى بابها ليدخل على أم موسى[٢]، قالت أخته واسمها مريم[٣] وافق اسمها اسم مريم أم عيسى، ذكرها الثعلبي[٤] والسهيلي، وذكر الماوردي عن الضحاك أن اسمها كلثمة[٥] قال السهيلي: اسمها كلثوم[٦].جاء ذلك في الحديث .

وروى الزبير ابن بكار[٧] أن رسول الله ﷺ قال لخديجة:{أشعرت أن الله تعالى زوجني معك في الجنة [/ ٩ظ] .مريم ابنة عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون}، قالت: الله أخبرك بهذا ؟ قال: {نعم} فقالت: بالرفاء والبنين[٨]. ولنرجع إلى المفقود قالت أخت موسى: يا أماه هذا الحرس بالباب فلفَّت موسى في خرقة فوضعته في التنور وهو مسجور ولم تعقل ما تصنع، فدخل الحرس فرأوا التنور مسجوراً وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن قالوا لها ما أدخل عليك القابلة ؟ قالت: هي مصافية[٩] دخلت عليّ زائرة[١٠]، فخرجوا من عندها فرجع عقلها إليها فقالت الأخت: أين الصبي قالت: لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه، وقد جعل الله تعالى النار المحرقة عليه برداً وسلاما، ولما رأت أم موسى إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على

---

(١) ينظر: النسفي، تفسير، ٣/ ٢٢٧.

(٢) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٧٢، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥، ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٢.

(٣) ينظر: البيضاوي، تفسير، ٢/ ٥٠، الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٣٧ .

(٤) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٧٣، ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٥، البيضاوي، تفسير، ٢/ ٥٠.

(٥) ينظر: الماوردي، تفسير، ٣/ ٢١٩، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٦ .

(٦) ينظر: السهيلي، الروض، ٢/ ٢٢٨ .

(٧) هو الزبير بن بكار، الإمام الحافظ النسابة قاضي مكة أبو عبد الله بن أبي بكر القريشي الأسدي المكي، كان ثقة مثبتا عالماً بالنسب (ت ٢٥٦هـ)، ينظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق، يكنى أبا الفرج، (ت ٣٨٥ هـ)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ١/ ١٦٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣١١، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٢٣٤.

(٨) الحديث:عن الزبير بن بكار، أن رسول الله ﷺ قال: {أما علمت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون} قالت وقد فعل الله ذلك يا رسول الله ؟ قال: {نعم} قالت: بالرفاء والبنين ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م، ٢٢ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦، الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي، القاهرة،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٩/ ٢١٨.

(٩) تعني، بمعنى الإخلاص والمودة والإخاء، واصطفاه، أخلص له، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٣٥٦، ابن منظور، اللسان، ٤/ ٤٦٣ .

(١٠) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥١ .

ولدها، فقذف الله في قلبها أن تتخذ له تابوتاً وتلقيه في البحر[١] وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٢] فانطلقت أم موسى إلى نجار من قوم فرعون[٣] واسمه حزقيل مؤمن آل فرعون[٤] (فاشترت منه تابوتاً)[٥] قال يحي بن سلام[٦] (طوله خمسة أشبار، وعرضه خمسة أشبار)[٧] قال بعض المفسرين[٨] وخشبه [/ ١٠ و] من جمّيز[٩] فقال لها النجار[١٠] ما تصنعين بهذا التابوت؟ قالت: ابن لي أخبئه من قوم آل فرعون، وكرهت الكذب[١١] فلما اشترت التابوت حملته وانطلقت به، انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق الكلام، وجعل يشير بيده فلم يدر الأمناء ما يقول قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار إلى موضعه ردّ الله عليه لسانه فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأمر فأتاهم ليخبرهم فأخذ [الله][١٢] لسانه

---

(١) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥، القرطبي، ١٣/ ٢٥١، أبوالسعود، إرشاد العقل السليم، ٧/ ٣، الآلوسي، روح المعاني، ٢٠/ ٤٦ .

(٢) سورة القصص، الآية: ٧.

(٣) البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥، الجزائري، قصص الأنبياء، ص ٢٦١.

(٤) هو حزقيل بن صبورا مؤمن آل فرعون، وكان ابن عم فرعون، ينظر: الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت٨٧٥ هـ)، جواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (بلا .ت) ٤/ ٧٣، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٦.

(٥) البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥، ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٣٨ .

(٦) هو يحي بن سلام بن أبي ثعلبة التميمي يكنى أبا زكريا بصري، كان مفسراً ومن الحفاظ، عالماً بالكتاب والسنة وله معرفة باللغة (ت٢٠٠هـ)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٣٩٦، ابن حجر ، لسان الميزان، ٦/ ٢٥٩ ٢٦٠.

(٧) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥١، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٥٧٤.

(٨) (المفسرون) كذا في الأصل وما أثبته صحيح.

(٩) هو شجر كالتين، يحمل تيناً، الأصفر منه حلو، والأسود يدمي الفم وهو ألوان مختلفة موجود في أرض الشام، ومصر، ينظر: الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت ١٧٥هـ)، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ٦/ ٧٢، ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ١١٢، الزبيدي، تاج العروس، ٤/ ١٨.

(١٠) حزقيل مؤمن آل فرعون، هو الذي صنع التابوت، ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء ص ١٧١، القرطبي، الجامع،١١/ ١٩٥.﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾... الآية.

(١١) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٧١، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥.

(١٢) لمقتضى السياق.

وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً[١]. فضربوه وأخرجوه فوقع في واد يهوي فيه حيران، فجعل الله عليه إن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيث ما كان، فعلم الله تعالى منه الصدق، فرد عليه بصره ولسانه فخرّ لله ساجداً، فقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدلّه الله عليه، فخرج من الوادي مؤمناً به مصدقاً[٢] وعلم أن ذلك من الله عز وجل[٣]، ثم أن موسى عليه السلام لما اتخذت له التابوت جعلت مفتاحه من داخله[٤] وجعلت في التابوت قطناً محلوجاً، وقال بعضهم: جعلت فيه قطناً ووضعت فيه موسى عليه السلام وقيّرت رأسه[٥] (وطرحته في اليم، بعد أن أرضعته أربعة أشهر)[٦].

[/ ١٠ظ] وقيل: (ثلاثة أشهر)[٧]، وقيل: ثمانية أشهر في حكاية الثعلبي[٨]، قال ابن عباس: فقلت ذلك، وتوارى عن عينها، فقدمها الشيطان[٩] وقال لها: كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقيته في البحر وأغرقته[١٠]، قالت في نفسها: ماذا صنعت يا بني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي في البحر أدخله إلى دواب البحر، ثم عصمها الله إذ تذكرت ما أوحي إليها من الله تعالى[١١] بقوله: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[١٢] أي إلى أهل مصر، حكى الأصمعي[١٣] قال: سمعت جارية تنشد وتقول:

---

(١) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ١٧٢، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥.

(٢) (مؤمن به مصدق) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٣) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٧٢ ـ١٧٣، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥.

(٤) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٣٣، ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م ١/ ١٣٢.

(٥) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٥، البيضاوي، تفسير ٤/ ٥٠، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ١٨٩ .

(٦) ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٢، القرطبي، الجامع،١٣/ ٢٥١ .

(٧) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٧٣، النسفي، تفسير، ٣/ ٢٢٧ .

(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٦٥، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥١، ولم أجد ماذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى عن الثعلبي إلا ثلاثة أشهر فقط وقد بينا ذلك.

(٩) ينظر: النسائي، السنن الكبرى، ٦/ ٣٦٧، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٥٧.

(١٠) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٣٦، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٧ .

(١١) ينظر: النسائي، السنن الكبرى، ٦/ ٣٦٧، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٤٩، السيوطي، الدر المنثور،٥/ ٥٧٠.

(١٢) سورة القصص، الآية: ٧ .

(١٣) الأصمعي، سعيد بن عبد الملك بن قريب، يكنىّ أبا سعيد، لغوي مشهور، (ت٢١٦ هـ) ينظر الأنباري، أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ)

=

(اسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِي كُلِّهِ قَتَلْتُ إنْساناً بغيرِ حلِّهِ
مثلُ الغزالِ ناعِماً في دلِّهِ فانْتَصَفَ اللَيْلُ وَلَمْ أَصِلَه)[١]

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك، قالت أو بعد هذا فصاحة[٢] مع قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٣]، (فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين)[٤]. قال المؤرخون: فانطلق الماء بموسى، ترفعه موجة وتخفضه أخرى حتى دخل بين أشجار عند دار فرعون[٥]، فبينما هو جالس على رأس بركة آسية إذا بتابوت فأمر به فأخرج ففتح [/ ١١و] فإذا صبي أصبح الناس وجهاً، فأحبه حباً شديداً، فلا يتمالك أن يصبر عنه، وظاهر القرآن يدل على أن البحر ألقاه بساحله وهو شاطئه، فرأى فرعون التابوت بالساحل فأمر بأخذه، ويحتمل أن يكون ألقاه اليم بموضع من الساحل، فيه نهر فرعون ثم آواه النهر إلى جنب البركة[٦] وقيل خرجن حواري آسية يغتسلن من النهر ويستقين وكان فيهنّ ابنة فرعون وكان فيها برص شديد[٧] (فلما فتحت التابوت شفيت)[٨] وقيل: أنّهنّ لما وجدن التابوت أخذنه وظننّ أن فيه مالاً فحملنه على حالته حتى أدخلنه على آسية فلما فتحته رأت الغلام، فألقى الله محبته منه، ورحمته آسية وأحبته حباً شديداً[٩] قال كعب الأحبار: بقي موسى في التابوت أربعين

=

نزهة الألباء من طبقات الأدباء، تحقيق: د.إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٩٠، حاجي خليفة، كشف الظنون،٢/ ١٧٠٣، ابن العماد، شذرات الذهب،٢/ ٣٦.

(١) البيتان لديك الجن عبد السلام بن رغبان (ت ٢٣٥هـ)، ولم أقف على ديوانه. ينظر: الطبري، تفسير ٢٠ / ٣٢، القرطبي، الجامع، ١/ ٣٩٥ .

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٣، القرطبي، الجامع،١٣/ ٢٥٢ .

(٣) سورة القصص، الآية:٧ .

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير ٦/ ٢٠٣، القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٥٢، الألوسي، روح المعاني، ٢٠/ ٤٥ .

(٥) ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي (ت ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، الطبري، تاريخ، ١/ ٢٣٣، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبوالفداء عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ،١/ ١٣٢، القرطبي الجامع، ١١/ ١٩٥، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٣٨١ .

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٥، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٤، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ١٨٩.

(٧) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٦، أبو السعود، تفسير، ٤/ ٧.

(٨) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٦ .

(٩) ينظر: النسائي، السنن الكبرى، ٦ / ٣٩٧، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٤٩، الهيثمي، مجمع الزوائد،٧/ ٥٧.

=

يوماً[١]، وقال وهب: ثلاثة أيام[٢]، قال ابن عباس: ليلة واحدة[٣]، وفي تفسير القرطبي عن بعضهم، أن آسية لما فتحت التابوت رأت نوراً فإذا هو ساطع من جبينه يتلألأ وهو يمصّ أبهاميه[٤]، فلما سمع الذبّاحون أمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبي، فقالت لهم: انصرفوا فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل وأنا آتي فرعون واستوهبه منه،فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم[٥] [/ ١١ظ] فأتت به فرعون وقالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾[٦]، وكانت بلا ولد[٧]، قال فرعون: (قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لي فيه)[٨]، قال ابن عباس: لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله تعالى، ولكن أبى إلاّ الشقاء الذي كتبه الله عليه[٩] ثم كان من أمرهم ما قصّ الله في كتابه بقوله: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[١٠] أي (لا يشعرون أن هلاكهم بسببه)[١١]. رجع الحديث إلى خبر أم موسى، قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾[١٢]. أي خالياً من ذكر كلّ شيء في الدنيا إلاّ من ذكر موسى، وإلى هذا ذهب أكثر المفسرين[١٣]، وقال أبو

=

وقيل: في الذين التقطوه ثلاثة أقوال، أحدها جواري امرأة فرعون، قاله السّديّ، الثاني ابنة فرعون قاله محمد بن قيس، الثالث أعوان فرعون قاله محمد بن إسحاق، ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٣ .

(١) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٢٠٣.

(٢) قال وهب: (ليلة واحدة) (م.ن) ٢٠٣.

(٣) قال ابن عباس: (ثلاثة أيام) (م.ن) ٢٠٣.

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٦، أبو السعود، تفسير، ٧/ ٤٠.

(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٦٥، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٤٩، السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٥٧٠ .

(٦) سورة القصص، الآية:٩.

(٧) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٦، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ١٦ .

(٨) الطبري، تفسير، ١٦/ ١٦٥، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٤٩، الدر المنثور، السيوطي، ٥/ ٥٧٠.

(٩) الحاكم، المستدرك، ٢/ ٦٢٨، ابن عساكر تاريخ دمشق، ٦١/ ١٩.

(١٠) سورة القصص، تتمة الآية: ٩.

(١١) ينظر: الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ٣/ ٨٧، الطبري، تفسير، ٢٠/ ٣٥، ما تقدم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٣، كما جاء في النص .

(١٢) سورة القصص، الآية: ١٠.

(١٣) ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٤، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٥، السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٥٧٠، الشوكاني فتح القدير، ٤/ ١٦٢، الآلوسي، روح المعاني، ٢٠/ ٤٩ .

عبيدة[١]: فارغاً من الحزن والغّم لعلمها أنه لم يغرقه الله تعالى[٢].

وقال العلاء بن زياد[٣]: (فارغاً نافراً، قال الكسائي: ناسياً ذاهلاً وقيل والها، رواه سعيد بن جبير[٤] عن مالك وهو ذهاب العقل، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الفزع والذهل)[٥] ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ ﴾[٦] أنه ابنها من شدة وجدها، وكانت تقول: واولداه[٧] وقيل الهاء في قوله تعالى: ﴿ لَتُبْدِى بِهِ ﴾ [/ ١٢و]. عائدة إلى الوحي الذي أوحى الله إليها أن يرده عليها[٨]، قوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٩]، أي بالعصمة والصبر والتثبت، والربط على القلب إلهام الصبر لتكون من المؤمنين المصدّقين بوعد الله[١٠] قالت أم

---

(١) هو معمرّ بن المثنى التيمي البصري، له غريب القرآن، ومجاز القرآن، (ت٢١٠هـ) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ١/ ٧٩، الأدنروي، أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ١/ ٣٠، حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ١٦٧.

(٢) ينظر: النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي المصري، يكنى أبا جعفر (ت ٣٣٨هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى،مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م، ٥/ ١٦١، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٥ .

(٣) هو العلاء بن زياد بن مطر العدوي البصري، يكنىّ أبا نصر، أحد العباد، ثقة (ت٩٤هـ) ينظر: ابن حبان، الثقات، ٥/ ٢٤٦، أبو الحجاج المزي يوسف بن الزكي عبد الرحمن (ت٧٤٢ هـ) تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م، ٢٢/ ٤٩٧.

(٤) هو سعيد بن جبير الأسدي الفقيه المحدث المفسر، أحد علماء التابعين ثقة ثبت (ت ٩٥هـ) ينظر: ابن خياط، ص ٢٨٠، ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/ ٣٤، الأدنروي، طبقات المفسرين، ١/ ١٠.

(٥) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٥، ينظر: الشوكاني،فتح القدير،٤/ ١٦٠، إلا أن القرطبي قال: من فرط الجزع والدهش ونحوه .

(٦) سورة القصص، الآية ١٠.

(٧) ينظر: الواحدي، تفسير، ٢/ ٨١٣، النسفي، تفسير،١٢/ ٢١٤،السيوطي،الدر المنثور ١/ ٥٠٧.

(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠ /٣٧، الواحدي،تفسير،٢٠/ ٨١٣، البغوي، تفسير ٣/ ٤٣٧،النسفي، تفسير،١٢/ ٢١٤، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ١٦١، اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عادت عليه (الهاء) في قوله به، فقال بعضهم هي من ذكر موسى وعليه عادت، وقال أخرون: الضمير في (به) عائدة الى الوحي الذي أوحي إليها، والصواب من القول في ذلك. الذين قالوا: إن كادت لتقول: يا بنيّاه لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ ﴾ أن تقول: يا بنيّاه) الحاكم، المستدرك ٢/ ٤٤١.

(٩) سورة القصص، الآية: ١٠.

(١٠) ينظر: الواحدي، تفسير، ٢/ ٨١٣، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٧، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٢٨٥ .

موسى: ﴿ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[١] أي أتبعي أثره حتى نعلم خبره، فدخلت على آسية مع النساء فبصرت به، أي ترائته عن جنب، أي ناحية[٢] وقيل: [عن][٣] بعد[٤]، وقيل: عن شوق[٥]، قال قتادة: جعلت تنظر إليه بناحية لا تريده وهم لا يشعرون أنها أخته[٦]، وكان من حاله ما قص الله تعالى في كتابه بقوله ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾[٧] (أي منعناه من الإرتضاع من قبل أي قبل مجيء أمه وأخته)[٨] قال ابن عباس: (لا يؤتى بمرضع فيقبلها)[٩]، وهذا تحريم منع[١٠]، (لا تحريم شرع)[١١]، يشهد له قول امرؤ القيس[١٢].

قَالتْ لِتُرْضِعَنِي فقلتُ لها اقْصِرِي إني امرئٌ ضَرِعِي عليكِ حَرَامُ[١٣]

أي ممتنع، وفي بعض التفاسير أن أخته ضمته إليها وأخذ ثديها وقبله[١٤] ثم أن أخته أظهرت لهم النصيحة ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ

---

(١) سورة القصص، الآية: ١١.

(٢) ينظر: المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت٨١٥هـ) التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: د.فتحي أنور الدابولي، ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ١/ ٣٢٦.

(٣) لمقتضى السياق.

(٤) ينظر: مجاهد، تفسير، ٢/ ٤٨١، النحاس، معاني القرآن الكريم،٥/ ١٦٢.

(٥) وهي لغة جذام، يقولون: جنبت إليك أي اشتقت إليك، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ١٦١، الآلوسي، روح المعاني، ٢٠/ ٥٠.

(٦) ينظر: السيوطي، الدر المنثور،٦/ ٣٩٥، الألوسي، روح المعاني، ٢٠ / ٥٠.

(٧) سورة القصص، الآية: ١٢.

(٨) القرطبي،الجامع، ١٣/ ٢٥٧، ينظر: النسفي، تفسير، ٣/ ٢٢٩، البيضاوي، تفسير،٤/ ٢٨٥.

(٩) حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٤٤١.

(١٠) أي منعناه رضاعهن، وتقول العرب: حرمت عليك دخول داري،أي منعتك من ذلك، ينظر: ابن عبد البر، التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ١/ ١٤٠.

(١١) ابن الجوزي، زاد المعاد، ٦/ ٢٠٦، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٧، النسفي، تفسير، ٣ /٢٢٩.

(١٢) امريء القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب (ت٨٠ ق.م) ديوان امريء القيس، صنفه حسن السندوسي، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م، ص١٥٢.

(١٣) لقد ورد بيت الشعر في ديوان امرىء القيس على غير هذا المعنى وهو كالآتي:

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا إِقْصِرِي إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامُ

ينظر: ديوان امرئ القيس، ص/ ١٦٢ .

(١٤) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٧ .

لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[١] فقالوا لها: (وما يدريك لعلك تعرفين أهله)[٢]؟ [/ ١٢ظ]، قالت: لا ولكنهم يحرصون على مسرة الملك[٣]، (قال السُّدِّيُّ وابن جريج[٤]: قيل لها لمَّا قالت: {وهم له ناصحون} [٥] قد عرفت أهل هذا الصبي فدلينا عليه، قالت: أردت وهم له ناصحون فدلتهم على أم موسى فانطلقت إليها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلّله شفقة وهو يبكي يطلب الرضاع، فدفع إلى أمه فلما وجد ريحها قبل ثديها)[٦].

قال بعض المفسرين: لمّا قالت أخت موسى: ﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ ﴾[٧]، وكانوا يبالغون في طلب المراضع بسببه، فقالوا: من المرضعة قالت: أمي فقيل: لها لبن قالت: نعم لبن هارون[٨]، فقالوا: (صدقت والله هم له ناصحون أي فيهم شفقة ونصح) [٩] وروي أنه قيل لأم موسى حين ارتضع منها كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك؟ قالت إني امرأة طيبة اللّبن لا أكاد أدني بصبي إلا ارتضع مني[١٠]، قال أبو عمران الجوني[١١]: (وكان فرعون يعطي أم موسى كل يوم ديناراً)[١٢] قال الزمخشري: [فإن][١٣] (قلت: كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع

---

(١) سورة القصص، الآية:١٢

(٢) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٦، القرطبي، الجامع،٣/ ٢٥٧ .

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٦٣، ابن كثير، قصص الأنبياء ص٣١ .

(٤) هو ابو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت١٥٠هـ) ينظر : الذهبي , سير أعلام النبلاء , ٦ / ٣٣٢

(٥) سورة القصص، الآية: ١٢ .

(٦) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٧، ينظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٣١ ، النسفي، تفسير ، ٣/ ٢٢٩.

(٧) سورة القصص،: الآية ١٢ .

(٨) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٨، ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٦، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٦٥ . نستنتج من ذلك: إذا احتزب الإنسان أمراً يجوزله أن يوّري بغيره.

(٩) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٨ .

(١٠) ينظر: القرطبي، الجامع،١٣/ ٢٥٨، أبو السعود،تفسير ٧/ ٥، البيضاوي،تفسير، ٤/ ٢٨٥ .

(١١) هو عبد الملك بن حبيب الكندي البصري، روى عن أنس وجندب وغيره، وهو ثقة، (ت١٢٧هـ) ينظر: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، (ت٢٤١هـ)، الأسامي والكنى لأبن حنبل، تحقيق: عبد الله ابن يوسف الجديع، ط١، مكتبة دار الاقصى، الكويت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م، ١/ ٧٣، البخاري، التاريخ الكبير، ٥/ ٤١٠ .

(١٢) القرطبي الجامع، ١٣/ ٢٥٨، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٣٩٦ .

(١٣) مضافة من الزمخشري، الكشاف ، وفيها يستقيم المعنى، ٣/ ٣٨٣ .

ولدها ؟ قلت ما كانت تأخذه على أنه أجرة على الرضاع ولكنه مال مجوسي[١] تأخذه [/ ١٣ و] على وجه الإستباحة)[٢] قال الله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[٣] إذ عطفَ الله تعالى قلب العدو عليه ووفاء الله تعالى بالوعد الذي سلف لأمه فلا تحزن بفراقه ولتعلم أن وعد الله حق وقوعه، وكانت عالمة بأن ردّه عليها سيكون ولكن أكثر الناس لا يعلمون إذ هم في غفلة عن التقدير وسر القضاء[٤] وقيل: أن أكثر الناس لا يعلمون أن وعد الله حق في كل ما وعد به[٥].

(١) (حربي) بدل من مجوسي، الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٢٨٣ ، وما ذكره الزمخشري أصوب لأنه كان في حرب مع بني إسرائيل.
(٢) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٢٨٣، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٨ .
(٣) سورة القصص، الآية: ١٣ .
(٤) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤١، النسفي، تفسير،٣/ ٢٢٩،القرطبي،الجامع،١٣/ ٢٥٨ .
(٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٣٨٣،القرطبي،الجامع، ١٣/ ٢٥٨ .

الفصل الثالث

في ذكر ما اتفق لموسى مع فرعون في صغره

كما صح في نقل سيرة من قبض لحيته بيده، وإهانته وما أعطاه الله تعالى هناك من كرامته من خلاصه من سطوته ونقمته، قال السُّدِّي : ربَّت آسية موسى حتى درج، فرأى فرعون فيه شهامة وظن أنه من بني إسرائيل فأخذه في يده فمد موسى يده ونتف لحية فرعون، فهم حينئذٍ بذبحه[1]، فقالت له آسية: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾[2]، وحكى الطبري (إن فرعون اتخذه ولداً فدعي ابن فرعون)[3] وكانت آسية تحبه حباً شديداً، فبينما هي ذات يوم ترقصه وتلعب به إذ ناولته فرعون فقالت: خذه قرة عين لي [/ ١٣ ظ] ولك قال فرعون هو قرة عين لك ولي لا[4]، فلما أخذه إليه أقعده في حجره وجعل يلاعبه وكان سنّه إذ ذاك ثلاث سنين، أخذ موسى بلحيته إهانة له فنتفها ولطمه لطمة وجع منها فرعون[5]، وفي تفسير البغوي أن موسى كان يلعب يوماً بين يدي فرعون وبيده قضيب يلعب به إذ رفع موسى القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فقال: عليَّ بالذباحين هو هذا المولود المطلوب، فقالت آسية: إنما هو صبي لا يعقل وإنما يصنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر امرأة أحلى مني أنا أصنع له حلياً من الياقوت وأصنع له جمراً فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فهو لا يعقل إنما هو صبي، فأخرجت له ياقوتها ووضعت طستاً

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٤ .

(٢) سورة القصص، الآية: ٩، واختلف المتأولون بالذي قالت فيه امرأة فرعون {قرة عين لي ولك} فقالت فرقة: كان ذلك عند التقاطه التابوت لمّا أشعرت فرعون به ولما أعلمته سبق إلى فهمه أنه من بني إسرائيل وأن ذلك قصد به ليتخلص من الذبح، فقال عليَّ بالذباحين، ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٣٨٢.

(٣) الطبري، تفسير، ٢٠/ ٣٣ .

(٤) ينظر: السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٣٩٠، قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت امرأته عسى أن ينفعنا لنفعه الله به، ولكنه أبى للشقاء التي كتب الله عليه. الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٢/ ٦٢٨ .

(٥) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٢٠٤ .

من جمر فجاء جبريل فطرح في يده جمرة فطرحها موسى في فيه فأحرقت لسانه[١] فهو الذي يقول الله تعالى: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾[٢].

قال القرطبي: في تفسيره روى أن يد موسى احترقت وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ، قال إنما لم تبرأ يده لأن لا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المؤاكلة[٣] ، ونقل الكسائي في قصصه: أن موسى لما بلغ تسع سنين كان قاعداً مع فرعون على سريره فقرصه فرعون فغضب موسى ونزل [/ ١٤ و] عن السرير وضرب قوائمه برجله فانكسرت قائمتان ومال السرير ونزل منه فرعون إلى الأرض وانهشم أنفه، وسال دمه فبادر موسى إلى آسية وأخبرها، وأتى فرعون إليها يعاتبها على أنها لم تدعه يقتله، فقالت: أيها الملك إذا كان فيه القوة كان عوناً لك على أعدائك، ويهابك الناس لأجله[٤] قال القاضي عياض[٥]: وقد غرزت الأخلاق الحميدة في الأنبياء في أصل الخلقة وأول الفطرة فلم تحصل باكتساب ولا برياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة وأعطوها في الصغر[٦] ومن هذا القبيل قصة موسى وفرعون وأخذ لحيته بيده ولطمه إهانة له وهو طفل.

(١) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٦ .

(٢) سورة طه، الآية: ٢٧ .

(٣) ينظر: القرطبي الجامع، ١١/ ١٩٢، وقال الجوهري: المؤآكلة أي أكلت معه، الصحاح، ٤/ ١٦٢٤، ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٢٠، وفي العرف أن يحسن الرجل لمن أصبح بينه وبين فلان مؤاكلة، وكما تقول العرب: (ممالحة) فإذا مالحه لا ينتهك حرمته، وصحيح أن موسى عليه السلام لم يأكل مع فرعون في قصعة واحدة، إلا أنه عاش في بيت فرعون وعلى مائدة فرعون وبالمقابل أراد موسى عليه السلام أن ينقذ فرعون من الضلالة الى الهدى ومن الظلمات إلى النور فأبى أن يتبع سبيل الرشد فغوى وهلك .

(٤) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص١٠٤- ١٠٥.

(٥) هو أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي المالكي (ت٥٤٤هـ)، ينظر: القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا .ت) العنوان، حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٥٥٧ .

(٦) ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١/ ٩٧.

الباب الثالث

في نبوته ورسالته وعظيم قدره ومكانته

اعلم أن القرآن العظيم ناطق بنبوة موسى ورسالته وقد تعدد ذكره لوصفين في مواطن منها قوله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[1] قال المفسرون: الميثاق على الأنبياء عهدهم على الوفاء بما حملوا وأن يبشر بعضهم بعضاً ويصدق بعضهم بعضاً، وإنما خص هؤلاء الخمسة لأنهم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل وأئمة الأمم[2] ومنها قوله تعالى: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى ﴾[3] وقريء ﴿برسالتي﴾[4] [/ ١٤ ظ] ومعنى الاصطفاء: الاجتباء والتفضيل[5]، (ولم يقل على الخلق

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧ .

(٢) ينظر: الطبري، تفسير، ٢١/ ١٢٥، البغوي، تفسير، ٣/ ٥٠٨، واللفظ نصاً في القرطبي، الجامع، ١٤/ ١٢٧، ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٢٢٤، الآلوسي، روح المعاني، ٢١/ ١٥٤.
عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله: {كنت أوّل النبيّين في الخلق وأخرهم في البعث} ينظر: الهمداني، شيرويه بن شهر دار بن شهرويه الديلمي (ت٥٠٩هـ) الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٤/ ٤١١، المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت١٣٥٣هـ) تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا .ت) ١٠ /٥٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤، وهم قادة الأنبياء والرسل وسادتهم ، وقد ذكرهم الله تعالى بالثناء والتقدير، وأمر رسولهﷺ أن يقتدي بهم في جهاده ودعوته وصبره على من أُرسل إليه، وكيف لاقوا مالاقوا من المشقة والجهد والعناء في دعوتهم وإرشادهم، فقال: آمراً رسوله محمد: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ..﴾ الآية.

(٤) بالتوحيد قراءة نافع وابن كثير، وبالجمع قراءة الباقين من السبعة.
ينظر: ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت٣٧٠ هـ) إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١/ ٢٠٧، ابن الجزري، الحافظ ابن الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت٨٣٣هـ) النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت) ٢/ ٧٧٢.

(٥) ينظر: أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ١٠/ ١٠٦، ابن منظور، لسان العرب، ١٤/ ١٣٠، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾. البقرة، الآية: ٢٤٧ .

لأن من هذا الاصطفاء أنه كلمه وقد كلمه الملائكة وأرسله وأرسل غيره، فالمراد على الناس المرسل إليهم)[١]. ومنها قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[٢] ومنها قوله: حكاية عن موسى، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾[٣] قال أهل المعاني[٤]: دخلت قد على تعلمون للتأكيد، كأنه قال: وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ عن الهداية، وقيل: فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب وقيل فلما تركوا ما أمروا به من احترام الرسول الكريم الكليم عليه الصلاة والتسليم وطاعة الرب العظيم خلق الله تعالى في قلوبهم الضلالة عقوبة لهم على فعلهم[٥] وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾[٦] قال الكلبي[٧]: هو موسى وقيل: لوط وقيل: موسى ولوط[٨] ومعنى قبله أي ومن معه[٩]، (والمؤتفكات أهل قرى لوط)[١٠] بالخاطئة أي المعصية بالكفر[١١]، وجاء في قوله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾[١٢] (هو محمد ﷺ)[١٣]، ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ (هو موسى عليه السلام)[١٤] ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ (أي

---

(١) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥١.

(٣) سورة الصف،الآية:٥ ، لتتمة قوله تعالى : ﴿ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾

(٤) وهم طائفة من أهل التفسير أمثال الضحاك والفراء والكسائي وغيرهم،ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٥٨.

(٥) ينظر: قولهم في القرطبي، الجامع، ١٨ - ١٩/ ٨٢، الآلوسي، روح المعاني، ٢٨/ ٨٥.

(٦) سورة الحاقة، الآية: ٩-١٠.

(٧) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤- ٢٠٦هـ) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص١٤٠-١٤٣، الأنباري، أبو البركات، نزهة الألباء، ص٧٥ .

(٨) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٨ / ٢٦٢، الشوكاني، فتح القدير، ٥/ ٢٨١ .

(٩) وفي بعض القراءة وجاء فرعون ومن معه، الطبري تفسير، ٢٩/ ٥٣ .

(١٠) أوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام فأقتلعها من الأرض ثم هوى بها الى السماء ثم قلبها الى الأرض، الطبري، تفسير، ٢٩/ ٥٣، القرطبي، تفسير، ١٨/ ٢٦٢.

(١١) (م.ن) ١٨ / ٢٦٢.

(١٢) حتى قوله تعالى: أخذاً وبيلا، سورة المزمل، الآية:١٥-١٦.

(١٣) يشهد عليكم يوم القيامة بما فعلتم، الواحدي، تفسير،٢/ ١١٤٦، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٧٧٤.

(١٤) النسفي، تفسير، ٤/ ٢٩٢، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٧٧٤.

كذب به ولم يؤمن)[١] ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ أي شديداً وقيل ثقيلاً غليظا[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ [/ ١٥و] فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ[٣] وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾[٤] (هو موسى)[٥] قال الفراء: كريم على ربه إذ اختصه بالنبوة وإسماع الكلام[٦]، قال غيره: كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح[٧]، وجاء في قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾[٨] الآية .

إن(كعب بن الأشرف[٩] ومالك بن الصيف[١٠] ووهب بن يهودا[١١] وابن أخطب[١٢]

---

(١) القرطبي، الجامع، ١٩/ ٤٨، الشوكاني، فتح القدير، ٥/ ٣١٩ .

(٢) ينظر: البغوي، تفسير، ٤/ ٤١٠، الشوكاني، فتح القدير، ٥/ ٣١٩ .

(٣) وهم قبط مصر، ينظر: الطبري، تفسير، ٢٥/ ١١٨، ابن كثير، تفسير، ٤/ ١٤٢ .

(٤) سورة الدخان، الآية: ١٧.

(٥) الطبري، تفسير، ٢٥/ ١١٨، النحاس، معاني القرآن، ٦/ ٤١، الواحدي، تفسير،٢/ ٩٨٣.

(٦) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٣/ ٤٠ .

(٧) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٥٧٤ .

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

(٩) هو كعب بن الأشرف اليهودي من يهود بني النضير، كان يحرض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه، ويهجو النبي ﷺ في أشعاره، فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار فقتلوه ثم رجعوا، فأصبح اليهود مذعورين فجاؤوا النبي (صلى الله عليم وسلم) فقالوا: قتل سيدنا غيلة، فذكرهم النبي ﷺ صنيعه وما كان يحض عليهم ويحرض في قتالهم ويؤذيهم، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/ ٣٣، ابن حجر، الأصابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٧/ ٤٠٩.

(١٠) وقالت اليهود: عزير ابن الله، فيهم مالك بن الصيف ويقال: ابن ضيف وكان رئيساً على يهود بني قينقاع وهو من الذين نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ في المدينة، فأنزل الله فيهم قرآناً ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٥٤٧ـ ٥٤٨ .

(١١) هو وهب ابن يهوذا من يهود بني قريظة وهو من علمائهم وقد أنكروا نزول كتاب بعد موسى عليه السلام فقالوا: (ما أنزل الله كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٥٦٤، فأنزل الله تعالى في قولهما: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة، الآية: ١٩.

(١٢) هو حيي بن أخطب من يهود بني النضير ومن أشرافهم، أجلاه رسول الله ﷺ ومن معه الى خيبر عندما هموا بالغدر به، ثم بعد ذلك قتله رسول الله ﷺ في غزوة بني قريظة، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ١٩١ـ ٢٤١ .

هؤلاء من اليهود، ومن أهل نجران: السيد[١]، والعاقب[٢] وأصحابهما[٣] خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله تعالى فقالت: اليهود نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن، قالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد والقرآن، وقال كل واحدٍ من الفريقين: [للمؤمنين][٤] كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك)[٥]، فقال الله تعالى: يا محمد[٦] ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٧] ثم علَّم المؤمنين فقال جلَّ ذكره: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾[٨] يعني الفرقان[٩] ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ وهو(عشر صحائف)[١٠]، ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ يعني أولاد يعقوب وهم أثني عشر سبطاً سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة[١١] [/ ١٥ظ] ﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ﴾ يعني التوراة[١٢]، ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ يعني الإنجيل[١٣] ﴿ وَمَآ

---

(١) وأسمه: الأيهم، ويقال: شرحبيل وهو صاحب رحالهم ومجتمعهم، ينظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٣ /٣٨، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٣٦٨ .

(٢) اسمه: عبد المسيح وهوأمير القوم وصاحب مشورتهم، والذين لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٥٧٣، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٣/ ٣٨ ، ابن كثير, تفسير، ٣/ ٣٦٨ .

(٣) من نصارى أهل نجران، أمثال: أبي حارثة بن علقمة أثقفهم وخيرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٥٧٣ .

(٤) لمقتضى السياق، لأن الكلام موجه للنبي محمد ﷺ وأصحابه، البغوي، تفسير، ١/ ١١٩ . الآلوسي، روح المعاني،١/ ٣٩٣ .

(٥) (م.ن) ، ١/ ٣٩٣.

(٦) ينظر: البغوي، تفسير، ١/ ١١٩.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.

(٨) حتى قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ سورة البقرة، الآية:١٣٦ .

(٩) ينظر: البغوي، تفسير، ١/ ٢٠، البيضاوي، تفسير، ١/ ٤١٠، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٢٨.

(١٠) البغوي، تفسير،١/ ١٢٠، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٢٨.

(١١) ينظر: الطبري،تفسير، ١/ ٥٦٦، البغوي، تفسير، ١/ ١٢٠، وسموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة،قيل للحسن والحسين (رضي الله عنهما) سبطا رسول الله ﷺ، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب من بني إسماعيل، والشعوب من العجم، كما ذكر البغوي، تفسير، ١/ ١٢٠. أما بالنسبة للصحف، وإن أنزلت إلى إبراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها فهي أيضاً منزلة إليهم كما أن القرآن منزل إلينا. ينظر: البيضاوي، تفسير،١/ ٤١٠، أبو السعود، تفسير، ١/ ١٦٦.

(١٢) البغوي، تفسير، ١/ ١٢٠، ينظر: البيضاوي، تفسير، ١/ ٤١٠، أبو السعود، تفسير، ١/ ١٦٦.

(١٣) البغوي ، تفسير ، ١/ ١٢٠، ينظر: البيضاوي ، ١/ ١١٠.

أُوتِيَ ﴾ يعني (أعطى)[١]، ﴿ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: (نؤمن بالكل، فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى)[٢] ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾، أي: (منقادون)[٣] روى البخاري في صحيحه عن (محمد بن بشار[٤] حدثنا عثمان بن عمر[٥] حدثنا علي بن المبارك[٦] عن يحيى بن أبي كثير[٧] عن أبي سلمة[٨] عن أبي هريرة ﷺ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام)[٩] فقال رسول الله ﷺ: {لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم}[١٠] ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ

---

(١) البغوي، تفسير، ١/ ١٢٠ .

(٢) البغوي، تفسير، ١/ ١٢٠، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٢٨.

(٣) منقادون بالطاعة متذللون بالعبودية، مقرّون بالألوهية، وإنه لا إله غيره، الطبري، تفسير، ٣/ ٣٣٨، البيضاوي، تفسير، ١/ ٤١٠.

(٤) هو محمد بن بشار العبدي البصري المعروف ببندار الحديث في عصره والبندار (الحافظ) كان صدوقاً ورعاً ثقة ثبتاً (ت ٢٥٢هـ)، ينظر: ابن حبان، الثقات، ٩/ ١١١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/ ١٤٤، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٢٢٢.

(٥) هو عثمان بن عمر بن فارس أبو محمد العبدي البصري الحافظ، قال عنه أحمد بن حنبل، وابن معين أنه رجل صالح ثقة (ت ٢٠٩هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٥٥٧، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١ / ١٦٤.

(٦) هو علي بن المبارك الهنائي، بصري، ثقة، قال عنه هشام بن عروة كان أبوه يصوم الدهر إلا يوم الفطر، ويوم النحر ومات وهو صائم. ينظر: الواعظ ، عمر بن أحمد أبو حفص. (ت٣٨٥هـ) تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، ط١، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١/ ١٤١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤٣٦.

(٧) هو يحيى بن أبي كثير، اليمامي، ثقة حسن الحديث وكان يعد من أصحاب الحديث (ت١٢٩هـ)، ينظر::الكوفي أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت٢٦١هـ) معرفة الثقات، تحقيق: عبد الحليم عبد العظيم البستوي، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ٢/ ٣٥٧.

(٨) هو عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني كان ثقة فقيهاً كثير الحديث (ت٩٤هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ١٣٣، وقال السيوطي: اسمه كنيته وقيل: عبد الله، طبقات الحفاظ، ١/ ٣٠.

(٩) البخاري، صحيح، ٤/ ١٦٣٠، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر (ت٤٥٨هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ١٠/ ١٦٣.

(١٠) البخاري، صحيح، ٤/ ١٦٣، البيهقي، سنن البيهقي، ١٠/ ١٦٣.

وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾[٢] الآية. فهذه الآيات الكريمة[٣] دَلّت على منزلة موسى الكليم عند ربّنا الكريم بما منحه به من النبوّة والرسالة، ولنذكر ما يتعلق بحقيقتهما قال أئمة اللغة: النبي مهموز مأخوذ من النبأ وهو الخبر[٤]، (والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه)[٥] وعند من لم يهمز مأخوذ من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض[٦] (ومعناه [/ ١٦ و] أن له رتبة شريفة ومكانة منيفة، فالوصفات في حق موسى مؤتلفات والرسول هو المرسل)[٧] ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة إلا نادراً[٨] (وإرساله أمر الله له بالإبلاغ إلى من أرسله إليه واشتقاقه من التتابع، ومنه قوله جاء الناس إرسالاً إذا تبع بعضهم بعضاً فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه)[٩].

(واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنيين فقيل: هما سواء وأصله من الإنباء وهو الإعلام[١٠]، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ ﴾[١١]. فقد أثبت القائل لهما معاً الإرسال قال: ولا يكون النبيُّ إلا رسولاً

---

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٣٦

(٣) السريعة ، كذا في الأصل وما أثبته صحيح.

(٤) ينظر: الزمشخري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعرفة، لبنان، (بلا. ت) ٣/ ٤٠١، الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٢٦٨، ابن منظور، لسان العرب، ١/ ١٦٢. والنبي سميَّ به لكونه منبئاً بها تسكن إليه العقول الزكية المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت ١٠٣١هـ) التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر، بيروت، دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ٦٩١.

لكن الهمز في النبيء لغة رديئة لقلة استعمالها لا لأن القياس يمنع من ذلك .ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله ﷺ: وقد قيل: يا نبيء الله، فقال له: {لا تنبر باسمي فإنما أنا نبيُّ الله} وذلك أنه ﷺ أنكر الهمز في اسمه فرده على قائله، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/ ١٦٣.

(٥) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٥٠.

(٦) لارتفاع قدره ولأنه شرِّف على سائر الخلق، ينظر: ابن عساكر، الأربعين البلدانية عن أربعين من أربعين الأربعين في أربعين، تحقيق: مركز جمعة الماجد، قسم التحقيق،ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت - دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ٥/ ٢٥٩، ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٣٠٢.

(٧) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٥٠.

(٨) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٥٠، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ٤٣٨.

(٩) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٥٠، الشامي، ٢/ ٢٧٨.

(١٠) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٥٠.

(١١) سورة الحج، الآية: ٥٢.

والرسول إلاَّ نبياً[١]، (وقيل: هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوَّة التي هي الإطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول والأمر بالإنذار والإعلام، كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين، ولو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ)[٢] (وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ، ومن لم يأت به نبي غير رسول [/ ١٦ظ] وإن أمر بالإبلاغ والإنذار)[٣]. قال القاضي عياض: (والصحيح الذي عليه الجمَّاء الغفير أن كل رسول نبيٌّ وليس كل نبي رسولاً)[٤] قلت يشهد لما قاله قول الفراء: (الرسول النبيٌّ المرسل والنبي المحدَّث الذي لم يرسل)[٥]، وكلام الفراء استشهد به الواحدي على قوله: الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عياناً وحاوره شفاهاً والنبي الذي[٦] تكون نبوته إلهاماً أو مناماً[٧].

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: (وفي كلام الواحدي نقص في صفة النبيٌّ، فإنَّ ظاهره أن النبوَّة المجردة لا تكون برسالة ملك وليس هو كذلك، فكلام الفراء الذي استشهد به يردُّ عليه)[٨] وهو كما قال: (وجمع الرسول رسل بضم السين وإسكانها على

---

(١) قالت المعتزلة: لا فرق بينهما فإنه تعالى خاطب محمداً مرة بالنبيٌّ وبالرسول مرة أخرى، ينظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ) التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ١/ ١٤٨ وقيل لو كانا مترادفين لم يحسن تكرارهما في بليغ، وفي الآية إضمار تقديره: وما أرسلنا من رسول ولا نبأنا من نبي، ينظر: الشامي، سبل الهدى، ٢/ ٢٧٩.

(٢) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٥٠-٢٥١.

(٣) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٥١، وفي حديث أبي ذرﷺ {أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي} ، وذكر أن الرسل منهم {ثلاثة مئة وثلاثة عشر} صححه ابن حبان، ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ٢٦٥، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٦٥٢، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٣٦١، ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ..﴾ الآية .

(٤) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٥١، القرطبي، الجامع، ١٢/ ٨٠، ينظر: الجرجاني، التعريفات، ١/ ١٤٨.

(٥) الفراء، معاني القرآن، ١/ ٢٢٩، والراجح هو قول الجمهور الذي فرق بين النبي والرسول، فالنبي من أوحيَ إليه بشرع يعمل به ويختص به، والرسول هو من أوحيَ إليه بشرع يعمل به ويبلغه لغيره، فالنبيٌّ أعم مطلقاً من الرسول لإشتراط الأمر بالتبليغ في الرسول وعدم اشتراطه في النبيٌّ، ويؤيد رأيهم هذا قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ..﴾ الآية. والعطف يقتضي المغايرة ولو بوجه ما، وهذا يكفي لنفي المساواة التي قال بها المعتزلة.

(٦) (التي) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٧) ينظر: الواحدي، تفسير، ٢/ ٧٣٧.

(٨) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت)، ٣/ ١٢٠-١٢١.

التحقيق)[١]. (قال الهروي[٢] وغيره ويطلق لفظ الرسول على الواحد والاثنين الجمع)[٣].

فائدة: روى ابن الجوزي في كتاب التلقيح[٤] عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال: {مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً} قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال: {ثلاث مئة وثلاثة عشر جمّ غفير}، قلت: من كان أولهم قال: {آدم قلت: يا رسول [الله][٥] أنبيٌّ مرسل قال:{نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسوَّاه}[٦] ثم قال: {يا أبا ذر أربعة [/ ١٧ و] سريانيّون أدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم، ونوح، وأربعة من العرب هود وشعيب وصالح ونبيكم} يا أبا ذر {وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى}[٧]، قلت يا رسول الله: كم كتاب أنزل الله تعالى؟ قال: {مئة كتاب وأربعة كتب[٨]، أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى أخنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان}[٩] قال: ورواه ابن حبَّان قريباً من ذلك، وصححه وأخرجه الأجري[١٠]، وأبو حاتم البستي في سنده[١١]. والمشهور في صحيح

---

(١) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ٣/ ١٢١. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ المرسلات، الآية: ١.

(٢) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الهروي، اللغوي الشافعي أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٤٤٨، القنوجي، أبجد العلوم، ٣/ ٧.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ٣/ ١٢١، ينظر: الخليل، العين، ٧/ ٢٤١، الزبيدي، تاج العروس، ٧ / ٣٤٤.

(٤) تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، طبع قطعة من هذا الكتاب باعتناء الأستاذ بروكلمان الألماني، وهو تاريخ على السنين، ليدن، براسلاو، ١٣١٢هـ/ ١٨٩٢م. ينظر: يوسف اليان سركيس، (ت ١٣٥١هـ)، معجم المطبوعات العربية، والمعربة، مطبعة بهمن، قم، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ٦٧، ولم أقف عليه.

(٥) لمقتضى السياق.

(٦) الهيثمي، موارد الظمآن، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت،(بلا.ت)، ١/ ٥٣. قريباً منه.

(٧) ابن حبان، الثقات، ٢/ ١١٩، ابن كثير، تفسير، ١/ ٥٨٦، الهيثمي، موارد الظمآن، ١/ ٥٣.

(٨) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٣/ ٢٧٧، الهيثمي، موارد الظمآن، ١/ ٥٣.

(٩) ابن حبان، صحيح، ٢/ ٧٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٣/ ٢٧٧، ابن كثير، تفسير، ١/ ٥٧٨.

(١٠) هو محمد بن علي الأجري يكنى أبا عبيد (لم تذكر وفاته)، ينظر: المزي يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (ت٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ٢/ ٣٨٧، الذهبي، ميزان الإعتدال، ١/ ٣٣٣.

(١١) ينظر: ابن حبان،صحيح، ٢/ ٧٧، ابن كثير،تفسير، ١/ ٦٠٠، الهيثمي، موارد الظمآن، ١/ ٥٣.

مسلم وغيره أن نوحاً أول الرسل[١]، وأول الأنبياء آدم[٢]، وفي كتاب التلقيح أيضاً ما رواه وهب عن ابن عباس قال: (الرسل ثلاث مئة وخمسة عشر، منهم عبرانيوّن وهم آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم، وخمسة من العرب هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد)[٣]، قال ابن عباس: وكل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة نوح وهود ولوط وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم)[٤]، والمشهور أن الأنبياء من بني إسرائيل إلا أثني عشر، أيوب فإنَّه من ذرية العيص[٥]، وآدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم [/ ١٧ظ] ولوط وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ومحمد (صلوات الله عليهم)[٦] قال أبو منصور اللغوي[٧]: (كل أسماء الأنبياء أعجمية إلاَّ أربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد)[٨]، ومنهم من ألحق بهذه الأربعة يحيى[٩].

تنبيه :

في اسم محمد (عليه الصلاة والسلام): إشارة إلى أنه خاتم الأنبياء المرسلين، لأن حساب حروف اسمه عند بسطها أي هجائها تبلغ بالجمل إلى ثلاث مئة وأربعة عشر، وذلك أن في اسمه ميمين أحدهما مشدَّدة بحرفين ففيه ثلاث ميمات وكل من الميمات

---

(١) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٢١٥، مسلم، صحيح، ١/ ١٨٥.

(٢) ينظر: الطبراني، المعجم الأوسط، ٥/ ٧٧، الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/ ١٩٧.

(٣) ينظر: الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) الاختصاص، تحقيق: علي أكبر القفاري الناشر، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، (بلا.ت) ص٢٦٤، المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ) بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١١/ ٤٣. الرواية موضوعة والله أعلم ، فكيف يكون آدم من العبرانيين وهو أبو البشر ولم يظهر العبرانيون يومئذٍ.

(٤) ينظر: النحاس، معاني القرآن، لقد ذكر: إسحاق ولم يذكر عيسى عليه السلام، ٥/ ١٠١، الطبراني، المعجم الكبير، ذكر إسحاق ولم يذكر صالح، ١١/ ٢٢١، الحاكم، المستدرك، ذكر إسحاق ولم يذكر عيسى عليه السلام، ٢/ ٤٠٥، السيوطي، الدر المنشور. أيضاً الرواية موضوعة والله أعلم، حيث تذكر أن يعقوب وعيسى ليس من بني إسرائيل، علماً أن يعقوب هو إسرائيل، وعيسى أيضاً من بني إسرائيل.

(٥) هو أيوب بن موصى بن زارح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم، ينظر: المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/ ٧٣، ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٢٢١.

(٦) لم أقف على المصدر الذي يلم بهؤلاء الأنبياء الاثني عشر المشهورين، إلا أن رواية ابن عباس تضاربت في الرواية الأولى يذكر أن آدم وإدريس ونوح وإبراهيم عبرانيون، وفي الرواية الثانية ينفي أن يكون كل من آدم ونوح وإدريس وإبراهيم من بني إسرائيل، ينظر: ضمن النص المحقق، ورقة [/ ١٧ظ] .

(٧) هو أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت٤٦٥هـ) ينظر حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/ ١٥٧٧.

(٨) ابن حنبل، مسائل الإمام أحمد، ١/ ١١، الغزي، محمد بن محمد بن محمد (ت١٠٦١هـ) إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، تحقيق: خليل محمد العربي، ط١، دار النشر الفاروق الحديثة، القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ٢/ ٣٦٢.

(٩) الأظهر أنه اسم أعجمي وإن كان عربياً، ينظر: النسفي، تفسير، ١/ ١٥٢، أبو السعود، تفسير، ٤/ ٦.

الثلاث ثلاثة أحرف، م ي م، فكل ميم بالحساب بتسعين والحاء بتسعة. والدال بخمسة وثلاثين، فالجملة ثلاث مئة وأربعة عشر[١]، وقد ورد في عدد المرسلين روايتان إحداهما أنهما ثلاث مئة وخمسة عشر، وهذه الرواية موافقة لما قلناه آنفاً عن التلقيح، والثانية ثلاث مئة وثلاثة عشر كما ذكره ابن الأثير في النهاية[٢]، فعلى الأولى هم ثلاث مئة وأربعة عشر، ما عداه فلا يدخل في العدد المحسوب من الأحرف بخصوصيّة، وعلى الثانية فعددهم ثلاث مئة وثلاثة عشر أيضاً[٣] ما عداه لكنه يدخل في الحساب.

مهمة:

جاء ذكر موسى عليه السلام في الوحي الذي بدأ إلى رسول الله ﷺ والحديث في الصحيحين.

ففي مسلم {حدثني أبو طاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح[٤] قال: أخبرنا ابن وهب[٥] قال:أخبرنا يونس[٦] عن ابن شهاب[٧] [/ ١٨و] قال:حدثني عروة بن الزبير[٨] أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أنها قالت:{كان أوّل ما بدي به رسول الله ﷺ

---

(١) ينظر: الشربيني، مغني المحتاج، ١/ ٧، الشرواني، عبد الحميد (ت١١١٨هـ) حواشي الشرواني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا. ت)، ١/ ٢٦ .

(٢) في حديث أبي ذر قلت يا رسول الله كم الرسل ؟ قال: {ثلاث مئة وخمسة عشر - وفي رواية - ثلاثة عشر، جم غفير}. النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان، قم، ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤م، ١/ ٢٨٩.

(٣) ينظر: الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١/ ٤٠٨.

(٤) هو أحمد بن عبدالله بن عمرو بن سرح أبو طاهر المصري مولى بني أمية ثقة (ت٢٥٠هـ) ينظر: البخاري، التاريخ الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الوعي، مكتبة دار التراث، حلب - القاهرة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ٢/ ٣٩٣، ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/ ٨٣.

(٥) هو عبدالله بن وهب بن مسلم الفهري، يكنى أبا محمد، جمع بين الفقه والحديث والعبادة، ثقة، كان يقول جعلت على نفسي أن أصوم يوماً إن إغتبت أحداً فهان علي الصوم، فجعلت على نفسي درهماً صدقة فأمسكت . ينظر: ابن حبان، الثقات، ٨/ ٣٤٦، ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/ ٣٢٨، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ١٣٢.

(٦) هو يونس بن يزيد بن أبي المخارق الأيلي القرشي يكنى أبا يزيد مولى معاوية بن أبي سفيان (ت ١٥٩ هـ) ينظر: ابن حبان الثقات، ٧/ ٦٤٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ط١ دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ١١/ ٣٩٥.

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، تابعي ثقة من أحفظ أهل زمانه للسنن، وكان فقيهاً (ت١٢٤هـ) ينظر: الكوفي أحمد بن عبد الله، معرفة الثقات، ٢/ ٢٥٣، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ٦٦.

(٨) عروة بن الزبير بن العوام مدني تابعي ثقة، كان رجلاً صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن (ت٩٩هـ) ينظر: الكوفي، معرفة الثقات، ٢/ ١٣٣، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ٦٤ .

من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء[١] يتحنث فيه، وهو التعبد الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ فقال: ما أنا بقاريء، قال: فأخذني فغطني[٢] حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قال: [قلت][٣] ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ قلت ما أنا بقاريء فأخذني ففطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[٤] فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره[٥] حتى دخل على خديجة فقال: زملوني[٦] زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أي خديجة: ما لي وأخبرها الخبر قال: لقد خشيت على [/١٨ظ] نفسي قالت له: (كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل[٧] وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزّى، وهو ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصَّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب[٨] وكان شيخاً كبيراً قد

---

(١) مغارة في جبل حراء كأنه سرب وهو مطل على مكة المكرمة، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٢٠٧.

(٢) الغط: العصر الشديد والكبس، ومنه الغط في الماء الغوص. قيل: إنما غطه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئاً. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٣٦٢.

(٣) وردت في صحيح مسلم ١/ ١٤٠.

(٤) سورة العلق، الآية: ١ـ ٥.

(٥) هي اللحمة التي بين المنكب والعنق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٥.

(٦) أي غطوني بالثياب ولفوني بها، ينظر: النووي، شرط النووي، ٢/ ٢٠٠.

(٧) هو الأبكم الذي لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه لوجود بكم فيه، ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٤/ ٤٧٤، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨هـ) كتب رسائل وفتاوي ابن تيمية في التفسير، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، (بلا. ت) ١٤/ ١٧٨.

(٨) هذا في شرح النووي، ووقع في صحيح البخاري ويكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية وكلاهما صحيح لتمكنه من الكتابين واللسانين، وأصبح يتصرف في الإنجيل إن شاء يكتب بالعبرانية أو العربية، ينظر: البخاري، صحيح، ١/ ٤، النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٠٢.

عمي، فقالت له خديجة: أي عم اسمع من ابن أخيك)[١] قال ورقة بن نوفل: (يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى ﷺ يا ليتني فيها جذعاً[٢] يا ليتني كنت حياً حين يخرجك قومك قال رسول الله ﷺ: {أو مخرجيَّ هم} قال ورقة:(نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلاّ عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً)[٣] هذا الحديث أصل عظيم في حقيقة الوحي الذي بعث به رسول الله ﷺ وفيه دلالة ظاهرة على رسالة موسى ونزول الوحي عليه وعظيم [قدره][٤] [/ ١٩ و]. وقوله في الحديث وهذا الناموس الذي أُنزل على موسى، قال القاضي عياض، والنووي في شرحيهما لمسلم: الناموس بالنون والسين المهملة هو جبريل، والناموس في اللغة: صاحب سر الخير، قالا: واتفق الناس على أن جبرائيل سمي الناموس واتفقوا على أنه المراد هنا[٥] قال الهروي[٦]: (سمي بذلك لأن الله خصه بالغيب والوحي، وقوله في الحديث الذي أنزل على موسى هو هكذا في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور)[٧] قال النووي: وروينا في غير الصحيح نزل على

---

(١) وفي قولها: اسمع من ابن أخيك لأن والد النبي ﷺ عبد الله بن عبد المطلب وورقة، في عدد النسب إلى قصي بن كلاب الذي يجتمعان فيه سواء فقالت له: على سبيل التوقير لسنه وفيه إرشاد إلى أن صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يعرف بقدره. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٢٥، وأما قولها أي عم وهو ابن عمها حقيقة فإنه ورقة بن نوفل بن أسد، وهي خديجة بنت خويلد بن أسد، وقد سمته عما مجازاً للاحترام وهذه عادة العرب في أداب خطابهم يخاطب الصغير الكبير بياعم احتراماً له ورفعاً لمرتبته، ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٢٠٣.

(٢) أي في أيام النبوة جذعاً أي شاباً قوياً حتى أبالغ في نصرتك، ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٠٣، السيوطي، الديباج، تحقيق: أبي إسحاق الجويني الأثري، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ١/ ١٨٨.

(٣) رواه الشيخان، واللفظ لمسلم، البخاري، صحيح، ٦/ ٢٥٦١، مسلم، صحيح،١/ ١٤١، ابن حبان، صحيح، ١/ ١٨ـ ١٩. ومعنى مؤزراً: أي قوياً من الأزر وهو القوة والشدة ومنه الإزار، لأن المؤتزر يشد به وسطه، ينظر: الزمخشري، الفائق، ١/ ٣٩، ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ١٧.

(٤) لمقتضى السياق.

(٥) ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٠٣، الزمخشري، الفائق، ١/ ١٦٠، السهيلي، الروض، ١/ ٤٠٨، القاضي عياض، المعلم في شرح صحيح مسلم.

(٦) هو عبدالله بن محمد بن علي أبو إسماعيل الهروي، من ذرية صاحب النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري، كان بارعاً في اللغة، حافظاً للحديث، (ت٤٨١هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ١٨/ ٥٠٣، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٤٤.

(٧) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٠٣، المناوي، فيض القدير، ٣/ ٥١٨.

عيسى[١]. قال الكرماني[٢] في شرح البخاري:فإن قلت الأنسب أن يقول على عيسى، لأن القائل نصراني، أجاب بأنه ذكر موسى تحقيقاً للرسالة لأن نزوله على موسى متفق عليه بين اليهود والنصارى بخلاف عيسى فإن بعض اليهود ينكرون نبوة عيسى، أو لأن النصارى يتبعون أحكام التوراة ويرجعون إليها[٣].

فائدة حديثية:

هذا الحديث الذي روته عائشة عن النبي ﷺ من مراسيل الصحابة،فإن عائشة لم تدرك زمان وقوع هذه القضية، ومرسل الصحابة حجَّة عند جماهير العلماء[٤].

(١) ينظر: الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي (ت٥٣٥هـ) دلائل النبوة، تحقيق: محمد محمد الحداد، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ١/ ١٥٦ .

(٢) هو شمس الدين يوسف الكرماني، شارح البخاري، (ت٧٨٦هـ) ينظر: ابن حجر، الإصابة، ٣/ ٦١٢، حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٥٨٥، ولم أقف على الكرماني في شرحه للبخاري .

(٣) ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٢٦ .

(٤) ينظر: النووي، المجموع في شرح المهذب، دار الفكر، بيروت، (بلا . ت) ٤/ ٤٨٣ . وعند أهل العلم مرسل الصحابي في حكم الموصول لأنَّ الصحابة يروي بعضهم عن بعض أحياناً وكلهم عدول، ينظر: السيوطي، تدريب الرواة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة،١/ ٢٠٧، عجاج، أصول الحديث، ص٣٣٨ . لكن عائشة (رضي الله عنها) إذا لم تدرك زمان وقوع الحادثة ، فقد روت الحديث عمن أدرك وقوعها ولم تقل حدثني به فلان ، وهذا هو الحديث المرسل . لكن مرسل الصحابة مقبول عند العلماء . رسول الله ﷺ ويمكن أن يكون حديثها في هذا الشأن، فلا يكون هذا الحديث من المراسيل وإن لم تدرك زمان وقوع هذه القصة .

الباب الرابع

في ثناء الله تعالى عليه وعظيم شرفه لديه [/ ١٩ظ]

وفيه فصول

الفصل الأول

فيما ورد [من][١] مكانته ورفعة منزلته

اعلم أن في كتاب الله جلَّ ذكره آيات كثيرة مؤذنة بجميل ذكره وبعظيم أمره والتنويه بقدره، ذكرنا منها ما وضح معناه وطهر مغناه[٢].

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[٣]، قال المفسرون: كان مخلصاً في عبادته غير مراءٍ[٤].

وقرأ أهل الكوفة[٥] مخلصاً بفتح اللام[٦] أي أخلصناه فجعلناه مختاراً[٧]، ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ﴾ أي كلمناه ليلة الجمعة[٨] ﴿ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴾ أي كلَّمناه من غير وحي[٩]، ولذلك

---

(١) لمقتضى السياق.

(٢) أي طهارة النفس، ومنزه عن الفواحش، ينظر: ابن كثير، ١/ ٢٦١، أبو السعود، تفسير، ١/ ٢٢٢.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥١-٥٢.

(٤) القرطبي، الجامع، ١١/ ١١٤.

(٥) هم: عاصم، شعبة، حفص، حمزة، الكسائي، ينظر: فكرة علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه، القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة في هامش القرآن الكريم، إعداد الشيخ محمد كريم راجح، شيخ القراءات في الديار الشامية، ط٣، دار المهاجر، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٦٠٥.

(٦) قرأ مخلصاً بفتح اللام: عاصم، وحمزة، والكسائي، ينظر: أبو بكر، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت٣٢٤هـ)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١/ ٣٤٨، ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (لم تذكر وفاته) حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ١/ ٤٤٤.

(٧) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ١/ ٢٣٢، القرطبي، الجامع، ١١/ ١١٤.

(٨) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١١٤.

(٩) (م.ن) ١١/ ١١٤.

نصب على الحال[١]، وقيل: (أدنيناه بتقريب المنزلة حتى كلمناه)[٢] وذكر وكيع[٣] وقبيصة[٤] عن سفيان[٥] عن عطاء ابن السائب[٦] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴾ أي (أدنيناه حتى سمع صريف الأقلام)[٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾[٨] (أي أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية)[٩]، ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١٠] من تعنت فرعون. [/ ٢٠ و]، وقومه[١١]، ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُمْ ﴾[١٢] الضمير لهما مع القوم[١٣] ﴿ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴾ على فرعون[١٤] ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ (البليغ في بيانه وهو التوراة)[١٥]، ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الطريق الموصلة إلى الحق والصواب)[١٦] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾،

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١١٤، أبو السعود، تفسير، ٥/ ٢٧٠.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٣٨.

(٣) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي من بني عامر بن صعصعة يكنى أبا سفيان له كتاب السنن (ت ١٩٧هـ) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٣١٧، الداودي، طبقات المفسرين، ٢/ ٣٥٧.

(٤) هو قبيصة أبو سعيد بن ذؤيب بن عمرو بن كليب الخزاعي ﷺ (ت٨٦-٨٧هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٨٩-٩٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ١/ ٩٧.

(٥) هو سفيان الثوري بن سعيد بن مسروق، له كتاب: الجامع الكبير، يجري مجرى الحديث، المتوفى، (١٦١ هـ)، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٣١٤، الذهبي، معرفة القرّاء الكبار، ١/ ١١٣.

(٦) أبو زيد الكوفي أحد علماء التابعين (ت١٣٦هـ) الذهبي، ميزان الإعتدال, ٣/ ٧٠.

(٧) النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٣٣٧، القرطبي، الجامع، ١١/ ١١٤، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٢٥.

(٨) سورة الصافات، الآية: ١١٤.

(٩) البيضاوي، تفسير، ٥/ ٢٤، أبو السعود، تفسير، ٧/ ٢٠٢.

(١٠) سورة الصافات، الآية: ١١٥ ، إلى قوله تعالى ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾.

(١١) من استعباد فرعون بني إسرائيل، وقيل: الغرق الذي أهلك فرعون وقومه، ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/٧٩، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٥٩٤، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٤٠٨.

(١٢) سورة الصافات، الى قوله تعالى: { سلام على موسى وهارون } الآيات: ١١٦-١٢٠.

(١٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٣/ ٩٠، ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/ ٧٩.

(١٤) ينظر: الطبري ٢٣/ ٩٠، ابن الجوزي ، زاد المسير، ٧/ ٧٩.

(١٥) البيضاوي، تفسير، ٥/ ٢٤، أبو السعود، تفسير، ٧/ ٢٠٣، الآلوسي، روح المعاني، ٢٣/ ١٣٨.

(١٦) البيضاوي، تفسير، ٥/ ٢٤، أبو السعود، ٧ / ٢٠٣.

قال المفسرون: تركنا عليهما هذا الثناء الحسن[١]، وهذا مذهب أبي العباس المبرد[٢]، [أي][٣] تركنا الكلمة باقية يعني يسلّمون عليهما تسليما ويدعون لهما، وقال بعض المفسرين: سلام على موسى أي سلام له من أن يذكر بسوء[٤] وقال تعالى في حقهم: ﴿إِنَّهُمَ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا أدلّ دليل على جلال قدرهما وأصالة أمرهما[٥]، وقال تعالى: في حق موسى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾[٦] (أي كريم في قومه، وقيل كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح)[٧] وقال الفراء: (كريم على ربه إذ اختصه بالنبوة وإسماع الكلام)[٨].

(١) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٣/ ٩٠، ابن كثير، تفسير،٤/ ٢٠، أبو السعود، تفسير،٧/ ٢٠٣.

(٢) هو المبرد البصري اللغوي محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعرفة النظامية، الهند، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٥/ ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٣) لمقتضى السياق، ينظر: القرطبي، الجامع، ١٥/ ٩٠، الشوكاني، فتح القدير،٤/ ٤٠٠.

(٤) يبدو أن المؤلف رحمه الله تعالى أنه استقى مادته هذه من تفسير قوله تعالى: {سلام على نوح} سورة الصافات،الآية: ٧٩، حيث أسقط تفسيرها على قوله تعالى: {سلام على موسى وهارون- الى قوله تعالى: إنهما من عبادنا المؤمنين} سورة الصافات، الآية: ١٢٠- ١٢٢، وقد أبدل الضمير المفرد بضمير مثنى مثل يسلمون عليهما بدل من عليه ويدعون لهما... ينظر: الطبري، تفسير، ٢٣/ ٦٨، القرطبي، الجامع، ١٥/ ٩٠، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٤٠٠.

(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٣/ ٩١، أبو مسعود، تفسير، ٧/ ١٩٦.

(٦) سورة الدخان، الآية: ١٧.

(٧) ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/ ٣٤٢، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١٦/ ١٣٤.

(٨) الفراء، معاني القرآن، ٣/ ٤٠، ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/ ٣٤٢، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١٦/ ١٣٤.

[الفصل][1] الثاني

في كلامه مع ربِّه ودنوِّه وقُرْبِه

اعلم أن درجات الرسل متفاوتة ولكل منهم منزلة منهم من اختص بالخلة ومنهم من اختص بالرؤية وهو محمد (صلى الله عليه وعليهم) فقط، ومنهم من اختص بالكلام وهو محمد وموسى (عليهما السلام) قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾[2] [/ ٢٠ ظ]. قال المفسرون: هو موسى بن عمران[3].

وروى الحاكم في مستدركه من حديث إسماعيل بن زكريا[4] عن عاصم الأحول[5] عن عكرمة، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ورفعه بعضهم، وهو وهم. {إن الله اصطفى موسى بالكلام وإبراهيم بالخلَّة}[6].

وروى ابن عساكر عن محمود بن إبراهيم العبدي[7]، أخبرنا الحسن بن العباس

---

(١) لم يذكر كلمة الفصل في النص وهذا على غير عادته، لذلك أضفتها لكي يستقيم المعنى .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣ .

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٣/ ١، الواحدي، تفسير، ١/ ١٨٢، القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٦٤، السيوطي، الدر المنثور، ٢/ ٣ .

(٤) هو إسماعيل بن زكريا الخلقاني الكوفي صدوق شيعي (ت١٧٤هـ) ينظر: الذهبي، ميزان الإعتدال، ١/ ٢٢٨ .

(٥) هو عاصم بن سليمان الأحول يكنى أبا عبد الرحمن (ت١٤١هـ) ينظر: ابن خياط، الطبقات، ص٢١٨، الربعي، محمد بن عبدالله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي (ت٣٩٧هـ)، مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: د. عبدالله أحمد سليمان الحمد، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ٣٣٠.

(٦) ينظر: الضحاك، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت٢٨٧هـ) السنة لابن عاصم، تحقيق: الألباني، محمد ناصر الدين، ط١، المكتب الإسلامي،بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١/ ١٨٩، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٩٠)، السنة لعبدالله بن أحمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، ط١ / دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، ١/ ٢٩٨، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٢٢٩. عند الضحاك، وابن حنبل طرأ زيادة على الحديث: واصطفى محمد بالرؤية.

(٧) هو محمود بن إبراهيم العبدي، يكنى أبا الوفاء، ينظر: ابن حجر العسقلاني، تغليق التعليق، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، ط١، المكتب الإسلامي، دار عمار،بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٢/ ٥٦.

الفقيه[١] أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق[٢] أخبرنا أبي أخبرنا محمد بن يونس القرشي[٣]، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد[٤] حدثنا عمرو بن علي[٥] ومحمد بن بشار[٦] قالا: حدثنا معاذ بن هاشم[٧].

حدثني أبي عن قتادة، عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: {أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد} وهذا إسناد على شرط البخاري[٨].

قال الماوردي: قيل: (إن الله تعالى قسَّم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى، قرأه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين)[٩] وروى عبدالله بن الحارث[١٠] قال: اجتمع ابن عباس

---

(١) هو الحسن بن العباس بن علي بن الحسن أبو عبدالله الرستمي الفقيه الشافعي (ت٥٦٠هـ) ينظر: البغدادي، التقييد، ١/ ٢٣٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٤٩٤.

(٢) هو عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن هندة، محدث أصبهان, ثقة، (ت٤٧٥هـ) ينظر: المقدسي، محمد ابن عبد الواحد أحمد الحنبلي (ت٦٤٣هـ)، الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبدالله بن دهيس، ط١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ٥/ ٢٠٥، السيوطي، طبقات المفسرين، ص٢٧.

(٣) ينظر: الحاكم، المستدرك، ٣/ ١١١، البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ١/ ٩٦.

(٤) الحسين بن زياد أبو علي النيسابوري الحافظ القباني هو أحد أركان الحديث (ت٢٨٩هـ) ينظر: البغدادي، التقييد، ١/ ٢٤٩، الذهبي، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز مراد، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ٤١٤.

(٥) هو عمرو بن علي بن بحر يكنىً أبا حفص الصيرفي (ت. هـ) ينظر: الذهبي، طبقات المحدثين، ١/ ٩٢، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٢١٤.

(٦) هو محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان الإمام الحافظ (ت٢٥٢هـ) ينظر: الكوفي، أحمد بن عبد الله، معرفة الثقات، ٢/ ٢٣٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/ ١٤٤.

(٧) هو معاذ بن هشام بن أبي عبدالله الدستوائي من أهل البصرة (ت٢٠٠هـ)، ابن حبان، الثقات، ٩ / ١٧٦، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ١٤٢.

(٨) الحديث الذي روي على شرط البخاري لم يطابق الحديث الذي في المخطوطة إلا من رواية معاذ بن هشام إلى آخر الحديث وأسقط ما تقدم، ولم أجد رواية لابن عساكر سوى ما ذكرت، ينظر: النسائي، السنن الكبرى، ٦/ ٤٧٢، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٥٠٩، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦/ ٢١٥.

(٩) الحاكم، المستدرك، ٢/ ٦٢٩، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي يكنى أبا القاسم (ت٤١٨هـ) اعتقاد أهل السنة، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ٣/ ٥٠٠، القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٩٦. لم يذكر الماوردي في تفسيره كما هو منسوب له في الأصل، وإنما ذكر الماوردي في تفسيره لتلك الآية الكريمة: إن لها وجهين أحدهما: في الآخرة لتفاضلهم في الأعمال وتحمُّل الأثقال، والثاني: في الدنيا، بأن جعل بعضهم خليلا، وبعضهم كليما، وبعضهم ملكاً، وسخر لبعضهم الريح والشياطين، وأحيا ببعضهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، ويحتمل وجهاً ثالثاً - بالشرائع فمنهم من شرع ومنهم من لم يشرع.

(١٠) هو عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، روى عن عمر وعبدالله بن عباس =

وكعب فقال ابن عباس: أما نحن بني هاشم فنقول: إن محمداً رأى [ربَّه][١] مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، وقال إن الله قسَّم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلمه موسى مرتين[٢] (وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر[٣] أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم [/ ٢١و]، والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينيه روي عنه ذلك من طرق، وقال: إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمداً بالرؤية)[٤] وجاء تصديق هذه الأخبار التي أوردناها في التكلم من القرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٦].

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية: أن محمداً (عليه الصلاة والسلام) ذكر الأنبياء ولم يذكر موسى ولمن ذكر فضل على من لم يذكر. قالت اليهود ذكر محمد الأنبياء ولم يذكر موسى فنزلت ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (مصدر معناه التأكيد يدل على بطلان من يقول خلق لنفسه كلاماً في شجرة فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلماً) [٧] قال النحاس: (وأجمع النحويوَّن على أنك إذا أكدت الفعل

=

وغيرهم، سمع من عمر وعثمان وعلي وغيرهم، وقال عنه يحيى بن معين: ثقة (ت٧٩هـ) وقيل: (٨٤ هـ)، ينظر: الرازي، التميمي، الجرح والتعديل، ٥/ ٣٠، ابن حجر،تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ١/ ٢٩٩.

(١) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره القاضي عياض، الشفاء، ١/ ١٩٦، وابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٦٠٦.

(٢) ينظر: الصنعاني، تفسير، ٣/ ٢٥٢، القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٩٦.

(٣) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) بن نفيل، أبو عبد الرحمن (ت٧٣هـ) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ٥/ ٢، ينظر: العجلي الكوفي، أحمد بن عبدالله، معرفة الثقات، ٢/ ٤٨، ابن حبان، الثقات، ٣/ ٢٠٩.

(٤) اللفظ للقاضي عياض، الشفا، ١/ ١٩٦، ينظر: النووي، شرح مسلم، ٣/ ٥، أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره.وعند مسلم من حديث أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: نور أنى أراه، مسلم، صحيح مسلم، ١/ ١١٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٧) فموسى عليه السلام سمع الله سبحانه وتعالى متكلماً، فلا يكون المتكلم متكلماً إلا بكلام يقوم به وكذلك لا يكون حياً عالماً قادراً إلا بحياة وعلم وقدرة تقوم به ولايكون فاعلاً إلا بفعل يقوم به، ولهذا استعاذ النبي ﷺ بصفات الله تعالى وأفعاله وذاته، فقال: {اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك} وهذا مما أستدل به الأئمة أحمد ابن حنبل وغيره على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، قالوا: لأنه استعاذ به ولا يستعاذ بمخلوق، ينظر:

=

بالمصدر لم يكن مجازاً وإنه لا يجوز) [١] قال الله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾[٢] أي يا محمد، قال أهل المعاني[٣]: وهو استفهام إثبات وإيجاب معناه الذي قد أتاك، وقيل: معناه وقد أتاك حديث موسى حين قضى الأجل مع شعيب[٤]، وسنذكر القصة إن شاء الله تعالى مستوفية في الفصل السابع في نصرته على فرعون وفي غير هذا الفصل [/ ٢١ ظ]، قال المفسرون قضى موسى الأجل مع شعيب وسار بأهله وهو مقبلٍ من مدين يريد مصر لزيارة أمه ومعه أهله وغنمه فأخطأ الطريق لأنه كان رجلاً غيوراً يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة لئلا يروا زوجته فأخطأ الطريق لما سبق في علم الله تعالى وكانت ليلة مظلمة[٥]، (قال مقاتل[٦] كانت ليلة الجمعة في الشتاء)[٧] فولد له ولد في الطريق وقد حاد عنها وتفرقت ماشيته، فقدح موسى النار فلم تور المقدحة شيئاً[٨]، إذ أنس موسى، أي رأى في جانب الطور ناراً على يسار الطريق[٩] ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟

=

الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا. ت) ، ١/ ٥٨٧، ولفظ النص للقرطبي، الجامع، ٦/ ١٨، وينظر: ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوي ابن تيمية في العقيدة، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، (بلا.ت)، ٨/ ٤٨٤.

(١) قال الزجاج: إن موسى عليه السلام كلم بغير وحي وأكد ذلك بقوله تكليما، الزجاج أبو إسحاق، إبراهيم بن السَّري (ت٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٢/ ١٣٣، ولفظ النص للنحاس، إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، ط٣، مكتبة عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م، ١/ ٥٠٧، وقال ابن جني عثمان أبو الفتح: فليس من باب المجاز في الكلام بل هو حقيقة، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (بلا. ت)، ٢/ ٤٥٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٩.

(٣) أي معاني القرآن الكريم، وأهل هذه المعاني مثل: الضحاك، والفراء، والقتبي، والأخفش، والزجاج، وغيرهم، ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٥٤٧، القرطبي، الجامع، ٤/ ٩٩، الشوكاني، فتح القدير، ٥/ ٤٣٤.

(٤) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٢، الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٩٢، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٢٧١، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧١.

(٥) ينظر: الثعالبي، تفسير، ٣/ ١٥٦، الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٨٣، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ١٧١.

(٦) هو مقاتل بن حيان أبو بسطام البلخي الخراساني، روى عن الضحاك ومجاهد ووثقه أبو داود والنسائي، (ت ١٥٠هـ)، ينظر: ابن حبان، الثقات، ٧/ ٨٠٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٣٤٠.

(٧) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧١.

(٨) أخدَجت الزنَّدة لم تور ناراً، والخداج: النقصان، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خدج) ٢/ ٢٤٨.

(٩) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧١، الآلوسي روح المعاني، ٥/ ٧٢ .

﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا ﴾[١] أي بصرت[٢] ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٖ ﴾ وهي الشعلة من النار[٣] ﴿ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾ أهتدي به إلى الطريق[٤]، وفي بعض الأيات ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ ﴾[٥] وهي قطعة[٦] ﴿ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ (من البرد)[٧] (فلما توجه نحو النار فإذا النار في شجرة قيل: عناب)[٨] وقيل: عليق وقيل: سمرة وقيل: العوسج وقيل: الغرقد، ومنها كانت عصاة موسى[٩]، وفي الحديث أنه شجر اليهود، {فإذا أُنزل عيسى وقتل اليهود الذين مع الدجال لا يختفي أحد منهم بخلف شجرة إلا نطقت وقالت يا مسلم هذا يهودي ورائي تعالَ فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود فلا ينطق} أخرجه مسلم[١٠] ولما رأى موسى حسن ضوء ذلك النار وشدة خضرة [/ ٢٢ و] تلك الشجرة فلا شدة حر النار يغير حسن ضوء الشجرة ولا كثرة ماء الشجرة والخضرة يغير حسن ضوء النار، وقف متعجباً[١١].

فائدة: النار على أربعة أقسام: نار تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا، ونار تشرب ولا تأكل، قوله تعالى ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا ﴾[١٢] ونار تأكل وتشرب وهي نار الجحيم، ونار لا تأكل ولا تشرب وهي نار موسى[١٣] وقيل أيضاً: النار على أربعة أقسام (نار لها نور بلا حرقة وهي نار موسى ونار لها حرقة بلا نور وهي نار جهنم، ونار لها حرقة ونور وهي نار الدنيا، ونار لا حرقة ولا نور وهي نار الأشجار)[١٤] ولما قصد

---

(١) سورة طه، الآية: ١٠، لتتمة قوله تعالى: أو أجد على النار هدى .

(٢) ينظر: البيضاوي، تفسير، ٤/ ٤٢، القرطبي، الجامع، ١٣/ ١٥٦، ابن كثير، تفسير،٣/ ١٤٤.

(٣) ينظر: البيضاوي، تفسير، ٤/ ٤٢، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٤٤، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٥٨.

(٤) ينظر: الصنعاني، تفسير، ٣/ ١٥، الطبري، تفسير، ١٦/ ١٤٣، الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٩٢.

(٥) سورة القصص، الآية: ٢٩، الى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُون﴾.

(٦) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٦٩.

(٧) الطبري، تفسير، ٢٠/ ٧٠، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤١١.

(٨) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧١.

(٩) ينظر: الثعالبي، تفسير، ٣/ ١٧٦، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٨٢، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٥١٢.

(١٠) ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ٤/ ٢٢٣٩، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٦١٠.

(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧١، أبو السعود، تفسير، ٦/ ٧.

(١٢) سورة يس، الآية: ٨٠ .

(١٣) أبو السعود، تفسير، ٦/ ٧ .

(١٤) أبو السعود، تفسير، ٦/ ٧، المناوي، فيض القدير،٣/ ٨٠ .

موسى النار تأخرت عنه فرجع وأوجس في نفسه خيفة ثم دنت منه، وكلَّمه الله تعالى من الشجرة[١]، قال الماوردي: كانت عند الله نوراً وعند موسى ناراً[٢]، (قال المهدوي:[٣] كلم الله موسى تكليما من فوق عرشه واسمعه كلامه من الشجرة على ما شاء، ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالانتقال والزوال وشبه ذلك من صفات المخلوقين)[٤] قال أبو المعالي[٥] وأهل الحق[٦] يقولون: من كلم الله تعالى وخصه بالرتبة العليا والغاية القصوى، فيدرك كلامه القديم المقدس عن مشابهة الحروف والأصوات والعبارات والنغمات وضروب اللغات، كما أن من خصه الله تعالى منازل الكرامات وأكمل عليه نعمته ورزقه رؤيته يرى الله تعالى منزهاً عن مماثلة [/ ٢٢ ظ]، الأجسام وأحكام الحوادث، ولا مثيل له سبحانه في ذاته وصفاته وأجمعت الأمة على أن الله تعالى خص موسى (بكلامه)[٧] وغيره من المصطفين من الملائكة بكلامه[٨]، قال الأستاذ أبو إسحاق[٩]: (اتفق أهل الحق[١٠] على أن الله سبحانه وتعالى خلق في موسى عليه السلام معنى من المعاني أدرك به كلامه، كان اختصاصه في سماعه وأنه قادر على مثله في جميع خلقه) [١١] قال عبد الله بن

---

(١) ينظر: القرطبي، ١١/ ١٧٢ .

(٢) ينظر: الماوردي، تفسير،٣/ ٩.

(٣) هوأحمد بن عمار المهدوي التميمي يكنى أبا العباس (ت ٤٣٠هـ) ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١ / ٣٩٩، السيوطي، طبقات المفسرين، ١/ ٣٠، حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٤٦٢.

(٤) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٨٢.

(٥) هو عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، له كتاب البرهان في أصول الفقه وغيره (ت٤٧٨هـ)، ينظر: الشيرازي، إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق (ت٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت، (بلا.ت)، ١/ ٢٣٨، الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق: د.همام عبد الرحيم، ط١، دار الفرقان، الأردن، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١/ ١٣٧.

(٦) هم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فهم خير من سلك سبيله واقتدى به ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ١٩.

(٧) مقحمة: فالكلمة الثانية تفي بالمعنى، ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٨٢.

(٨) (م.ن) ١٣/ ٢٨٢.

(٩) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، الأصولي الشافعي الملقب ركن الدين أحد المجتهدين (ت٤١٨هـ)، ينظر: الذهبي، أعلام النبلاء، ١٧/ ٣٥٣، ابن حجر، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن صالح السديدي، ط١، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص٧٢.

(١٠) وهم الجماعة التابعون للقرآن الكريم من أهل الفقه والرأي والحديث، ينظر: ابن عبد البر، التمهيد، ٢٣/ ١٢١، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، الأحكام لابن حزم، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ٤/ ٥٨٠.

(١١) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٨٢.

سعد[١] (إن موسى فهم كلام الله القديم من أصوات مخلوقة أثبتها الله تعالى في[٢] بعض الأجسام)[٣]. قال أبو المعالي: (وهذا مردود بل يجب إختصاص موسى بإدراك كلام الله تعالى خرقاً للعادة، ولو لم نقل[٤] ذلك لم يكن لموسى اختصاص بتكليم الله إياه، والرب تعالى أسمعه كلامه العزيز، وخلق له علماً ضرورياً حتى علم أن ما[٥] سمعه كلام الله، وأن الذي كلمه وناداه هو الله ربّ العالمين)[٦]. قال القرطبي في تفسيره: (وقد ورد في الأقاصيص إن موسى قال: سمعت كلام الله عز وجل بجميع جوارحي ولم أسمعه من جهة واحدة من جهاتي)[٧] فإذا تقرر ما قلناه وتحرر ما نقلناه من كلام الله تعالى لموسى عليه السلام فما وجه الجواب؟ [/ ٢٣و] عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾[٨] أجيب أن الوحي على ثلاثة أقسام أحدها من وراء حجاب كتكليم موسى، وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء، وأكثر أحوال النبي ﷺ[٩]. ونقل القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ أنّ (سبب ذلك أنّ اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظرَ إليه إن كنت نبياً كما كلّمه موسى ونظر إليه، فإنّا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال النبيّ ﷺ: {إن موسى لن ينظر إليه}[١٠] فنزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن

---

(١) هو عبدالله بن سعد بن أبي وقاص بن كلاب، تابعي ولم يذكر له وفات، ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ٥/ ١٠٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/ ٩٢ .

(٢) (من) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٨٢.

(٣) (م.ن) ١٣/ ٢٨٢.

(٤) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٨٣ .

(٥) (أنما) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٨٢.

(٦) (م.ن) ١٣/ ٢٨٢.

(٧) القرطبي، الجامع ١٣/ ٢٨٢.

(٨) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٩) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٦/ ٣٢٧، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني، يكنىً أبا العباس (ت٧٢٨هـ) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق: د.محمد السيد الحليند، ط٢، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ٢/ ١٩٠.

(١٠) البغوي، تفسير، ٤/ ١٣٢، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١٦/ ٥٣، ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/ ٢٩٧، أبو السعود، تفسير، ٨/ ٣٧.

يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾[١]، ذكره النقاش[٢] والواحدي[٣]، والثعلبي وقوله وحياً شيئاً ينفث في قلبه فيكون إلهاماً[٤] ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ كما كلم موسى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ قال زهير بن محمد[٥] (هو جبريل فيوحي بإذنه ما يشاء. وهذا الوحي من الرسل خطاب منهم للأنبياء يسمعونه نطقاً ويرونه[٦] عياناً)[٧] قال ابن عباس: (نزل جبريل على كل نبيٍّ فلم يره منهم إلاَّ محمد وعيسى وزكريا وموسى)[٨] قال في الشفاء: (ولم يبق من تقسيم صورة الكلام إلاَّ المشافهة مع المشاهدة)[٩] وما وقع لموسى من الكلام وقع لمحمد (عليهما السلام) (وروى النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه(عليه الصلاة والسلام) في قوله تعالى: [/ ٢٣ظ] . ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[١٠]، قال: {فارقني جبريل فانقطعت الأصوات فسمعت كلام ربي وهو يقول: ليهدأ روعك يا محمد أدن، أدن}[١١]. وفي حديث الإسراء نحو منه في رواية أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس[١٢]، {فقيل: هذه سدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحدٍ خلا[١٣] على سبيلك وهي سدرة المنتهى

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١، لتتمة قوله تعالى: ﴿ أَو يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾.

(٢) هو الحافظ أبو بكر محمد بن الحسن النقاش (ت٣٥٠هـ)، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ١/ ٥٠، الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/ ١١٢.

(٣) (الواقدي) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح لأن المسألة تتعلق بالتفسير وهو من اختصاص الواحدي، وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ١٦/ ٥٣ .

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٦/ ٥٣، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٥٤٤ .

(٥) هو زهير بن محمد التميمي أبو المنذر الخراساني المروزي (ت١٦٢هـ) ينظر: أحمد بن حنبل، كتاب بحر الدم، تحقيق: د. أبو أسامة وصي الله بن محمد بن عباس، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ١/ ١٥٩، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/ ٣٠١.

(٦) (ويرونهم) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ١٦/ ٥٣.

(٧) (م.ن) ١٦/ ٥٣.

(٨) (م.ن) ١٦/ ٥٣.

(٩) القاضي عياض، الشفا،١/ ٢٠٣.

(١٠) سورة النجم، الآية: ٨.

(١١) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٠٢.

(١٢) الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي بصري، صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع، (ت ١٣٩هـ) ينظر: ابن حبان، الثقات، ٤/ ٢٢٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ١٦٩- ١٧٠، ابن حجر، تقريب التهذيب ، ١/ ٢٠٥.

(١٣) (خلَّ) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، وهي بمعنى مضى على سنتك، وهي موافقة لما ذكره الطبري، تفسير، ١٥/ ١٠ ابن كثير، تفسير ٣/ ٢٠.

يخرج من أصلها أنهار من ماءٍ غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه, وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين وأنهار من عسل مصفى، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً وأن ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور غشيتها الملائكة}[١]، قال فهو قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾[٢] فقال له ربه تبارك وتعالى: سل فقال: {إنك اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكاً عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكاً عظيما وسخرت له الأنس والجنَّ والشياطين والرياح وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلَّمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبريء الأكمه والأبرص وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل}[٣] فقال له ربه: قد أتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك للناس كافة وجعلت أمتك هم [/ ٢٤ و] الأولين وهم الآخرين وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنَّك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقاً وأخرهم بعثاً وأعطيتك الشفاعة وسبعاً من المثاني ولم أعطها نبَّياً قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحاً وخاتماً[٤] فهذا أول دليل على كلام الله تعالى لمحمد كما وقع لموسى (عليهما السلام) وإنما ذكرت ذلك لما تضمنه هذا الحديث الشريف من ذكر موسى والبشارة العظمى لهذه الأمة. ولنرجع إلى تمام قصة موسى عليه السلام قال الله تعالى: حكاية عن موسى: فلما أتاها يعني الشجرة نودي من جهتها وناحيتها ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[٥].

إن قيل كيف عرف موسى أن المنادي هو الله تعالى ؟ فالجواب أنه يجوز أن يخلق الله له علماً ضرورياً لذلك، ويجوز أن يعرفه بالمعجزة، ثم اختلفوا في ذلك المعجز، فلا حاجة بنا أن نعرف ذلك المعجز ما هو[٦] وثانيها: يروى أن موسى لما شاهد النور الساطع من

---

(١) ينظر: الطبري، تفسير، ١٥/ ١٠، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٢٠- ٢١، الهيثمي ، مجمع الزوائد، ١/ ٧١، السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٢٠٣.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٦.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ١٥ / ١٠، ابن كثير، تفسير، ٣ / ٢٠.

(٤) ينظر: الطبري، تفسير، ١٥/ ١٠، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٢٠-٢١، الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/ ٧١-٧٢ واللفظ متقارب جداً.

(٥) سورة طه، الآية: ١٢.

(٦) لم نتطرق إلى ذلك الخلاف أو نعرف ذلك المعجز، فإذا حكَمنا العقل في هذه المسألة يمكن أن نهتدي الى سواء السبيل وبالله التوفيق: الذين قالوا: إن الله تعالى لم يناد ولكن خلق نداءً في الشجرة أو غيرها، فلزم =

الشجرة وسمع تسبيح الملائكة وضع يده على عينيه ونودي يا موسى فقال لبيك أني أسمع صوتك فلا أراك فأين أنت؟ قال أنا معك وأمامك [/ ٢٤ظ] وخلفك ومحيط بك وأقرب إليك منك[١]، ثم إن إبليس أخطر نبأ له شكا وقال: ما يدريك أنك تسمع كلام الله[٢]؟ فقال موسى إني لأسمعه من فوقي ومن تحتي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي كما أسمعه من قدامي، قال موسى: فعلمت أنه ليس من كلام المخلوقين، ومعنى إطلاقه هذه الجهات إني أسمعه بجميع أجزائي وأبعاضي حتى كأن كل جارحة مني صارت أذناً[٣]، وثالثها: لعلي أسمع النداء من جماد كالحصى فيكون ذلك معجزاً. ورابعها: إنه رأى النار في الشجرة الخضراء بحيث أن تلك الخضرة ما كانت تطفىء تلك النار، وتلك النار ما كانت تضر بتلك الخضرة . وهذا لا يقدر عليه أحدٌ إلا الله، وإنما قال الله له: ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾[٤]؛ لأنهما من جلد حمار ميِّت، فلذلك أمر بخلعهما صيانة للوادي المقدس[٥]، قاله ثعلب[٦] وعكرمة وقتادة، وقال: علي والحسن وابن

=

أن تكون الشجرة هي القائلة: إني أنا الله والمنادي قال لموسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ طه: ١٤، وقال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص، ٣٠] وهذا لا يجوز أن يقوله ملك إلا إذا بلغه عن الله تعالى، ولهذا لما نادت الملائكة زكريا قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]. ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]. ولهذا يمكن أن نقول: لا يجوز قط لمخلوق أن يقول إني أنا الله رب العالمين، ولا يقول: من يدعوني أستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، فإذا كان ما خلقه الله تعالى في غيره كلاما له، وليس إلا ما خلقه لزم أن يكون إنطاقه لأعضاء الإنسان يوم القيامة كلاما له، وتسبيح الحصى كلاماً له، وتسليم الحجر على رسول الله ﷺ كلاماً له، بل يلزم أن يكون كل كلام في الوجود كلامه لأنه قد ثبت أنه خالق كل شيء. ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٥/ ٤٢٣.

(١) ينظر: أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي (ت٣٧٧هـ)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط٢، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م، ١/ ١٣٢، السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٥٥٥، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ١٦٨.

(٢) ينظر: البيضاوي، تفسير، ٤/ ٤٣، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ١٧٦ .

(٣) ينظر: السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٥٥٥، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ١٦٨.

(٤) سورة طه الآية :١٢.

(٥) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٣، المناوي، فيض القدير، ٤/ ٢٠١.

(٦) هو أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مشهور بالحفظ وله تصانيف كثيرة (ت ٢٩١هـ) ينظر ابن الخطيب،

=

جريج[١] أمر بذلك لبيان بركة الوادي وتمس قدماه تربته[٢] قال ابن جُريج: (قيل له طأ الأرض حافياً كما تدخل الكعبة حافياً)[٣] لتكون معظماً وخاضعاً عند سماع الكلام، وقيل يعبر عن الأهل بالنعل، فيه إشارة أن لا يلتفت مخاطرة للزوجة والولد، وأن لا يبقى مشغول القلب بأمرهما[٤] (قيل إن الله تعالى بسط له بساط النور والهدى ولا ينبغي أن يطأ على بساط) [/ ٢٥ و] رب العالمين بنعله وقيل يحتمل أن يكون موسى أُمر بخلع نعليه، وكان ذلك أول فرض عليه كما كان أول ما قيل لمحمد ﷺ قم الليل[٥]، ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝١ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٢ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٣ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[٦] (وفي الخبر أن موسى خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي)[٧].

وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النَّبي ﷺ قال: {لَمَّا كلَّم الله تعالى موسى كان على موسى كساء صوف وجبَّة صوف وكمَّة[٨] صوف وسراويل صوف وكان نعلاه من جلد حمار ميت}[٩] وسنذكر ما قيل في هذا الحديث والتكلُّم في إسناده في الفصل الثاني من الباب السادس.

وقوله في الآية الشريفة: ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[١٠] أي: المطهَّر والأرض المقدَّسة سمِّيت بذلك؛ لأنَّ الله أخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين[١١] وقوله طوى

=

أحمد بن حسن بن علي (ت ٨٠٩ هـ) الوفيات للقسطنطي، تحقيق: عادل نويهض، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م، ١/ ١٩٤، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٢٩٤.

(١) ينظر القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٣، المناوي، فيض القدير، ٤/ ٢٠١.

(٢) مجاهد، تفسير، ١/ ٣٩٤، الطبري، تفسير، ١٦/ ١٤٦، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٣.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٣.

(٤) ينظر: (م.ن)، الجامع، ١١، ١٧٣.

(٥) ينظر: (م.ن)، ١١/ ١٧٣.

(٦) سورة المدثر، الآية ٢-٤-٥.

(٧) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٣.

(٨) الكُمَّة بضم الكاف وتشديد الميم أو بكسر الكاف: قلنسوة صغيرة أو مدورة، المناوي، فيض القدير، ٤/ ٥٤٣.

(٩) ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت)، ٤/ ٢٢٤، المنذري، أبو محمد ، عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ)، الترغيب والترهيب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٣/ ٧٨.

(١٠) سورة طه، الآية: ١٢.

(١١) ينظر القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٥، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٥٨.

هو اسم الوادي في قول ابن عباس ومجاهد[١]، وقال الضحاك: (هو وادي عميق مستدير مثل الطوي)[٢] قال الجوهري: (وطوى اسم موضع بالشام تكسر طاؤه[٣] وتُضَمُّ، يصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم وادٍ ومكان وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة)[٤]. (وقالوا في قوله [تعالى][٥]: ﴿ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طوي مرتين أي قدس)[٦].

قال الحسن[٧] ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين[٨] ذكره المهدوي عن ابن عباس (إنه قيل له طوى لأن موسى طواه بالليل إذ مرَّ به فارتفع إلى أعلى[٩] الوادي فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه فكأنه قال إنك بالواد) [/ ٢٥ظ]. المقدس الذي طويته (طوي، طوي)[١٠] أي تجاوزته وطويته بسيرك)[١١] ثم إن الله تعالى قال لموسى: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ ﴾[١٢] أي اصطفيتك للرسالة[١٣] ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ قال ابن عطية[١٤]: وحدثني أبي قال: سمعت أبا الفضل الجوهري[١٥] يقول: لما قيل لموسى استمع لما يوحى

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٥، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٥٨.

(٢) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٥.

(٣) (طاه) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٦/ ٢٤١٦

(٤) (م.ن)، ٦/ ٢٤١٦.

(٥) لتعظيم الله عز وجل، ولمقتضى السياق .

(٦) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٥.

(٧) هو الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد سيد أهل زمانه علماً وعملاً كان من سادات التابعين وكبرائهم، (ت١١٠هـ)، ينظر: عبد الباقي بن قانع أبو الحسين (ت ٣٥١هـ)، معجم الصحابة، تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، ط١، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ٢/ ٢٧٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٦٩، الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/ ٦٥.

(٨) ينظر الطبري، تفسير، ٣/ ٣٩، القرطبي، ١١/ ١٧٥.

(٩) (أعلا) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(١٠) طوياً طوياً وهو الأصح.

(١١) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٥.

(١٢) سورة طه، الآية: ١٣. إلى قوله تعالى فاستمع لما يوحى.

(١٣) ينظر الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٩٢، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٤٤، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٥٨.

(١٤) هو غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية يكنى أبا بكر (ت٥١٨هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٩/ ٥٨٦-٥٨٧، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٤٦.

(١٥) هو أبو الفضل الجوهري الواعظ، ولم يذكر له وفاة، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٩/ ٧٦، ابن =

وقف على حجر ووضع يمينه على شماله متأدباً ووقف يستمع[١] فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾[٢]. قال الرازي: (هذه الآية تدل على أنَّ علم الأصول مقدم على علم الفروع؛ لأن التوحيد من علم الأصول والعبادة من علم الفروع، وأيضاً الفاء في قوله: فاعبدني تدل على أن عبادته إنما لزمت لألُوهيته وهذا هو تحقيق العلماء أن الله هو المتسحق للعبادة)[٣] وأمر الله تعالى لموسى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ (يحتمل وجوها أحدها: تذكرني، قال ذكري أن أُعْبَدَ ويصلى لي، الثاني: لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار فهو قول مجاهد)[٤] الثالث: (لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها)[٥] الرابع: لأن أذكرك بالمدح والثناء إنه كان مخلصاً[٦] الخامس: لتذكرني خاصة لا بسوّية[٧] ذكر غيري[٨]، (السادس: لإخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضاً آخر، السابع: لتكون لي ذاكراً غير ناسٍ فعل المخلصين)[٩] الثامن: (لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة[١٠] لقوله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[١١] التاسع: (أقم الصلاة حين تذكرها أي إنك إذا نسيت صلاة [/٢٦و] فاقضها إذا ذكرتها)[١٢] وفي السنة {من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ولا كفَّارة لها إلاَّ ذلك، ثم قرأ أقم الصلاة لذكري}[١٣].

=

قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت٨٥١هـ) طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٥/ ٢٥٤.

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٦.

(٢) سورة طه، الآية ١٤. إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾

(٣) الرازي، محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (ت٦٠٤هـ) تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط٣، دار الفكر ، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٢٢/ ١٨.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٥٣، الرازي، تفسير، ٢٢/ ١٩.

(٥) الرازي، تفسير، ٢٢/ ١٩.

(٦) ينظر: الرازي، تفسير، ٢٢/ ١٩، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٢.

(٧) (لا تشوبه) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٥٣، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٢، أبي السعود، تفسير، ٦/ ٨.

(٨) ينظر الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٥٣، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٢، أبو السعود، تفسير، ٦/ ٨.

(٩) الرازي، تفسير، ٢٢/ ١٩.

(١٠) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٥٤، الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٠، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٢.

(١١) سورة النساء ، الآية: ١٠٣.

(١٢) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٤٨، واللفظ للرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٠.

(١٣) البخاري، صحيح البخاري، ١/ ٢١٥، مسلم، صحيح مسلم، ١/ ٤٧٧، البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٢/ ٢١٨.

ولَمَّا وقع لموسى ما وقع من الكلام دخلت الهيبة والإعظام فآنسه الله تعالى[١] بقوله: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[٢]؟ قال: ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾[٣] قال بعض المفسرين: هذا الخطاب كان (وحياً لأنه قال: ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[٤]، ولا بُدَّ للنبيِّ في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسهِ، فأراه في العصا وفي نفسه لما أراه لذلك[٥] ويجوز أن يكون ما أراه في الشجرة آية كافية له في نفسه، ثم تكون العصا واليد زيادة توكيد برهاناً يلقى[٦] به قومه[٧] واختلف في ما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[٨]؟ قال الزجاج والفراء: هي اسم ناقص وصلت بيمينك أي ما التي بيمينك)[٩]؟ وها هُنا سؤالان الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾ خطاب من الله تعالى مع موسى بلا واسطة، ولم يحصل ذلك لمحمد ﷺ، فلزم أن يكون موسى أفضل من محمد ﷺ[١٠] الجواب: أنه لَمَّا خاطب موسى عليه السلام خاطب محمداً ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[١١] إلاّ أن الفرق ذكره مع موسى أفشاه إلى الخلق، والذي ذكره مع محمد ﷺ كان سراً لم يشاهده أحد من الخلق، وأجيب أيضاً إن كان موسى تكلم معه وهو [/ ٢٦ظ] مع موسى، فإن أمة محمد يخاطبون الله تعالى في كل يوم مرات على ما قال المصطفى يناجي ربَّه، فالرب يتكلم مع آحاد أمة محمد يوم القيامة بالتسليم والتكليم والتكريم[١٢]،

---

(١) ينظر النسفي، تفسير، ٣/ ٥٢، السيوطي، الدرر المنثور، ٥/ ٥٥٥، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ٢١٠.

(٢) سورة طه، الآية: ١٧.

(٣) سورة طه، الآية: ١٨.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣.

(٥) ينظر: الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤هـ)، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٢٢/ ٢٤-٢٥، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٨٦، الثعالبي، تفسير، ٣/ ٢٧.

(٦) (وبرهان فلقي) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكر القرطبي، الجامع، ١١/ ١٨٦.

(٧) (م.ن) ١١/ ١٨٦.

(٨) سورة طه، الآية: ١٧.

(٩) ينظر الفراء، معاني القرآن ، ٢/ ١٧٧، والزجاج أبو إسحاق، إبراهيم بن السرّي ، (ت ٣١١هـ) ، معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٣/ ٣٥٣-٣٥٤.

(١٠) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ٢١١.

(١١) سورة النجم، الآية: ١٠.

(١٢) ينظر : الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ٢١١-٢١٢.

دليله قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[١].

السؤال الثاني: ما فائدة السؤال في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ وهو أعلم بما في يده جملة وتفصيلاً.

الجواب: فائدته تأنيسه وتخفيف ما حصل عنده من دهشة الخطاب وهيبة الجلال وقت الكلام[٢]، كما يرى أحدنا طفلاً قد داخلته هيبة وإجلال وخوف وفي يده فاكهة وغيرها فيلاطفه ويوآنسه بقوله: ما هذا الذي في يدك؟ مع أنه عالم به.

والجواب الثاني: إنه أراد بذلك أن يقرَّ موسى ويعترف بكونها عصا[٣] ويزداد علمه بكونها عصا[٤] رسوخاً في قلبه فلا يحوم حوله شك إذا قلبها ثعباناً بقدرة الله تعالى، وأن يتقرب في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه فيتنبه على القدرة الباهرة[٥]، إن موسى عليه السلام أجاب بقوله: هي عصاي وأضافها إليه وكان من حقه أن يقول: عصا أتوكأ عليها أي أتحامل عليها في المشي والوقوف ومنه الاتكاء[٦] وأهش بها على غنمي [/ ٢٧و] أي أخبط الورق[٧] والهس بالسين المهملة الزجر[٨]، ولي فيها مآرب أخرى أي حوائج[٩]، فإن قيل: كيف زاد موسى على حرف الجواب وليس ذلك من سمة البلغاء خصوصاً في مخاطبة الملوك؟ فالجواب: قال ابن عباس (رضي الله عنهما) لما قال: هي عصاي سئل ثانياً فقال:ما تصنع بها؟ فأجاب بما في الآية[١٠]، الثاني:إنه إنما عدد فوائدها وبيّن حاجته إليها خوفاً من أن يؤمر بإلقائها كما أُمر بإلقاء النعلين[١١]، الثالث: إنه ذكر ذلك لأن لا ينسب إليه العتب في حملها[١٢] فإن قيل: قد نقل إنَّ العصا (كانت تضيء له بالليل وتدفع عنه الهوام وتثمر له إذا اشتهى الثمار)[١٣] يغرسها في الأرض من

---

(١) سورة ياسين، الآية: ٥٨.
(٢) ينظر ابن الجوزي، زاد الميسر، ٥/ ٢٧٨.
(٣) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٢٧٨.
(٤) (عصى) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.
(٥) ينظر: ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٤٥، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٤٥، أبي السعود،تفسير، ٦/ ١٠.
(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٨٦، ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٢٠٠.
(٧) ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٢٩٠.
(٨) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٢٤٩، الزبيدي، تاج العروس، ٤/ ٢٧٣.
(٩) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٥٦، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٨٧، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٤٥.
(١٠) ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ١٧٨.
(١١) ابن الجوزي، زاد المسير ٥/ ١٧٨.
(١٢) (م.ن)، ٥/ ١٧٨.
(١٣) (م.ن)، ٥/ ١٧٩.

ساعتها ويركزها فينبع الماء من ركزها وكان يستسقي بها فتطول بطول البئر وتقصر بقصره فهلاَّ عدد هذه المنافع؟ ،الجواب: إنه كره أن يشتغل عن سماع كلام الله تعالى بتفصيل منافعها ففصَّل البعض وأجمل الباقي بقوله ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ والله أعلم بما أجمله[١].

الثاني: إنه ذكر المنافع التي هي ألزم له وحاجته إليها أمس وإن كانت المنافع التي أجملها أعجب وأغرب[٢]، ويعرض بعض المفسرين إلى منافع العصا فقال الحسن البصري: (فيها ست خصال سنة الأنبياء وزينة الصلحاء وسلاح على [/ ٢٧ظ] الأعداء، وعون الضعفاء، وغم المنافقين ،وزيادة في الطاعات، ويقال: إذا كان مع المؤمن العصا يهرب منه الشيطان ويخشع منه المنافق والفاجر وتكون قبلته إذا صلَّى وقوة إذا أعيا)[٣] قلت في الصحيحين: {كان للنبيﷺ عنزة تركز فيصلي إليها}[٤] والعنزة الحربة[٥]، وكان ابن مسعود صاحب عنزة النبيﷺ[٦]. ولما وصف موسى عليه السلام منافع العصا قال الله تعالى له: ﴿ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴾[٧] فقلب الله أوصافها وأعراضها وكانت عصا ذات شعبتين فصارت الشعبتين فماً[٨] ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾[٩] أي تنتقل وتمشي وتلتقم الحجارة[١٠]، قال الرازي: وهنا فائدة جليلة وهي أن موسى (كان في رجله شيء وهو النعل وفي يده شيء وهو العصا، فالرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب، فقال أولاً: ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾[١١] إشارة إلى ترك الهرب ثم قال: ألقها وهي إشارة إلى ترك الطلب، كأنه سبحانه قال: إنك ما دمت في مقام الهرب والطلب كنت مشغولاً بنفسك وطالباً لحظك فلا تكون خالصاً بمعرفتي فكن تاركاً للهرب والطلب لتكون خالصاً لي)[١٢]

---

(١) (م.ن)، ٥/ ١٧٩.

(٢) (م.ن)، ٥/ ١٧٩.

(٣) (أعي) كذا في الأصل، وما أثبته بالألف الممدودة وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ١١/ ١٨٨.

(٤) ينظر: البخاري، صحيح، ١/ ١٨٨، مسلم، صحيح، ١/ ٣٥٩، ابن حبان، صحيح، ٦/ ١٣٨.

(٥) ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٣٠، الشوكاني، نيل الأوطار، ٢/ ٣٥٥.

(٦) فإن ابن مسعود كان صاحب سواد رسول الله ﷺ يحمل نعله وسواكه أيضاً ينظر: الصنعاني، سبل السلام، ١/ ٧٤.

(٧) سورة طه، الآية: ١٩.

(٨) ينظر: الثعالبي، تفسير، ٣/ ٢٧، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٦٢.

(٩) سورة طه، الآية: ٢٠.

(١٠) الثعالبي، تفسير، ٣/ ٢٧، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٦٢،

(١١) سورة طه، الآية: ١٢.

(١٢) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٧-٢٨، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ٢١١.

وأورد الرازي أسئلة الأول منها: (ما الحكمة في قلب العصا حية في ذلك)؟

والجواب: من وجوه أحدها أنه تعالى قلبها حية لتكون معجزة لموسى [/ ٢٨و] فعرف بها نبوة نفسه وذلك لأنه عليه السلام إلى ذلك الوقت ما سمع إلا النداء، فالنداء وإن كان مخالفاً للعادة إلا أنه لم يكن معجزاً لاحتمال أن يكون ذلك من عادات الملائكة أو الجن، فلا جرم قلب العصا حيَّة لتكون دليلاً باهراً.

الثاني: إن النداء كان إكراماً له، فقلب العصا حيَّة مزيداً في الكرامة ليكون توالي الخلع والكرامات سبباً لزوال الوحشة عن قلبه.

الثالث: إنه عرضه عليه ليشاهده أولاً فإذا شاهده عند فرعون لا يخافهُ[١]

الرابع: إنه ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾[٢] (فقيل له ألقها فلما ألقاها صارت حيَّة، فرَّ موسى منها فكأنه قيل له لم ادَّعيت أنها عصاك وأنَّ لك فيها مآربَ أخرى، فلم تفر عنها تنبيهاً على سرِّ قوله تعالى)[٣]: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٤].

السؤال الثاني: (قال ها هنا حيَّة وفي موضع آخر الثعبان والجان, والجواب: أما الحيَّة فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان ففيها تناف لأن الثعبان العظيم من الحيَّات والجان الدقيق ففيه وجهان أحدهما إنَّها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وتزايد جرمها حتى صارت ثعباناً فأُريد [/ ٢٨ظ] بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها، والثاني: إنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه)[٥] قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾[٦] .

(السؤال الثالث: كيف كان صفة الحية؟ والجواب: (كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها أربعون ذراعاً)[٧] فابتلعت كلَّ ما مرت به من الصخور والأشجار حتى سمع موسى صرير الحجر في فمها وجوفها فلما رآها موسى رأى عبرة فولَّى مدبراً[٨]

---

(١) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٨.

(٣) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٨، وينظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ٢١١.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(٥) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٨، وينظر: النسفي، تفسير، ٣/ ٥٣.

(٦) سورة النمل، الآية: ١٠.

(٧) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٨، المجلسي، بحار الأنوار، ١٣/ ٩٠.

(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ١٩/ ١٥، الفخر الرازي، ٢٢/ ٢٨، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٣.

فقال له الله تعالى: ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾[١] (وذلك أنه أوجس في نفسه خيفة ولحقه ما يلحق البشر)[٢] وروي أن موسى تناولها بكم جبته[٣]. قال الرازي: ولكنه بعيد لأنه بعد توالي الدلائل يبعد ذلك والخوف الذي وقع له كان من نفرة الطبع لأنه عليه [السلام][٤] ما شاهد مثل ذلك قط وأيضاً فهذه أشياء معلومة بدليل العقل وعند الفزع الشديد قد يذهل الإنسان عنه[٥]. قال أبو القاسم الأنصاري[٦]: (وذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدقه في النبوة لأن الساحر يعلم أن الذي أتى به عونه فلا يخاف البتة، وقيل خاف لأنه عرف ما لقي آدم منها)[٧] وقيل: قوله لا تخف لا تدل على حصول الخوف[٨] لقوله تعالى: [/ ٢٩و] ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٩] (لا يدل على وجود تلك الطاعة، لكن قوله ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾[١٠] يدل عليه، ولكن ذلك الخوف إنما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين محمد ﷺ[١١] فإن قيل متى أخذها بعد انقلابها عصا أو قبل ذلك؟ فالجواب: إنه روي أنه أدخل يده في أسنانها[١٢] فانقلبت خشباً، والقرآن يدل عليه أيضاً لقوله: ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾[١٣] وذلك يقع في الاستقبال وأيضاً فهذا أقرب إلى الكرامة لأنه كما أن انقلاب العصا حية معجزة فكذلك إدخال يده في فيها من غير ضررٍ معجزة، وانقلابها خشباً معجزة [أخرى][١٤] فيكون فيه توالي المعجزات

---

(١) سورة طه، الآية: ٢١.

(٢) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٠، ينظر: أبو السعود، تفسير، ٦/ ١٠، الآلوسي، روح المعاني، ٦/ ١٧٧.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٠. ابن كثير، البداية و النهاية، ١/ ٢٤٨.

(٤) لمقتضى السياق، ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٩.

(٥) (م. ن)، ٢٢/ ٢٩.

(٦) هو سلمان بن ناصر بن عمران أبو القاسم الأنصاري النيسابوري الفقيه الصوفي صاحب إمام الحرمين كان بارعاً في الأصول والتفسير، (ت: ٥١١هـ أو ٥١٢هـ) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢١/ ٤٧٦، السيوطي، طبقات المفسرين، ص٤١.

(٧) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٩، وينظر القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٠.

(٨) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٩، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ١٩٦.

(٩) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(١٠) سورة النمل، الآية: ١٠.

(١١) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٩.

(١٢) (لسانها) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: (م.ن)، ٢٢/ ٢٩.

(١٣) سورة طه، الآية: ٢١.

(١٤) (أخر) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

فيكون قوياً)[1] [في الدلالة][2] ثم إن الله تعالى أمر موسى بقوله: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾[3] قيل إلى جنبك لأنه مائل إلى محل الجناح وقيل إلى عندك وقال مقاتل: إلى بمعنى مع أي مع جناحك تخرج بيضاء من غير سوء من غير برص نوراً ساطعاً يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً)[4]، لنريك يا موسى ﴿ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ أي العظمى، وإنما قال الكبرى ولم يقل الكبيرة لوفاق رؤوس)[5] الآي، وقيل فيه إضمار معناه لنريك من آياتنا الآية الكبرى[6] وسنذكر الآيات [/ ٢٩ظ]، مستوفات في الباب الثامن ، في معجزاته ونذكر تمام قصة رسالته إلى فرعون وما أتفق له من نصرته عليه بعون الله وقوته، وقد اختصرنا ما وقع لموسى من الكلام في هذا الباب وسنوضحه مستوفاً في مناجاته مما صح نقله أو حسن والله الموفق لذلك.

(١) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٢٩.

(٢) لمقتضى السياق، ينظر: (م.ن)، ٢٢/ ٢٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٢٢، إلى قوله تعالى: ﴿من آياتنا الكبرى﴾.

(٤) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩١.

(٥) روس، كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: (م.ن)، ١١/ ١٩١.

(٦) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ٢١٥، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩١، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٦٢.

الفصل الثالث

مما وصف به

من الكرامة والإخلاص والإصطفاء[1] والاستقامة

وعظيم المنزلة يوم القيامة

قد قدمنا طرفاً يسيراً من هذا المعنى، ولنذكر الآن ما نطقت به الآيات الشريفة والأخبار المنيفة في ذلك.

أما وصفه بالكرامة:

فقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾[2]، قال المفسرون: (كريم على الله تعالى)[3] (وقيل كريم في قومه)[4] (وقيل : كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح)[5] وقال الفراء: كريم على ربه إذ اختصه بالنبوة وإسماع الكلام[6] قال الزمخشري: (لم يبعث الله نبياً إلا من أشراف[7] قومه وكرامهم)[8].

وأما الإخلاص:

فقال الله تعالى في حقه: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ﴾[9] أي موحداً أخلص عبادته عن الشرك والرياء وأسلم وجهه لله تعالى وأخلص نفسه عمَّا

---

(١) (والإصطفى) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٢) سورة الدخان، الآية: ١٧.

(٣) الواحدي، تفسير، ٢/ ٩٨٣، البغوي، تفسير، ٤/ ١٥١، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٦٥٧.

(٤) القرطبي، الجامع، ١٦/ ١٣٤، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٥٧٤.

(٥) القرطبي، الجامع، ١٦/ ١٣٤.

(٦) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٣/ ٤٠، القرطبي، الجامع، ١٦/ ١٣٤، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٥٧٤.

(٧) عند الزمخشري (سراة)، الكشاف، ٤/ ٢٦٧.

(٨) (م.ن)، ٤/ ٢٦٧.

(٩) سورة مريم، الآية: ٥١.

سواه[١]، وقرأ الكوفيون مخلصاً بفتح اللام[٢] على أن الله تعالى أخلصه فجعله مختاراً[٣].

وأما الاصطفاء وعظيم المنزلة يوم القيامة: فقال الله تعالى في حقه وحق غيره من جميع الأنبياء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤] [/ ٣٠ و] وآل عمران هم موسى وهارون في قول جمع من المفسرين[٥]، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى ﴾[٦] وقُرئ برسالتي، ويقدم لنا معنى (الاصطفاء أنه الاجتباء والتفضيل)[٧] وجاء في السنة الشريفة من الطرق المنيفة من رواية أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً ﷺ [على العالمين][٨] في قسم يقسم به، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم فقال: {لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من [يفيق][٩]، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق أو كان ممن استثنى الله} أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود[١٠]، وفي بعض الروايات بينما يهودي واسمه فنحاص[١١] (يعرض سلعته أعطي بها شيئاً

(١) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ٩٤، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٢٣٩، ابن منظور، لسان العرب، ٧ / ٢٦، البيضاوي، ٤/ ٢٠.

(٢) اختلفوا في فتح اللام وكسرها، فقرأ ابن كثير وأبو عمر وابن عامر ونافع بكسر اللام , وقرأ الباقون من القراء السبعة عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام، والباقون من القراء العشرة المتواترة أيضاً، خلف، وأبو جعفر، ويعقوب بفتح اللام.

(٣) ينظر: البغدادي أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي (ت ٣٢٤هـ)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ٣٤٨، فكرة علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه، القراءات العشر المتواترة، ص ٣٠٨. أما الكوفيون فقد تقدم ذكرهم، ورقة [٢٠و].

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٥) ينظر: البغوي، تفسير، ١/ ٢٩٤، البيضاوي، تفسير، ٢/ ٢٩.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤، سبق ذكر قراءتها بالتوحيد والجمع، ص ٥٨.

(٧) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٠.

(٨) هذه الزيادة في الحديث الصحيح وغير موجودة بمتن الكتاب، ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٢٦٤، البخاري، صحيح، ٢/ ٨٤٩، مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٤.

(٩) (صعق فأفاق) كذا في الأصل، وما أثبته موجود في الحديث الصحيح، ينظر البخاري، صحيح ٢/ ٨٤٩، مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٤، أبو داود، السنن، ٤/ ٢١٧.

(١٠) البخاري، صحيح، ٢/ ٨٤٩، مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٤، أبي داود، السنن، ٤/ ٢١٧.

(١١) في نص الصحيحين (زفر) البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٥، مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٣، وعند ابن حجر =

كرهه فقال لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي بين أظهرنا، فذهب إليه فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمةً وعهداً فما بال فلان لطمني؟ فقال: {لِمَ لطمتَ وجهه}؟ [/ ٣٠ ظ] فذكره فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه ثم قال: {لا تفضلوا بين الأنبياء فإنه ينُفخ في الصور فيصعق من في السماوات و من في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أوّل من بعث، فإذا موسى آخذٌ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقة يوم الطور أم بعث قبلي ولا أقول أنّ أحداً أفضل من يونس بن متّى} أخرجه البخاري ومسلم)[١] قلت والرجل الذي من الأنصار هو أبو بكر[٢] من طريق عمروبن دينار[٣]، وقيل: إن اللاطم رجل من الأنصار لم يسم[٤]، وأخرج البخاري طرف هذا الحديث وقال فيه: {إني لأوّل من يرفع رأسه بعد النفخ فإذا متعلق بالعرش موسى}[٥].

وأخرج أبو داود نحو الرواية الأولى ولم يذكر السبب[٦]، وأخرج الترمذي نحو الثانية ولم يذكر عرض السلعة[٧]، وأخرج الشيخان من حديث أبي سعيد[٨] قال: (جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لُطم وجهُهُ فقال: يا محمد إن رجلاً من الأنصار من أصحابك لطم وجهي فقال: {ادعوه} فدعوه فقال: {لم[٩] لطمت وجهه}؟ قال: يا رسول الله إني مررت باليهودي فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر فقلت: وعلى محمد فأخذتني غضبة فلطمت وجهه، فقال: {لا تخيّروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون [/ ٣١ و] أوّل من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش

=

في ذكره لفنحاص مع أبي بكر الصديق ﷺ في لطمه إياه قصة أخرى، ينظر: فتح الباري، ٦/ ٤٤٣.

(١) البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٥٤، مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٣.

(٢) هو أبو بكر الصديق ﷺ أما المراد بالأنصار المعنى الأعم، فإن أبا بكر الصديق ﷺ من أنصار رسول الله ﷺ قطعاً. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤٤.

(٣) هو عمرو بن دينار المكي تابعي ثقة عالم وفقيه (ت ١٢٥ هـ) ينظر: الذهبي، طبقات المحدثين، ١/ ٤٨، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٥٠.

(٤) ينظر ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤٣.

(٥) البخاري، صحيح، ٤/ ١٨١٣، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧ هـ) مسند أبي يعلى، تحقيق:حسين سليم أسد ط١ دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١١/ ٥٢٠.

(٦) ينظر: أبو داود، السنن، ٤/ ٢١٧. النسائي، السنن الكبرى، ٤/ ٤١٨.

(٧) ينظر: الترمذي، السنن، ٥/ ٣٣٧.

(٨) هو أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الشجرة (ت ٦٤هـ) ينظر: ابن حبان، الثقات، ٣/ ١٥٠.

(٩) (لما) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور}[١] وفي رواية الشيخين والنسائي:{فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، وذكر نحوه}[٢]، قال العلماء ﷺ وقد تضمنت هذه الأحاديث الشريفة جملاً من فضائل موسى عليه السلام وما أعطيه من عظم الكرامة يوم القيامة، وظاهرها يقتضي تفضيل موسى على محمد ﷺ والآيات الشريفة والآيات المنيفة مؤذنة بأن محمداً ﷺ أفضل البشر، وقد قال فيما صح من الخبر:{أنا سيد ولد آدم ولا فخر} والجواب ما قاله القاضي وغيره: (إن في هذه الأحاديث تأويلات أحدها إنَّ نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف، وأن من فضّل بلا علم فقد كذب)[٣].

الثاني: (إنه قال ذلك على سبيل التواضع ونفي الكبر والعُجب قال القاضي عياض: وهذا لا يسلم من الاعتراض)[٤].

الثالث: يجوز أن لا تفضلوا في العمل ولا في البلوى[٥] والامتحان[٦] واختاره المهلب[٧].

الرابع: إنما نهى عن الخصوص في قوله: {لا تفضلوني على موسى أو يونس} على اختلاف الروايات ذريعة إلى أن ترى منهم ما لا ينبغي أن يذكر ويقلّ احترامهم [ثم][٨] المماراة.

الخامس: منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حدٍّ واحدٍ إذ هم شيء واحد لا تتفاضل وإنما التفاضل في [/ ٣١ ظ] زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخر زيادة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم أولو العزم من الرسل ومنهم من رُفع مكاناً عليّاً ومنهم من أوتي الحكم صبيّا وأُوتي بعضهم الزُّبُر وبعضهم البيِّنات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات[٩]، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ

---

(١) البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٠٠، وينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٣.

(٢) البخاري، صحيح، ٢/ ٨٥٠، وينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٣، النسائي، السنن الكبرى، ٤/ ٤١٨.

(٣) القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢٢٦.

(٤) (م.ن)، ١/ ٢٦٦

(٥) (البلوا) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٦٢.

(٧) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي يكنى أبا سعيد (ت ٨١- ٨٢هـ) ينظر ابن خياط، الطبقات، ص٢٠١، الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، ١/ ٢٠٣.

(٨) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٦٢.

(٩) ينظر: القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٦٢، السيوطي، الديباج، تحقيق: أبو إسحاق الجويني، الأثري، دار ابن =

ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾[٢].

قال القرطبي في تفسيره: (وهذا قول حسن جامع بين الآية والأحاديث من غير نسخ والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل وأعطي من الرسائل)[٣]، وقد أشار ابن عباس إلى هذا فقال: (إن الله فضّل محمداً على الأنبياء، فقالوا: يا ابن عباس بما فضّله على الأنبياء)[٤] ؟ قال: قوله تعالى: ﴿ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾[٥] وقال عزَّ من قائل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾[٦] (فأُرسل إلى الجنِّ والإنس)[٧]. رواه الدارمي في مسنده، وقال أبو هريرة: {خير بني آدم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وهم أولوا العزم من الرُّسل}[٨]، وذكر القاضي عيَّاض وجهاً آخر غير الوجوه المتقدِّمة، (وهو أن [/ ٣٢و] يكون أنا راجع إلى القائل نفسه: أي لا يظنُّ أحد وإن بلغ من الذَّكاء والعصمة والطَّهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله تعالى عنه، فإن درجة النُّبوة أعلى وأفضل وإن تلك الأقدار لم تحط عنها حبَّة خردل ولا أدنى)[٩] وقوله في الحديث: {إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطُّور}[١٠] قال العلماء ﷺ: في تفسير قوله: ﴿ يَوۡمَ

=

عفان، الخبر، السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ٥/ ٣٥٩.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٣) القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٦٣.

(٤) ينظر: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد (ت ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١/ ٣٨، البيهقي، شعب الأيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ١٧٣.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٦) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٧) الدارمي، السنن، ١/ ٣٨، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٣٨١.

(٨) ينظر: الحاكم، المستدرك، ٢/ ٥٩٥، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٢/ ٢٧١، القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٦٣، المناوي فيض القدير، ٣/ ٤٦٤.

(٩) القاضي عياض، الشفاء، ١/ ٢٢٨.

(١٠) سبق تخريجه، ورقة [/ ٣١ظ] .

يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ ﴾[١] وفي الأخرى ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٢] اختُلف في المستثنى من هو فقيل الملائكة[٣] وقيل الأنبياء[٤].

وقال الكلبي[٥]: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت[٦] وقيل الحور العين[٧] وقيل حملة العرش[٨] وقيل موسى[٩] وقيل الشهداء[١٠] وقيل غير ذلك[١١]، وزيف الحليمي[١٢] الأقوال كلها[١٣]، قال القشيري: (ومن حمل الاستثناء على موسى والشهداء فهؤلاء قد ماتوا غير أنهم أحياء عند الله تعالى فيجوز أن تكون الصعقة بزوال العقل دون زوال الحياة، ويجوز أن تكون بالموت ولا يبعد أن يكون الموت والحياة فكل ذلك مما يجوزه العقل، والأمر في وقوعه موقوف على خبر صدق)[١٤].

قال القرطبي: وظاهر الحديث في قوله ﷺ: فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى عليه السلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور إن هذه صعقة غشي لا صعقة الموت[١٥] [/ ٣٢ ظ] الحادثة عند نفخ الصور، ومعنى الحديث: أن

---

(١) سورة النمل، جزء من الآية: ٨٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٣)ينظر: النسفي، تفسير، ٣/ ٢٢٤.

(٤) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ١٥٥.

(٥) هو محمد أبو النضر بن السائب الكلبي له كتاب في التفسير (ت ١٤٦هـ)، ينظر: ابن خياط، الطبقات.

(٦) ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١ هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وعبد الباسط إبراهيم، وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ١١/ ٢٥٠.

(٧) ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ١٩٥، أبي حيان، تفسير البحر المحيط، ٧/ ٩٣.

(٨) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٣٧٣، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٢٧٩.

(٩) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٣٧٤، أبي حيان ، تفسير البحر المحيط، ٧/ ٩٣.

(١٠) أولئك الشهداء وهم أحياء فوقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم منه ينظر: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، (ت ٢٣٨هـ)، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، ط١، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ١/ ٨٦، الطبراني، الأحاديث الطوال، تحقيق: مصطفى عبد القادر، عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٩٥.

(١١) وقيل غير ذلك من الجن والإنس والشياطين من هول ما يعانون من ذلك اليوم، ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ١٩.

(١٢) هو الحسين بن الحسن الجرجاني الشافعي، يكنى أبا عبد الله، له كتاب منهاج الدين، (ت ٤٠٣هـ)، ينظر: السيوطي، طبقات الحفاظ ١/ ٤٠٨، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/ ١٨٧١.

(١٣) قال الحليمي: يحتمل أن يكون معناه كل شيء هالك إلا وجهه، ينظر: الذهبي، شعب الإيمان،١/ ٣١١.

(١٤) القرطبي، الجامع، ١٥/ ٢٨١.

(١٥) ينظر القرطبي، الجامع، ١٥/ ٢٨١، ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، تحيق:
=

الصور وهو البوق إذا نفخ فيه أخرى[١] كنت أوّل من يرفع رأسه فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أبعثه الله قبلي تفضلاً كما فُضل في الدنيا بالتكليم أو كان جزاءً له بصعقة الطور أي قد بعثه الله على بعثة الأنبياء الآخرين بقدر صعقته عندما تجلّى ربه للجبل إلى أن أفاق لتكون هذه جزاءً له[٢] وما عداها ولا يثبت.

وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان هذا في الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى)[٣] مع أنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: {إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء}[٤] وصح أنه عليه السلام اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء وخصوصاً بموسى فإذا تقرر أنهم أحياء[٥] فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السماوات و من في الأرض إلا من شاء الله، فأما صعق غير الأنبياء فموت وأما صعقة الأنبياء فالأظهر إنه غشية فإذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات

=

عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، (بلا.ت)،١٦ / ٣٦، الزرعي أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب (ت ٧٥١هـ)، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ١/ ٣٥.

قول القرطبي: إنما الإفاقة تكون عن غشية و زوال عقل لا عن موت أما الزرعي فيعتبر صعق الأنبياء أنه غشية وصعق غير الأنبياء فموت، فمن مات حيي ومن غشي عليه أفاق .

بينما ابن تيمية رحمه الله تعالى قال: إن النبي ﷺ لم يجزم بكل من استثناه الله تعالى فقد توقف في موسى عليه السلام هل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله تعالى أم لا إذ الأرجح أن يكون الاستثناء في الشهداء حيث وصفهم الله تعالى: ﴿ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

(١) (أخرا) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٢) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٥٤، البيهقي، شعب الإيمان، ١/ ٣١٠-٣١١، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤٥ .

(٣) الزرعي، الروح، ١/ ٣٦.

(٤) ينظر: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد، (ت ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد دمرلي، خالد السبع، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١/ ٤٤٥، ابن ماجة، السنن، ١/ ٥٢٤، البيهقي، الاعتقاد، تحقيق: أحمد عصام الكاتب،ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ١/ ٣٠٥.

(٥) ينظر: النووي، شرح على صحيح مسلم، ١٦/ ٢٠٠، ابن كثير، الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، محي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دار القلم، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ١/ ٢٣٩-٢٤٠، الحلبي، السيرة النبوية، ٢/ ٨٢.

حيي ومن غشي[١] عليه أفاق ولذلك قال: {فأكون أول من يفيق} [٢] أي من الأنبياء إلا موسى وهي فضيلة لموسى عليه السلام [/ ٣٣ و] ولا يلزم من ذلك فضله على محمد ﷺ[٣] قال القرطبي: وما ذكره شيخنا هو الذي ذكره الحليمي واختاره.

قال القرطبي في المفهم[٤] : أصل الصعق والصعقة الصوت الشديد لصوت الرعد وقد يكون معه موت لشدته[٥]، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٦] وقد يكون معه غشية وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[٧] وإن كان معه نار فهو الصاعقة. انتهى.

وقوله في الحديث: {فأكون أوَّلُ من يبعث} أي يحيى بعد موته فهو الذي عبَّر عنه في الراوية الأخرى فأفيق وإن كان المعروف من الإفاقة إنما هي الغشية والبعث من الموت لكنهما لتقارب معناهما أطلق أحدهما على الآخر ويحتمل الإفاقة بالبعث[٨].

وقوله فإذا موسى متعلق بالعرش[٩] هذا من موسى، فزع لهول المطلع وكأنه متحرم بذلك الحرم الشريف فتمسك بالحبل المنيف وعطايا اللطيف قال القاضي: يحتمل أن يكون المراد بهذه الصعقة صعقة فزع بعد النشر حين تنشق السموات والأرض[١٠] ورده القرطبي بمساق الحديث[١١]، وجاء ذكر موسى عليه السلام في الحديث ولفظه ما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة وأنس وغيرهما، قال كنا مع رسول الله ﷺ وقد أُتي يوماً بلحم

---

(١) أغشي عليه أي أغمي عليه حتى يظن أنه مات، ينظر: ابن منظور، مادة (غشي) ١٥/ ١٣٤.

(٢) البخاري ، صحيح ، ٢/ ٨٤٩ ، مسلم ، صحيح ، ٤/ ١٨٤٤ .

(٣) فضيلة واحدة لا تلزم أفضليته على نبينا محمد ﷺ مطلقاً لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمراً كلياً، ينظر: الزرعي، الروح، ١/ ٣٦.

(٤) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي المالكي، أبو العباس محدث وفقيه (ت٦٥٦هـ) من تصانيفه: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، مختصر الصحيحين. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ٢/ ٢٧.

(٥) ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ١٥٢، القرطبي، الجامع، ١/ ٢١٩، ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ١٩٨، ولم أقف على المفهم.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٨) ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤٥، أبو الطيب، محمد شمس الحق العظيم أبادي، لم يذكر له وفاة، عون المعبود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١٢/ ٢٧٨.

(٩) ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٨١٣، أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ١١/ ٥٢٠، المناوي، فيض القدير، ٣/ ٤١.

(١٠) ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ٣١، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤٤-٤٤٥.

(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٥/ ٢٨١.

فَرُفع إليه الذراع وكانت تُعْجبُهُ فنهش منها نهشة[١] وقال: {أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الأوّلين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ فيُسمِعُهُمْ الداعي ويَنفُذُهُم البصر[٢] وتدنو الشمس [/ ٣٣ظ] ،فبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك إشفع لنا إلى ربِّك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدمُ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثلَهُ ولن يغضب بعده مِثلَهُ وإنه نهاني عن الشجرة فعَصيْتُهُ نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون يا نوحُ أنت أوَّلُ الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربِّك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بَلَغنا فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبيُّ الله وخليلهُ من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته[٣] نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى [/ ٣٤ و] فيقولون يا موسى أنت رسول الله وكليمه فضّلك الله برسالته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أؤمر[٤] بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم

---

(١) فنهس منها نهسة، ينظر البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٤٥، مسلم، صحيح، ١/ ١٨٤. أما فنهش منها نهشة ذكرها الأصبهاني، أبي نعيم. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ١/ ٢٦٨.

(٢) الصبر، ينظر: الأصبهاني، المسند المستخرج، ١/ ٢٦٨.

(٣) ذكر ابن حبان قوله: في الكواكب هذا ربي، وقوله: لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا، وقوله: إني سقيم. ينظر: صحيح ابن حبان، ١٤/ ٣٨٢.

(٤) (أمر) كذا في الأصل وما أثبته موافق لما ذكره أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني، (ت ٣١٦هـ)، مسند أبي عوانة، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ١/ ١٤٨، الأصبهاني، مسند المستخرج، ١/ ٢٦٩.

يذكر له ذنباً نفسي نفسي اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا، فأنطلِقُ فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامِدَه وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ثم قال: يا مُحمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفعُ رأسي فأقول يا ربِّ أمتي أمتي أمتي أمتي[١] فيقال: يا محمد أدخل الجنَّة من أمتك من لا حساب[٢] عليه من الباب الأيمن[٣] من أبواب الجنَّة وهم [/ ٣٤ظ] شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده [إن ما][٤] بين المصراعين من مصاريع الجنَّة لكما بين مكة وهجر[٥] وكما بين مكة وبصرى}[٦] هذا اللفظ الذي ذكرناه لمسلم من طريق أبي هريرة ورواه من غير هذا الطريق أيضاً بألفاظ مختلفة[٧]، ورواه البخاري أيضاً بألفاظ مختلفة [٨] وهذا الحديث الشريف تضمن جملاً من فضائل أنبياء الله تعالى المذكورين وأعظمهم فضلاً سيد البشر محمدﷺ قال العلماء ﷺ: الحكمة إن كل واحدٍ من الأنبياء يقول لست لها أو لست هناكم تواضعاً وإكباراً لما يسألونه[٩]، قال القاضي عياض: (وقد تكون إشارة من كل واحدٍ منهم إلى هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره، وكل واحدٍ منهم يدل على الآخر

---

(١) ذكرها الشيخان مرتين فقط، البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٤٥، مسلم، صحيح، ١/ ١٨٥، وذكرها الأصبهاني، ثلاث مرات مكررة، يا رب أمتي أمتي يا رب أمتي أمتي يا رب أمتي أمتي، المسند المستخرج، ١/ ٢٦٩.

(٢) وردت في معظم المصادر: لا نجاسة. ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٤٦، مسلم، صحيح، ١/ ١٨٥، الترمذي، السنن، ٤/ ٦٢٢، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ٣٨٣، وقد ذكرها القاضي عياض: من لا حساب عليه، ينظر: الشفاء، ١/ ٢٢١، ابن القيم الجوزية، حاشية ابن القيم، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١٣/ ٥٤.

(٣) ينظر: ابو عوانة، المسند، ١/ ١٤٨.

(٤) (إنما) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: ما رواه الشيخان، البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٤٦، مسلم، صحيح، ١/ ١٨٥، أبي عوانة، المسند، ١/ ١٤٨.

(٥) هجر: بفتح أوله وثانيه مدينة البحرين معروفة وهي معرفة لا تدخلها الألف واللام. ينظر: البكر الأندلسي، معجم ما استعجم، ٤/ ١٣٤٦، ياقوت، معجم البلدان، ١/ ٣٤٧.

(٦) رواه الشيخان واللفظ لمسلم، ذكر البخاري في روايته حمير بدل هجر، صحيح، ٤/ ١٧٤٥-١٧٤٦، مسلم، صحيح، ١/ ١٨٤-١٨٥، والترمذي، السنن، ٤/ ٦٢٢، أبي عوانة، مسند أبي عوانة، ١/ ١٤٧-١٤٩، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ٣٨١-٣٨٣. وبصرى، من أرض الشام، ينظر: الحاكم، المستدرك، ٢/ ٦٥٦.

(٧) ينظر: مسلم، صحيح، ١/ ١٨٠.

(٨) ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٦٢٤، ٥/ ٤٤٠١، ٦/ ٢٦٩٦.

(٩) ينظر: النووي، شرح مسلم، ٣/ ٥٦.

حتى انتهى الأمر إلى صاحبه قال: ويحتمل إنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ مَّعيّناً وتكون [إحالة] [١] كل واحدٍ منهم على الآخر على تدريج الشفاعة في ذلك إلى نبَّينا[٢]، قال: وفيه تقديم ذوي الأسنان والآباء على الأبناء في الأمور التي لها بال، قال: وأما مبادرة النبي ﷺ لذلك وإجابته لرغبتهم[٣] (فلتحققه أن هذه الكرامة والمقام له خاصة)[٤] والحكمة في أن الله تعالى ألهمهم سؤال [/ ٣٥ و] آدم ومن بعده في الابتداء ولم يلهموا سؤال محمد هي إظهار فضيلة له، فإنهم لو سألوه ابتداءَ لكان محتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله وأمَّا إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظيم الإدلال والإنس وفيه تفضيله ﷺ على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة، فإن هذا الأمر العظيم وهي الشفاعة العظمى لا يقدر على الإقدام عليه غيره ﷺ أجمعين[٥]. وأما ذكر الأنبياء ذنوبهم في الموقف فسنذكر بعضه في الفصل الرابع في عصمته، والجواب عن ذنب موسى وقد جاء ذكر موسى في أمر الرسل حين يُدعون إلى ربهم تبارك وتعالى ويسألهم عن تبليغ الرسالة، ويدعي كل رسول, وأن موسى ينادى فيأتي وكأنه ورقة في يوم ريح قد اصفرَّ لونه فيقول الله تعالى له: يا ابن عمران جبريل يزعم أنه بلَّغك الرسالة والتوراة أفتشهد له بالبلاغ ؟ فيقول نعم، فيقال له: إرجع إلى منبرك واقرأ التوراة فيرجع ويشرع في قراءة التوراة ذكر ذلك الغزالي [٦] فأي شرف يفضل هذه الرتبة السنيَّة والمنزلة العليَّة من أن موسى يقرأ كتاب الله تعالى في الملأ الأعظم .

(١) (إحال) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح ويستقيم به المعنى .

(٢) في تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود، عن أبي هريرة ﷺ سئل عنها رسول الله ﷺ يعني قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾، ٣/ ٥٦.

فقال: {هي الشفاعة}، فكل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى نبينا محمد ﷺ ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١/ ٢١٦ـ٢١٧.

(٣) لدعوتهم، النووي، شرح مسلم، ٣/ ٥٦ .

(٤) (م.ن) ٣/ ٥٦ .

(٥) ينظر: النووي، شرح مسلم، ٣/ ٥٦ .

وقد تضمن هذا الحديث أيضاً خمسة أنواع من الشفاعة أحدها: الشفاعة العامة التي يرغب فيها الناس إلى الأنبياء، نبياً بعد نبي، النوع الثاني: فتح الجنة لأهلها، النوع الثالث: الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة، النوع الرابع: في إخراج قوم من أهل التوحيد من النار، النوع الخامس في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار . ينظر: ابن القيم الجوزية، حاشية، ١٣/ ٥٤ .

(٦) لم أقف عليه عند الغزالي.

الباب الخامس

في سيادته وما أعطيه من عزيز نعمته من العلم والحلم وفيه فصل يتعلق بفضله

[/ ٣٥ظ] اعلم أن كل نبيٍّ أوتي من العلم والحلم[١] والحكمة ما لا يحصره عد ويشهد لذلك الكتب المنزلة، وقد أنزل الله على كليمه التوراة والصحف وقد قال تعالى في حق موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[٣] وهو التوراة[٤] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[٥] وقال تعالى:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٦] وقال تعالى:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٧] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾[٨] وأخبر عن موسى بقوله: ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٩] وقال تعالى في حقه:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[١٠] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[١١] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾[١٢] وقال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا

---

(١) (والحكم) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٨٧.

(٤) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٤٠٢، البغوي، تفسير، ٢/ ٤٠٣، القرطبي، تفسير، ٢/ ٢٣، البيضاوي، تفسير،١/ ٣٥٧.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٤.

(٦) سورة الأنبياء، الآية:٤٨.

(٧) سورة المؤمنون،الآية: ٤٩.

(٨) سورة الفرقان، الآية: ٣٥.

(٩) سورة الشعراء، الآية: ٢١.

(١٠) سورة القصص، الآية: ١٤.

(١١) سورة السجدة، الآية: ٢٣.

(١٢) سورة غافر، الآية: ٥٣.

وَرَحْمَةً﴾[١] وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[٣] فهذه الآيات الشريفة دالة على رسوخه في العلم لما منحه من فهم كلام الله القديم، ولـمَّا علم موسى وتحقق ما عنده من غزارة [/ ٣٦و] العلم، قام خطيباً في بني إسرائيل، كما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أُبي بن كعب[٤] إنه سمع رسول الله ﷺ يقول:{إنّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم قال أنا فعاتبه الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين[٥] هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً معك فتجعله في مكتلك فحيث فقدت الحوت فهو ثمَّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل[٦]، ثم انطلق فانطلق معه فتاه يوشع بن نون[٧] حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما[٨] فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾[٩] وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق[١٠]، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى: ﴿لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[١١] قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به، فقال له فتاه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا

---

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٦ـ٣٧.

(٣) سورة الأعلى،الآية: ١٨ - ١٩.

(٤) هـو أبـي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية، شهد بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار، سيد القـراء، قـيل: توفي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وقيل: في خلافة عثمان بن عفان ﷺ ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٣/ ٤٩٨، ابن خياط، الطبقات، ١/ ٨٨، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ٦٥.

(٥) أي ملـتقاهما، ينظـر: ابـن مـنظور، لسـان العرب، ٨/ ٥٣، أما مكانهما فهو مختلف فيه قيل: بحر فارس والروم، وقيل بحر الاردن والقلزم.... ينظر ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٤٠٨.

(٦) هو الزنبيل، من كتلة إذا جمعه، ينظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ١/ ٤٣٩.

(٧) يوشـع بـن نـون مـن سـلالة يوسـف بن يعقوب أوصاه موسى ﷺ أن يكون خليفته على بني إسرائيل، ينظر: أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: د.وصي الله محمد عباس، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٢/ ٦١٥، اليعقوبـي، تـاريخ اليعقوبـي، ١/ ٤٦، المسـعودي، التنبيـه والإشـراف، (بلا.ت) ص١٧٠ ومعنى فتاه، صاحبه، ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٣٨.

(٨) (روسهما) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٩) سورة الكهف، الآية ٦١.

(١٠) أي صار مثل الكوة لا يلتئم عليه الماء، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٣١٠.

(١١) سورة الكهف، الآية: ٦٢.

إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[١] قال وكان للحوت سرباً[٢] [/ ٣٦ ظ]، ولموسى وفتاه عجبا[٣]، فقال موسى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[٤] قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجىً ثوباً فسلم عليه موسى، فقال له الخضر[٥]: وإنَّ بأرضك السلام من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾[٦] يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لأتعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى ﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نوْل[٧] فلما ركبا لم يبرحا[٨] إلاَّ والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نَوْل عمدت إلى سفينتهم ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ۝٧١ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾[٩] قال رسول الله ﷺ: وكانت[١٠] الأولى من موسى نسياناً

---

(١) سور الكهف، الآية: ٦٣.

(٢) أي مسلكاً ومذهباً يسرب فيه، يذهب فيه ويسلكه، الطبري، تفسير، ١٥/ ٢٧٣، ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٤١٢.

(٣) أي عجب موسى وفتاه من تسرب الحوت مملح في مكتل، ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٤١٦.

(٤) سورة الكهف،الآية: ٦٤.

(٥) واسمه: تاليا بن ملكان بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، الجزائري، قصص الأنبياء، ص٣٣٢. أما تسميته بالخضر لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: { إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء }، البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٤٨، الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٣١٣، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ١٠٨، وذكر الخليل الفراهيدي، أن الخضر نبي معمَّر، محجوب عن الأبصار، وهو نبي من بني إسرائيل، وهو صاحب موسى عليه السلام الذي التقى معه بمجمع البحرين، كتاب العين، ٤/ ١٧٥.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٦٧.

(٧) بفتح النون وإسكان الواو، أي بغير أجر، والنول والنوال، العطاء، ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٣٨، ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٣١٨.

(٨) (يربحا) كذا في الأصل،وما أثبته صحيح.

(٩) سورة الكهف، الآية: ٧١ـ٧٣.

(١٠) (كان) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

والوسطى شرطاً والثالثة عمداً، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة [/ ٣٧و] فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلاّ مثل ما نقص هذا من هذا البحر[١] ثم خرجا من السفينة، فبينما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾[٢]، قال: وهذه أشدّ من الأولى، ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾[٣] أي يميل، فقام الخضر فأقامه، فقال موسى: قوماً أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[٤] فقال رسول الله ﷺ: {وددنا أن موسى كان صبر حتى قصَّ علينا من خبرهما} وهذا الحديث هو لفظ البخاري[٥]، قال سعيد بن جبير: وفي رواية أخرى عن ابن عباس عن أبيٍّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: {إن موسى عليه السلام ذكر الناس يوماً حتى أفاضت العيون ورقّت القلوب فأدركه رجل [/ ٣٧ ظ]، فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك فقال: لا فعاتبه الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله تعالى، فأوحى الله إليه أن آتِ عبداً لي، قال: إي ربّ وأين ذلك قال: بمجمع البحرين فتعلم منه فإنه أعلم منك؟ فقال موسى يا رب فكيف أصل إليه وما علامتي في ذلك قال: (خذ نوناً ميتاً)[٦] فإنه حيث ينفخ فيه الروح}[٧]. وفي رواية: قيل له تزود حوتاً مالحاً فإنه حيث تفقد الحوت، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل[٨]. قال القرطبي: وفي قوله في الحديث هو أعلم منك أي بأحكام ووقائع

---

(١) ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٣، الطبري، تفسير، ١٥/ ٢٧٩، النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٧٠، ابن كثير، قصص الأنبياء، ٢/ ١٤٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٤-٧٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٧٦-٧٧.

(٤) سورة الكهف،الآية: ٧٧- ٧٨.

(٥) ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٢-١٧٥٣،مسلم، صحيح،٤/ ١٨٤٧-١٨٤٩، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ١٠٥-١٠٧.

(٦) أي حوتاً، ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٤٣٠.

(٧) ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٤-١٧٥٥.

(٨) رواه الشيخان، واللفظ للبخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٥، صحيح مسلم،٤/ ١٨٥٠.

مفصَّلة وحكم نوازل معينة، لا مطلقاً، بدليل قول الخضر لموسى: إنك على علم علمك الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علمنيه وعلى هذا ينصرف كل واحدٍ منهما أنه أعلم من الآخر بالنسبة إلى ما يعلمه كل واحدٍ منهما ولا يعلمه الآخر[١]، قال القرطبي: ولما سمع موسى هذا تشوقت نفسه الفاضلة، وهمته العالية لتحصيل علم ما لم يعلم وللقاء من قيل فيه: إنه منك أعلم، فعزم فسأل سؤال الدَّليل بكيف السبيل فأمر بالارتحال على كل حال، وقيل له: احمل معك حوتاً مالحاً في مكتل وهو الزنبيل، فحيث يحيا وتفقده فثمَّ السبيل فانطلق مع فتاه وأتاه مجتهداً طلبا[٢] قائلاً: ﴿ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾[٣] [/ ٣٨و]، وقول الخضر لموسى ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، قال العلماء إنَّ إلاَّ هذه بمعنى ولا، أي ما نقص علمي وعلمك من علم الله ولا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر على قلته، أي إنَّ علم الله تعالى لا يدخله نقص[٤]، وقال القاضي عياض هذا التأويل لا يحتاج إليه إذ معناه صحيح وإنَّما القصد بالحديث التمثيل لعدم النقص إذ ما نقصه العصفور من البحر لا يظهر له أثر فكأنه لم ينقص منه شيء[٥]، فكذلك هذا من علم الله أو يكون راجعاً إلى المعلومات لا إلى العلم إنما علمت وأنت من جمع معلومات الله التي لم يطَّلع عليها في التقدير والتمثيل إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، وذكر النَّقص ها هنا مجاز على كلٍّ وجه، ومحال في علم الله تعالى ومعلوماته في حقه، وإنما يتعذر ذلك في حقنا، ويدلُّ على هذه الرواية الصحيحة ما في البخاري: ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله تعالى إلاَّ مقدار ماغمس هذا العصفور منقاره انتهى[٦].

(ومجمع البحرين ملتقاهما)[٧]وقد اختلف في البحر، فقيل: هو بحر فارس والروم[٨]

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع،١١/ ١٠.

(٢) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٠.

(٤) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٤٧، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٨-١٩، النووي، شرح صحيح مسلم، ١٥/ ١٤١-١٤٢، السيوطي، الديباج، ٥/ ٣٧١.

(٥) (شيئاً) كذا في الأصل، وما أثبه صحيح.

(٦) ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٧، النسائي، السنن الكبرى، ٦/ ٣٩٠.

(٧) ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ١٦٤، القرطبي، الجامع، ١١/ ٩، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٢٩٨.

(٨) بحر فارس هو شعبة من بحر الهند الأعظم وهو فوه دجلة التي تصب فيه وأول سواحله من جهة البصرة وعبادان وتمتد سواحله نحو الجنوب حتى تصل الى حضرموت إلى عدن على ساحله الشرقي بلاد فارس، وعلى ساحله الغربي بلاد العرب، وطوله من الشمال الى الجنوب، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١/ ٣٤٢-٣٤٤.

وقال ابن عطية[١] فهو ذراع يخرج من البحر المحيط[٢] من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أذربيجان[٣] بالمركز الذي لاجتماع البحرين على هذا القول[٤]، وقيل: هما [/ ٣٨ ظ] بحر الأردن وبحر القلزم[٥]، وقيل: مجمع البحرين عند طنجة[٦]، وقيل بأفريقية[٧] وقيل: هو الكَرّ والرَّس بأرمينية[٨]، وقيل بحر الأندلس[٩] من البحر المحيط حكاه النقاش[١٠] وهو مّما يذكر كثيراً، وقيل: إنما هو موسى والخضر وهو ضعيف[١١] والحقب ثمانون سنة، وقيل: سبعون خريفاً، وقيل: زمان[١٢] والسرب المسلك[١٣]،

---

(١) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الغرناطي الأندلسي كان فقيهاً وعارفاً بالأحكام والحديث والتفسير (ت٥١٨هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٩/ ٥٨٦-٥٨٧، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٤٦٠.

(٢) بحر المحيط يطلق على المحيط الهندي، ينظر: هاري وهازارد، أطلس التاريخ الإسلامي، (بلا.ت) ص١١.

(٣) أذربيجان في الإقليم الخامس ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم وهو إقليم واسع ومن أشهر مدائنها تبريز، يغلب عليها الجبال ومياهها غزيرة، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١/ ١٢٨.

(٤) ينظر:ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٣١٠.

(٥) هو شعبة من بحر الهند وفي أقصاه مدينة القلزم قرب مصر وبذلك سمي بحر القلزم، على ساحله الجنوبي بلاد البربر والحبش، وعلى ساحله الشرقي تقع بلاد العرب، وعلى يمينه عدن ثم المندب، وهو مضيق في جبل، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١/ ٣٤٤.

(٦) طنجة وهي مدينة في الإقليم الرابع تقع على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء، وطنجة مدينة أزلية آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة، وهي آخر حدود إفريقية، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٤٢.

(٧) هي إحدى القارات السبع يحدها من الغرب المحيط الأطلسي، ومن الشمال بحر المتوسط، ومن الشرق البحر الأحمر والمحيط الهندي، ينظر: عزاوي عبد المرشد، وآخرون، أطلس الوطن العربي، الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١٨٨.

(٨) هما نهران عظيمان ينبعان من جبال القوقاز في أرمينية ويصبان في بحر قزوين، ينظر: ياقوت، معجم البلدان،١/ ٣٤٢، هاري وهازارد، أطلس، ص٩.

(٩) بحر الأندلس، وبحر المغرب، وبحر الإسكندرية، وبحر الشام، وبحر القسطنطينية، وبحر الإفرنج، وبحر الروم جميعه واحد، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١/ ٣٤٥.

(١٠) هو أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري من أهل الموصل كان أحد القراء بمدينة السلام وله كتاب التفسير الكبير (ت٣٥١هـ) ينظر ابن النديم، الفهرست، ١/ ٥٠، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/ ١٨٣٠.

(١١) ينظر: الرازي، تفسير، ٢١/ ١٤٦-١٤٧.

(١٢) ينظر: ابن حيان، البحر المحيط، ٦/ ١٤٤، والسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق وتعليق: الشيخ على محمد عوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٦/ ٢٤.

(١٣) القرطبي، ١١/ ١٢.

وجمهور المفسرين: (أن الحوت بقي موضع سلوكه فارغاً وأن موسى مشى عليه متبعاً للحوت حتى أفضى به الطريق إلى جزيرة في البحر، وفيها وجد الخضر، وظاهر الروايات والكتاب أنه إنما وجد الخضر في[ضفة][1] البحر)[2]، قوله تعالى: ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾.

قال المفسرون: (إنما كان النسيان من الفتى وحده فقيل: المعنى نسي أن يعلم موسى بما رأى من حاله فنسب النسيان اليهما للصحبة)[3] وفي البخاري فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك، قال: ما كلِّفتَ كثيراً)[4] وعن سعيد[5] قال: فبينما هو في ظل صخرة اضطرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه: لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره بسرب الحوت حتى دخل البحر فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان أثره في حجر[6]، (فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى: ﴿ لِفَتَىٰهُ[7] ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾[8] (ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به)[9] قال له فتاه: ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۚ ﴾[10] قال ابن عطية قال: إني سمعت أبا الفضل الجوهري يقول: (في وعظه مشى موسى إلى المناجات فبقي أربعين يوماً ولم يحتج إلى طعام ولمَّا مشى إلى بَشر لحقه الجوع في بعض يوم. وقوله:﴿نصبا﴾ أي تعباً، وقيل: (عنى به الجوع)[11].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ (يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى أن اتخذ الحوت سبيله عجباً للناس، ويحتمل أن يكون قوله: اتخذ سبيله في البحر تمام الخبر، ثم استأنف التَّعجب فقال: من قبل نفسه: عجباً لهذا الأمر، وموضع التَّعجب

---

(١) لمقتضى السياق، وموافق(م.ن)،١١/ ١٢.
(٢) (م.ن)،١١/ ١٢.
(٣) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٢.
(٤) البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٥.
(٥) هو سعيد بن جبير، ينظر: (م.ن) ،٤/ ١٧٥٥.
(٦) ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٥، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٣.
(٧) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٣.
(٨) سورة الكهف، الآية: ٦٢.
(٩) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٣.
(١٠) سورة الكهف، الآية: ٦٣ حتى قوله تعالى: ﴿في البحر عجبا﴾.
(١١) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٤، الآلوسي، روح المعاني، ١٥/ ٣١٦.

أن يكـون حوت قد مات فأكل شقه الأيسر ثم حَيي بعد ذلك)[١] قال أبو شجاع[٢] رأيته أتـيت بـه فإذا شقة حوت وعين واحدة، وشق آخر ليس فيه شيء[٣]، قال أبو عطية: وأنا رأيته والشقّ [الذي][٤] ليس عليه شيء عليه قشرة رقيقة تشف تحته شوكة [٥].

وفي الـبخاري عن ابن عباس: أن الحوت إنما حَيي لأنه مسَّه ماء عين هناك تدعى عين الحـياة، مـا مست قط شيئاً إلا حيي[٦]. وقوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾[٧] (هو الخضر في قول الجمهور)[٨] سمي بذلك (لأنه كان [/ ٣٩ظ] إذا صلّى اخضرَّ ما حوله)[٩] وروى الترمـذي عـن أبـي هريـرة: أن رسول الله ﷺ قال: {إنما سمِّي الخضر لأنه جلس علـى فـروة[١٠] بيضـاء فأهتزت تحته خضراء} هذا حديث صحيح[١١]. والفروة هنا وجه الأرض[١٢]. والخضـر، ذكر الماوردي في تفسيره: ثلاثة أقوال أحدها أنه نبي وهو المرجح، والثانـي: أنـه ولي، والثالث أنه ملك من الملائكة[١٣]. قال الثعلبي: الخضر نبيّ معمَّر على جمـيع الأقوال محجوب عن أبصار أكثر الناس[١٤]، فقال النووي: (جمهور العلماء على أنه حـي موجـود بـين أظهـرنا)[١٥] وإلـيه يرشـد قـول ابن الصلاح[١٦] (وشذ بإنكاره بعض

---

(١) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٤.

(٢) هو سعيد بن يزيد الحميري أبو شجاع، وكان من العلماء المفتين وثقه أحمد بن حنبل وجماعة (ت ١٥٤ هـ)، ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ١٨٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٤١١.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ١٥/ ٢٧٤، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٤.

(٤) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره (م.ن)، ١١/ ١٤.

(٥) (م.ن) ١١/ ١٤. كيف يكون لأبي شجاع، وأبي عطية رؤية حوت من زمن موسى (عليه السلام) وقد مضى عليه عدة قرون، فهل هو محنط كالفراعنة؟ أو هو من سلالته، وليس من ثمة دليل على أنه حوت موسى عليه السلام.

(٦) ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٦، الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٣٠٩.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٨) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٦، البيضاوي، تفسير، ٣/ ٥١٠، أبو السعود، تفسير، ٥/ ٢٣٤.

(٩) البغوي، تفسير، ٣/ ١٧٢، اللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ١٦، السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٤٢٠.

(١٠) هي الأرض اليابسة، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣/ ٤٤١، وعند ابن منظور الهشيم اليابس من النبات شبهه بالفروة، لسان العرب، ١٥/ ١٥٢.

(١١) ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٣١٣.

(١٢) ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣/ ٤٤١.

(١٣) ينظر: الماوردي،تفسير، ٢/ ٤٩٥، النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٣٦.

(١٤) الثعلبي،تفسير، ١١/ ٤٣.

(١٥) الـنووي، شـرح الـنووي على صحيح مسلم،١٥/ ١٣٥، السيوطي، وعبد الغني، وآخرون، شرح سنن ابن ماجة، دار النشر، قديمي كتب خانة، كراتشي، (بلا.ت)، ١/ ٢٩٢.

(١٦) هـو عـثمان ابـن المفـتي صـلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري يكنى أبا =

المحدثين)[١] .(وفي التفسير عن أبي العالية[٢] لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى، وكان عبداً لا تراه الأعين إلاّ من أراد الله أن يريه ولو رأوه القوم لمنعوه من خرق السفينة)[٣]، وقيل: (خرج أهل السفينة إلى جزيرة وتخلف الخضر فخرق السفينة .قال ابن عباس: لمّا خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه: ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني إسرائيل أتلو كتاب الله [عليهم][٤] غدوة وعشيّة فيطيعوني! قال له الخضر: يا موسى أتريد أن أخبرك بما حدّثت به نفسك؟. [/ ٤٠و] قال: نعم قال: كذا وكذا قال: صدقت)[٥] وقد تقدم لنا أن الخضر لما رأى الغلام أخذ برأسه فاقتلعه[٦]، وفي التفسير (أن الخضر مرَّ بغلمان يلعبون فأخذ بيد غلام ليس فيهم أضوأ منه، وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله)[٧] وفي بعض التفاسير أنهَّ اضجعه ثم ذبحه بالسكين[٨]: قال سعيد[٩]: وكان الغلام كافراً[١٠] وظاهر هذه الأحوال الثلاث المباينه، وأجاب القرطبي: (بأنه يحتمل أن يكون دمغه أولاً ثم اضجعه فذبحه ثم أقتلع رأسه والله أعلم بما كان من ذلك وحسبك بما في الصحيح) واختلف في الغلام هل كان بالغاً أم لا ؟، فقال الكلبي: (كان بالغاً فقطع الطريق بين قريتين)[١١]، وقال الجمهور: لم يكن بالغاً، ولذلك[١٢] (قال موسى زاكية لم تذنب[١٣] وكأن الخضر قتله لما عَلِم مِن

=

عمرو الموصلي الشافعي صاحب علوم الحديث، وكان مفسراً وفقيهاً (ت٦٤٣هـ)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ١٤٠-١٤٣، السيوطي، طبقات المحدثين، ١/ ٥٠٣.

(١) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٣٥، السيوطي وآخرون، شرح سنن ابن ماجة، ١/ ٢٩٢.

(٢) هو رفيع بن مهران الإمام المقرىء الحافظ المفسر أبوالعالية الرياحي البصري، كان مولى لامرأة بني رياح أسلم في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ وحفظ القرآن وقرأه على أبيُ بن كعب (ت٩٠هـ) وقيل: (٩٣هـ). ينظر: ابن حبان، الثقات، ٤/ ٢٣٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٢٠٧.

(٣) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩، ينظر: السيوطي، الدر المنثور، ٤/ ٢٣٦، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٠٥.

(٤) لمقتضى السياق، ينظر: القرطبي، ١١/ ١٩.

(٥) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٢٩، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩.

(٦) ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٩، الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٣٠٩.

(٧) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠.

(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ١٥/ ٢٨٦، النسفي، تفسير، ٣/ ٢٢، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٩٥.

(٩) هو سعيد بن جبير، ينظر: الطبري، تفسير، ٣/ ٩٥.

(١٠) البخاري، صحيح البخاري الجزء الخاص في التفسير، ٤/ ١٧٥٣.

(١١) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١.

(١٢) (وكذلك) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، وموافق لما ذكر (م.ن) ١١/ ٢١.

(١٣) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١، النووي، شرح النووي، ١٥/ ١٤٠، الهائم المصري، التبيان، ١/ ٢٧٧.

سِرِّهِ وأنه طبع كافراً كما في الصحيح، وإنه لو أدرك[١] أبويه لأرهقهما كفراً[٢] وقتل الصغير غير مستحيل إذا أذن الله تعالى في ذلك، فإنّه الفعال لما يريد[٣]، وفي العرائس أنّ موسى لمّا قال للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾[٤]، (غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر وحسر اللحم عنه، فإذا في عظم كتفه كافر لا يؤمن بالله أبداً)[٥] (وفي الخبر: إن هذا الغلام كان يفسد في الأرض ويقسم لأبويه أنه ما فعل فيقسمان على [/ ٤٠ظ] قسمه ويحميانه ممن طلبه، وقوله بغير نفس يقتضي أنه لو كان عن[٦] قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل على كبر الغلام، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، وإنما جاز قتله لأنه كان بالغاً عاصياً)[٧] وإلى هذا ذهب ابن جبير لقراءة أبيّ[٨] وابن عباس، (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين والكفر والإيمان من صفات المكلفين)[٩] واسم الغلام شمعون في قول الكلبي، قال الضحاك: حشود[١٠]، واسم أبيه سلاس[١١] واسم أمه رحمى[١٢]، وقيل: اسم أبيه بري[١٣] واسم أمه سهوا[١٤] حكاه السهيلي.

واختلف العلماء في القرية التي استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فقيل أيلة[١٥]،

---

(١) (أرهق) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، وموافق لما ذكره مسلم في صحيحه، ٤/ ٢٠٥٠.

(٢) ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ٢٠٥٠، أبو داود، السنن، ٤/ ٢٢٧.

(٣) ينظر:القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١.

(٤) سورة الكهف،الآية: ٧٤.

(٥) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٢٩.

(٦) (على) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع،١١/ ٢٢.

(٧) (م.ن)، ١١/ ٢٢.

(٨) أبي بن كعب، ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٢٩.

(٩) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢.

(١٠) في القرطبي: حيسون، الجامع، ١١/ ٢١.

(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١، وذكر ابن حجر: ان اسم أبيه ملاس، فتح الباري، ٨/ ٤٢١.

(١٢) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١، ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٣٢٠.

(١٣) ذكر القرطبي ان اسم أبيه: كازير، الجامع، ١١/ ٢١، وقال ابن حجر اسمه: كاردي، فتح الباري، ٨/ ٤٢١.

(١٤) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١، ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٣٢٠، ولم أقف على السهيلي.

(١٥) في قول قتادة، وهي مدينة على ساحل بحر القلزم (بحر الأحمر) وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير، وقد عاهدوا رسول الله ﷺ فقدم يوحنة بن رؤية على النبي ﷺ من أيلة وهو في تبوك فصالحه على الجزية، وقرر على كل حالم بأرضه في السنة دينارا فبلغ ذلك ثلاثمئة دينار، ياقوت، معجم البلدان، ١/ ٢٩٢.

وقيل: أبخل [قرية][١] وقيل أنطاكية[٢]، وقيل: جزيرة الأندلس[٣]، وقيل: الجزيرة الخضراء[٤]، وقيل: برقة[٥]، وقيل: ناصرة[٦]، وهذا كله بحسب الخلاف في أي ناحية من الأرض والله أعلم بحقيقة ذلك، إن قيل: كيف طلب موسى القوت في هذه القصة ولم يطلبه حين سقى لبنت شعيب مع أنه هناك أحوج؟ أجيب أنه في حديث مَدين كان منفرداً وهنا متّبعاً لغيره، وقيل إنما طلبه مراعاة لصاحبه يوشع، وقيل لما كان سفر تأديب وكّل إلى تكلف المشقة، وكان ذلك في سفر هجرة فوكّل إلى العون والنصر والقوة[٧] وإنما سأل موسى والخضر الضيافة لأنها كانت واجبة عليهم باعتبار [/ ٤١و] الأليق بحال الأنبياء[٨].

وقوله: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾[٩] محمول على ما فسره في الحديث، بقوله: مائل[١٠]،وهذا من باب المجاز[١١]، إذ قوله ينقض؛ أي قرب أن يسقط[١٢]، وقوله: فأقامه، قيل: هدمه ثم قعد يبنيه[١٣]، فقال موسى للخضر: ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾، (لأنه فعل ما يستحق عليه أجرا، وفي بعض الأخبار إن سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعاً بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض خمس مئة ذراع

---

(١) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٤.

(٢) هي مدينة من الثغور الشامية معروفة وهي اليوم جزء من تركيا، ينظر: البكري، الأندلسي عبد الله بن عبد العزيز يكنى أبا عبد الله (ت٤٨٧هـ)، معجم ماستعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١/ ٢٠٠، ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٤٩٩.

(٣) تقع على طرف البحر المحيط يخرج منه الخليج الذي يتصل بالروم والشام، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١/ ٢٨٢

(٤) تقع في جزيرة الأندلس، ينظر: (م.ن)، ٣/ ١٤٤.

(٥) بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية واسم مدينتها انطابلس، ينظر: (م.ن)، ١/ ٣٨٨.

(٦) قيل: هي مدينة تقع في الخليل، وقيل: هي قرية بالشام ينسب إليها النصارة،ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٢٥١، الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٢٧٦، ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٢١٢.

(٧) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٤.

(٨) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ١٧٥، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٥، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ٥-٦.

(٩) سورة الكهف، الآية ٧٧. حتى قوله تعالى: ﴿ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾.

(١٠) ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٩، الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٣٠٩.

(١١) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٧٢.

(١٢) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٢/ ١٥٦، النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٧٢.

(١٣) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٧٢، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٧.

وعرضه خمسون ذراعاً، فأقامه الخضر، أي سوَّاه بيده فاستقام)[١] وقوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[٢] أي أخبرك لم فعلت ما فعلت، وتأويل الشيء مآله. ونقل في تفسير هذه الآية التي وقعت لموسى مع الخضر (إنها حجَّة على موسى وعجباً له، وذلك لَمَّا أنكر خرق السفينة نودي: يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحاً في اليمِّ ! فلمَّا أنكر أمر الغلام قيل له: أين إنكارك هذا من وكزك للقبطي وقضائك عليه! فلما أنكر إقامة الجدار نودي: أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب دون أجر!)[٣] وقد قص الله تعالى في كتابه خبر الخضر وخرقه للسفينة فقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾[٤] قال كعب وغيره: كانت لعشرة إخوة من المساكين ورثوها عن أبيهم خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر[٥]، وقيل: (كانوا سبعة [/ ٤١ظ] بكل واحدٍ منهم زمانة ليست بالآخر، وقد ذكر النقاش أسماءهم. فأما العمال منهم: فأحدهم كان مجذوماً، والثاني أعورا، والثالث أعرجا، والرابع آدر[٦] والخامس محموماً لا ينقطع عنه الحمىَّ الدهر كله [وهو أصغرهم][٧] والخمسة الذين لا يطيقون العمل: أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي يعملون فيه بين فارس [إلى بحر][٨] الروم ذكره الثعلبي)[٩] قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[١٠] اختلف في اسم الملك فقيل هو: هدَد بن بدد[١١]، قال البخاري: هو جيسور[١٢]، وفي

---

(١) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٧-٢٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٨.

(٣) القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٥) اللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٣٤، وينظر: النسفي، تفسير، ٣/ ٢٣، أبي السعود، تفسير، ٥/ ٢٣٧.

(٦) نفخة في الخصية، ينظر:الخليل، كتاب العين، ٨/ ٦٥، الجوهري، الصحاح، ٢/ ٥٧٧.

(٧) (وأما أصغارهم وهم) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، وموافق لما ذكره الثعلبي، ص٢٣٠.

(٨) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٣٠.

(٩) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٣٠، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٤.

(١٠) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(١١) يزعمون قول سعيد بن جبير أنه هدد بن بدد، ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٥، وعن شعيب الجبائي أيضاً: هدد ابن بدد، ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ٢، وقيل: اسمه متولة بن الجلندي بن سعيد الأزدي، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٤٢٠.

(١٢) والغلام المقتول اسمه يزعمون جيسور، ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٥، أحمد بن حنبل، مسند أحمد،٥/ ١٢٠

[رواية ثالثة حيسون][١] (وكان يأخذ كل سفينة جيِّدة غصبا فلذلك عابها الخضر وخرقها.

ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها و[جواز][٢] إصلاح المال بفساد بعضه)[٣]. وفي صحيح مسلم الحكمة بخرق السفينة، وذلك قوله: فإذا جاء الذي يسخرها وجدها منخرقة [فتجاوزها][٤]، فأصلحها بخشبة[٥]، قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾[٦].

قال بعض المفسرين: كان خلفهم وكان رجوعهم، ووراء أصلها بمعنى خلف، لكن الأكثر على أن [معنى][٧] وراء هنا أمام يعضده قراءة ابن عباس، وابن جبير، وكان أمامهم ملك يأخذ كلَّ سفينة صحيحة غصبا[٨]، (قال بن عطية: وراءهم هو عندي على بابه، وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعىً بها الزمان، وذلك أن الحدث[٩] [/ ٤٢ و]. المقدم الموجود هو الأمام، والذي يأتي بعد هو الوراء، وهو ما خلف وذلك بخلاف ما يظهر ببادىء الرأي، وتأمل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطَّرد .فهذه الآية معناها: إن هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي بعده في الزمان، غصب هذا الملك ومن قرأ أمامهم أراد في المكان، أي كأنهم يسيرون إلى بلدة) [١٠].

قال الهروي[١١]: قال بن عرفة[١٢]: لقائل أن يقول:كيف قال من وراءه وهي أمامه ؟

---

(١) في النص: ثالثة حسنون، وما أثبتناه هو الصحيح، ينظر: العبارة نصاً في القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٦.
(٢) لمقتضى لسياق، ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٦.
(٣) (م.ن)، ١١/ ٣٦.
(٤) (فتجاوزوها) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكره مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٥١.
(٥) مسلم،صحيح، ٤/ ١٨٥١، النسائي، السنن الكبرى، ٦/ ٣٨٨.
(٦) سورة الكهف،الآية: ٧٩.
(٧) لمقتضى السياق ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٤.
(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١، النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٧٦، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٤.
(٩) (الحادث) كذا في الأصل وما أثبته صحيح، ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٥.
(١٠) القرطبي، الجامع،١١/ ٣٥.
(١١) هو أحمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي المؤدب الهروي الفاشاني. أبو عبيدة صاحب كتاب الغريبين كان من العلماء الكبار (ت٤٠١هـ) ينظر: السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي يكنى أبا نصر، (ت٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د.عبد الفتاح محمد الحلو، د.محمود محمد الطناحي، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٣/ ٦٤، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ٢/ ١٧٥ السيوطي، طبقات المفسرين ،١/ ٩٥.
(١٢) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة يكنى أبا عبدالله الواسطي الملقب نغطويه النحوي العالم الفاضل، صنف =

فزعم قطرب[١]: وأبو عبيدة: أن هذا من الأضداد، وإنما يصلح هذا في الأماكن والأوقات كقول الرجل إذا وعد وعداً في رجب لرمضان[٢] ثم قال: من ورائك شعبان لجاز وإن كان أمامه لأنه يخلفه إلى وقت وعده [٣]. وأشار إلى هذا القشيري قوله في الآية: ﴿فَخَشِينَآ﴾[٤] (قيل: هو من كلام الخضر، وهو الذي يشهد له مساق الكلام وهو قول كثير من المفسرين)[٥] أي خفنا أن يرهقهما طغياناً وكفرا، وكان الله تعالى قد أباح له الاجتهاد في قتل النفوس على هذه الجهة[٦] وقيل:فهو من كلام الله، وعنه عبَّر الخضر[٧] قال ابن عباس والطبري: معناه فعلمنا[٨]، وقوله: يرهقهما يجشمهما ويكلفهما، والمعنى أن يلقيهما حبَّه في اتباعه فيضلاً ويتدَّينا بدينه، فأردنا: أن يبدلهما أي يرزقهما ربهما ولداً خيراً منه زكاة أي ديناً وصلاحاً وأقرب رحما[٩] [٤٢ظ] (أي رحمة)[١٠] وعن ابن ‘جريح: أنهما ‘بدَّلا جارية[١١]، (قال الكلبي: فتزوجها نبيٌّ من الأنبياء فولدت له نبيّاً فهدى الله

=

التفسير، واشتهر اسمه بتفسير ابن عرفة (ت٣٢٣هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٣٣٤، السيوطي، طبقات المفسرين، ١/ ٦٣-٦٤.

(١) هو محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري مولى سالم بن زياد المعروف بقطرب، وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل فبقي عليه هذا اللقب. وقطرب اسم دويبة لا تزال تدب ولا تفتر بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء وبعدها باء موحدة، وله من التصانيف كتاب معاني القرآن، وكتاب الأضداد وغيره (ت٢٠٦) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٣١٢، السيوطي، طبقات المفسرين، ١/ ٢٨.

(٢) (أو رمضان) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٥.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٥.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٠.

(٥) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٧٨، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ١٧٩، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٣٦، الشوكاني، فتح القدير ٣/ ٣٠٤.

(٦) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢١/ ١٦٢، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٦.

(٧) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٧٨، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ١٧٩.

(٨) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٢/ ١٥٧، الطبري، تفسير، ١٦/ ٩٠، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٣١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٦.

(٩) ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٥٥، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ١٢٠، الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٦٩، السيوطي، الدرالمنثور، ٥/ ٤١٢.

(١٠) المصري، التبيان، ٥/ ٢٣٨، أبو السعود، تفسير، ٥/ ٢٣٨، الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ١١.

(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٧، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٩٩، الثعالبي، تفسير، ٢/ ٣٩٢.

على يديه أمة من الأمم)[١] قيل: إن الجارية ولدت سبعين [٢] نبياً[٣] واستبعده القرطبي. ويستفاد من هذه الآية: تهوين المصائب بفقد الأولاد وإن كانوا قطعاً من الأكباد. ومن سلَّم للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء. قال قتادة: لقد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فالواجب على كلّ امرئ الرضا بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير في قضائهِ له فيما يحب[٤].

قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ﴾[٥] صغيرين أي يتيمين في المدينة، وكان اسمهما: أصرَم وصيَرم[٦]، وكان تحته أي تحت الجدار ﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾[٧] قيل: مال جسيم وهو الظاهر من اسم الكنز[٨].

قال ابن عباس: كان عِلما في مصحف مدفونةٍ[٩]، وعنه أيضاً قال: (كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ عجبتُ لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن آمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يؤمن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله[١٠] [/ ٤٣و] (وفي الجانب الآخر مكتوب: أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، وويلٌ لمن خلقته للشر وأجريته على يديه) قال البغوي وغيره: (هذا قول أكثر أهل التفسير)[١١].

---

(١) البغوي، تفسير، ٣ / ١٧٧، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٧.

(٢) (تسعين) كذا في الأصل وهو تحريف، والصواب ما أثبت، ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ١٧٧، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ١٨١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٧.

(٣) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ١٧٧، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٦٨١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٧.

(٤) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ١٧٧، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٧.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٦) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٣١، البغوي، تفسير، ٣/ ١٧٧، الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٧١٣.

(٧) سورة الكهف،الآية:٨٢.

(٨) في قول قتادة وعكرمة، لأن اسم كنز في اللغة يراد به المال المدفون، ينظر: النحاس، معاني القرآن،٤/ ٢٨١القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٨.

(٩) والدليل على أنه علم مدفون قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾ والرجل الصالح يكون كنزه العلم لا المال إذ كنز المال لا يليق بالصلاح بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ينظر: الفخر الرازي تفسير، ٢١/ ١٦٣.

(١٠) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٣١، الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٧١٣، الفخر الرازي، تفسير، ٢١/ ١٦٣.

(١١) رواية عطاء عن ابن عباس، واللفظ للبغوي، تفسير،٣/ ١٧٧، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ١٨١، =

وروي ذلك أيضاً مرفوعاً[١]، قوله: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا ﴾[٢] (ظاهر اللفظ والدهماءدنية، وقيل هو الأب السابع)[٣] قاله جعفر بن محمد[٤]، (وقيل: العاشر تحفظاً منه وإن لم يذكرا بصلاح، وكان يسمَّى كاشح قاله: مقاتل، واسم أمهما دنيا ذكرها النقاش)[٥] قال محمد بن المنكدر[٦]: إن الله يحفظ العَبد بصالح ولده وولد ولده وعشيرته[٧] (وقد روي أن الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته)[٨]. وقوله: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ﴾[٩] يقتضي أن الخضر نبيٌ وقد تقدم لنا أنه نبيٌ[١٠] واسمه بَليا وكنيته أبو العباس ابن ملكان[١١] إن قيل: لم يسمع لفتى موسى بذكر في أول الآية ولا في آخرها[١٢]، أجيب أنه يكتفي بذكر المتبوع عن التابع[١٣]. قال ابن عباس: (إن الفتى

=

الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ١٣.

(١) مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال حفظهما بصلاح أبيهما، ما ذكر منهما صلاحاً صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ينظر: الحميري، عبدالله بن الزبير أبو بكر (ت٢١٩هـ)، مسند الحميري، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، القاهرة، (بلا.ت)، ١/ ١٠٤، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٤٠٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٣) القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٨، الثعالبي، تفسير، ٢/ ٣٩٢.

(٤) جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب وثقه الشافعي ويحي بن معين (ت ١٤٨هـ)، ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ١٢٧، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/ ١٦٦.

(٥) القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٨.

(٦) محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير أبو عبدالله القرشي التميمي، وقال عنه مالك إنه سيد القراء ومجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل (ت١٣٠هـ) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ٦٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣٥٣، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٥٨.

(٧) ينظر: ابن الجعد علي بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، (ت٢٣٠هـ) مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط١، مؤسسة نادر، بيروت،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ٢٥٤، ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد يكنى أبا بكر، (ت٢٣٥هـ)، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت،ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ٧/ ٢١٠، الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ١/ ١٨٧.

(٨) القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٩.

(٩) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(١٠) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٨٢، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٩، الثعالبي، تفسير، ٢/ ٣٩٢.

(١١) ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٣٦، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٠٠، السيوطي، وآخرون، شرح سنن ابن ماجه، ١/ ٢٩٢.

(١٢) في رواية عكرمة عن ابن عباس، ينظر: الطبري، تفسير، ١٥/ ٢٨١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٩، ابن كثير، تفسير،٣/ ١٠١.

(١٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٩.

شرب من الماء [فخلد][(١)] فأخذه العالم فطبق عليه سفينته ثم أرسلها في البحر، وإنها لتموج به فيه[(٢)] إلى يوم القيامة، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب منه)[(٣)] (قال القشيري: وهذا إن ثبت فليس الفتى يوشع بن نون فإن يوشع بن نون قد عمِّر بعد موسى وكان خليفته. والأظهر أن موسى صرف فتاه [٤٣ظ] لما لقي الخضر[(٤)].

سؤال، إن قيل: (كيف أضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين إلى الله تعالى، وقال في خرق السفينة: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾[(٥)] فأضاف العيب إلى نفسه، فأجيب إنما أسند الإرادة في الجدار إلى الله تعالى لأنها في أمر مستأنف في الزمن الطويل غيبٌ من الغيوب فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر قد أراد ذلك الذي أعلمه الله أنه يريده.

وقيل: لما كان ذلك خيراً كله أضافه إلى الله تعالى، وأضاف عيب السفينة إلى نفسه (غايةً للأدب)[(٦)] سؤال آخر إن قيل: لأي سبب لم يفارق الخضر موسى عند الاعتراض الأول والثاني وفارقه عند الثالث ؟ أجاب الرازي بجوابين أحدهما: أن موسى عليه السلام شرط على الخضر ترك مصاحبته على تقدير وجود الاعتراض الثالث، وقد وجد فكان راضياً

---

(١) لمقتضى السياق، ينظر: الطبري، تفسير، ١٥/ ٢٨١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٩، ابن كثير تفسير، ٣/ ١٠١.

(٢) جاءت مقحمة، إلا أنه قد ذكرها القرطبي، الجامع،١١/ ٣٩.

(٣) الطبري، تفسير،٣/ ١٠١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٩، ابن كثير، ٣/ ١٠١. أرى أن الخبر من الإسرائيليات، والله أعلم، ولايوجد دليل على وجوده لا في البحر ولا في غيره ولو كان في البحر لعثر عليه وخاصة في عالم التكنولوجيا اليوم.

(٤) قال القشيري في تفسيره: (لما صحت صحبة يوشع مع موسى (عليهما السلام) استحق اسم الفتوة ولذا قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ ﴾ وهو اسم كرامة لا اسم علامة، ولم يزد على هذا، وإنما اللفظ الذي نسب للقشيري ذكره القرطبي نصاً، ويبدو أن المؤلف رحمه الله تعالى نقله من القرطبي كما هو. ينظر: القشيري، تفسير،٢/ ٢٢٧، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٣٩.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٦) القرطبي، الجامع، ١١/ ٣٩.

ذكر الفخر الرازي كيف اختلفت الإضافة في هذه الإرادات الثلاث وهي كلها في قصة واحدة وفعل واحد ؟ والجواب: أنه لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة نفسه، فقال: أردت أن أعيبها، ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية، ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله تعالى، لأن المتكفل بمصالح الأنبياء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى، تفسير الرازي، ٢١/ ١٦٣.

بـه [١]. الثانـي أن اعـتراض موسـى في المـرة الأولى والثانـية كـان تـورعاً [٢] وصلابة في الـدين[٣]، واعتراضـه في المرة الثالثة: كان لهوى نفسه وشهوة بطنه فأعقبه هواه هواناً [٤]، وفي هـذه القصـة فـوائد ومـباحث جمّـة أعرضـنا عـنها صفحاً خوف الإطالة ولنرجع إلى المقصـود، قـال علماؤنـا رضـي الله تعالى عنهم: كان موسى صلوات الله عليه محل رفيع ومقـام منـيع [/ ٤٤ و] وغزارة علم مع حسن تؤدة في المنطق مع جزالة لفظ، ومن ذلك محاجته مع آدم وها نحن نذكر ما جاء في ذلك ونطقت به السنَّة .

روى مالـك والـبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: {حـاج آدم وموسـى فقال: أنت الذي أخرجت الناس من الجنَّة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال: قـال آدم لموسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه أتلومني على أمر كتبه الله علي قـبل أن يخلقـني أو قـدره علـيَّ قبل أن يخلقني ؟ قال رسول الله ﷺ فحجَّ آدم موسى }[٥] وفي روايـة { قـال احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجـنةَّ، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمـر قـدّرَه الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين عاماً ؟ قال: قال النبيﷺ فحج آدم موسى}[٦] وفي أخـرى قـال: قال رسول الله ﷺ {احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخـرجتك خطيئـتك مـن الجـنَّة، وفي رواية أخرجتنا وذريتك من الجنَّة. قال: أنت موسى الـذي اصـطفاك الله برسالته وبكلامه ثم تلومني على أمر قد قدّر عليَّ قبل أن أخلق}[٧] وفي أخـرى قال النبيُّ ﷺ: { التقى آدم وموسى قال موسى [لآدم] [٨] أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من [٤٤ظ] الجنة، قال آدم:أنت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك

---

(١) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢١/ ١٥٩.

(٢) (تودعا) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح لمقتضى السياق والله أعلم.

(٣) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٥/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٤) الفخر الرازي، تفسير، ٢١/ ١٥٧-١٥٨.

(٥) ينظر: مالك بن أنس، موطأ مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، (بلا.ن)، ٢/ ٨٩٨، البخاري، صحيح، ٦/ ٢٧٣٠، مسلم، صحيح ٤/ ٢٠٤٣، أبو داود السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (بلا.ت)، ٤/ ٢٢٦، الترمذي، السنن، ٤/ ٤٤٤، وقد ورد الحديث عند الجميع بألفاظ متقاربة.

(٦) رواية أبي هريرة ﷺ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ١/ ٣١، وينظر: أبي يعلي التميمي، مسند أبي يعلي، ١١/ ١١٨.

(٧) رواية أبي هريرة، ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٥١، مسلم، صحيح،٤/ ٢٠٤٤.

(٨) لمقتضى سياق الحديث، وموافق لما ذكره البخاري،صحيح،٤/ ١٧٦٤.

لنفسه وأنزل عليك التوراة ؟ قال: [نعم قال] [١] فوجدتها كتبت عليَّ قبل أن يخلقني ؟ قال: نعم فحج آدم موسى } أخرجه البخاري ومسلم [٢]. ولمسلم أن النبيَّ ﷺ قال: {تحاج آدم وموسى عليهما السلام، فحج آدم موسى فقال له: أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنَّة، قال آدم: أنت الذي أعطاك الله علم كلَّ شيء واصطفاك الله برسالته ؟ قال: نعم،قال :أفتلومني على أمر قدر عليَّ قبل أن أخلق}[٣] وفي رواية أخرى له قال: { احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنَّته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال [موسى][٤] بأربعين عاماً.

قال [آدم] [٥] فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة[٦] قال رسول الله ﷺ: {فحج آدم موسى}[٧].

وأخرج الموطأ رواية مسلم الأولى [٨]، وأخرج أبو داود الرواية الثانية [٩] من المتفق. وفي رواية قال: { احتج آدم وموسى [/ ٤٥ و] فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنَّة، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه أتلومني على عمل عملته كتبه الله عليَّ قبل أن يخلق السماوات والأرض قال:فحج آدم موسى}[١٠]، وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال

---

(١) لمقتضى سياق الحديث وذكر ذلك البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٦٤.

(٢) رواية أبي هريرة ﷺ، البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٦٤، ومسلم، صحيح، ٤/ ٢٠٤٢ وينظر: النجاد، أحمد بن سلمان النجاد أبو بكر (ت٣٤٨هـ)، الرد على من يقول القرآن مخلوق، تحقيق: رضا الله محمد إدريس، مكتبة الصحابة الإسلامية، الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١/ ٤٣.

(٣) مالك، موطأ مالك، ٢/ ٨٩٨، مسلم،صحيح، ٤/ ٢٠٤٣.

(٤) لمقتضى سياق الحديث، وذكر ذلك مسلم، صحيح،٤/ ٢٠٤٣.

(٥) لمقتضى سياق الحديث وذكر، (م.ن) ٤/ ٢٠٤٣.

(٦) مسلم، صحيح، ٤/ ٢٠٤٣.

(٧) ذكر ذلك مسلم في صحيحه تتمة الحديث،٤/ ٢٠٤٣.
ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعديل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ١/ ١٣.

(٨) ينظر: مالك، الموطا، ٢/ ٨٩٨.

(٩) ينظر: أبو داود، السنن، ٤/ ٢٢٦.

(١٠) رواية أبي هريرة، الترمذي، سنن الترمذي، وهذا حديث حسن صحيح ٤/ ٤٤٤، النسائي، السنن =

رسول الله ﷺ: {إن موسى عليه السلام قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنَّة فأراه الله آدم فقال له موسى: أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدم: نعم، فقال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال: نعم، قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنَّة ؟قال له آدم: ومن أنت ؟ قال: أنا موسى، قال: أنت الذي، وذكر نحو حديث أبي هريرة، وأتم منه، قال: فيه أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه ؟ قال:نعم، قال: أفما وجدت أنَّ ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق ؟ قال: نعم، قال أفتلومني على شيء سبق من الله فيه القضاء قبلي ؟ قال رسول الله ﷺ عند ذلك: فحج آدم موسى فحج آدم موسى } أخرجه أبو داود[١].

قال أبو الحسن القابسي[٢]: وحجاج آدم وموسى يحمل على أنَّه التقت أرواحهما في السماء قال القاضي عياض: ويحتمل أنه على [/ ٤٥ ظ] ظاهره وأنهما اجتمعا بأشخاصهما، وقد ثبت في حديث الإسراء أن النبي ﷺ: اجتمع بالأنبياء (عليهم السلام) في السماوات وفي بيت المقدس خصوصاً موسى وصلى بهم [٣] فلا يبعد أن الله أحياهم كما جاء في الشهداء قال: ويحتمل أن ذلك جرى في حياة موسى عليه السلام. وسأل الله تعالى موسى: أن يريه آدم فحاجَّه [٤]، وقول موسى: {يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنَّة} [٥]، وقوله: {أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض}[٦]، (معنى خيبتنا: أوقعتنا في الخيبة وهي الحرمان والخسران، ومعناه: كنت سبب خيبتنا وإغوائنا بالخطيئة التي ترتب عليها إخراجك من الجنَّة [ثم] [٧] تعرضنا نحن لإغواء [٨] الشياطين والغيِّ والإنهماك

=

الكبرى، ٦/ ٣٣٠، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ٥٥.

(١) ينظر: أبو داود، سنن أبي داود، ٤/ ٢٢٦، وأبي شجاع، شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني (ت٥٠٩هـ) تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٣/ ١٩٣-١٩٤.

(٢) هو علي بن محمد أبو الحسن القابسي الحافظ المحدث فقيه أهل المغرب، (ت٤٠٣هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧/ ١٦٠، ابن الخطيب، الوفيَّات للقسطنطي،١/ ٢٢٧.

(٣) ينظر: القاضي عياض، الشفاء، ١/ ١٨٤.

(٤) ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢٠٠، السيوطي، الديباج،٦/ ١٧.

(٥) البخاري، صحيح، ٦/ ٢٤٣٩، مسلم صحيح، ٤/ ٢٠٤٢، ابن ماجة، سنن بن ماجة، ١/ ٣١، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ٥٩.

(٦) مسلم، صحيح، ٤/ ٢٠٤٣، البيهقي، الإعتقاد ١/ ٩٩.

(٧) لمقتضى السياق، ينظر: النووي، شرح مسلم، ١٦/ ٢٠٠.

(٨) (بإغواء) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: النووي،شرح مسلم، ١٦/ ٢٠٠.

في الشر، وفيه جواز إطلاق نسبة الشيء على من له سبب فيه، والمراد بالجنَّة التي أخرج منها آدم جنة الخلد وجنَّة الفردوس التي هي دار الجزاء في الآخرة، وهي موجودة من قبل آدم، هذا مذهب أهل الحق)[١]، وقوله: {اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده}[٢]، في اليد هنا مذهبان أحدهما: الإيمان بها، ولا يتعرض لتأويلها مع أن ظاهرها غير مراد، والثاني تأويلها على القدرة، ومعنى اصطفاك: أي أختارك وأبَّرك بذلك [٣]. وقوله: (أتلومني على أمر قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني [/ ٤٦ و]، بأربعين سنة ؟ المراد بالتقدير هنا الكتابة في اللوح المحفوظ أو في صحف التوراة وألواحها أي كتبه قبل خلقي بأربعين سنة، وقد صرح بهذا قوله: بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟قال موسى: بأربعين سنة. فهذه الرواية مصرحة ببيان المراد بالتقدير، ولا يجوز أن يراد به حقيقة القدر، فإن عِلمَ الله وما قدره على عباده وأراده من خلقه أزلي لا أوَّل له، ولم يزل سبحانه مريداً لما أراده من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر، قوله: {فحج آدم موسى} هو، فرفع آدم وهو فاعل أي غلبه بالحجّة وظهر عليه بها [٤]، ومعنى كلام آدم إنك يا موسى تعلم أن هذا كتب عليَّ قبل أن ‘أخلق وقدَّره عليَّ فلابد من وقوعه ولو حرصت أنا والخلائق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر فلا تلومني على ذلك [٥]، ولأن اللوم على الذنب شرعي لا عقلي وإذ تاب الله على آدم وغفر له زال عنه اللوم، فمن لامه كان محجوجاً بالشرع[٦]، فإن قيل: فالعاصي منّا لو قال: هذه المعصية قدرها الله عليَّ لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك وإن كان صادقاً فيما قاله فالجواب: إن هذا العاصي باق في دار التكليف جار عليه أحكام المكلفين من [/ ٤٦ظ] العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها، وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل، وهو محتاج إلى الزجر ما لم يمت[٧]،

---

(١) سبق ذكره، ورقة: [٢٣و] من الأصل.

(٢) البخاري، صحيح، ٦/ ٢٤٣٩، مسلم، صحيح، ٤/ ٢٠٤٢، ابن حجر، فتح الباري، ١١/ ٥٠٨.

(٣) ينظر: النووي، شرح مسلم، ١٦/ ٢٠٠.

(٤) ينظر: النووي، شرح مسلم، ١٦/ ٢٠٠-٢٠١، آبادي أبو الطيب، عون المعبود،١٢/ ٣٠٦.

(٥) لقد احتج آدم عليه السلام على الإخراج من الجنة، فكأنه قال: أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على الأكل من الشجرة، والذي رتب ذلك قدره قبل أن أخلق فكيف تلومني على أمر ليس لي فيه نسبة إلا الأكل من الشجرة والإخراج المرتب عليها ليس من فعلي. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ١١/ ٥١٠.

(٦) وفي قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة،٣٧ فالتوبة تجبّ ما قبلها لا سيما إذا انتقل عن دار التكليف، ثم إن هذه المحاجة إنما وقعت في العالم العلوي ثم ملتقى الأرواح ولم تقع في عالم الأسباب. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ١١/ ٥١٠.

(٧) و إلا لو صح هذا المسلك للباقين في دار التكليف لبطلت الديانات جملة، ولكان القدر حجة لكل مشرك =

(فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة إلى الزجر. فلم يكن في القول المذكور فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل) [١] هذا ما تلخص لنا من ذكر علمه وغزارة فهمه، وأما الحكم الذي وعدنا بذكره فناهيك ما أعطيه من النبوة والرسالة والسياسة في بني إسرائيل .

وهذا الباب لا يسعه عد، وناهيك بقوله تعالى حكاية عن نبيّه موسى ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] والمراد بالحكم الحكمة، وقيل: النبوة، وقيل: التفقه في الدين[٤]. وهذا الباب واسع جداً وسنسرد ما وقع له من الحكمة في مظانّه والله الموفق لذلك.

=

وكافر وظالم ولم يبق للحدود معنى ولا يلام جاني على جنايته، ولا ظالم على ظلمه، ولم يبقى للحدود معنى، ينظر: ابن الجوزي، شفاء العليل، ١/ ١٤.

وأقول أيضاً لو كان الأمر كما تصفه القدرية لما أهلك الله تعالى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وغيرهم بل أمر الله تعالى المؤمنين بجهاد الكفار كما أمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر موسى عليه السلام بقتال الجبابرة.

(١) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢٠٠-٢٠٣، ابن حجر، فتح الباري، ١١/ ٥١٠، آبادي، أبو الطيب، عون المعبود، ١٢/ ٣٠٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١.

(٣) سورة القصص، الآية ١٤.

(٤) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤٢، مجاهد، تفسير، ٢/ ٤٨٢، البغوي، تفسير، ٢/ ٤١٧.

فصل في فضله

وأمّا فضله فغزير شهير منهل يروى ويميز بذكر منه ما تيسَّر إيراده من الأحاديث الشريفة والأخبار المنيفة، منها: أنه ذكر في القرآن العظيم في أكثر السور وقصصه أكثر من غيره من الأنبياء، ولقد ذكر بصريح اسمه نيِّفاً عن ستين موضعاً خارجاً عما كنَّى به، ووصف في بعض الآيات أنه نبي ورسول وكريم وكليم [/ ٤٧و] ووصفه بالقرب والمناجاة والمحبة والاصطفاء والإيمان والصلاح والهدي والرحمة وقول الحق والإخلاص والضياء والسلطان المبين والميثاق الغليظ والوجاهة وغير ذلك من الصفات الحميدة والأخلاق المجيدة[١]، وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[٢].

قال المفسرون: عظيماً والوجيه عند العرب العظيم القدر الرفيع المنزلة. قال بن عباس: كان خطيباً عند الله لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، وقيل: كان نجيّاً مقبولاً، هذا ما وصف به من علو رتبته وشريف منزلته وعظيم محله الرفيع ومقامه المنيع في حال حياته[٣]، وأما رتبته بعد مماته فإنَّه في السماء السابعة [٤] على اختلاف الروايات فما جاء في الأحاديث الثابتات روينا في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس بن مالك من حديث المعراج أنه (عليه الصلاة والسلام) {لَمَّا عرج به إلى السماء السادسة واستفتح جبريل، قيل: من هذا، قال جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد ‘بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحَّب بي ودعا لي بخير}[٥] والحديث بطوله يذكره مستوفياً إن شاء الله تعالى في الباب التاسع في رأفته وشفقته. وفي صحيح مسلم. أيضاً في حديث المعراج أنهَّ ﷺ قال: {ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة، فأتيت

---

(١) كل هذه الصفات استقاها المصنف - رحمه الله تعالى- من كتاب الله عز وجل ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾. مريم ١٥، ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ و﴿ مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ النساء ١٥٣- ١٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٢/ ٥٠، البغوي، تفسير، ٣/ ٥٤٥، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٣٠٨، الآلوسي، روح المعاني، ٢٢/ ٩٥.

(٤) ينظر: البخاري، خلق أفعال العباد، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، السعودية،الرياض، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م،١/ ١٠٨، أبو شجاع، الفردوس بمأثور الخطاب،٣/ ٤٣٠ .

(٥) من رواية أنس بن مالك، ينظر: مسلم، صحيح، ١/ ١٤٦، ابن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة، ٧/ ٣٣٣، ابن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ١٤٨، أبو عوانة، مسند أبي عوانة، ١/ ١١٤.

على موسى فسلمت عليه فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، فلما جاوزته بكى فنودي ما يبكيك ؟ قال: يا رب [/ ٤٧ظ] هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي}[١] الحديث وتأول العلماء بكاء موسى فقالوا: كان بكاؤه حزناً على قومه لقلة المؤمنين منهم مع كثرة عددهم، فكان حزناً عليهم وغبطة لنبيِّنا ﷺ على كثرة اتبَّاعه، (والكثرة أي)[٢] [و][٣] الغبطة في الخير محبوبة، ومعنى الغبطة أنه ودَّ أن يكون من أمته مؤمنين مثل هذه الأمة لأنه ودَّ أن يكونوا أتباعاً له، والمقصود إنما بكى حزناً على قومه وعلى فوات الفضل العظيم والثواب الجسيم بتخلّفهم عن الطاعة، فإن من دعا إلى خير وعمل الناس به كان له مثل أجرهم، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، ومثل هذا يبكي عليه ويحزن على فواته[٤].

وما ذكرناه من أن موسى في السماء السابعة[٥] جاء في طرق الصحيح، لكن الذي تواترت به الأحاديث في السماء السادسة[٦]، والجمع بينهما أنه ﷺ وجد في الموضعين. وجاء في الصحيح في مسلم وغيره في فضل الكليم عن ابن عباس قال: سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال: { أيُّ وادٍ هذا فقالوا: وادي الأزرق قال: فكأني انظر إلى موسى واضعاً أصبعيه في أذنيه له 'جأرٌ [٧] إلى الله [٤٨و] بالتلبية}[٨].

(قال القاضي عياض: أكثر الروايات تدل على أنه ﷺ رأى موسى ليلة أسري به[٩] فإن قيل: كيف يحجون ويلبون وهم أموات وهم في الدار الآخرة، ليست دار عمل ؟ أجيب بأجوبة: أحدها: أن الأنبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلُّوا كما ورد في الحديث الآخر، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما

---

(١) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١١٧٣، النسائي، السنن الكبرى، ١/ ١٣٩، الأصبهاني، المسند المستخرج على صحيح مسلم،١/ ٢٣٣، البيهقي، السنن الصغرى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ١٩٠.

(٢) وردت في الأصل مقحمة ليس لها معنى والله أعلم.

(٣) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٢٤.

(٤) ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٢٤.

(٥) ينظر: البخاري، صحيح، ٦/ ٢٧٣١.

(٦) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١١٧٣، ٣/ ١٤١١، ٦/ ٢٧٢١.

(٧) أر: أي رفع صوته مع تضرع واستغاثة، ينظر:ابن الأثير النهاية في غريب الحديث، ١/ ٢٢٥، ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ١١٢.

(٨) ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد، ١/ ٢١٥، مسلم، صحيح، ١/ ١٥٢، أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ٤/ ٤١٧.

(٩) ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٨٤.

استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التي [هي] [١] دار الجزاء انقطع العمل) [٢] قلت ويشهد لهذا الجواب: أنه صح {أنه ﷺ لَمَّا أسري به مرَّ على موسى وهو قائم يصلي في قبره}[٣] فمنهم من حمل الصلاة على اللغة وهو الدعاء، فيكون مجازاً ومنهم من حمل ذلك على الحقيقة وهي الصلاة التي هي ذات الركوع والسجود والحمل على الحقيقة أولى [٤] فليكن هذا مثله.

الوجه الثاني: (إن عمل الآخرة ذكر ودعاء)[٥]. قال الله تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾[٦]. الوجه الثالث: أن يكون هذا رؤية منام في غير ليلة الإسراء أو بعض ليلة الإسراء كما قال في رواية ابن عمر: {بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة}[٧]، وذكر الحديث[٨].

الوجه الرابع أنه ﷺ أُري حالهم التي كانت في حياتهم[/ ٤٨ظ] ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا وكيف حجهم وتلبيتهم كما قال ﷺ: كأني أنظر إلى موسى، وكأني أنظر إلى يونس وكأني أنظر إلى عيسى، الوجه الخامس: أن يكون أخبر عَمَّا أوحي إليه ﷺ من أمرهم وما كان منهم وإن لم يرهم رؤية عين[٩]، قوله: له جؤار هو بضم الجيم وبالهمز وهو رفع الصوت، قوله: واضعاً إصبعيه في أذنيه فيه دليل على استحباب وضع الإصبع في الأذن عند رفع الصوت بالأذان ونحوه، مما يستحب له رفع الصوت[١٠].

وهذا الاستثناء يجيء على مذهب من يقول: إنَّ شرع من قبلنا شرع لنا، وهو المقرر

---

(١) (هي) يقتضيها السياق.

(٢) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٢٨ -٢٢٩، السيوطي، الديباج، ١/ ٢١٢، المباركفوري، تحفة الأحوذي، ١٠/ ٩٢.

(٣) ابن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٢٤٨، النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٣٣.

(٤) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ١٠/ ٢١٣.

(٥) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٢٩، ابن حجر، فتح الباري، ٣/ ٤١٤.

(٦) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٧) البخاري، صحيح، ٦/ ٢٥٧٧، مسلم، صحيح، ١/ ١٥٦.

(٨) الحديث في ذكر عيسى بن مريم عليه السلام (م.ن)، ١/ ١٥٦.

(٩) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، إلا أنه قدم عيسى على يونس في الترتيب، ٢/ ٢٢٩، وينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٨٧.

(١٠) النووي، شرح مسلم، ٢/ ٢٢٩-٢٣٠.

عند محققي الأصوليين إذا لم يرد في شرعنا ما ينسخه[١] بل يقرره[٢]. ومما جاء في فضله: ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن ابن عباس وغيره، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، فنحن نصومه تعظيماً له، قال النبي ﷺ: {نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه}[٣] وفي مسلم عن ابن عباس أيضاً أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء. فقال لهم رسول الله ﷺ: [/ ٤٩و] {ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه}[٤].

قال المازري[٥]: (خبر اليهود غير مقبول فيحتمل أن النبيَّ ﷺ أوحي إليه بصدقهم أو

---

(١) لا خلاف بين العلماء في أنه لا يجوز العمل بحكم كان موجوداً في إحدى الشرائع السابقة على الشريعة المحمدية ونسخته الشريعة المحمدية، كما في قول الرسول ﷺ {أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي} صحيح مسلم، ١/ ٣٧٠. وكذلك لا خلاف بينهم في جواز العمل أو وجوبه بحكم كان موجوداً في إحدى الشرائع السابقة وأقرّته الشريعة الإسلامية على المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ البقرة: ١٣٢. ينظر: الفيروز آبادي، التبصرة في أصول الفقه تحقيق: د.محمد حسن هيتو، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١/ ٢٥٨، النووي، المجموع في شرح المهذب، ١٨/ ٣٤٨، ابن تيمية، على الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: د. علي حسن ناصر، د. عبد العزيز إبراهيم العسكري، وغيره، ط١، دارالعاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٢/ ٤٣٦، الشوكاني إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق:محمد سعيد البدري، ط١، دار الفكر، بيروت،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ١/ ٤٠١، د. فاضل عبد الواحد عبد الرحمن، الأنموذج في أصول الفقه،ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) ينظر: النووي شرح مسلم، ١٥/ ٩٠، ابن حجر، فتح الباري، ٤/ ٢٩٩، الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ابن يوسف الزرقاني، (ت١١٢٢هـ)، شرح الزرقاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٤/ ٢٥١.

(٣) البخاري، صحيح، ٣/ ١٤٣٤، مسلم، صحيح، ٢/ ٧٩٥.

(٤) مسلم، صحيح، ٢/ ٧٩٦.

(٥) و محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي، (ت٥٣٦هـ) ألف في الفقه والأصول، وشرح كتاب مسلم، وكان حسن الخلق مليح المجالسة قلمه أبلغ من لسانه (ت٥٣٦هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠/ ١٠٤، الحسيني الدمشقي، محمد بن علي بن الحسن بن حمزة يكنى أبا المحاسن (ت٧٦٥هـ)، ذيل تذكرة الحفاظ، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت)، ١/ ٧٣.

تواتر النقل عنده بذلك حتى حصل له العلم به) [١]. قال القاضي عياض رداً على المازري: قد روى مسلم أن قريشاً كانت تصومه، فلما قدم المدينة صامه [٢]، فلم يحدث له بقول اليهود. حكم يحتاج إلى الكلام عليه وإنما هي صفة حال وجواب سؤال، فقوله: صامه ليس فيه أنه ابتدأ صومه حينئذ بقولهم، ولو كان هذا لحملناه على أنه أخبره به من أسلم من علمائهم كابن سلام [٣] وغيره. قال القاضي عياض: وقد قال بعضهم: يحتمل أنه ﷺ كان يصومه [بمكة] [٤] ثم ترك صيامه حتى علم ما عند أهل الكتاب فيه فصامه[٥]. قال القاضي: وما ذكرناه أولى بلفظ الحديث، قال النووي: (قلت المختار قول المازري، ومختصر ذلك أنه ﷺ كان يصومه كما تصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه أيضاً بوحي أو تواتر أو اجتهاد لا بمجرد أخبار أحادهم والله أعلم)[٦]، وجاء في فضله ما ثبت [/ ٤٩ظ] في الصحيح من قوله ﷺ: { يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر}[٧]، وأنىَّ لك بهذه الشهادة من النبي ﷺ في حق موسى ووصفه بالصبر.

(١) النووي، شرح مسلم، ٨/ ١١، وينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٤/ ٢٤٨.

(٢) ينظر: البخاري، صحيح، ٢/ ٧٠٤، مسلم، صحيح، ٢/ ٧٩٢، الترمذي، سنن الترمذي، ٣/ ١٢٧، النسائي، السنن الكبرى، ٢/ ١٥٧، ولم أقف على قول القاضي عياض.

(٣) و عبدالله بن سلام بن الحارث الخزرجي من بني قينقاع، يكنى أبايوسف كان حبراً قبل أن يسلم واسمه الحصين فسماه رسول الله ﷺ عبدالله وكان من فقهاء الصحابة وعلمائهم بالكتب (ت٤٣هـ) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٣٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء،٢/ ٤٢٠.

(٤) لم ترد في الأصل، وذكرها النووي، شرح النووي، ٨/ ١١.

(٥) ينظر: النووي، شرح النووي، ٨/ ١١، السيوطي، شرح سنن ابن ماجة،١/ ١٢٤، ولم أقف على قول القاضي عياض.

(٦) ينظر: النووي، شرح النووي، ٨/ ١١.

(٧) البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٤٩، ابن حنبل، مسند أحمد، ١/ ٤١١.

الباب السادس

في تكليمه وما أوتي من الأفعال الحميدة والأوصاف المجيدة

وفيه فصول

الفصل الأول

في صفته

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة وابن عباس قالا: ذكر رسول الله ﷺ حين أسري به فقال: {موسى آدم [1] طوال[2] كأنه من رجال شنوءة[3]، وقال عيسى جعد[4] مربوع}[5] وذكر الحديث بطوله [6]. وفي مسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: {مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران رجل آدم طوال، كأنهَّ من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط[7] الرأس، وأراني مالكاً خازن النار، والدجال في آياتٍ أراهن الله إيَّاه فلا تكن في مريةٍ من لقائه}[8]. قال: كان قتاده يفسرها: أن نبي الله ﷺ قد لقي موسى عليه السلام[9].

وفي مسلم أيضاً عن ابن عباس أن النبيَّ ﷺ قال: {أمَّا إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم،

---

(١) أي أسمر، ينظر: ابن حجر، فتح الباري،٦/ ٣٠٧.

(٢) بضم الطاء وتخفيف الواو ومعناه طويل، النووي، شرح مسلم، ٢/ ٢٢٦.

(٣) فبشين معجمة مفتوحة ثم واو ساكنة ثم همزة مفتوحة وهي قبيلة معروفة باليمن يقال لهم أزد شنوءة، والشنوءة هو التباعد من الأدناس. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٣٦٨.

(٤) أما الجعد في صفة عيسى عليه السلام هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر لأنه جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح أنه رجل الشعر، ينظر: النووي، شرح مسلم،٢/ ٢٢٧.

(٥) هو الرجل بين الرجلين في القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المخل ينظر: (م.ن) ٢/ ٢٢٧.

(٦) البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٤٤، مسلم، صحيح، ١/ ١٥١.

(٧) السبط من الشعر: المنبسط المسترسل، ينظر: الخليل، كتاب العين،٧/ ٢١٩.

(٨) مسلم،صحيح،١/ ١٥١.

(٩) (م.ن) ١/ ١٥١.

وأما موسى فرجلٌ آدم جعد على جمل أحمر مخطوم [١]. بخلبة [٢] كأني أنظر، [/ ٥٠ و] إليه إذا انحدر في الوادي يلبي }[٣]. وفي الصحيحين عن جابر [٤] أن رسول الله ﷺ قال: {عرضَ عليَّ الأنبياء فإذا موسى ضرب [٥] من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود [٦]، ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم يعني نفسه، ورأيت جبريل فإذا أقرب من رأيت شبهاً به دحية } [٧]. وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: { حين أسري بي لقيت موسى فنعته النبيَّ ﷺ فإذا رجل حسبته، قال: مضطرب رجل [٨] الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى فنعته النبي ﷺ فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس، يعني حماماً }[٩]، وفي مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال فرفعه الله لي أنظر إليه ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء وإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي [/ ٥٠ ظ]، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار، فسلّم عليه فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام}[١٠] وروينا في المستدرك عن وهب قال: {كان هارون

---

(١) هو الأثر على الأنف كما يخطم البعير بالكي فتصبح عليه وسمة يعرف بها أو كل ما وضع في أنف البعير ليقتاد بها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ١٨٨، الزبيدي، تاج العروس، ٨/ ٢٨٢.

(٢) هو الليف أو الحبل ويسمى خلبة والخلبة الزي الذي يقاد بها البعير، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٢/ ٥٨،ابن منظور لسان العرب،١٢/ ١٨٨.

(٣) رواه الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم، البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٢٤، مسلم، صحيح، ١/ ١٥٣، ابن حنبل، مسند أحمد، ١/ ٢٧٦.

(٤) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري من أصحاب النبي ﷺ وشهد معه تسع عشرة غزاة (ت٧٨هـ)، ينظر: الكوفي، معرفة الثقات، ١/ ٢٦٣، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار،١/ ١١.

(٥) وهو الخفيف من اللحم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٥٤٩، الزبيدي، تاج العروس، ١/ ٣٤٧.

(٦) هو عروة بن مسعود الثقفي، قال فيه رسول الله ﷺ { مثله كمثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله عز وجل فقتلوه } ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/ ٥٠٣، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١٠٦٦.

(٧) مسلم،صحيح، ١/ ١٥٣، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ١٢٣.

(٨) بفتح الراء وسكون الجيم، أي منكسر الشعر قليلاً ليس بسبطه ولا بجعده، ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٤٨.

(٩) البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٦٩، مسلم، صحيح، ١/ ١٥٤، الترمذي، سنن الترمذي،٥/ ٣٠٠.

(١٠) مسلم، صحيح، ١/ ١٥٦، الأصبهاني، المسند المستخرج على صحيح مسلم،١/ ٢٣٩.

فصيحاً بيِّن المنطق يتكلم في تؤدة ويقول: بعلم وحلم وكان أطول من موسى طولاً وأكبرهما في السنّ وأكثرهما لحماً وأبيضهما جسماً[١] وأعظمهما ألواحاً، وكان موسى جعداً آدم طوالاً كأنه من رجال شنوءة ولم يبعث الله نبّياً إلاّ وقد كانت عليه شامة النبوَّة في يده اليمنى إلا نبينا فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه}[٢]. الحديث.

وروينا في الطبراني عن عبد الله بن مسعود أيضاً، وروينا فيه عنه قال: {كان طول موسى اثني عشر ذراعاً}[٣].

شرح غريب صفته المذكورة:

الأَدَم - بالمد: الأسمر، قيل: هو شديد السمرة، وقيل: بل دون ذلك مأخوذ من أدمةِ الأرض وهو لونها، ومنه سمِّيَ آدم[٤]، والطوال (بضمِّ الطاء وتخفيف الواو، ومعناه طويل)[٥] وأما شنوءة فبشين معجمة مفتوحة ثم نون ثم واو ثم همزة ثم هاء، وهي قبيلة معروفة[٦].

قال ابن قتيبة[٧]: سموا بذلك من قولك رجل فيه شنؤة، أي تقزز، ويقال: سمّوا بذلك لأنهم تشانؤوا وتباعدوا، والتقزز التباعد من الأدناس[٨]، والجعد المراد به جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر هذا في صفة عيسى[٩] وأما موسى فقال صاحب [/ ٥١ و] التحرير[١٠]: (فيه معنيان، أحدهما: ما ذكرناه في عيسى وهو اكتناز الجسم.

---

(١) (سجماً) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: الحاكم، المستدرك، على الصحيحين، ٢/ ٦٣١.

(٢) (م.ن) ٢/ ٦٣١.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ٩/ ١٨٣،الهيثمي، مجمع الزوائد، ٨/ ٢٠٤.

(٤) ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٢٩، السندي، نور الدين بن عبد الهادي يكنى أبا الحسن السندي (ت١١٣٨هـ)، حاشية السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة،ط٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٦/ ١٧٤.

(٥) سبق تخريجه، ينظر: ورقة [٥٠و].

(٦) (م.ن) ورقة [٥٠و] .

(٧) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري يكنى أبا محمد، صاحب التصانيف ثقه مشهور بالنحو واللغة والتاريخ (ت٢٧٦هـ) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان،٣/ ٤٣، القزويني، الخليل بن عبدالله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلي (ت٤٤٦هـ)، الإرشاد، تحقيق: د.محمد سعيد عمر إدريس، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ٢/ ٦٢٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٤٣.

(٨) سبق ذكره (م.ن) ورقة[/ ٥٠ و].

(٩) (م.ن) ورقة[/ ٥٠ و].

(١٠) لم أقف عليه.

والثاني: جعودة الشعر. قال: والأول أصح لأنه جاء في رواية أبي هريرة أنه رجل الشعر)[١].

قال النووي: والمعنيان في موسى جائزان، وتكون جعودة الشعر على المعنى الثاني ليست جعودة القطط[٢]، بل معناها أنه بين القطط والسبط[٣]. والمربوع (هو الرجل بين الرجلين في القامة ليس بالطويل البائن ولا القصير الحقير)[٤] (والسبط بفتح الباء وكسرها لغتان، ويجوز إسكان الباء مع كسر السين ومع فتحها على التحقيق كما في كتف)[٥] والشعر السبط هوالمسترسل ليس فيه تكسر[٦]. والخلبة بضم الخاء هي الليف[٧].

والضرب هو بإسكان الراء قال القاضي عياض: هو الرجل بين الرجلين في كثرة اللحم وقلته [٨]، لكن في بعض الروايات مضطرب وهو الطويل غير الشديد، وهو ضد جعد اللحم مكتنزه لكن يحتمل أن رواية ضرب أصح لقوله في الرواية الأخرى حسبته قال: مضطرب فقد ضعفت هذه الرواية للشك ومخالفة الأخرى التي لا شك فيها، وفي الرواية الأخرى جسيم سبط وهذا يرجع إلى الطويل، ولا يتأوَّل جسيم بمعنى سمين لأنه ضد ضرب، وهذا إنما جاء في صفة الدجال انتهى كلامه[٩]. قال النووي: ما قاله من تضعيف رواية [مضطرب][١٠] وإنها مخالفة لرواية ضرب لا يوافق عليه فإنه لا مخالفة بينهما[١١] [/ ٥١ظ] فقد قال الجوهري وغيره: (الضرب هو الرجل الخفيف اللحم)[١٢] ومن صفته ما نقله البغوي في تفسيره عن قتادة قال: كانت في عيني موسى ملاحة ما رآه

---

(١) النووي، شرح مسلم، ٢/ ٢٢٧، وقد سبق ذكره في الأصل، ورقة: [٥٠ و]. وينظر: السيوطي، الديباج، ١/ ٢٠٩.

(٢) هو الشديد الجعودة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٣٠٨.

(٣) النووي، شرح مسلم، ٢/ ٢٢٧، السيوطي، الديباج، ١/ ٢٠٩.

(٤) السيوطي، الديباج، ١/ ٢٠٩.

(٥) النووي، شرح مسلم، ٢/ ٢٢٧.

(٦) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٣٠٨.

(٧) والحبل يسمى خلبة أيضاً وهومن الليف، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٣٦٤، الزبيدي، تاج العروس، ١/ ٢٣٩.

(٨) ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٤٨.

(٩) النووي، شرح مسلم، ٢/ ٢٣٢.

(١٠) (مضرب)، كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: النووي، شرح مسلم، ٢/ ٢٣١.

(١١) (م.ن) ٢/ ٢٣١.

(١٢) الخليل، كتاب العين، ٧/ ٣٢، الجوهري، الصحاح، ١/ ١٦٨، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣ / ٧٨.

أحدٌ إلا عشقه[١]، ومن صفته أن يده كانت بيضاء كالنور الساطع تضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشدّ ضوءً[٢]، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾[٣]. قال ابن عباس وغيره: (فخرجت نوراً مخالفة للونه)[٤] فكانت آية أخرى.

وروى الدارقطني[٥] والترمذي عن قتادة عن أنس (ما نعت الله تعالى نبيا إلا حسن الصورة حسن الصوت وكان نبيكم ﷺ أحسنهم صورة وأحسنهم صوتا)[٦]، وقد تضمنت هذه الأحاديث التي ذكرناها من كمال خلقه وحسن صورته مالا نهاية له وجاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[٧] إن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة، وكان موسى يتستر كثيراً ويخفي بدنه، فقال قومه: هو آدر[٨] وأبرص أو به آفة، فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بأرض الشام وجعل ثيابه على صخرة، ففرَّ الحجر بثيابه وأتبعه موسى يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فنظروا إليه وهو من أحسنهم خَلقاً وأعدلهم صورة، وليس به الذي قالوا وهو قوله: ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ﴾. أخرجه البخاري ومسلم بمعناه[٩] [/ ٥٢و] ولفظ مسلم قال رسول الله ﷺ: {كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى (عليه السلام) يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، قال: فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففرَّ الحجر بثوبه، قال: فجمح موسى بإثره يقول: ثوبي حجر حتى نظر

---

(١) ينظر البغوي، تفسير،٣ / ٢١٧، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٦.

(٢) ينظر البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٥، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩١، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٦٢.

(٣) سورة طه، الآيه: ٢٢، لتتمة قوله تعالى: آية اخرى

(٤) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩١.

(٥) هو أبو الحسن، علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥ هـ)، ينظر سنن الدار قطني، تحقيق:- عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م.

(٦) ينظر: الحكيم الترمذي، محمد بن علي الحكيم الترمذي أبو عبد الله الخراساني، صاحب المصنفات الكبار (ت ٣٢٠ هـ) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط ١، دار الجيل، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٣/ ٣٣، القاضي عياض، الشفاء، ١/ ١٤٨، ابن حجر، فتح الباري، ٧/ ٢١٠، من رواية قتادة وأنس إلاَّ أنني لم أقف عليه عند الدار قطني، والترمذي.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٨) سبق ذكرها ضمن النص المحقق، ورقة: [/ ٤٢ و].

(٩) ينظر: البخاري ،صحيح، ٣/ ١٢٤٩، مسلم، صحيح، ١ / ٢٦٧، ابن حبان، صحيح، ١٤ / ٩٤.

بـنو إسرائيل إلى سوأة موسى وقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظر إليه قال: فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا، قال أبو هريرة: والله إن بالحجر لندبا، ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر}[١] إن قيل: (كيف نادى موسى عليه السلام الحجر نداءَ من يعقل؟ أجيب أنه صدر عن الحجر فعل من يعقل، وحجر منادى مفرد محذوف حرف النداء)[٢] كما قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾[٣] وثوبي منصوب[٤] بفعل مضمر تقديره أعطني ثوبي أو اتـرك ثوبـي، فحـذف الفعل لدلالة [الحال][٥] عليه. وقوله: أدرة أي نفخة في الخصية يقال: رجل آدر أي بين الأدر والإدرة[٦] .

(١) مسلم، صحيح، ١/ ٢٦٧.
(٢) القرطبي، الجامع، ١٤ / ٢٥٢.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٩.
(٤) (منصرف) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر القرطبي، الجامع، ١٤ / ٢٥٢.
(٥) (الفعل) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: (م.ن) ١٤ / ٢٥٢.
(٦) ينظـر الجوهري، الصحاح، ٢/ ٥٧٧، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ١ / ٣٤، ابن منظور لسان العرب، ٤ / ١٥.

الفصل الثاني

في خلقه وورعه وتواضعه ورأفته وحيائه

اعلم أن موسى عليه السلام قد أعطيَ من مواهب التحف وفضائل الشرف وجميل الخصال وجزيل الكمال مالانهاية له، ومن ذلك حسن الخلق الناشيء عن سلامة الفطرة وجودة الطبيعة، ولذلك كان [/ ٥٢ظ] حسن الممارسة والسياسة في قومه والشفقة عليهم والرفق بهم والصبر على أذاهم له[١]، ولذلك وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾[٢] وهو موسى الكليم[٣]، قال الفراء: كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح[٤]. وجاء في السنة الشريفة كما رويناه في صحيح البخاري عن أبي الوليد[٥] قال: حدثنا شعبة[٦] عن الأعمش[٧] قال سمعت أبا وائل[٨] سمعت عبدالله[٩] قال: (قسَّم النبيَّ ﷺ قسماً فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، فأتيت النبيَّ ﷺ فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال:{يرحم

---

(١) ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١ / ١٤٩ – ١٥٠.

(٢) سورة الدخان، الآية: ١٧.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٥/ ١١٨، النحاس، معاني القرآن، ٦/ ٤٠١، الواحدي، تفسير، ٢/ ٩٨٣.

(٤) ينظر: الفراء، معاني القرآن ،٣/ ٤٠.

(٥) و هشام بن عبد الملك الطيالسي البصري يكنى أبا الوليد سمع شعبة (ت٢٢٧-٢٢٦هـ) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ٨/ ١٩٥، مسلم الكنى والأسماء ،١/ ٨٦٠.

(٦) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأمدي يكنى أبا بسطام، قال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث في العراق، وأصبح علماً يقتدى به (ت١٦٠هـ) ينظر: الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، ١/ ٢٠٥، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ،١/ ١٧٧.

(٧) سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد المعروف بالأعمش الكوفي كان ثقة عالماً فاضلاً، قال عنه وكيع بن الجراح كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى (ت١٤٨هـ) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٠-٤٠١، الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/ ٩٤-٩٦، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٧٤.

(٨) أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي أدرك النبي ﷺ وليست له صحبة وسمع من الصحابة، وروى عنه الأعمش ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦/ ٩٦، ابن حجر، الإصابة ٣/ ٣٨٦.

(٩) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب، يكنى أبا عبد الرحمن، هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها ولازم النبي ﷺ وحدث عنه الكثير (ت٣٢هـ) انظر: ابن عبد البر، الإستيعاب، ٣/ ٩٨٧، ابن حجر، الإصابة ٤/ ٢٣٣.

الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصب})[١].

ومن حسن خلقه وورعه وتواضعه ما حكى الطبري وغيره عن وهب أن موسى عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابَّة تواضعاً لله بما أكرمه[٢]، ومن تواضعه ما جاء في السنة عن أبي موسى[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {لقد مرَّ بالروحاء[٤] سبعون نبياً منهم نبي الله موسى حفاة عليهم العباء يؤمُّون بيت الله العتيق}. رواه أبو يعلي والطبراني[٥]. قال الحافظ زكي الدين المنذري: (ولا بأس بإسناده في المتابعات)[٦] رواه أبو يعلي أيضاً[٧] من حديث أنس[٨]، ومن تواضعه أيضاً ما رواه أبو يعلي والطبراني في الأوسط بإسناد جيد عن [/ ٥٣و] عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: {كأني أنظر إلى موسى ابن عمران في هذا الوادي محرماً بين قطوانيتين}[٩]. وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كنا مع النبي ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال: {أي وادٍ هذا فقالوا: وادي الأزرق[١٠]، قال: كأني أنظر إلى رسول الله موسى عليه السلام، فذكر من طول شعره شيئاً لا يحفظه داود[١١] واضعاً

---

(١) رواه الشيخان، البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٤٩، مسلم ،صحيح، ٢/ ٧٣٩، الشاشي، الهيثم بن كليب، يكنى أبا سعيد (ت٣٣٥هـ)، مسند الشاشي، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ٢/ ٥٥.

(٢) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٥٦، القاضي عياض، الشفا، ١/ ٥٢، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦١/ ١٧٥

(٣) عبدالله بن قيس بن حضار الأشعري اليماني رضي الله عنه من نجباء الصحابة ومن حفاظ القرآن (ت٤٤هـ) وفيه خلاف في وفاته ينظر: عبد الباقي بن قانع أبو الحسين (ت٣٥١هـ)، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ٢/ ١٢٤، الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، ١/ ١٤٣، الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/ ٣٩.

(٤) الروحاء بفتح أوله وبالحاء المهملة وهي قرية جامعة لمزينة بين المدينة ووادي القرى على بعد ليلتين من المدينة بينهما إحدى وأربعون ميلاً، ينظر: البكري، معجم ما ستعجم، ٢/ ٦٨١، كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ٣/ ١٠٨٣.

(٥) ينظر: أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ١٣/ ٢٠١، الطبراني، المعجم الكبير، ١٧/ ١٦، المنذري، الترغيب والترهيب، ٢/ ١١٨.

(٦) المنذري، الترغيب والترهيب، ٢/ ١١٨.

(٧) أبو يعلي، مسند أبي يعلي، ٧/ ٢٦٢.

(٨) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، خادم رسول الله ﷺ وروى عنه الكثير كناه رسول الله ﷺ أبا حمزة (ت٩٣هـ)، ينظر: ابن خياط، الطبقات، ١/ ٩١، ابن حجر، الإصابة، ١/ ١٢٦.

(٩) أبو يعلى، مسند أبي يعلي، ٩/ ٢٧، الطبراني، المعجم الأوسط، ٦/ ٣٠٣، وقطون قرية بالكوفة تنسب إليها الأكسية، ينظر: الجوهري، الصحاح، ٦/ ٢٤٦٥، ياقوت ،معجم البلدان٤/ ٣٧٥ .

(١٠) بالراء المهملة بعد الزاي يبعد عن مكة ميل، ينظر: البكري، معجم ما ستعجم ١/ ١٤٦.

(١١) داود بن أبي هند، كان رجلاً صالحاً ثقة حسن الإسناد من حفاظ أهل البصرة ومفتيهم (ت١٤٠هـ).

إصبعه في أذنه له جؤار[١] إلى الله بالتلبية ماراً بهذا الوادي، قال: أو لِفت[٢] ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال: أي ثنية هذه فقالوا: ثنية هَرشي[٣]، قال: كأني أنظر إلى يونس[٤] على ناقة حمراء عليه جبة صوف وخطام ناقته خلبة ماراً بهذا الوادي ملبياً}.

رواه ابن ماجة بإسناد صحيح وابن خزيمة واللفظ لهما، والحاكم بإسناد على شرط مسلم[٥].

هرشي: بفتح الهاء وسكون الراء بعدهما شين معجمة مقصورة، ثنية قريب الجحفة[٦] ولفت بكسر اللام وفتحها أيضاً فهو ثنية جبل قديد بين مكة والمدينة، والخلبة: بضم الخاء المعجمة وسكون اللام، هو الليف وقد تقدم. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: {صلى في مسجد الخيف سبعون نبيًّا منهم موسى عليه السلام كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان وهو محرم [/ ٥٣ظ]، على بعير من أبل شنوءة مخطوم بخطام ليف له ضفريتان}. رواه الطبراني في الأوسط. قال المنذري: وإسناده حسن[٧]. (قطوان بفتح القاف والطاء المهملة موضع بالكوفة تنسب إليه العبي والأكسية)[٨].

وعن ابن عباس أيضاً عن رسول الله ﷺ قال:{حج موسى على ثور أحمر عليه عباءة

---

(١) هو رفع الصوت والتضرع إلى الله تعالى ،ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢/ ٦٠٧، ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ١١٢.

(٢) بفتح أوله وكسره معاً وإسكان ثانيه بعده تاء معجمة، وهو موضع بين مكة والمدينة المنورة، ينظر: البكري معجم ما ستعجم، ٤/ ١١٥٨ وقال ياقوت هو ثنية جبل قديد، معجم البلدان، ٥/ ٢٠.

(٣) هي من أرض الحجاز على منتصف طريق مكة والمدينة، وقيل: جبل قرب الجحفة، ينظر: ابن الأثير، النهاية، ٥/ ٢٦٠، ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٤٤٩.

(٤) (موسى) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ٢/ ٩٦٥، ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ)، صحيح، ابن خزيمة، تحقيق :د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م، ٤/ ١٧٥، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٢/ ٣٧٣.

(٥) ينظر: ابن ماجة، السنن،٢/ ٩٦٥، ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ٤/ ١٧٥، الحاكم المستدرك، ٢/ ٣٧٣.

(٦) وهي قرية بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل الشام، وكان اسمها مهيعة فجاءهم سيل فاجتحفهم فسميت جحفة، وقيل قرية تقرب من سيف البحر أجحف السيل بأهلها جحفة، والآن خراب وهي على ثلاثة مراحل من مكة في طريق المدينة وبينها وبين المدينة ست مراحلى، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ١١١، ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ٢١.

(٧) الطبراني، المعجم الأوسط، ٥/ ٣١٢، المنذري، الترغيب والترهيب، ٢/ ١١٧.

(٨) ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ٣/ ١٠٨٤، ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٣٧٥، المنذري، الترغيب والترهيب، ٢/ ١١٧.

قطوانية} رواه الطبراني من رواية ليث بن أبي سليم[١] وبقية رواته ثقات[٢]. ومن تواضعه وورعه ما جاء [عن][٣] عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: {كان على موسى عليه السلام يوم كلمه ربه كساء صوف وجبَّة صوف وكَّمة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت} رواه الترمذي وقال: غريب، والحاكم[٤]، كلاهما عن حميد الأعرج[٥].

عن عبد الله بن الحارث[٦] عن ابن مسعود وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري[٧]. قال المنذري توهم الحاكم أن حميدالأعرج هذا هو بن قيس المكي[٨]، وإنما هو حميد بن علي[٩]، وقيل: ابن عمار أحد المتروكين[١٠]، الكمة بضم الكاف وتشديد الميم

---

(١) ليث بن أبي سليم ويكنى أبا بكر مولى عنبسة بن أبي سفيان بن حرب بن أميه، توفي في أول خلافة أبي جعفر كان ليث رجلاً صالحاً عابداً وكان ضعيفاً في الحديث، ينظر، ابن سعد، الطبقات ،٦/ ٣٤٩، النسائي الضعيف والمتروكين تحقيق: محمود إبراهيم زيد ط١، دار الوعي، حلب، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، ١ / ٩٠.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ١٢/ ٧٢، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٣/ ٢٢١.

(٣) لمقتضى السياق.

(٤) ينظر: الترمذي، وقال عنه هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحميد هو بن علي الكوفي سنن الترمذي، ٤/ ٢٢٤، الحاكم، المستدرك، ١/ ٨١، المنذري، الترغيب والترهيب، ٣/ ٧٨.

(٥) حميد الأعرج، هو حميد بن علي الكوفي، قال عنه يحي بن معين: ليس حديثه بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث، ينظر: ابن الجوزي، الضعفاء والمتروكين، ١/ ٢٣٩، الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ٣٨٨، ابن حجر، لسان الميزان، ٢/ ٣٦٥.

(٦) عبد الله بن الحارث الزبيدي النجراني المعروف بالمكتب، ثقة، لم يذكر له وفاة، ينظر: الحاكم، تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١/ ١٥٥، ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ١/ ٢٩٩.

(٧) لقد روى الحاكم في المستدرك الحديث نفسه عن حميد الأعرج الكوفي، إذ قال: وحميد هذا ليس بابن قيس الأعرج، قال البخاري في التاريخ: حميد بن علي الأعرج الكوفي منكر الحديث، ينظر: قول الحاكم في المستدرك، ١/ ٨١، وفي نفس ورقة الأصل [/٥٤و] ويبدو أنه توهم في الجزء، ٢/ ٤١١، من المستدرك قال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه.

(٨) حميد أبو صفوان بن قيس المكي الأعرج، سمع مجاهد وعطاء، وروى عنه الثوري، ومالك وقال عنه يحي بن معين ثقة (ت١٣٠هـ) ينظر: مسلم، الكنى والأسماء، ١/ ٤٤١، الواعظ أبو حفص، تاريخ أسماء الثقات ١/ ٧٠، المنذري، الترغيب والترهيب، ٣/ ٧٩.

(٩) سبق ذكره وفي نفس ورقة الأصل [/ ٥٤و].

(١٠) هو حميد بن عمار الكوفي، عن عبدالله بن الحارث قال عنه متروك وقال الدارقطني عنه أيضاً متروك، ينظر: الذهبي، ميزان الإعتدال، ٢/ ٣٨٨.

القلنسوة وقد ساق المنذري هذا الحديث في الترغيب[١]، في ترك الترفع في اللباس والترهيب في لبس الشهرة والفخر والمباهاة، فموسى عليه السلام إنما فعل ذلك تواضعاً [/ ٥٤و] لله وقلة اكتراثه بأمر الدنيا وهوانها، وعلم من الحديث أنه يجوز لبس الشيء النجس في غير الصلاة[٢]، ولذلك أمر موسى بنزع نعليه لما كلَّمه ربُّه[٣]، ومن تواضعه وأدبه أنَّه لما كلَّمه ربَّه وخاطبه بقوله: ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[٤] وقف متأدباً ووضع يده اليمنى على اليسرى[٥]، ومن تواضعه قوله: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[٦] قال أبو بكر بن طاهر[٧] المعنى: إني لما أنزلت إليَّ من فضلك وغناك فقير إلى [أن][٨] تغنيني عن من سواك، وقال ابن مسعود: والمعنى أن موسى تعرض لسؤال ما يطعم وأنه مكث سبعة أيام لم يذق طعاماً وقد لصق بطنه بظهره فعرض بالدعاء ولم يصرح بسؤال[٩].

قال ابن عباس: قد بلغ من الجوع إلى أن أخضر لونه من أكل البقول، وإنه لأكرم الخلق على الله تعالى[١٠]. قال القرطبي: (وفي هذا إشعار بهوان الدنيا على الله تعالى)[١١]،

---

(١) ينظر: المنذري، الترغيب والترهيب، ٣/ ٧٩، المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٥/ ٣٣٥.

(٢) قال رسول الله ﷺ: فإذا أتى أحدكم المسجد فلينظر في نعليه فإن كان فيهما أذى فليمسحه، ينظر: ابن خزيمة صحيح ابن خزيمة، ١/ ٣٨٤، ابن حبان، صحيح ابن حبان، ٥/ ٥٦٥.

(٣) يمكن أن يكون أمر موسى بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي إذ كان وادياً مقدساً، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما، ينظر: الطبري، تفسير، ١٦ / ١٤٣، المناوي، فيض القدير، ٤/ ٢٠١.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣.

(٥) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٧٦.

(٦) سورة القصص، الآية: ٢٤.

(٧) هو عبدالله بن طاهر بن حاتم يكنى أبا بكر الطائي الأبهري من كبار مشايخ الصوفية (ت بعد ٣٣٠ بقليل) ينظر: القزويني، عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت٥٨٠هـ) التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٣/ ٢٢٨-٢٢٩، ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ٤/ ٩١.

(٨) لمقتضى السياق وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٠.

(٩) ينظر: ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ٧٤، البيهقي، كتاب الزهد الكبير، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ٢/ ١٨٤، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٠.

(١٠) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٥٩، الثعالبي، تفسير، ٣/ ١٧٤، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٠، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٣٨٥.

(١١) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٠.

إذ لو كانت الدنيا تساوي جناح بعوضة أو أقلَّ من ذلك لوهبها الأنبياء والأصفياء[١]، ومما جاء في خلقه وتواضعه ورأفته ما نقله المفسرون عن وهب في قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[٢] إن موسى قال: (يا رب لما اتخذتني كليما ؟ وطلب العلم العمل الذي أسعده الله به، فقال الله تعالى: أتذكر إذا ندَّ من غنمك جدي فاتبعته أكثر النهار وأتعبك ثم أخذته وقبَّلته وضممته إلى صدرك وقلت له أتعبتني وأتعبت نفسك ولم تغضب عليه لأجل ذلك [/ ٥٤ ظ] اتخذتك كليما)[٣] فانظر إلى ما تضمنته هذه الأخبار من جلالة المقدار وما اشتملت عليه من شيمه الطاهرة وأوصافه الباهرة، وأما حياؤه فغزير شهير لانهاية له من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ ﴾[٤] أي جاءته إحدى بنتي شعيب تدعوه إلى أبيها وهي مستترة بكمها[٥]، قال قتادة: فلما جاءته بالرسالة قام يتبعها وكان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال، فهبت ريح قضمت قميصها، فوصفت عجيزتها، فتحرَّج موسى من النظر إليها فقال ارجعي خلفي وأرشديني إلى الطريق بصوتك.

وقيل إن موسى قال: ذلك ابتداء، وقال كوني ورائي فإني رجل غير أني لا أنظر إلى أدبار النساء[٦] .

(١) ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٥٦٠، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٣٤١، الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٠/ ٢٨٨.

(٢) سورة النساء، الآية :١٦٤.

(٣) القرطبي، الجامع، ٦ / ١٨.

(٤) سورة القصص، الأية: ٢٥.

(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٦٠، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٠، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٢٨٩.

(٦) ينظر الدارمي، سنن الدارمي، ١/ ١٦٥، الطبري، تفسير ٢٠/ ٦١، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٠-٢٧١

الفصل الثالث

في قوته

اعلم أنه أعطي من القوة والشجاعة [1] ما لا يحصر، وها نحن نذكر من ذلك جملة جاءت في الخبر في وصفه وقوة حواسه، وقد تقدم لنا في الفصل الثالث من الباب الثاني أنه لما بلغ تسع سنين ضرب سرير فرعون برجله فانكسرت له قائمتان ومال السرير وسقط منه فرعون إلى الأرض و انهشم أنفه وسال دمه، فهمَّ فرعون بقتله فقالت له آسية: أيها الملك إن كان فيه القوة كان عونا لك على أعدائك [2] [/ ٥٥و] .

وفي الشفاء أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل [3] من كتابه. حدثنا أبو الحسن المقري الفرغاني [4] حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر [5] عن أبيها، حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسني المقري [6]، حدثنا محمد بن محمد بن سعيد [7]، حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان [8]، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق [9]، حدثنا

---

(١) (و السجعاعة) كذا في الأصل وما أثبته صحيح.

(٢) تقدم ذكره ينظر:ضمن النص المحقق، ورقة [١٤ظ].

(٣) أبو محمد عبد الله بن أحمد أحد شيوخ البصرة (لم أعثر على وفاته)، ينظر ابن أبي الوفا، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد القرشي (ت٧٧٥ هـ)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق مير محمد، كتاب خانة، كراتشي (بلات)، ١/ ٣٦٥.

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن الفرغاني (لم تذكر له وفاة) ينظر بن حجر، نزهة الألباب في الألقاب ،١/ ١٨٢.

(٥) هي نازك بنت أبي بكر محمد بن إبراهيم أم القاسم النجارية، حدثت عن أبي بكر محمد بن حفص، ينظر: أبو بكر، محمد بن عبد الغني، البغدادي، (ت٩٢٩ هـ) تكملة الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ١٢٢٣.

(٦) أبو الحسن علي بن محمد الرازي المقريء (ت٤٤٢ هـ) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٣/ ١٩٣.

(٧) هو محمد بن محمد بن سعيد المؤدب، منكر الحديث، (لم يذكر له وفاة) ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٦ / ٣٢٥، ابن حجر، لسان الميزان، ٥/ ٣٦٦.

(٨) أبو العباس، محمد بن أحمد بن سليمان الهروي (لم يذكر له وفاة)، ينظر: ابن حيان، عبد الله بن محمد بن جعفر أبو محمد الأنصاري، (ت٣٦٩ هـ)، طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٣/ ٤٢٩، أبو نعيم، حلية الأولياء، ٨/ ٣١٧.

(٩) محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي البصري يكنى أبا عبد الله (ت ٢٤٨هـ) ينظر: ابن الذهبي، المغني في =

همام[١]، حدثنا الحسن[٢] عن قتادة عن يحيى بن وثاب[٣] عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال:لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا[٤] في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ[٥]. قلت :قوله حدثنا همام صوابه هانئ وهو ابن يحي السلمي والراوي عن هانئ محمد بن محمد بن مرزوق صدوق.

وقال ابن عدي[٦] له مناكير وهو لين[٧] وقوله عشرة فراسخ لا يخفي ما فيه من القوة الشديدة لبعد المسافة، فإن الفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف خطوة، والخطوة ثلاثة أقدام معتدلة[٨]، فرؤية موسى النملة من هذا البعد يدل على كمال القوة في الحواس، ومن قوته ما نقله المفسرون ونطق ببعضه القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ ﴾[٩] يعني موسى ﴿ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ أي بلغ مدين وهي بلدة معروفة[١٠]، وقيل: قبيلة من مدين ابن

=

الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر (بلا.ت) ٢/ ٦٢٩، ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/ ٥٠٥.

(١) هو هانئ بن يحي السلمي كنيته أبو مسعود، يروي عن الحسن بن أبي جعفر الرازي ينظر: ابن حبان، الثقات، ٩/ ٢٤٧، ابن حجر، لسان الميزان ،٦/ ١٨٧.

(٢) الحسن بن جعفر الجفري البصري، يكنى أبا سعيد، إلا أنه منكر الحديث (ت ١٦٧هـ)ينظر: البخاري، التاريخ الكبير ،٢/ ٢٨٨، ابن حبان، المجروحين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، (بلا.ت) ١/ ٢٣٦.

(٣) يحي بن وثاب الأسدي مولى بني أسد كوفي، قال عنه يحي بن معين إنه ثقة، روى عن ابن عمر وابن عباس وابن الزبير (ت ١٠٣ هـ) ينظر: أبو محمد الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، (ت٣٢٧هـ) الجرح والتعديل، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ٩/ ١٩٣، الربعي، مولد العلماء و وفياتهم، ١/ ٢٤٤.

(٤) (الصفى) بالألف المقصورة كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، و موافق لما ذكره القاضي عياض، الشفاء ١/ ٦٩، ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٥٦.

(٥) ينظر القاضي عياض، الشفاء، ١/ ٦٩، ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٤٧. والفرسخ، ثلاثة أميال ينظر: الخليل، كتاب العين، ٤/ ٣٣٢.

(٦) أبو أحمد عبد الله بن عدي بن محمد بن مبارك الجرجاني، ويعرف أيضا بابن القطان صاحب الكامل في الجرح والتعديل متقن وثقة لم يكن في زمانه مثله (ت ٣٦٥هـ)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/ ١٥٤، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٣٨٠.

(٧) قال عنه ابن عدي: هو ثقة، وروى عنه أبو هريرة: أنه لين، وأبوه ثقة. ينظر: عبد الله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ٦/ ٢٩١، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٣٨٥.

(٨) ينظر: الخليل، كتاب العين، ٤/ ٣٣٢، الزبيدي، تاج العروس، ٨/ ١٢٣.

(٩) سورة القصص، الآية :٢٣، لتتمة الآية: ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾.

(١٠) مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة، وهو المذكور في كتاب الله تعالى، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ٤/ ١٢٠١.

إبراهيم[١] وجد عليه أمة أي جمعا كثيرا من الناس يسقون ماشيتهم، ومن دونهم ناحية إلى الجهة التي جاء منها امرأتين تزودان يمنعان ويجليان غنمهما لئلا [/ ٥٥ظ]. تختلط بغنم الناس[٢]، (قال ابن عباس :تزودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة)[٣] قال النحاس: والأول أولى لأن بعدها قالتا: ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس لم يخبروا عن سبب تأخر سقيهما حتى يصدر الرعاع، فلما رأى موسى ذلك منهما قال: ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ لا يستطيع لضعفه أن يباشر أمر غنمه، وإنهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الأقوياء وإن عاونهما[٤]. الثاني: حتى يصدر الرعاء أي يرجعوا عن الماء[٥] قال بعض المفسرين: كانت الآبار مكشوفة، وكان زحم الناس يمنعهما. فلما أراد موسى أن يسقي لهما زحم الناس وغلبهم في الماء، فعن هذا الغلب الذي كان منه وصفته إحداهما بالقوة[٦]. و قال بعضهم: إنهما كانتا تتبع فضلتهم في الصهاريج فإن وجدتا في الحوض بقية ماء كان ذلك سقيهما، وإن لم يكن فيه بقية عطشت غنمهما، فرق لهما موسى، فعمد إلى بئر مغطاة والناس يسقون من غيرهما، وكان حجرها لا يرفعها إلا سبعة، قاله: ابن زيد[٧]، قال ابن جريج عشرة قال ابن عباس: ثلاثون، وقال الزجاج: أربعون، فرفعه وسقى للمرأتين، فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة[٨]. وقيل: (إن بئرهم كانت واحدة وأنه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة، إذ كانت عادة المرأتين شرب [/ ٥٦و] الفضلات)[٩] روى عمرو بن ميمون[١٠] عن عمر بن الخطاب أنه قال: لما استسقى الرعاء

---

(١) ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ هود :٨٤، وقيل مدين: هي كفر سندة من أعمال طبرية، وعندها أيضا البئر والصخرة، ينظر ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٧٨.

(٢) ينظر: البغوي تفسير ،٣/ ٤٤١، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٢٨٨، أبو السعود، تفسير، ٧/ ٨.

(٣) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٨.

(٤) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٥٦، القرطبي الجامع، واللفظ للقرطبي، ١٣/ ٢٦٨.

(٥) ينظر: السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ١٦٥.

(٦) ينظر القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٩، الثعالبي، تفسير، ٣/ ١٧٤. .

(٧) هوعبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني عالم بتفسير القرآن، وله كتاب في التفسير (ت١٣٦هـ)، ينظر السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٦٠.

(٨) القرطبي، الجامع، ٣/ ١٧٤، وينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٣٧٨.

(٩) القرطبي، الجامع ، ١٣/ ٢٦٩.

(١٠) عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله، تابعي ثقة أدرك النبي ﷺ ولم يره، حدث عن عمر وعلي وابن مسعود ومعاذ ﷺ، (ت ٧٤هـ) ينظر: العجلي، معرفة الثقات، ٢/ ١٨٦، ابن حبان، الثقات، ٥/ ١٦٦، =

غطوا على البئر صخرة لا يقلعها إلا عشرة رجال، فجاء موسى واقتلعها واستسقى ذنوباً واحداً لم يحتج إلى غيره فسقى لهما، إن قيل كيف ساغ لشعيب نبي الله أن يرضى لابنتيه سقي الماشية ؟ والجواب: أن ذلك ليس بمحذور والدين[١] لا يأباه وأما المودة فالناس مختلفون في ذلك، والعادات متباينة فيه، وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم خصوصا كان حال ضرورة[٢]، ثم إن موسى تولى إلى الظل وهو ظل سمرة، وتعرض لسؤال ما يطعم[٣] فقال: ﴿ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[٤] .

وتقدم لنا هذا المعنى في الفصل الذي قبل هذا في ورعه وتواضعه، ثم أن ابنتي شعيب ذهبتا إلى أبيهما سريعتين وكانت عادتهما الإبطاء في السقي فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما، فأمر إحدى بنتيه وهي الكبرى وقيل الصغرى وهو المشهور، أن تدعوه[٥]﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾[٦]قال عمرو بن ميمون: ولم يكن يتلقى من النساء خراجة ولا ولاجة[٧]، قيل جاءته ساترة وجهها بكم درعها[٨] وأن موسى لما جاءته بالرسالة قالت له: ﴿ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾[٩] إن قيل: إن موسى ما سقى لابنتي شعيب إلا طلبا للأجر، فكيف أجاب دعوتها لما [/ ٥٦ ظ] قالت له: ﴿ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾[١٠] والجواب: يجوز أن يكون قد أجاب دعوتها ودعوة أبيها لوجه الله تعالى على سبيل البر والمعروف ابتداء لا

=

الذهبي سير أعلام النبلاء، ٤/ ١٥٨.

(١) (والدلائل) كذا في الأصل ، وما أثبته صحيح، وموافق ما لما ذكره الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٣٨٨.

(٢) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٥٦-٥٨، الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٣٨٨، ابن كثير، تفسير ٣/ ٣٨٤.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٩.

(٤) سورة القصص، الآية : ٢٤.

(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٦٠، النحاس، معاني القرآن، ٥/ ١٧٥، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٤٢.

(٦) سورة القصص، جزء من الآية : ٢٥.

(٧) أي ليست سلفع من النساء بمعنى إنها لم تكن امرأة سليطة أو جريئة على الرجال، ينظر: الخليل، كتاب العين، ٢/ ٣٣١، الجوهري، الصحاح، ٣/ ١٢٣١.

(٨) درع المرأة قميصها، والكم يد الدرع، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٨٥، ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٢٩١.

(٩) سورة القصص، جزء من الآية ٢٥، وينظر مما تقدم الآية: مجاهد، تفسير، ٢/ ٤٨٣، ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ٣٣٤.

(١٠) سورة القصص، جزء من الآية :٢٥.

على سبيل الأجر وإن سمته هي أجرا، ويؤيد هذا أنه لما قدم إليه الطعام فقال: لا آكله إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا، حتى قال له شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا ليس هذا عوضا عن السقي[١]، ولما وصل موسى إلى داعيه وقص عليه القصص أمْره، من أوله إلى آخره آنسه ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢]، يريد قوم فرعون[٣]، قالت إحداهما يا أبت استأجره، وهي الجارية الصغرى التي دعته وتزوج بها[٤] واسمها صافوراء ويقال صفورة[٥]، إن قيل ما الحكمة في تزويجه بالصغرى منه قبل الكبرى مع أن الكبرى أحوج للرجال؟ والجواب: أنه توقع أنه يميل إليها لأنه رأها في رسالته وما ساءها في إقباله إلى أبيها، فلو عرض عليه الكبرى ربما أظهر له الاختيار وهو مضمر غيره، وقد قيل إنه تزوج بالكبرى، حكاه القشيري والأول أشهر[٦]. وكان من كلام ابنةِ شعيب له ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[٧] وإنما وصفته بالقوة والأمانة لأنها شاهدت [/ ٥٧و] ذلك منه عيانا ويقينا، وقد قلناه آنفا ولما قالت ذلك قال له الشيخ: ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ﴾[٨] أي أعوام ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ إن قيل: قوله على أن تأجرني ثماني حجج ذكر الخدمة مطلقا ولم يذكر وجه ما يستعمل فيه، وقد قال

---

(١) ينظر: الدارمي، سنن الدارمي، ١/ ١٦٥، الطبري، تفسير، ٢٠/ ٦١، أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٣/ ٢٣٦، البغوي ،تفسير ،٣/ ٤٤٢.

(٢) سورة القصص، تتمة الآية: ٢٥.

(٣) أي ليس لفرعون ولا لقومه على شعيب وقومه سلطان، لأنهم خارج مملكتهم، ينظر: أبي يعلى، مسند أبي يعلى، ٥/ ١٨، النحاس، معاني القرآن، ٥/ ١٧٥، الواحدي، تفسير، ٣/ ٢٦٩، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٤٢.

(٤) ينظر: الطبراني، المعجم الصغير، ٢/ ٧٩، والمعجم الأوسط، ٥/ ٣٢١، البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢هـ)، مسند البزار، د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م، ٩/ ٣٨٢، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٣٨٧.

(٥) ينظر: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٢/ ٤٤١، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٤٢، ابن حجر، فتح الباري، ٤/ ٤٤٠.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٣.

(٧) سورة القصص، الآية :٢٦.

(٨) سورة القصص، الآية :٢٧، لتتمة قوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

الشافعي[١] وأبو حنيفة[٢] وغيرهما لا يجوز حتى يسمي لأنه مجهول[٣]. وأجاب البخاري عن هذا بأن العمل عندهم كان معلوما من سعي وحرث ورعي وما شاء كل أعمال البادية، فهي مهنة أهلها، فهذا متعارف[٤]. قال ابن العربي[٥] وقد ذكر أهل التفسير أنه عيَّن له رِعْيَةَ الغنم، فكان ما علمه من حاله قائم مقام التعيين[٦]، إن قيل: عدَّ الفقهاء رعي الإبل والغنم من الحرف الدنيئة[٧] واستشهدوا بقول الشاعر:

لستُ براعِي إبلٍ وَ لا غَنَمْ وَلا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمْ
باتُوا نياماً وابنُ هِنْدٍ لَمْ يَنمْ فَكَيْفَ رَعَى مُوسَى الغَنَمْ[٨]

بل كل الأنبياء فعلوا ذلك[٩] أجيب (بأن ذلك سنة الأنبياء في ابتداء أمرهم، وقد يقال: لا يلزم من ذلك أن تكون صفة مدح لغيرهم كما أن يقال: الكتابة في حق نبينا معجزة، وفي حقِّ غيره غير معجزة)[١٠] والحكمة في رعي الأنبياء الغنم أنهم يكونون

---

(١) قال الشافعي (رحمه الله تعالى):(قد ذكر الله عز وجل أن نبيا من أنبيائه أجَّر نفسه حججا مسماة ملَّكه بها بضع امرأة) فدل على تجويز الإجارة، ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله (ت ٢٠٤هـ)، الأم، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ٤/ ٢٥.

(٢) هو النعمان بن ثابت أبو حنيفة الكوفي فقيه أهل العراق، وقيل: إنه من أبناء فارس، كان خزازا يبيع الخز، قال عنه ابن معين ثقة، وقال ابن المبارك: ما رأيت في الفقه مثله (ت ١٥٠هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦/ ٣٦٨، العجلي الكوفي، معرفة الثقات، ٢/ ٣١٤، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٨٠.

(٣) قال أبو حنيفة: من استأجر أجير فليعلمه أجره. ينظر: أبو نعيم الأصبهاني، مسند أبي حنيفة، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، ط١، مكتبة الكوثر، الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١/ ٨٩، البيهقي، سنن البيهقي، ٦/ ١٢٠.

(٤) ينظر: البخاري، صحيح، ٢/ ٧٩١، واللفظ في القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٥، ابن حجر، فتح الباري، ٤/ ٤٤٠.

(٥) هو محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي صنف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ (ت ٥٤٣هـ) ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠/ ٢٠٣، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٤٦٨.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٥.

(٧) ينظر :الشرواني، عبد الحميد، حاشية الشرواني، دار الفكر، بيروت، (بلا.ت) ٧/ ٢٨١.

(٨) لم أقف عليه.

(٩) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال :ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم فقال أصحابه: وأنت فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة، ينظر البخاري، صحيح، ٢/ ٧٨٩.

(١٠) ينظر: الشربيني، محمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ)، مغني المحتاج، دار الفكر، بيروت، (بلا.ت)، ٣/ ١٦٧، الشرواني، حاشية الشرواني، ٧/ ٢٨١.

كذلك يسوسون قومهم ورعيتهم كما يسوسون الغنم[١] [/ ٥٧ظ]، فإن قيل هل نقل ما كانت أجره؟ أُجيب: أنه روى يحيى بن سلام[٢] أنه جعل لموسى كل سخلة توضع خلاف لون أمها، فأوحى الله إليه أن ألق عصاك تكون خلاف شبههنَّ كلهنَّ، وقيل جعل له كل بلقاء تلد، فولدت كلهن بلقاء[٣]. وذكر القشيري أن شعيباً لما استأجر موسى قال له: أدخل بيت كذا وخذ عصى من العصي التي في البيت، فأخرج موسى عصا، وكان أخرجها آدم من الجنَّة وتوارثها الأنبياء حتى جاءت إلى شعيب، فأمره شعيب أن يلقيها ويأخذ عصى غيرها، فدخل وأخرج تلك العصى، وفعل ذلك سبع مرات كل ذلك لا يقع بيده غير تلك. فعلم شعيب أن له شأناً[٤]. قلت: نقل الطبري في تاريخه عن ابن عباس أن شعيباً أمر إحدى ابنتيه أن تأتيه بعصى فأتته بعصا وكانت تلك العصا استودعها إياه مَلَك في صورة رجل فدفعها إليه فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتت بها فلما رآها الشيخ قال: لا، إيتيه[٥] بغيرها، فألقتها وأخذت تريد أن تأخذ غيرها، فلا يقع في يدها إلاَّ هي، وجعل يرددها وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها، فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه فرعى بها[٦]. ثم إن الشيخ ندم وقال: كانت وديعة، فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال: [/ ٥٨و] أعطني العصا فأبى موسى أن يعطيه فاختصما وجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فأتاهما مَلَكٌ يمشي فقضى بينهما، فقال ضعوها في الأرض فمن حملها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطق! وأخذها موسى بيده فرفعها: فتركها له الشيخ فرعى له عشر سنين[٧]. (قال ابن عباس: كان موسى أحق بالوفاء)[٨]، وإنَّما سقنا هذه القصة بتمامها

---

(١) ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٤/ ٤٤١، الشوكاني، نيل الأوطار ،دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م، ٦/ ٢٠.

(٢) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة أبو زكريا البصري نزيل المغرب بإفريقية أخذ القراءات عن أصحاب الحسن البصري، روى عنه ابن وهب (ت ٢٠٠هـ)، ينظر: القضاعي أبو عبد الله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ)، كتاب الحلة السبراء، تحقيق: د.حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٥م، ١/ ١٠٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٣٩٦.

(٣) والحديث: فنتجت كُلُّهُنَّ قالب لون واحد، ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ١٧/ ١٢٧، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٨٧.

(٤) ينظر: القشيري، تفسير القشيري، ٢/ ٤٣٥، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٧٦.

(٥) (آتيه) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٦) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٣٧-٢٣٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ١٣٦.

(٧) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٦٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ١٣٦، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤٠٢.

(٨) الطبري، تاريخ، ١/ ٢٣٨.

لأجل ما تضمنته من المعجزة والكرامة.

ومن قوته خبره مع عوج في قصة طويلة نذكر ملخصاً معتمداً ما ذكره الطبري في تاريخه عن السُدِّيِّ أن موسى عليه السلام لما سار إلى أريحا من أرض بيت المقدس بطلب الجبارين ومعه قومه، بعث منهم اثني عشر نقيباً ليأتوه بخبر الجبارين.فلقيهم رجل من الجبارين يقال له:عوج[١] فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حزمة وعلى رأسه حملة حطب، فانطلق بهم إلى امرأته فقال انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أنهم يقاتلونا فطرحهم بين يديها فقال أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك[٢]، (فلما خرج القوم قال بعضهم لبعض: يا قوم إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله، ولكن اكتموه وأخبروا نبي الله)[٣] فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه، ثم رجعوا [٤] فانطلق [/ ٥٨ ظ] عشرة فنكثوا العهد، فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من عوج وكتم رجلان منهم[٥] فأتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر[٦]، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ ﴾[٧] فقال لهم موسى: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾[٨] (يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله)[٩] ﴿ يَٰقَوْمِ

---

(١) هو رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق، وعناق اسم أبيه وقال وهب بن منبه بل اسم أمه وكانت من بنات آدم عليه السلام وقال: ولد عوج في زمن آدم وكان جباراً، وعمره ثلاثة آلاف سنة، حتى أدرك موسى، وكان قتله على يد موسى عليه السلام. ينظر ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،١/ ٣٥٤.

(٢) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٥٣، ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/ ٣٢٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ١٤٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ١/ ٢٥٣، البغوي، تفسير، ٢/ ٢٠، أبو السعود، تفسير، ٣/ ١٤.

(٤) (رجحوا) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، وموافق لما ذكره الطبري، تاريخ، ١/ ٢٥٣.

(٥) هما يوشع بن نون فتى موسى، وقيل: كالب أو كلاب بن يوقنة ختن موسى عليه السلام وهما رجلان مؤمنان كانا في مدينة الجبارين، والدليل على هذا أنهما قالا: أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، ينظر الطبري، تاريخ، ١/ ٢٥٣-٢٥٤، النحاس، معاني القرآن، ٢/ ٢٨٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ١٤٩.

(٦) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/ ٣٢٥.

(٧) سورة المائدة، الآية :١٢.

(٨) سورة المائدة، الآية :٢٠

(٩) الطبري، تفسير، ٦/ ١٧٠، القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٣.

﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ[١] ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٢]. يقول الذي أمركم بها[٣]: ﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ قالوا ما سمعوا من العشرة: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ﴾[٤] يعني إيليا[٥] وهي القدس، ويقال أريحا[٦]، ﴿يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ (أي حتى يسلموها لنا من غير قتال، وقيل قالوا ذلك خوفا من الجبارين)[٧]وكانوا (عظام الأجسام طوال)[٨].قال القرطبي: وكان أحدهم يدخل في كُمِّه اثنين، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة[٩]، ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾[١٠] وهما اللذان كتما: يوشع بن نون فتى موسى، وكالب بن يوقنا، ختن موسى، فقالا: يا قوم ادخلوا عليهم الباب ولا يهولنكم عظم أجسامهم فقلوبهم ملئت رعبا منكم فأجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة، وكانوا قد علموا أنهم إذا دخلوا من ذلك الباب كان [/ ٥٩و] لهم الغلبة ويحتمل أن يكونا قالا ذلك ثقة بوعد الله[١١]ثم قالا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١٢] (مصدقين به فإنه ينصركم وقيل: على القول الأول لَمَّا قالا هذا أراد بنو إسرائيل رجمهما بالحجارة، وقالوا: نصدقكما وندع قول العشرة؟)[١٣] ثم قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾[١٤]، (وهذا عناد وحيد عن القتال وإياس من

---

(١) قال الفراء: الأرض المقدسة الطاهرة وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن وبيت المقدس منه، ينظر: الفراء معاني القرأن، ١/ ٣٠٤، ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ١٧٢.

(٢) سورة المائدة، الآية :٢١، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾.

(٣) أي التي امركم الله بها، ينظر الطبري، تفسير، ٦/ ١٧٣، أبو السعود، تفسير، ٣/ ٢٣، السيوطي، الدر المنثور، ٤/ ٢١٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٢، لتتمة قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾.

(٥) إليا: هو اسم لبيت المقدس، ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ٣/ ٨٤٤.

(٦) أريحا: هي مدينة الجبارين تقع في غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٢١٧.

(٧) القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٧.

(٨) المصري، التبيان في تفسير غريب القرأن، ١/ ١٨١، الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٧.

(٩) ينظر: مجاهد، تفسير، ١/ ١٨٩، الطبري، تفسير، ٦/ ١٤٩، القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٥.

(١٠) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٧-١٢٨، أبو السعود، تفسير، ٣/ ٢٤، الآلوسي، روح المعاني، ٦/ ١٠٧.

(١٢) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(١٣) القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٧.

(١٤) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

النصر ثم جهلوا صفة الرب سبحانه وتعالى)[١] فقالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾[٢] وصفوه بالذهاب والانتقال، والله تعالى منزه عن ذلك وهذا يدل على كفرهم، وقيل: أرادوا[٣] بالاسم الكريم هنا هارون وكان أكبر من موسى وكان موسى يطيعه وبالجملة فقد فسقوا بقولهم[٤]، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٥] أي لا تحزن عليهم[٦]، ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[٧] (أي لا نبرح ولا نقاتل)[٨] قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾[٩]؛ لأنه كان يطيعه، و قيل: المعنى إني لا أملك ثم ابتدأ فقال: وأخي أي وأخي أيضا لا يملك إلا نفسه[١٠]، ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ إن قيل لم سأل الفرق بينه وبين هؤلاء القوم؟ أجيب أنه سأل لبعدهم عن الحق وذهابهم عن الصواب فيما ارتكبوا من العصيان، ولذلك ألقوا في التيه، وأجيب أيضا أنه طلب التمييز أي ميزنا عن جملتهم ولا تلحقنا بهم [/٥٩ظ] في العقاب، وقيل: المعنى فاقض بيننا وبينهم بعصمتك إيانا من العصيان الذي ابتليتهم به، وقيل: إنما أراد الآخرة، أي اجعلنا في الجنة، ولا تجعلنا معهم في النار[١١]، فاستجاب الله دعاه وعاقبهم في التيه أربعين سنة[١٢]، وذلك قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[١٣]، وأصل التيه الحيرة، فكانوا يسيرون في فراسخ قليلة،قيل: قدر ستة فراسخ يومهم وليلتهم

(١) القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٤.
(٣) (اروا) كذا في الأصل ،وما أثبته صحيح. ينظر: القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٨.
(٤) ينظر: القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٨.
(٥) سورة المائدة، الآية :٢٦
(٦) أي لا يحزن على القوم الذي سماهم الله فاسقين، ينظر: الطبري، تفسير، ٦/ ١٨٦، القرطبي، الجامع، ٦ /١٢٨، البيضاوي، تفسير، ٢/ ٣٤٩.
(٧) سورة المائدة، الآية :٢٤.
(٨) الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٨.
(٩) سورة المائدة، الآية: ٢٥، لقوله تعالى ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا﴾ .
(١٠) هذا التملك تملك مجاز لأن الإنسان لا يملك نفسه ولا أخاه الحر على الحقيقة لأن أصل الملك القدرة، ومحال إن يقدر الإنسان على نفسه أو على أخيه، فأطلق الملك على التصرف أي يملك تصريف نفسه في طاعة الله، وأطلقه على أخيه أيضا، ينظر: الجصاص، أحكام القرآن، ٤/ ٤٣، ابن الجوزي، زاد المسير، ٢ /٣٢٨.
(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٨، الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٨.
(١٢) ينظر: النسائي، السنن الكبرى، ٦/ ٤٠٥، القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٨.
(١٣) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

فيصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا [١]، وكانوا سيارة لا قرار لهم، واختلف هل كان معهم موسى وهارون؟ فقيل: لا لأن التيه عقوبة وكانت سنون التيه بعدد [٢]، أيام العجل، فقوبلوا كل يوم بسنة، وقد قال: ﴿ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٣]، وقيل: كان معهم، ولكن سهل الله الأمر عليهما كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، ومعنى محرمة أي أنهم ممنوعون من دخولها، فهو تحريم منع لا تحريم شرع .

إن قيل: كيف يقع لجماعة كبيرة من العقلاء أن يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا ليخرجوا منها؟ فأجيب قد يكون ذلك بأن يحول الله الأرض التي هم عليها إذا ناموا فيردهم إلى المكان الذي ابتدأوا منه وقد يكون بغير ذلك من الاشتباه والأسباب المانعة من الخروج عنها على طريق المعجزة الخارجة عن العادة[٤] ولما ضرب عليهم التيه [/ ٦٠و] ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه فقالوا له: ما صنعت بنا يا موسى[٥]؟ فلما ندم موسى أوحى الله إليه: ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾[٦] أي لاتحزن على القوم الفاسقين، فلم يحزن، فقالوا: يا موسى كيف لنا بماء هاهنا أين الطعام؟ فأنزل الله عز وجل عليهم المنّ[٧]، والسلوى فكان يسقط على الشجر الترنجبين، والسلوى هو طير يشبه السماني، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير فإن كان سمينا ذبحه وإلا أرسله فإذا سمن أتاه فقالوا: هذا الطعام فأين الشراب، فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه إثنتا عشرة عينا شرب كل سبط من عين، فقالوا: هذا الطعام والشراب فأين الظل، فظلل عليهم الغمام، فقالوا: هذا الظل فأين اللباس، فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب[٨] فذلك قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾[٩] أي جعلناه كالظله والغمام السحاب، لأنها تغم السماء[١٠]، قال السُّدي: الغمام

---

(٥) ينظر: مجاهد، تفسير ١/ ١٨٩، الطبري، تفسير، ٦/ ١٨٥، القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٩.

(٢) (بعد) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح لمقتضى السياق.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٥.

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٩- ١٣٠، الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٨.

(٥) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/ ٣٣٠.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

(٧) عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: قال رسول الله ﷺ: {ثم الكمأة من المنّ الذي أنزل الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين}. ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٦٢٧ مسلم، صحيح، ٣ / ١٦٢٠، ابن حبان، صحيح، ١٣/ ٤٣٨.

(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٩٦- ٢٩٧، ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/ ٣٣٠، ابن كثير، تفسير، ١/ ٩٨.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(١٠) ينظر: القرطبي، الجامع، ١/ ٤٠٥، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٨٧.

السحاب الأبيض[١]. (والمن، قيل: الترنجبين بتشديد الراء وتسكين النون. ذكره النحّاس، ويقال: الطرنجبيل بالطاء، وعلى هذا أكثر المفسرين، صمغة حلوة، وقيل: عسل، وقيل: شراب حلو، وقيل: خبز الرقان، وقيل: المنُّ مصدر يعمُّ جميع ما منَّ به على عباده من غير تعب ولا زرع)[٢]، ومنه قوله ﷺ في حديث سعيد [/ ٦٠ ظ] بن زيد بن عمرو بن نفيل[٣]. الكمأة: من المنِّ الذي أنزل الله على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين. وفي رواية من المنِّ الذي أنزل الله تعالى على موسى. رواه مسلم[٤].

قال أبو عبيد[٥]: (إنما شبهها بالمنِّ ؛ لأنه لا مؤنة فيها ببذر ولا سقي ولا علاج فهي منه، أي: من جنس منِّ بني إسرائيل .

وروي أن المنَّ كان ينزل على بني إسرائيل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، كالثلج فيأخذ الرجل منهم ما يكفيه ليومه، فإن ادَّخر فسد عليه إلا في يوم الجمعة فإنهم كانوا يدَّخرون ليوم السبت، فلا يفسد عليهم؛ لأن يوم السبت يوم عبادة، وما كان ينزل عليهم يوم السبت شيء)[٦]. والسلوى: اختُلف فيه، فقيل: هو السُّمَّان بعينه[٧]، وقال الجوهري: (السلوى: العسل)[٨].

وهذا يردّ قول ابن عطية: (السلوى طير بإجماع المفسرين)[٩] وجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[١٠] (قال الجمهور: هي بيت المقدس، وقيل أريحا من بيت

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١/ ٤٠٦، السيوطي، الدر المنثور، ١/ ١٧١.

(٢) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٩٥، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١/ ٤٠٦، السيوطي، وغيره، شرح سنن ابن ماجة، ١/ ٢٤٧.

(٣) هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أبو الأعور العدوي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، (ت٥١ هـ) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ٨، الذهبي، طبقات المحدثين، ١/ ١٨.

(٤) ينظر: مسلم، صحيح، ٣/ ١٦٢٠.

(٥) ابن سلاّم، القاسم أبو عبيد البغدادي اللغوي الفقيه صاحب المصنفات، سئل يحيى بن معين عنه، قال: أبو عبيد يسأل عن الناس، (ت٢٢٤هـ). ينظر: ابن حبان، الثقات، ٩/ ١٦، عمر بن أحمد أبو حفص الواعظ (ت٣٨٥هـ)، تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، ط١، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١/ ١٩٠.

(٦) القرطبي، الجامع، ١/ ٤٠٦، الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٦.

(٧) ينظر: البغوي، تفسير، ١/ ٧٥، القرطبي، الجامع، ١/ ٤٠٧.

(٨) الجوهري، الصحاح، ٦/ ٢٣٨١.

(٩) القرطبي، الجامع، ١/ ٤٠٧، الثعالبي، تفسير، ١/ ٦٧، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٨٧. وفي السلوى قولان أحدهما أنه طائر يشبه السمَّان، وقال بعضهم هو السمَّان، والثاني أنه العسل ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ٨٤.

(١٠) سورة البقرة، الآية: ٥٨، لتتمة قولة تعالى: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾.

المقدس[١]) قال ابن كيسان[٢]، وقال الضحاك: (الرملة والأردن، وفلسطين، وتدمر، وهذه نعمة أخرى وهو أنه أباح لهم دخول البلدة وأزال عنهم التيه)[٣]. وقوله: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ الباب في بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة عن مجاهد وغيره[٤]، وقيل القبة التي كان يصلي إليها موسى وبنوا إسرائيل[٥]، وقوله [تعالى][٦] ﴿سُجَّدٗا﴾ قال ابن عباس: منحنين ركوعا وقيل متواضعين خضوعاً لا على هيئة متعينة[٧]، وقولوا: حطة. قال النِّحَّاسُ: جاء في الحديث عن ابن عباس أنه قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله، وفي حديث آخر عنه أنه قيل لهم قولوا: مغفرة، أي قولوا: شيئاً يحط ذنوبكم، قال الحسن، وعكرمة: حطة بمعنى حط ذنوبنا [/ ٦١و] أُمروا أن يقولوا: لا إله إلا الله فيحط بها ذنوبهم[٨]، وقال ابن فارس[٩]: حطة كلمة أمر بها بنوا إسرائيل، لو قالوها لحطت أوزارهم[١٠]. قال (القرطبي يحتمل أن يكون تعبدوا بهذا اللفظ بعينه)[١١] وهو الظاهر من الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: {قيل: لبني إسرائيل ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾[١٢]، {فدخلوا يزحفون على أستاههم

---

(١) الثعالبي، تفسير، ١/ ٦٨، القرطبي، الجامع، ١/ ٤٠٩.

(٢) هو أبو بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان، فقيه ومفسر معتزلي، يروي عن أبيه، ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ٧/ ٢٣٣-٢٣٤، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/ ٤٦١، النووي، المجموع في شرح المهذب، دار الفكر (بلا.ت) ٩/ ٤٠٠.

(٣) القرطبي، الجامع، ١/ ٤٠٩.

(٤) ينظر: مجاهد، تفسير، ١/ ٧٦، الطبري، تفسير، ١/ ٢٩٩، الثعالبي، تفسير، ١/ ٦٨.

(٥) ينظر: ابو السعود، تفسير، ١/ ١٠٤، النسفي، تفسير، ١/ ٤٥.

(٦) لتعظيم لفظ الجلالة.

(٧) ابن حبان، صحيح، ١٤/ ١٤٤، الواحدي، تفسير، ١/ ١٠٧، القرطبي، الجامع، ١/ ٤١٠، الثعالبي، تفسير، ١/ ١٦٩.

(٨) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ١/ ٣٨، الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١/ ٤٠.

(٩) أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب يكنى أبا الحسين اللغوي وله كتاب جامع التأويل في تفسير القرآن، (ت٣٩٥هـ)، ينظر: الفيروز آبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، ط١، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١/ ٦١، السيوطي، طبقات المفسرين، ١/ ٢٦.

(١٠) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ٨٤، السيوطي، الدر المنثور، ١/ ١٧٣.

(١١) القرطبي، الجامع، ١/ ٤١١.

(١٢) سورة البقرة، الآية: ٥٨.

وقالوا: حبة في شعرة }. أخرجه البخاري، قال: بدَّلوا وقالوا حبَّة في شعرة[١]، وقيل: قالوا: هطى سمهاثا، وهي لفظة عبرانية تفسيرها: حنطة حمراء حكاها ابن قتيبة[٢]، (وحكاه الهروي عن السدِّي، ومجاهد. وكان قصدهم خلاف ما أمرهم الله به فعصوا وتمردوا واستهزؤوا فعاقبهم الله بالرجز وهو العذاب وقال[٣]: كان طاعوناً فهلك منهم سبعون ألفاً)[٤] وروي أن الباب جعل قصيراً يدخلونه ركَّعا، فدخلوه متوركين على إستاههم)[٥] قوله: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ التقدير، وقلنا: ادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين. (أي نزيدهم إحساناً على الإحسان المتقدم عندهم)[٦] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾[٧] وذلك أنه قيل لهم: قولوا حطة، فقالوا: حنطة، فزادوا حرفاً في الكلام فلقوا من البلاء ما لقوا، تعريفاً أن الزيادة في [/ ٦١ ظ]. الدين والابتداع في الشريعة شديدة الخطر عظيمة الضرر[٨]، ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٩] (ولم يضمره تعظيما للأمر)[١٠]، ﴿رِجۡزٗا﴾ وهو العذاب[١١]، وقوله: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾[١٢] (كسرت الذال لالتقاء الساكنين، والسين سين السؤال مثل: استعلم واستخبر ونحو ذلك)[١٣]، (أي طلب وسأل السقي لقومه)[١٤] ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ﴾[١٥] (في الكلام حذف تقديره: فضرب فانفجرت[١٦]،

---

(١) البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٠١، مسلم، صحيح، ٤/ ٢٣١٢.

(٢) ينظر: ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق، أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص٥٠.

(٣) هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي المدني، ثقة، ينظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/ ٤٧٩.

(٤) القرطبي، الجامع، ١/ ٤١١.

(٥) ينظر: ابن كثير، تفسير، ١/ ١٠٠.

(٦) القرطبي، الجامع، ١/ ٤١٥.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

(٨) ينظر: القرطبي، الجامع، ١/ ٤١٥.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٥٩ لتتمة قوله تعالى: ﴿رِجۡزٗا﴾.

(١٠) القرطبي، الجامع، ١/ ٤١٦.

(١١) ينظر: الصنعاني، تفسير، ١/ ٤٥، ابن قتيبة، تفسير، ص٥٠، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٦٧.

(١٢) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(١٣) القرطبي، الجامع، ١/ ٤١٧.

(١٤) الطبري، تفسير، ١/ ٣٠٦، البغوي، تفسير، ١/ ٧٦، القرطبي، الجامع، ١/ ٣٠٦.

(١٥) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(١٦) ينظر: الفرَّاء، معاني القرآن، ١/ ٤٠، ابن منظور، لسان العرب ٢/ ٥٣١.

وقد كان تعالى قادراً على تفجير الماء وفلق الحجر من غير ضرب، لكن أراد أن يربط المسببات بالأسباب حكمة منه للعباد في وصولهم إلى المراد، وليرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم في الميعاد[١] والانفجار: الانشقاق، ومنه انشق الفجر، وانفجر الماء انفجاراً، أي انفتح، والفجرة: موضع يفتح الماء، والانبجاس أضيق من الانفجار[٢] وقوله ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[٣].

قال المفسرون: لما استسقى موسى لقومه أمر عند استسقائه أن يضرب بعصاه حجراً، قيل: مربعاً طورياً من الطور على قدر رأس الشاة يلقى في كسر جوالق[٤] ويرحل به؛ فإذا نزلوا وضع في وسط محلتهم، وذكر أنهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الأولى[٥]، (وهذا أعظم في الآية والإعجاز، وقيل: إنه أطلق له اسم الحجر ليضرب موسى، أي حجر شاء، وهذا أبلغ في الإعجاز[٦]، وقيل: إن الله أمره [/ ٦٢ و] أن يضرب حجراً بعينه بيَّنه لموسى، ولذلك ذكر بلفظ التعريف[٧]. قال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه إذا اغتسل وفرَّ بثوبه حتى برَّأه الله مما رموه به قومه[٨]، قال ابن عطية: (ولا خلاف أنه كان حجراً منفصلاً مربعاً تطرد من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى، وإذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفَّت العيون)[٩]، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[١٠]، يعني: أن لكل سبط منهم عيناً قد عرفها لا يشرب

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١/ ٤١٩.

(٢) ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢/ ٧٧٨، القرطبي، الجامع، ١/ ٤١٩، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(٤) جوالق: وعاء من الأوعية، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٤٥، ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٣٦.

(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٣٠٧، القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢٠، النسفي، تفسير، ١/ ٤٦، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٥٣، الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٠.

(٦) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ١/ ٢٧٠.

(٧) ينظر: الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، التبيان في تفسير القران، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١/ ٢٦٩، الزمخشري، الكشاف، ١/ ١٤٤، القرطبي، الجامع ١/ ٤٢٠.

(٨) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٤٩، الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٣٥٩، ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ٨٧.

(٩) القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢٠، الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٠.

(١٠) سورة البقرة، جزء من الآية: ٦٠.

من غيرها[١] والمشرب موضع الشرب، وقيل المشروب[٢]، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر أولاد يعقوب، وكان لكل سبط عين من تلك العيون، لا يتعداها[٣].

قال عطاء: كان للحجر أربعة أوجه يخرج من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين لا يخالطهم سواهم[٤]، (وبلغنا انه كان في كل سبط خمسون ألف مقاتل غير خيلهم ودوابهم)[٥] قال عطاء: كان يظهر في كل موضع من ضرب موسى مثل ثدي المرأة على الحجر فيعرق أولا ثم يسيل)[٦].

قوله: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾[٧] في الكلام حذف تقديره وقلنا لهم: كلوا المنَّ واشربوا الماء المتفجر من الحجر المنفصل[٨] ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ ﴾ أي لا تفسدو ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (وكرر المعنى تأكيداً لاختلاف اللفظ)[٩] ولما رزقوا هذه الإنعامات الوافرات قالوا: يا موسى ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ قالوا: ذلك حين ملُّوا [/ ٦٢ ظ] المنَّ والسلوى وتذكروا عيشهم الأول بمصر واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليه عادتهم[١٠]، فقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾[١١] (وكنّوا عن المنِّ والسلوى بطعام واحد وهما اثنان؛ لأنهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر، فلذلك قالوا: طعام واحد وقيل تكرارهما في كل يوم غذاء)[١٢]. وقيل :المعنى لن نصبر على الغنى فيكون جميعنا أغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض لاستغناء كل واحد منا بنفسه، ولذلك كانوا أول من اتخذ العبيد

---

(١) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ٢٠٧، القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢٠، السيوطي، الدر المنثور، ١/ ١٧٥.
(٢) ينظر: الجوهري، الصحاح، ٦/ ٢٣٧٩، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٢/ ٣٨١، القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢١، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٩١.
(٣) ينظر القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢١، الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٠، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٩١.
(٤) ينظر: البغوي، تفسير، ١/ ٧٧، القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢١، النسفي، تفسير، ١/ ٤٦.
(٥) القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢١.
(٦) ينظر: البغوي، تفسير، ١/ ٧٧.
(٧) سورة البقرة، الآية :٦٠ لتتمة قوله تعالى: ﴿ مُفْسِدِينَ ﴾.
(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٣٠٨، البغوي، تفسير، ١/ ٧٧
(٩) ينظر: القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢١، الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٠، أبو السعود، تفسير، ١/ ١٠٦.
(١٠) ينظر: الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٠، القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢٢.
(١١) سورة البقرة، جزء من الآية: ٦١.
(١٢) القرطبي، الجامع، ١/ ٤٢٢.

والخدم[١] ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا ﴾[٢] (وهو كل نبات ليس له ساق)[٣] ﴿ وَقِثَّآئِهَا ﴾ وهو معروف[٤]، ﴿ وَفُومِهَا ﴾ وهو الثوم في قول الضحاك[٥]، (وقرأ ابن مسعود ثومها بالثاء المثلثة، ورويَ ذلك عن ابن عباس[٦]، وقيل: المراد الثوم، والبصل[٧] وقيل: الحنطة روي عن ابن عباس أيضاً وأكثر المفسرين. قال النحاس: وهو أولى[٨] ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ قال موسى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾[٩] فهو المنُّ والسلوى[١٠] ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ أراد مصراً غير معين، وقيل: مصر فرعون بعينها، وقيل: غير ذلك والأول أولى[١١]. قال موسى: ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ أي: الزموهما وقضى عليهم[١٢] ﴿ وَبَآءُو ﴾ أي: انقلبوا ورجعوا بغضب من الله[١٣] والغضب من الله إرادة الله العقوبة، وهو في اللغة

---

(١) ينظر الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٦٠هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١/ ٢٣٩. القرطبي، الجامع ١/ ٤٢٢.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية: ٦١، لقوله تعالى: ﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾.

(٣) الواحدي، تفسير، ١/ ١٠٩، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٩١.

(٤) وهو الخيار، ينظر: النسفي، تفسير، ١/ ٤٧.

(٥) ينظر: الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٠.

(٦) ينظر: ابن خالويه أبو عبد الله الحسن بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ)، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، عني بنشره: برجشتراسر، دار الهجرة، ص٦.

(٧) ينظر: القرطبي الجامع، ١/ ٤٢٥، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٩٢.

(٨) قال ابن عباس أكثر المفسرين على أن الفوم هو الحنطة أو جميع الحبوب التي تخبز، ينظر: الفراء، معاني القرآن، ١/ ٤١، ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص ٥١، الطبري، تفسير، ١/ ٣١١.

(٩) سورة البقرة، وهي جزء من الآية: ٦١ لقوله تعالى: ﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾.

(١٠) أي طلب بنوا إسرائيل الثوم والبصل مكان المنّ والسلوى، ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٣١٣، ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ٨٩، أبو السعود، تفسير، ١/ ١٢٩.

(١١) فمن العرب من يصرفه، ومنهم من لا يصرفه. أما التي في سورة يوسف: ﴿ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ بغير ألف، آية: ٩٩، فيعني بها مصر بعينها: أما التي نحن بصددها في سورة البقرة، فهي مصراً من الأمصار، ينظر: الفراء، معاني القرآن، ١/ ٤٣، الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (ت بعد ٢٠٧هـ) معاني القرآن، تحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ١/ ٢٧٣.

(١٢) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ٩٠، الثعالبي، تفسير، ١/ ٧١.

(١٣) ينظر: الأخفش، معاني القرآن، ١/ ٢٧٣، ابن قتيبة، تفسير، ص ٥١.

الشدة [١] ذلك بأنهم -هذا تعليل - كانوا يكفرون بآيات الله أي بكتابه ومعجزات أنبيائه[٢] ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهذا فيه تعظيم للشنعة والذنب الذي أتوه[٣] [/ ٦٣ و] (فإن قيل: هذا دليل على أنه قد يصح أن يقتلوا بالحق، ومعلوم أن الأنبياء معصومون من أن يصدر منهم ما يقتلون به! أجيب: بأنه إنما خرج مخرج الصفة لقتلهم، أنه ظلم وليس بحق، فكان هذا تعظيماً للشنعة عليهم، ومعلوم أنه لا يقتل نبي بحق ولكن يقتل على الحق، فصرح قوله: بغير الحق عن شنعة الذنب ووضوحه، ولم يأت نبي قط بشيء يوجب قتله، فإن قيل: كيف جاز أن يخلا بين الكافرين وقتل الأنبياء؟ أجيب: بأن ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين وليس ذلك بخذلان لهم)[٤]. (ولما خرجوا من التيه رفع المن والسلوى وأكلوا البقول)[٥] والتقى موسى وعوج فضرب موسى كعب عوج فقتله[٦].

وفي بعض التواريخ أن قوم موسى لما أتوا عوجاً قطع حجراً من جبل فحمله على رأسه ليلقيه على قوم موسى وكانوا ألوفا، فبعث الله تعالى طائراً فنقر الحجر فنزل في عنقه فوقع فجاء موسى فضربه بالعصا في كعبه فقتله[٧] وجاء في صفة عوج وعظم خلقته اختلاف كثير بين المؤرخين. قيل: كانت البحار إلى عجز عوج، وانه ليضرب بيده فيأخذ الحوت من أسفل البحر فيشويه بيده في قلب الشمس حتى تنضجه ثم يأكله، وكان عمره ثلاثة آلاف سنة وستمئة سنة، وولد في دار آدم يعني في دهره، وانتهى الماء من الطوفان إلى ما انتهى إليه وما جاوز الماء ركبتيه[٨]، وقيل: انطلق عوج فقطع جبلاً فرسخاً

---

(١) ينظر القرطبي، الجامع، ١/ ١٥٠.

(٢) بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر، وإظلال الغمام، وإنزال المن والسلوى، وانفجار العيون من الحجر، والكتب المنزلة كالانجيل والفرقان، وآية الرجم، فاليهود هم قتلة الأنبياء ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس أي الذي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما قتلوا زكريا ويحيى وغيرهم من الأنبياء بغير الحق،. ينظر: البيضاوي، تفسير، ١/ ٣٣٣، الشوكاني، فتح القدير، ١/ ٣٢٧.

(٣) ينظر: الثعالبي، تفسير، ١/ ٧١.

(٤) القرطبي، الجامع، ١/ ٤٣٢، الثعالبي، تفسير، ١/ ٧١.

(٥) الطبري، تفسير، ١/ ٣١٣، ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٥٤، ابن الأثير، الكامل، ١/ ١٥٠.

(٦) ينظر الطبري، تفسير، ٦ / ١٨٢، الأصبهاني أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، (ت ٣٦٩ هـ)، العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٥/ ١٥٢١، ابن الأثير، الكامل، ١/ ١٥٠.

(٧) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٥٤، ابن الجوزي، المنتظم، في تاريخ الملوك والأمم، ١/ ٣٥٥.

(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ٦/ ١٨٥، البغوى، تفسير، ٢/ ٢٠، القرطبي، الجامع، ٦/ ١٢٦-١٢٧.

في فرسخ[١] [/ ٦٣ظ] وقيل فرسخين في فرسخين ثم احتمله فانطلق به ليلقيه على عسكر موسى فبعث الله تعالى الهدهد إلى البحر إلى معدن الماس وهو أول من استنبط الماس فاحتمله فجاء حتى نقر الحجر فخرقه فوقع الجبل في عنق عوج، فلم يستطع [أن][٢] يلتفت يميناً ولا شمالاً، وأوحى الله إلى موسى: قم إن كان لك في عدوك هذا حاجة، فقام موسى ومعه عصاه، وكان طول العصا عشرة أذرع، وقيل: أكثر، وطول موسى عشرة أذرع، وقيل: أكثر، ووثبته من الأرض عشرة أذرع، فيصيب كعبيه حتى دقهما فقتله[٣] فانظر إلى ما تضمنته هذه القصة التي ذكرناها من معجزات موسى، وما وهبه [الله][٤] من القوة الشديدة. إذ مثل هذه الخلقة العظيمة، كانت ضربة موسى له مهلكة، وما[٥] أطلنا الكلام في هذه القصة إلا لكثرة فوائدها، وما تضمنته من المعجزات والآيات الباهرات، والله سبحانه وتعالى أعلم بما وهب لنبيِّه وصفيِّه.

(١) والفرسخ: ثلاثة أميال، ينظر: الخليل، كتاب العين، ٤/ ٣٣٢، ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٦٣٩.

(٢) لمقتضى السياق.

(٣) ينظر: النيسابوري، محمد بن الفتال (ت ٥٠٨هـ) روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم، إيران، (بلا.ت).ص ٤٨، البغوي، تفسير، ٢/ ٢٠، أبو السعود، تفسير، ٣/ ١٥، الجزائري، قصص الأنبياء، ص ٣٠١، الآلوسي، روح المعاني، ٦/ ٨٦. لقد تطرق ابن جماعة رحمه الله تعالى إلى قوة و شجاعة موسى عليه السلام في هذا الفصل، وكانت ضمن الكتاب والسنة المطهرة، وكان عليه أن يبين ما نقله من كتب التفاسير والتواريخ ما يتعلق في قصة عوج بن عناق التي تخالف للمعقول والمنقول، كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله تعال. أما المعقول: فكيف يسوغ أن يهلك ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة، ولا يهلك عوج بن عناق وهو أظلم وأطغى. وأما المنقول: قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾ وقال نوح: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾، ثم هذا الطول الذي ذكروه مخالف لما في الصحيحين عن النبي ﷺ حيث قال: {إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن} وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم عليه السلام من كان أطول منه، ثم ختم قائلا: وما أظن أنَّ هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلاقاً من بعض زنادقة أهل الكتاب وفجَّارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم.ابن كثير، قصص الأنبياء، ١/ ١٠٦، أرجح ما ذهب إليه ابن كثير، لأنه أقرب للعقل والنقل.

(٤) لمقتضى السياق.

(٥) (وإنما) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

الفصل الرابع

في عصمته من الذنوب والعيوب

اعلم أن هذا الباب واسع جداً. قال عياض وغيره: الأنبياء (عليهم السلام) معصومون لا يصدر عنهم ذنب ولو صغيرة لا قبل النبوةِ ولا بعدها لا عمداً ولا سهواً[1]، وقال عياض: وقد جاءت الأخبار والآثار بتنزيههم عن النقائص منذ ولدوا، بل كانت نشأتهم على التوحيد والإيمان وإشراق أنوار المعارف ونفحات [/ ٦٤و] اللَّطائف[2]، فإن قلت: ما معنى قول موسى وقد {سُئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم فعتب الله عليه إذ لم يَرد العلم إليه، الحديث وفيه قال: بل عبد لنا بمجمع البحرين هو أعلم منك}[3] وهذا خبرٌ قد أنبأنا الله أنه ليس كذلك. والجواب: أنه قد وقع في هذا الحديث من بعض طرقه، الصحيح عن ابن عباس {هل تعلم أحداً أعلم منك}[4]؟ (فإن كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة. وعلى الطريق الآخر فحمله على ظنِّه ومعتقده كما لو صرح به، لأن حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فتكون أخباره بذلك أيضاً عن اعتقاده وحسبانه صدقاً لا خلفَ فيه)[5] (وقد يريد بقوله: أنا أعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علم التوحيد وأمور الشريعة وسياسة الأمَّة، ويكون الخضر أعلم منه بأمور أخر مما لا يعلم أحد إلا بإعلام الله تعالى من علوم غيبه[6] كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى أعلم على الجملة بما تقدم، وهذا أعلم على الخصوص بما عُلم، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[7] وعَتبَ الله عليه ذلك فيما قاله العلماء، إنكار هذا القول عليه، لأنه لم يرد العلم إليه كما قالت الملائكة

---

(١) ينظر. القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٠٩، النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٦٢، المناوي، فيض القدير، ٢/ ٥٦٧.

(٢) القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٠٩.

(٣) البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٤٧، مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٧، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ١٠٥، القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٤٢.

(٤) ينظر: البخاري، صحيح، ١/ ٤١، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ١١٦، النسائي، السنن الكبرى، ٦/ ٣٩١، ابن حبان، صحيح، ١/ ٣٠٥. واللفظ للقاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٤٢.

(٥) القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٤٢، وينظر: ابن حجر، فتح الباري، ١/ ٢١٩.

(٦) (غيره) كذا في الأصل، وما أثبته يستقيم به المعنى وموافق لما جاء به القاضي عياض، الشفا، ٢/ ١٤٢.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[١] أو لأنه لم يرض قوله شرعاً وذلك والله أعلم، لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية [نفسه][٢] وعلو درجته من أمته فيهلك لما تضمنه من مدح الإنسان نفسه ويورثه ذلك من العجب والكِبر [/ ٦٤ظ] والدَّعوى، وإن نزِّه عن هذه الرذائل [الأنبياء][٣] فغيرهم بمدرجة سبُلها ودرك ليلها إلا من عصمه الله تعالى، فالتحفظ منها أولى لنفسه وليُقتَدى به ولهذا قال ﷺ: تحفظاً من مثل هذا مما قد عُلم به)[٤] {أنا سيِّد ولَد آدم ولا فَخر [٥] [وهذا][٦] لحديث إحدى حجَج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه: أنا أعلم من موسى)[٧] ولا يكون الولي أعلم من النبيِّ[٨] وأما الأنبياء فيتفاضلون في المعارف، بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾[٩] فدلَّ على أنه بوحي، ومن قال: إنه ليس بنبيٍّ قال: يحتمل أنه فعله بأمر نبيٍّ آخَر، وهذا يَضعُف لأنَّه ما علمنا [أنه][١٠] كان في زمن موسى ﷺ نبيٌّ غيره إلاّ أخاه هارون وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئاً يُعوَّل عليه، وإذا جعلنا أعلم منك ليس على العموم وإنما هو [على][١١] الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج إلى إثبات نبوَّةِ الخضر فيما أخذه عن الله، والخضر أعلم فيما دفع إليه من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

(٢) لمقتضى السياق وموافق لما ورد في نص القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٤٢.

(٣) لمقتضى السيلق وينظر: (م.ن)، ٢ / ١٤٣.

(٤) القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٤٣.

(٥) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ٢/ ١٤٤٠، ابن أبي عاصم، عمرو ابن أبي عاصم الضحاك الشيباني، (ت ٢٨٧ هـ) السنة لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ٢/ ٣٧٠، أبو يعلي، مسند أبي يعلى، ٤/ ٢١٥.

(٦) لمقتضى السياق، وما أثبته موافق لما جاء به القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٤٣.

(٧) القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٤٣.

(٨) الولي: تظهر له كرامات لكنه لايتحدى الخلق ولا يستدل بها على نبوة، ولو ادَّعا شيئاً من ذلك لم تنخرق العادة له، وقال الحسن الأشعري لايمنع أن يطلع الله بعض أولياءه على حسن عاقبته وخاتمة عمله وغيره، لكن خرق العادة على يد النبي ﷺ يتحدى بها الخلق ويستعجزهم عن مثلها ويخبر عن الله تعالى بخرق العادة له لتصديقه، فكرامة الولي معجزة النبي ﷺ، فتعلم موسى ﷺ من الخضر لا يدل على أن الخضر كان أفضل منه، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول، والفضل لمن فضَّله الله تعالى، فالخضر إن كان ولياً فموسى ﷺ أفضل منه لأنه نبيّ والنبي أفضل من الولي، وإن كان نبياً فموسى ﷺ فضَّله بالرسالةِ والله أعلم، ينظر: القرطبي الجامع، ١١/ ١٧، والشوكاني ما يتعلق بخرق العادة مما يخص الولي والنبي، نيل الأوطار، ٧/ ٣٦٦.

(٩) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(١٠) لمقتضى السياق وموافق لما ورد في نص القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٤٣.

(١١) لمقتضى السياق وينظر: (م.ن)، ٢/ ١٤٣.

موسى[١]، وقال آخرون: إنما ألجأ موسى إلى الخضر للتأديب لا للتعليم[٢] فإن قلت: قد تقرر عصمة الأنبياء. فكيف قتل موسى القبطي الذي قص الله عنه في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾[٣] يريد موسى، والمدينة مَنف[٤] على رأس فرسخين من مصر ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾[٥] أي وقت غفلة (وهو بين العشاء والعتمة)[٦] قال ابن زيد[٧] وذلك بعد أن أُخرج من المدينة [/ ٦٥ و] وغاب عنها سنين فجاء على غفلة والناس إذ نسوه لبعد عهدهم به، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته، المعنى إذا نظر إليهما الناظر قال: هذا من شيعته من بني إسرائيل[٨]، وهذا من عدوه[٩] ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾[١٠] حين طلب نصره وغوثه[١١].

قال قتادة: أراد القبطي أن يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً لمطبخ فرعون فأبى فاستغاث بموسى. قال سعيد بن جبير: وكان خبازاً لفرعون فوكزه موسى أي دفعه فقضى عليه أي قتله، قال قتادة: بعصا، قال مجاهد: بكفِّه[١٢] قال موسى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[١٣] قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى

---

(١) ينظر: القاضي عياض، الشفاء، ٢|١٤٣، والقرطبي، الجامع ' ١١/ ١٠.

(٢) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٦٧، القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٤٣، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥ / ١٦٩.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٤) منف: بالفتح ثم السكون وفاء اسم مدينة فرعون بمصر، أصلها بلغة القبط مافة، فعربت فقيل: منف، ينظر: ياقوت معجم البلدان، ٥/ ٢١٣ – ٢١٤.

(٥) سورة القصص، الآية: ١٥، لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾.

(٦) الثعالبي، تفسير، ٣/ ١٧٢، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٨.

(٧) هو علي بن زيد بن جدعان يكنى أبا الحسن التيمي القرشي، الأعمى عالم البصرة، قال عنه أحمد ويحيى: ضعيف، وقال عنه الترمذي: صدوق، ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/ ١٤٠، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٦٥. أرجح إن موسى ﷺ قتل القبطي قبل خروجه من المدينة، والروايات الواردة تؤكد هذا الخبر علما أن ابن زيد قال عنه: أحمد ويحيى ضعيف كما تقدم.

(٨) قيل: الذي كان من شيعته هو السامريّ، ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٩، النسفي، تفسير، ٣/ ٢٣٠.

(٩) هو فاتون، ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٩، النسفي، تفسير، ٣/ ٢٣٠.

(١٠) سورة القصص، الآية :١٥.

(١١) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤٤، النحاس معاني القرآن، ٥/ ١٦٥، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٠.

(١٢) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٩، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٠، ابن كثير، تفسير، ٣/ ٣٨٣.

(١٣) سورة القصص، الآية :١٥ .

فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١] والجواب: عن ذلك أن قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾[٢] أي لهذه لا يريد قتله إنما قصد دفعه، فقتل[٣]. وقوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ (أي من إغوائه)[٤] قال الحسن: لم يكن موسى عمد قتل الكافر يومئذٍ[٥]، وقوله: فغفر له بعد قوله ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾[٦] (إن موسى ندم على ذلك الوكز الذي كان فيها إذهاب النفس فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه. قال قتادة: عرف والله المخرج فاستغفر ربه ﴿فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ثم لم يزل موسى يعدُّ ذلك على نفسه مع علمه بأنه قد غفر له حتى إنه في القيامة يقول: إنّي قتلت نفساً لم أُؤمر بقتلها، وإنّما عدَّه على نفسه ذنباً، وقال: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ من أجل أنّه [/ ٦٥ ظ] لا ينبغي لنبيٍّ أن يقتُل حتى يؤمر بقتل، وأيضاً فإن الأنبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم)[٧] قال النحاس والنقاش: لم يقتله عن عمد مريداً للقتل، وإنما وكزه[٨] يريد بها [دفع][٩] ظلمه[١٠].

قال النحاس: وقد يقال: أن هذا كان قبل النبوة[١١]، وقال كعب: كان ذلك وهو ابن اثنتي عشرة[١٢] سنة، وإنَّ الوكزة في الغالب لا تقتل[١٣]. وفي صحيح مسلم عن سالم بن عبد الله[١٤] قال: سمعت أبا عبد الله ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إن

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٦.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤٦، الواحدي، تفسير، ٢/ ٨١٤، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٣٩٨.

(٤) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦١.

(٥) (م.ن)، ١٣/ ٢٦١.

(٦) سورة القصص، الآية :١٦، إلى قوله تعالى: ﴿الغفورُ الرَّحيم﴾.

(٧) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦١.

(٨) أي دفعه بجميع كفه، ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٥/ ٣٣٥.

(٩) (دفعه) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع ,٣/ ٢٦١.

(١٠) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٥/ ١٦٧، القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٦٥، ولم أقف على مصدر النقاش.

(١١) لم أقف عليه عند النحاس، وإنما عثرت عليه عند القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ١٦٥، وينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦١.

(١٢) (اثنتي عشر) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح لأن العدد هنا يوافق المعدود، وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦١.

(١٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦١.

(١٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٧ هـ)، ينظر: ابن خياط، والطبقات، ١/ ٢٤٦.

الفتنة تجيء من هاهنا وأومأ بيده نحوَ المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأً}[١] فقال الله تعالى: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾[٢] أي ابتليناك ابتلاءً بعد ابتلاء. وقال ابن جبير: أخلصناك إخلاصاً وأصل الفتنة الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار أدى إلى مكروه[٣]. قال موسى: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾[٤] (من المعرفة والحكمة والتوحيد)[٥] ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ﴾، عوناً للمجرمين وهم أهل الكفر[٦].

قال القشيري: ولم يقل بما أنعمت عليَّ من المغفرة لأن هذا قبل [الوحي] [٧] وما كان عالماً بأن الله تعالى غفر له ذلك القتل [٨]. قال الماوردي: بما أنعمت علي من المغفرة وهو قول المهدوي والثعلبي أو من [/ ٦٦ و] الهداية [٩]، قال الزمخشري: (بما أنعمت عليَّ من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين، وأراد بمظاهرة المجرمين: إمَّا صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمَّى ابن فرعون وإمّا مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية للقتل الذي لم يحل قتله)[١٠] وقيل: أنه أراد إني وإن أسأت في هذا القتل الذي لم أؤمر به فلا أترك نصرة المؤمنين على المجرمين، فعلى هذا كان الإسرائيلي مؤمناً ونصرة

---

(١) مسلم، صحيح، ٤/ ٢٢٢٩.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٠.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٤/ ٥١، الجصاص، أحكام القرآن، ٥/ ٥٢، البغوي، تفسير، ٤/ ٥١، ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ٣.

(٤) سورة القصص، الآية: ١٧. لقوله تعالى ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ﴾.

(٥) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٢.

(٦) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٥/ ١٦٧، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٩، ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٩. وهذا يدل على إن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً.

(٧) لمقتضى السياق، ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٢.

(٨) قال موسى عليه السلام: ربِّ بما أنعمت عليَّ من توفيقك لي بالتوبة فلن أعود بعد ذلك إلى مثل ما سلف مني، ينظر: القشيري، تفسير القشيري، ٢/ ٤٣٢. ويبدو أن ذلك بعد تكليفه بالرسالة وأن الله تعالى أخبره بأنه غفر له لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾. (القصص:١٦).

(٩) ينظر: الماوردي، تفسير، ٣/ ٢٢١، القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٦٢. ولم أقف على قول القشيري.

(١٠) الزمخشري، الكشاف، تفسير، ٣/ ٣٨٥.

المؤمنين واجبة في جميع الشرائع [١]، وقيل: في بعض الروايات أن ذلك الإسرائيلي كان كافراً [٢]، وإنَّما قيل له: إنه من شيعته. لأنه كان إسرائيلياً، ولم يرد الموافقة في الدين فعلى هذا ندم لأنه أعان كافراً على كافر. فقال بعدها: فلن أكون ظهيراً للمجرمين أي فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين [٣] ولَّما وقع من موسى عليه السلام ما وقع من خبره ما قد أخبر الله في كتابه بقوله: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا ﴾[٤] أي من قتل النفس أن يؤاخذ بها[٥] (وقيل: خائفاً من قومه أن يسلموه)[٦] وقيل: خائفاً من الله تعالى يترقب[٧].

قال سعيد بن جبير: يتلفت لما به من الخوف[٨]، وقيل: ينتظر الطلب [٩]، وقيل: خرج يستخبر الخبر ولم يكن أحد علم بقتل القبطي غير الإسرائيلي[١٠]، (وأصبح يحتمل أن يكون بمعنى صار أي لَّما قتل صار خائفاً) [/ ٦٦ ظ] ويحتمل أن يكون دخل في الصباح أي في صباح اليوم الذي يلي يومه خائفاً، وخائفاً منصوب على الخبر وإن شئت على الحال ويكون الظرف في موضع الخبر[١١].

فائدة: يجوز على الأنبياء عليهم السلام الخوف، والخوف لاينافي المعرفة بالله تعالى ولا التوكل عليه[١٢]، واختلف السلف بالإسرائيلي المستصرخ الذي قال الله فيه: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾[١٣]، فقيل: هو السامري إستسخره طباخ آل فرعون في حمل حطب المطبخ ذكره القشيري[١٤]، وقيل: (صاحبه الإسرائيلي الذي خلصه

---

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٧/ ١٠٥، أبو السعود، تفسير، ٧/ ٧.
(٢) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٧.
(٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٢.
(٤) سورة القصص، الآية: ١٨.
(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤٨.
(٦) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٤.
(٧) ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٧/ ١٠٥.
(٨) ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ٣/ ٢٣٣، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤٠٠.
(٩) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٥/ ١٦٨، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٢٨٨.
(١٠) ينظر: الواحدي، تفسير، ٢/ ٨١٥.
(١١) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٤، السمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٦٥٨-٦٥٩.
(١٢) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٤، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٩٥.
(١٣) سورة القصص، الآية :١٨.
(١٤) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٩، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٤، النسفي، تفسير، ٣/ ٢٣٠، الغزي، الاتقان، ٢/ ٣٩٠-٣٩١.

بالأمس)[١] يقاتل[٢] قبطياً[٣] آخر أراد أن يسخره[٤]، والاستصراخ الإغاثة[٥]، والأمس هو اليوم الذي قبل يومك[٦] قال موسى للمستصرخ: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[٧] أي: مضل مبين قتلت بسببك أمس رجلاً وتدعوني اليوم للآخر[٨]! وقيل: إنك غويٌّ في قتال من لا تطق دفع شره، فلما أراد موسى أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما وهو القبطي توهم الإسرائيلي أنه يريده لأنه أغلظ له في القول، فقال: يا موسى ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾[٩] فسمع القبطيُّ الكلام فأفشاه[١٠]، وقيل: أراد أن يبطش الإسرائيلي بالقبطي فنهاه موسى، فخاف منه[١١] فقال: ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ ﴾ أي ما تريد[١٢] ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قتالاً، قال عكرمة والشعبي[١٣]: لايكون الإنسان جباراً حتى يقتل نفسين بغير حق، ﴿ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ أي الذين [/ ٦٧ و] يصلحون بين الناس[١٤] ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾[١٥] وهو حزقيل بن صبورا مؤمن آل فرعون، وكان ابن عمٍّ فرعون ذكره الثعلبي[١٦]، وقيل: طالوت ذكره السهيلي، قال المهدوي: عن قتادة اسمه

---

(١) لم يذكر القشيري السامري، وإنما ذكر صاحبه الذي خلصه بالأمس، ينظر: القشيري، تفسير، ٢/ ٤٣٢.

(٢) (ويقال) كذا في الأصل، وما أثبته موافق للقرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٤، ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٩.

(٣) (قبطاً) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٤.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ٦/ ٢٠٩، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٤، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ١٦٤.

(٥) ينظر: الجوهري، الصحاح، ١/ ٤٢٦، الزبيدي، تاج العروس، ٢/ ٢٦٦.

(٦) ينظر: المقري، المصباح المنير، ١/ ٢٢، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١/ ٦٨٣.

(٧) سورة القصص، الآية: ١٨.

(٨) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٥، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٢٨٧.

(٩) سورة القصص، الآية :١٩. لقوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾.

(١٠) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٦٦، النحاس، معاني القرآن ٥/ ١٦٨، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٥.

(١١) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤٩-٥٠، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٥.

(١٢) ينظر: الطبري: تفسير، ٢٠/ ٥٠، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٥.

(١٣) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ١٢، الذهبي، طبقات المحدثين، ١/ ٣٩، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٤٠.

(١٤) ينظر: ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ٥/ ٤٣٦، القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٥، ابن كثير، تفسير، ٤/ ٨٠، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤٠١.

(١٥) سورة القصص، الآية :٢٠.

(١٦) الثعالبي، تفسير، ٥/ ١١٣.

شمعون مؤمن آل فرعون، وقيل: شمعان [١]، (قال الدارقطني: لا نعرف شمعان بالشين المعجمة إلا مؤمن آل فرعون [٢]، وروي أن فرعون أمر بقتل موسى فسبق ذلك الرجل بالخبر، ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[٣] أي يتشاورون ليقتلوك بالقبطي الذي قتلته بالأمس)[٤] ﴿ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[٥] ينتظر الطلب[٦] ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولما وقع ما وقع توجه موسى تلقاء مدين لما بينهم من النسب، فإن مدين من ولد إبراهيم، وموسى من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[٧] ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٨]، قال ذلك لما خرج فارّاً بنفسه منفرداً خائفاً لاشيء معه من زاد، وكان يتقوت من ورق الشجر، وما وصل حتى سقط خف قدميه[٩]، وبين مصر ومدين ثمانية أيام. وكان ملك مدين لغير فرعون ولّما خرج موسى وجه فرعون في طلبه وقال: اطلبوه في ثنيّات الطريق فإن موسى لا يعرف الطريق. فجاء مَلَكٌ راكب فرساً ومعه عَنَزَة[١٠] فقال لموسى: اتبعني فاتبعه فهداه الطريق، فيقال إنه أعطاه العَنَزَة فكانت عصاه، ويروى إنَّ عصاه إنَّما [/ ٦٧ ظ] أخذها لرعي الغنم من مدين وهو أكثر وأصح. قال مقاتل والسُّدي: إنَّ الله بعث جبريل والله أعلم [١١].

(١) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦١/ ٣٢، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٦، وابن كثير، قصص الأنبياء، ٢/ ٥٦.

(٢) ينظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ٢ /٥٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢، لقوله تعالى ﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾.

(٤) القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٦.

(٥) سورة القصص، الآية :٢١، لقوله تعالى: ﴿ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

(٦) (الطالب) كذا في الأصل، وما أثبته موافق لما ذكره النحاس، معاني القرآن، ٥/ ١٦٨، الواحدي، تفسير، ٢/ ٨١٥، القرطبي، الجامع، ٣/ ٢٦٦.

(٧) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٦، الآلوسي، روح المعاني، ٢٠/ ٥٩.

(٨) سورة القصص، الآية: ٢٢.

(٩) ينظر: الحنبلي المقدسي، الأحاديث المختارة، ١٠/ ٣٨٦، أبو السعود، ٧/ ٨، الآلوسي، روح المعاني، ٢٠ /٥٩.

(١٠) وهي شبه العكازة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٢٤٣.

(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٣/ ٢٦٦، الثعالبي، تفسير، ٣/ ١٧٤.

الباب السابع

في ذكر مناجاته

وما منحه الله تعالى من هباته

قال الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[2].

قال المفسرون والمؤرخون: لَمّا جاوز موسى البحر ببني إسرائيل سأله قومه أن يأتيهم بكتاب من عند الله، فخرج إلى الطور واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر وهو عشر ذي الحجّة والثلاثون القعدة وكانوا جمعوا حلي القبط، فقال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم، وإنَّ حليَّ القبط إنَّما هو غنيمة فاجمعوها جميعاً فاحفروا لها فادفنوها فإن جاء موسى فأحلَّها أخذتموها و إلاَّ كانَ شيئاً لم تأكلوه، فجمعوا ذلك الحليَّ في تلك الحفرة، وجاء السامري[3] فصاغ لهم من ذلك الحليِّ عجلاً[4] وكان السامري من قوم يعبدون البقر[5] ثم قذف منه قبضة كان أخذها من تراب حافر الفرس الذي نزل عليها جبريل إلى موسى، فقذف تلك القبضة[6] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ منها[7] ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[8] وعدَّت بنو إسرائيل ما وعد موسى فعدُّوا الليلة يوماً والنهار يوماً، فلمّا كان العشرين أخرج لهم العجل[9]، فلمَّا رأوه

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥١.

(٣) وكان اسم السامري موسى بن ظفر وقع في أرض مصر فدخل في بني إسرائيل، ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٨٣.

(٤) (م.ن)، ١/ ٢٨٢.

(٥) (م.ن)، ١/ ٢٨٢.

(٦) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٨٣، ابن الجوزي، زاد المسير، ٨٠١.

(٧) مقحمة وردت في المخطوط ويمكن الاستغناء عنها ولم يتغير المعنى.

(٨) سورة طه، الآية: ٨٨.

(٩) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ٢٠٠.

قال لهم السامريُّ [/ ٦٨ و] ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾[١] يقول: ترك موسى إلهه هاهنا وذهب يطلبه، فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي [٢]، فقال لهم هارون: يا بني إسرائيل ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[٣] لا العجل ﴿ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ في عبادته ﴿ وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴾ فعصوه ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[٤]، (فننظر هل يعبده كما عبدناه! وتوهموا أن موسى يعبد العجل)[٥] وانطلق إلى إلهه يكلمه، فلما كلَّمه قال: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[٦] ﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[٧] ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾[٨] فلما أخبره خبرهم قال موسى: (يا ربِّ هذا السامري أمرهم أن يتخذوا العجل أرأيت الروح من نفخها فيه؟ قال الله تعالى: أنا قال: ربِّ أنت إذاً أضللتهم)[٩] قال ابن عباس، ومجاهد، ومسروق[١٠]، في قوله عز وجل: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾[١١]، وإنَّ الله تعالى أمر موسى [أن يصوم][١٢] شهر [ذي][١٣] القعدة وينفرد فيه بالعبادة فلمّا صامه أنكر موسى خلوف فمه فاستاك، قيل: بعود خروب، قالت الملائكة: إنا كنّا نستنشق من فيك رائحة المسك ! فغيرته بالسواك فزد

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٨.

(٢) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ٢٠٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٩٠، إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴾.

(٤) سورة طه، الآية: ٩١.

(٥) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٣٧، النسفي، تفسير، ٣/ ٦٥.

(٦) سورة طه، الآية: ٨٣.

(٧) سورة طه، الآية: ٨٤.

(٨) سورة طه، الآية: ٨٥.

(٩) الطبري، تفسير، ١/ ٢٨٢، السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٥٦٩. الخبر من الإسرائيليات والله أعلم، ولا يمكن لنبي الله موسى عليه السلام أن يتجرأ بمثل هذا الكلام، فهذا طعن بالله تعالى، وبموسى عليه السلام.

(١٠) مسروق بن الأجدع أبو عائشة الهمداني الكوفي، الفقيه أحد الأعلام وكان أعلم من شريح بالفتوى وكان شريح يستشيره (ت ٦٣ هـ) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦/ ٧٦، الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦ هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق: خليل الميس، دار العلم، بيروت (بلا. ت)، ١/ ٨٠.

(١١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

(١٢) لمقتضى السياق، وموافق للقرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٤.

(١٣) لمقتضى السياق وهي من اسمه، تقول: ذو القعدة وذو الحجة والله أعلم.

عليه عشر ليال من ليال ذي الحجة، وقيل إن الله أوحى إلى نبيِّه موسى لمّا استاك يا موسى لا أُكلمك حتى يعود فمك إلى ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحبّ إليَّ من ريح المسك ! وأمره بصيام عشرة أيام، وكان كلام الله لموسى غداة النحر[١]، فإن قيل ما الفائدة في قوله [/ ٦٨ ظ] تعالى: ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾[٢] وقد علم إنَّ ثلاثين وعشرا أربعين. فالجواب: كي لا يتوهم أنَّ المراد أتممنا الثلاثين بعشر منها فبيَّن أن العشر سوى الثلاثين، فإن قيل: فقد قال في سورة البقرة: ﴿أَرْبَعِينَ﴾ وقال في سورة الأعراف: ﴿ ثَلَٰثِينَ﴾ فيكون ذلك من البداء أُجيب: بأنَّ الاختلاف إذ أربعون، وثلاثون وعشرة قول واحد، وإنَّما قال: القولين على التفصيل والتأليف، قال: أربعين في قول مؤلف، وقال ثلاثين يعني شهراً متتابعاً وعشراً، كل ذلك أربعون[٣] فإن قيل: (لم خص اللَّيال بالذكر دون الأيام؟ قيل: لأنَّ اللَّيلة أسبق من اليوم فهي قبله في الرتبة، ولذلك وقع بها التأريخ، فاللَّيالي أوَّل الشهور والأيام تبعٌ لها)[٤] واعلم أنَّ موسى لَّما خرج لمناجاة ربه قال: ﴿لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٥]، قيل: أمره بالصلاح، قال ابن جريح: كان من الإصلاح أن يزجر السَّامريُّ وقيل: أرفق بهم وأصلح أمرهم وأصلح نفسك ولا تتبع سبيل المفسدين، المعارضين[٦]، ولَّما ذهب للمناجاة وقرب من الطور وكان معه سبعون[٧] رجلاً سبقهم شوقاً إلى سماع كلام ربه عزَّ وجل[٨] فخاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[٩] أي ما حملك أن سبقتهم. وفي بعض التفاسير إنَّ موسى لَّما وفد إلى طور سيناء بالوعد إشتاق إلى ربِّه وطالت عليه المسافة من شدة الشوق فضاق به الأمر حتى شقَّ قميصه، ثمَّ لم يصبر حتى خلفهم ومضى وحده[١٠] فلمَّا وقف في مقامه قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

(٣) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٥، واللفظ للقرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٥.

(٤) القرطبي، الجامع، ١/ ٣٩٦، هذا بالنسبة للأشهر القمرية،حيث كانوا يؤرخون بها، فميلاد القمر يكون عند المغرب.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

(٦) ينظر، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٧.

(٧) (سبعين) كذا في الأصل، وما أثبتُّه صحيح لأنه اسم كان.

(٨) (م. ن)، ١١/ ٢٣٢.

(٩) سورة طه، الآية: ٨٣ .

(١٠) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٣٢.

قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[١] فبقي عليه السلام [/ ٦٩ و]، متحيراً عن الجواب لهذه الكلمة لما أستقبله من صدق الشوق فأعرض عن الجواب، وكنى عنه بقوله ﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾[٢] وإنَّما سأله عن السبب الذي أعجله فأخبر عن مجيئهم بالأثر[٣]، فقال: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (فكنى عن ذكر الشوق وصدقه إلى ابتغاء الرضى)[٤] قال ابن عباس: (كان الله عالماً ولكن قال: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ ﴾ رحمةً لموسى وإكراماً له بهذا القول وتسكيناً لقلبه ورقَّة عليه)[٥] ثمَّ إنَّ الله تعالى قال لموسى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾[٦] وتقدَّم لنا بيان هذا ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾[٧] (الأسف وراء الغضب)[٨] قال الطبري: إنَّما غضب لأنهم فتنوا بالعجل[٩] قال ابن العربي[١٠]: إنَّ موسى كان من أعظم الناس غضباً لكن كان سريع الرجوع فتلك بتلك. قال ابن القاسم[١١]: (سمعت مالكاً يقول: كان موسى إذا غضب طلع الدخان من قلنسوته ورفع شعر بدنه)[١٢] ثمَّ إنَّ موسى ذمَّ قومه وقال: ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾[١٣] (أي ميعاد ربكم)[١٤] وقيل: (سخط ربكم)[١٥] ﴿ وَأَلْقَى

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٣.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٤، لقوله تعالى: ﴿ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٣٣.

(٤) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٩٥، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٣٣.

(٥) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٣٣.

(٦) سورة طه، الآية: ٨٥.

(٧) سورة طه، الآية: ٨٦.

(٨) الطبري، تفسير، ٩/ ٦٣، ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٢٦٣، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٦.

(٩) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٩٧.

(١٠) القاضي أبو بكر ابن العربي، محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي برع في الأدب والبلاغة وصنف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن (ت ٥٤٣ هـ) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٢٩٦ – ٢٩٧، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٤٦٨ – ٤٦٩.

(١١) ابن القاسم المالكي أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن جنادة جمع بين الزهد والعلم وتفقه بالإمام مالك (ت١٩١ هـ)، ينظر: ابن حبان، الثقات، ٨/ ٣٧٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ١٢٩.

(١٢) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٧.

(١٣) سورة الأعراف، الآية :١٥٠، إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾.

(١٤) الواحدي، تفسير, ١/ ٤١٤، ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٢٦٤، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٨.

(١٥) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٨. فيها مبالغة.

﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي كتب الله له فيها كلَّ شيء لَمَّا اعتراه الغضب والأسف إذ عُبِد العجل من دون الله[١].

قال ابن عباس: لَمَّا ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع منها التفصيل وبقي الهدي والرحمة[٢]، ومن غضب موسى عليه السلام أخذ برأس أخيه يجره إليه بلحيته وذؤابته وكان هارون أكبر منه[٣]، وللعلماء في أخذ موسى أربع تأويلات:

الأول: إنَّ ذلك كان متعارفاً عندهم كما كانت العرب تفعله من [/ ٦٩ظ] قبض الرجل لحية أخيه وصاحبه إكراماً وتعظيماً، فلم يكن ذلك على سبيل الإذلال[٤].

الثاني (إنّما كان ذلك ليُسِرَّ إليه نزول الألواح عليه لأنها نزلت عليه في هذه المناجاة، وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل قبل التوراة)[٥] فقال له هارون: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي كيلا يشتبه سراره على بني إسرائيل بإذلاله[٦].

الثالث: إنَّما فعل ذلك إنَّه وقع في نفسِهِ أنَّ هارون مائلٌ مع بني إسرائيل فيما فعلوه من أمر العجل، وهذا بعيد جداً إذ مثل هذا لا يجوز على الأنبياء![٧].

الرابع: ضمَّ إليه أخاه ليعلم ما لديه، فكره ذلك هارون خوفاً من ظنَ بني إسرائيل إنه

---

(١) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٦٦، ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٥٠.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٨.

(٣) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ٢٠٢، أبو السعود، تفسير، ٣/ ٢٧٤.

(٤) ينظر: الجصّاص، أحكام القرآن، ٤/ ٢١٠، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٩، النسفي، تفسير، ٢/ ٣٨.

(٥) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٩.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٩، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٢١٠.

(٧) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٩. وللباحث تعليق على تلك التأويلات، منها الأول والثاني والرابع، أمَّا الثالث فليس لي عليه تعليق لأنه كما جاء فمحال في حقّ الأنبياء.

فأبدأ بالتأويل الأول: عندما أخبر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بخبر السّامري، رجع موسى عليه السلام ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾. على ما فرط قومه في جنب الله، وموسى عليه السلام معروف عنه سريع الغضب سريع الإنابة إلى الله تعالى، كما وصفه ابن العربي. فأستبعِدُ أنَّ موسى عليه السلام مسَّ لحية النبي هارون عليه السلام على سبيل التعظيم والتكريم وهو في حالة الغضب.

أمَّا التأويل الثاني: فبإمكان موسى عليه السلام أن يُسرَّ لأخيه عن شأن الألواح بغير هذا الأسلوب.

والتأويل الثالث: هو ليس بحاجةٍ لخبر هارون عليه السلام أن يعلمه ماذا بدَّل قومه، لأن الله تعالى هو الذي أخبره كما أسلفنا، وأودُّ أن أُضيف رأياً خامساً: فموسى عليه السلام جاء إلى قومه غضبان منهم ومن أخيه ظناً منه أنَّه قصَّر في الإنكار عليهم، حيث قال له: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ الآية. فلمَّا تبيَّن له عذر أخيه إنَّ القوم استضعفوه وكادوا أن يقتلوه، قال ربِّ اغفِر لي ولأخي.

أهانه، فبيَّن له أخوه أنهم استضعفوه يعني عبدة العجل وكادوا يقتلونه. أي قاربوا فلمَّا سمع عذره قال: ربِّ اغفر لي على ما كان من الغضب الذي ألقيت من أجله الألواح ولأخي لأنه كان مقصراً في الإنكار عليهم وإن لم يقع منه تقصير، أي اغفر لأخي إن قصَّر[١]. قال الحسن: (عبد كلهم العجل غير هارون)[٢] وقد قال الله تعالى في حقِّ من عبد العجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[٣] أي (عقوبة وذلَّة في الحياة الدنيا لأنهم أُمروا أن يقتل بعضهم بعضاً)[٤] ثمَّ قيل: هذا من كلام موسى عليه السلام أخبر الله به عنه، وتمَّ الكلام[٥]. ثمَّ [قال][٦] عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ وكان هذا القول من موسى قبل أن يتوب القوم بقتلهم أنفسهم فإنَّهم لمَّا تابوا وعفا الله عنهم بعد أن جرى القتل العظيم أخبرهم إنَّ من [/ ٧٠ و] مات منهم قتيلاً[٧] فهو شهيد، ومن بقي حيَّاً فهو مغفورٌ له)[٨] وقيل: كان ثَمَّ طائفةٌ ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[٩] (أي حبه فلم يتوبوا فهم المعنيُّون)[١٠] بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾[١١] وقيل: أراد من مات منهم قبل رجوع موسى من الميقات[١٢]، وقيل: أراد أولادهم وهو ما جرى على قريظة والنضير[١٣]، أي سينال أولادهم والله أعلم)[١٤] وقيل: إنَّ موسى أمر بذبح العجل فجرى منه دم وبرده بالمبرد وألقاه مع الدم في اليم وأمرهم بالشرب من ذلك الماء، فمن عبد ذلك العجل وأشربه ظهر ذلك على أطراف فمه، فبذلك عرف عبدة

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٩، أبو السعود، تفسير، ٣/ ٢٧٤ – ٢٧٥.

(٢) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية :١٥٢، لتتمة قوله تعالى: ﴿نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾.

(٤) النحاس، معاني القرآن، ٣/ ٨٤، البغوي، تفسير، ٢/ ٢٠٢، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩١.

(٥) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٢، الآلوسي، روح المعاني، ١/ ٢٦١.

(٦) لمقتضى السياق، وموافق للقرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٢.

(٧) (قتيل) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٨) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٢.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

(١٠) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٢.

(١١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٢.

(١٢) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٦٩، القرطبي الجامع، ٧/ ٢٩٢.

(١٣) (النظير) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما جاء في القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٢.

(١٤) (م. ن) ٧/ ٢٩٢.

العجل)[١] ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾[٢] (أي سكن)[٣] (أخذ الألواح التي ألقاها وفي نسختها هدىً[٤] من الضلالة ورحمة من العذاب)[٥] والنسخ: نقل ما في كتاب إلى كتاب آخر[٦]. قال ابن عباس: لمَّا تكسرت الألواح صام موسى أربعين يوماً فرُدَّت عليه وأُعيدت له تلك الألواح في لوحين، ولم يفقد منها شيئاً)[٧] قال القشيري: (فعلى هذا وفي نسختها أي وفيها نسخ من الألواح المتكسرة، ونقل [إلى][٨] الألواح الجديدة هدى ورحمة)[٩] واعلم أنَّ موسى عليه السلام لمَّا جاء إلى الميقات الموعود كلَّمه ربّه أي أسمعه كلامه من غير واسطة[١٠]. قال موسى: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾[١١] (سأل النظر إليه واشتاق إلى رؤيته لمَّا أسمعه كلامه، قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ أي في الدنيا، ولا يجوز الحمل على إنه أراد أرني آية عظيمة لأنظر إلى قدرتك لأنه قال: إليك فقال: لن تراني ولو [/ ٧٠ ظ] سأل آية لأعطاه الله ما سأل كما أعطاه سائر الآيات، وقد كان لموسى فيها مقنع عن طلب آيةٍ أُخرى. فبطل هذا التأويل)[١٢] وقد تقدم لنا إنَّه لا يمتنع سماع كلام الله تعالى للأنبياء، وإنه يجوز أن يخلق الله علماً ضرورياً بحيث يسمع كلامه، وتقدم لنا عن الأستاذ أبي إسحاق إنَّه قال: اتفق أهل الحق على أنَّ الله تعالى خلق في موسى معنى من المعاني أدرك به كلامه[١٣].

قلت روينا في مسند ابن شاهين[١٤] قال: حدثنا أحمد بن سليمان[١٥]، قال: حدثنا عبد

---

(١) أي ظهر على شاربه برادة الذهب، ينظر: الطبري، تاريخ، والبغوي، تفسير، ٣/ ٢٣٠، إذا كان العجل من ذهب فكيف يجري منه الدم.

(٢) سورة الأعراف، الآية :١٥٤.

(٣) النحاس، معاني القرآن، ٣/ ٨٥، الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، ١/ ٢١٠.

(٤) (هدا) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٥) الواحدي، تفسير، ١/ ٤١٥، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٣.

(٦) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٣، الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٥٠.

(٧) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ٢٠٣، واللفظ للقرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٣.

(٨) لمقتضى السياق، وموافق لما في نص القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٣.

(٩) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٩٣، ينظر: البيضاوي، تفسير، ٣/ ٦٢.

(١٠) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٨، الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٤٣.

(١١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣، لقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾.

(١٢) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٨.

(١٣) ينظر: (م. ن) ١٣/ ٢٨٢.

(١٤) هو عمر بن أحمد بن عثمان يكنى أبا حفص محدث العراق (ت ٣٨٥ هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦/ ٤٣١ – ٤٣٤، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٣٩٢.

(١٥) ابن زبان، أحمد بن سليمان بن زبان سنان الدمشقي (ت ٣٣٨ هـ)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، =

الله بن أحمد، قال: حدثنا أبو معمر القطيعي[١] حدثنا جرير عن عطاء قال: (كان لموسى عليه السلام قبة طولها ستمائة ذراع يناجي بها الله عزَّ وجلَّ)[٢].

قال ابن شاهين: حدثنا إسماعيل بن علي القاضي[٣]، ثنا محمد بن يونس[٤] ثنا إسماعيل بن نصر العبدي[٥]، ثنا الوليد بن سالم[٦] عن الحسن قال: لولا أنَّ الله عزَّ وجلَّ ضرب قلب موسى عليه السلام بصفائح النور ما أطاق كلامه[٧].

قال ابن شاهين: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث[٨]، حدثنا أحمد بن صالح المصري[٩]، ثنا عبد الله بن وهب[١٠] أخبرني يونس[١١] عن ابن شهاب[١٢] قال: أخبرني

=

١٥/ ٣٧٨، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٢٥٤.

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن الهروي بغدادي ثقة (ت ٢٣٦ هـ) ينظر: ابن ماكولا علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت ٤٧٥ هـ)، الإكمال، لابن ماكولا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٧/ ١١٦، المزي، تهذيب الكمال، ٣/ ١٩.

(٢) أحمد بن حنبل، السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ٢٩٤، النجاد، الرد على من يقول القرآن مخلوق، ١/ ٥٠.

(٣) أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة قاضي بغداد (ت ٢٨٢ هـ)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٣٣٩ - ٣٤٠، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٢٧٩.

(٤) أبو العباس محمد بن يوسف الكريمي بصري، ضعيف (ت ٢٨٦ هـ) ينظر: الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، ٢/ ٦١٢، الذهبي، طبقات المحدثين، ١/ ١٠١، ابن حجر، الإصابة، ٧/ ٤.

(٥) لم تذكر وفاته وهو مجهول لم ترد المصادر له أكثر مما ذكر في المخطوط، ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ٢٩ / ٥٥، ابن حجر، لسان الميزان، ٥/ ٣٥١.

(٦) لم تذكر وفاته، ولم ترد المصادر أكثر مما ورد في المخطوطة، ينظر: خيثمة بن سليمان حيدرة، (ت ٣٤٣ هـ) من حديث خيثمة بن سليمان، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م، ص ١٦٨، ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ٦١ / ٥٢.

(٧) خيثمة، من حديث خيثمة، ص ١٦٨، ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ٦١/ ٥٢.

(٨) عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني أبو بكر صاحب التصانيف وثقه الدارقطني إلا أنه قال: كثير الخطأ في الكلام عن الحديث (ت ٣١٦ هـ)، ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ١١٣، ابن حجر، لسان الميزان، ٣/ ٢٩٣.

(٩) أحمد بن صالح المصري يكنى أبا جعفر الحافظ ويعرف بابن الطبري، روى عنه البخاري وأبي داود وغيرهم (ت ٢٤٨هـ)، ينظر: مسلم، الكنى والأسماء، ١/ ١٨٠، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٢١٩ - ٢٢٠.

(١٠) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي يكنى أبا محمد من أهل مصر، كان من العباد قريء عليه كتاب الأهوال من تصنيفه فمات منه، وروي أنه يقول: جعلت على نفسي أن أصوم يوماً إن اغتبت أحدا فهان عليَّ الصوم، فجعلت علي نفسي درهما صدقة فأمسكت، (ت ١٩٧ هـ)، ينظر: ابن حبان، الثقات، ٨ / ٣٤٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٢٢٣.

(١١) يونس بن يزيد بن أبي المخارق الأيلي القرشي يكنى أبا يزيد، يروي عن الزهري ونافع وجماعة (ت ١٥٩ هـ)، ينظر: العجلي، معرفة الثقات، ٢/ ٣٧٩، ابن حبان مشاهير علماء الأمصار، ١/ ١٨٣.

(١٢) ابن شهاب، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري مدني تابعي ثقة (ت١٢٤هـ)، ينظر:

=

أبو بكر ابن عبد الرحمن [١] أنه أخبره جزء بن جابر الخثعمي[٢] قال: لَمَّا كلَّم الله موسى كلمه بالألسنة كلها قبل لسانه فطفق موسى يقول: يا رب والله ما أفهم هذا حتى كلَّمه آخر الألسنة بلسانه مثل صوته، فقال موسى: يا رب أهلكني كلامك ! فقال عز وجل: لو كلمتك [/ ٧١و] كلامي لم تكن شيئاً! قال إي ربِّ هل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا! وأقرب خلقي شبهاً بكلامي ما تسمع من الصواعق[٣].

قال ابن شاهين: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد[٤] ثنا عثمان بن موسى البزار[٥] حدثنا علي بن محمد المصري[٦] ثنا مالك بن يحيى أبو غسان[٧] ثنا علي بن عاصم[٨] حدثنا الفضل بن عيسى[٩] ثنا محمد بن المنكدر ثنا جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: {لَمَّا

=

العجلي، معرفة الثقات، ٢/ ٢٥٣، ابن حبان، الثقات، ٥/ ٦٠.

(١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مدني تابعي ثقة وكان من سادات قريش فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً (ت ٩٤ هـ) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ٦٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ٢٨٢.

(٢) جزء بن جابر الخثعمي، صاحب كعب الأحبار، لم تذكر له وفات، ينظر: الرازي، الجرح والتعديل، ٢/ ٥٤٦، المزي، تهذيب الكمال، ٣٣/ ١١٢، لم ينسب إلى النبي (عليه السلام) وإنما جاءت عن طريق كعب الأحبار.

(٣) ينظر: أحمد بن حنبل، السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ٢٨٣، النجاد، الرد على من يقول القرآن مخلوق، ١/ ٣٤، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٢٩.

(٤) شيخ الحرم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي صاحب التصانيف، وكان ثقة (ت٣٤٠هـ)، ينظر: الأزدي أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى (ت٤١٢هـ)، طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ١/ ٣٢٠، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٣٥٣.

(٥) هو أبو القاسم علي بن محمد بن عيسى بن موسى البزار، لم تذكر وفاته، ينظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ١/ ٢٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٠/ ٣٧٨.

(٦) أبو الحسن، علي بن محمد بن أحمد المصري، لم تذكر وفاته، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/ ٢٧.

(٧) هو مالك بن يحيى السوسي يكنى أبا غسان، بصري، لايجوز الإحتجاج به إذا انفرد عن الثقات، (ت ٢٧٤ هـ)، ينظر: ابن حبان، المجروحين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، (بلا. ت)، ٣/ ٣٧، الربيعي، مولد العلماء ووفياتهم، ٢/ ٤٩٤، أبو نعيم، الحلية، ٥/ ٢٣٣.

(٨) هو علي بن عاصم بن صهيب الواسطي يكنى أبا الحسن متهم بالضعف بالحديث (ت ٢٠١ هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٧/ ٣١٣، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١١/ ٤٤٦، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٢/ ١٧٠.

(٩) هو الفضل بن عيسى الرقاشي كان واعظاً، سُئل عنه يحيى بن معين فقال: إنه رجل سوء، ينظر: مسلم، =

كلَّم الله موسى عليه السلام يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه، فقال موسى: يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به يوم ناديتني؟ قال: لا يا موسى إنّما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسنة كلها ! فلمّا رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا: صف لنا كلام الرحمن عز وجل، قال: سبحان الله ومن يطيق ذلك ! قالوا: شبهه لنا قال: ألم تروا إلى أصوات الصواعق حين تقبل}[١] وهذا الحديث في إسناده شيء[٢]، ولمّا طلب موسى الرؤية قال الله تعالى له: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾[٣] قال المفسرون (ضرب له مثالا مما هو أقوى من بنيته وأثبت أي قال: إن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن فإنك لاتطيق رؤيتي، كما إن الجبل لا يطيق رؤيتي)[٤] وذكر القاضي عياض عن أبي بكر ابن الطيِّب[٥] ما معناه: إن موسى عليه السلام (رأى الله فلذلك خرَّ صعقا وإنَّ الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك خلق الله له)[٦] [/ ٧١ ظ]، واستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[٧] ومعنى تجلّى ظهر[٨]، وقيل: (تجلّى أمره وقدرته)[٩].

=

الكنى والأسماء، ١/ ٥٧٩، الرازي التميمي، الجرح والتعديل، ٧/ ٦٤، الجرجاني، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد (ت ٣٦٥ هـ) الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ٦/ ١٣.

(١) ينظر: أحمد بن حنبل، الرد على الزنادقة والجهمية، تحقيق: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ١/ ٣٦، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٨/ ٢٠٤.

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير، ١/ ٥٨٩، الهيثمي، مجمع الزوائد, ٨/ ٢٠٤، أما بالنسبة لسنده فيه علي بن عاصم، متهم بالضعف، والرقاشي، رجل سوء، ينظر: هـ ٦، هـ ٧، سند الحديث نفسه.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٤) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٨.

(٥) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري صاحب التصانيف الكثيرة (ت ٤٠٣ هـ) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٢٦٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧/ ٢٣٣.

(٦) القاضي عياض، الشفاء ١/ ٢٠٠.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٨) ينظر: الخليل، العين، ٦/ ١٨٠، القاضي عياض، الشفاء، ١/ ٢٠٠، ابن منظور، لسان العرب، ١٤/ ١٥٠.

(٩) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٨.

قال المفسرون: جعله دكا لا سنام له بل ساخ في الأرض فهو يذهب في الأرض حتى الآن[١].

قال ابن عباس (جعله تراباً)[٢] وقال عطيَّة العوفي[٣]: (رملاً هائلاً)[٤] ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ (أي مغشِّيا عليه، قال قتادة والكلبي: خرَّ موسى صعقاً يوم الخميس يوم عرفة، وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر)[٥] ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[٦].

(قال مجاهد: من مسألة الرؤية، وقيل: سأل من غير استئذان، فلذلك[٧] تاب، وقيل: قاله على جهة الإنابة إلى الله تعالى والخشوع له عند ظهور الآيات، وأجمعت الأمَّة على إن هذه التوبة ما كانت عن معصية)[٨] وقول موسى: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٩] قيل: من قومي، وقيل: من بني إسرائيل، وقيل: غير ذلك[١٠]. ثمَّ إنَّ الله تعالى قال: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾[١١] وقد تقدم لنا معنى ذلك[١٢]، ﴿ فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾، أي من المظهرين لإحساني إليك وفضلي عليك والمعنى في قوله: فخذ ما آتيتك، أي القناعة[١٣].

---

(١) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٧، قال ابن عباس :(واسم الجبل زبير وهو أعظم جبل بمدين، ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٢٥٧، وينظر: الثعالبي، تفسير، ٢/ ٥٣، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٨.

(٢) البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٧، الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٤٥.

(٣) هو عطية بن سعد العوفي يكنى أبا الحسن، كوفي قال عنه يحيى بن معين: إنه ضعيف، وكان سفيان الثوري يضعف حديثه أيضا، ينظر: العقيلي، محمد بن عمر بن موسى، يكنى أبا جعفر (ت ٣٢٢ هـ)، ضعفاء العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ٣/ ٣٥٩، عبد الله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ٥/ ١٦٩.

(٤) البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٧.

(٥) البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٨، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٩، المصري، التبيان في تفسير القرآن، ١/ ٢٠٩.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٧) (فذلك) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما في القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٩.

(٨) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٩، وينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٤٤.

(٩) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(١٠) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٩.

(١١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤، لقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

(١٢) ينظر: ورقة: [/ ١٤ظ].

(١٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٠.

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾[١] يريد التوراة[٢]. وفي الخبر إنَّه قبض عليه جبريل بجناحيه فمرَّ به في الملأ الأعلى حتى أدناه فسمع صريف الأقلام حتى كتب له في الألواح[٣] [/ ٧٢ و]، ذكره الترمذي الحكيم[٤]. قال مجاهد: كانت الألواح من زمردة خضراء وقال ابن جبير: من ياقوتة حمراء، قال أبو العالية: من زبرجد، قال الحسن من خشب نزلت من السماء، وقيل: من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى فقطعها بيده ثم شقها بإصبعه[٥]، قال مقاتل: معنى قوله: كتبنا له في الألواح كنقش الخاتم، وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير[٦] (فأضاف الله تعالى الكتابة إلى نفسه على جهة التشريف إذ هي مكتوبة بأمره كتبها جبريل عليه السلام بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر (النور)[٧] وقيل: هي كتابة أظهرها الله تعالى)[٨] وأصل اللوح: اللمع[٩] بفتح اللام.

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢ ﴾[١٠]، (وكان اللوح تلوح فيه المعاني، وروي أنها لوحان وجاء بالجمع لأن الاثنين جمع، ويقال: رجل عظيم الألواح إذا كان كبيراً عظيم اليدين والرجلين)[١١] قال ابن عباس: وتكسرت الألواح حين ألقاها، فرفعت وبقي سبعها، وكان في الذي رفع تفصيل كل شيء، وفي الذي بقي الهدى والرحمة[١٢].

وقوله: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾[١٣] في الكلام حذف أي فقلنا له فخذها بقوة أي بجد

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

(٢) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٦٦، الواحدي، تفسير، ١/ ٤١٢.

(٣) ينظر: أحمد بن حنبل، السنة لعبد الله، ١/ ٢٩٤، الشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٤٦.

(٤) هو محمد بن علي الترمذي الحكيم، يكن أبا عبد الله، لم تذكر وفاته، ينظر: القزويني، التدوين في أخبار قزوين، ٣/ ٣١٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ١٩٤.

(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٦٦، النحاس، معاني القران، ٣/ ٨٢، واللفظ للقرطبي، الجامع،٧/ ٢٨١.

(٦) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٩، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨١.

(٧) لمقتضى السياق، وموافق لما في نص القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨١.

(٨) (م.ن) ٧/ ٢٨١.

(٩) ينظر: الجوهري، الصحاح، ١/ ٤٠٢.

(١٠) سورة البروج، الآية: ٢١-٢٢.

(١١) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨١، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٥٨٤.

(١٢) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٦٦، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨١، الثعالبي، تفسير، ٢/ ٥٥.

(١٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥. لتتمة قوله تعالى: ﴿ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾.

ونشاط[١] ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ﴾ أي يعملوا بالأوامر ويتركوا النواهي ويتدبروا الأمثال والمواعظ[٢]. وكان من جملة ما ناجى الله موسى [/ ٧٢ ظ]: ما رويناه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: {إن الله تعالى ناجى موسى بمئة ألف وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام، فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم لما وقع في مسامعه من كلام الرب عز وجل، وكان مما ناجاه ربه: أن قال يا موسى إنه لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا، ولم يتقرب إليَّ المتقربون بمثل الورع عما حرَّمت عليهم، ولم يتعبد إليَّ المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي قال موسى: يا رب البرية كلها ويا مالك يوم الدين ويا ذا الجلال والإكرام ما أعددت لهم وماذا جزيتهم، قال: أما الزهاد في الدنيا فإني أبيحهم جنتي يتبوؤن منها حيث شاءوا[٣] وأما الورعون فإني استحييهم وأجلهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب، وأما البكاؤون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه}[٤] رواه الطبراني والأصبهاني والمنذري لكن بصيغة روي[٥] ومما وقع لموسى عليه السلام من المناجاة ما رويناه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {إن موسى قال: إي رب عبدك تقتر عليه في الدنيا قال: ففتح له باب من الجنة فنظر إليها قال: يا موسى هذا ما أعددت له ! قال موسى: إي رب: وعزتك وجلالك لو كان أقطع اليدين والرجلين يسحب على وجهه منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة وكان هذا [/ ٧٣ و] مصيره لم يرَ بؤساً قط ! ثم قال موسى: رب عبدك الكافر توسع عليه في الدنيا، قال: فيفتح له باب من النار فيقال له :يا موسى هذا ما أعددت له ! فقال موسى: يا رب وعزتك وجلالك لو كان له الدنيا منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة وكان هذا مصيره كان كأن لم يرَ خيرا قط } ! رواه احمد[٦] من طريق ابن

---

(١) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٥٨، والشوكاني، فتح القدير، ٢/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٥٨، البغوي، تفسير، ٢/ ٢٠٠.

(٣) ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ١٢/ ١٢٠، البيهقي، شعب الإيمان، ٧/ ٣٤٥، المنذري، الترغيب والترهيب، ٤/ ٧٥، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٨/ ٢٠٣.

(٤) ينظر: الطبراني ،المعجم الكبير، ١٢/ ١٢٠، أحمد بن حنبل، السنة لعبد الله، ٢/ ٤٧٩، المنذري، الترغيب والترهيب، ٤/ ٧٥، المتقي الهندي، (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال، تحقيق الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، بلات، ٣/ ٧٢٣.

(٥) إسناده ضعيف روي عن جويبر بن سعيد البلخي عن الضحاك عن ابن عباس، قال يحيى بن معين: جويبر ليس بشيء، ينظر: الرازي التميمي، الجرح والتعديل، ٢/ ٥٤٠، ابن الجوزي، الضعفاء والمتروكين، ١/ ١٧٧.

(٦) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٨١، المنذري، الترغيب والترهيب، ٤/ ٦٢، الهيثمي، مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٧.

لهيعة[١] عن دراج[٢]. وروى الحافظ أبو نعيم في الحلية، عن صاحب الكتب والأسفار والمثير للمكتوم من الأسرار والمشير إلى المشاهد والآثار أبي إسحاق كعب بن ماتع الأحبار. قال: إن الله تعالى قال: يا موسى بن عمران إني افترضت الصيام على عبادي وهو شهر رمضان، يا موسى إنه من وافى يوم القيامة في صحيفته صيام عشر من رمضان فهو من المخبتين ومن وافى بعشرين من رمضان فهو من الأبرار ومن وافى بثلاثين من رمضان فهو من أفضل الشهداء عندي[٣] يا موسى بن عمران إني أمرت حملة عرشي أن يمسكوا عن العبادة[٤] إذا دخل شهر رمضان، وأن كلّما دعا صائموا رمضان أن يقولوا آمين، فإني آليت على نفسي أن لا أردُّ دعوة صائمي شهر رمضان[٥]، يا موسى إني ألهم في شهر رمضان السماوات والأرض والجبال والشجر والدواب أن يستغفروا لصائمي شهر رمضان، يا موسى أطلب ثلاثة من يصوم شهر رمضان فتقلّب معهم، وصلّ معهم وكل واشرب معهم، فإنه لا تكون نقمتي وعذابي في بقعة فيها ثلاثة ممن يصوم رمضان[٦]، يا موسى بن عمران [/ ٧٣ ظ] أتدري من أقرب خلقي إليّ ؟ كل مسلم لا يلعن إذا غضب[٧]، (وكل مسلم لا يحقد على والديه وقرابته إذا قطعوه)[٨] فمن عطش

---

(١) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة المصري الفقيه يكنى أبا عبد الرحمن الحضرمي قاضي مصر، قال عنه يحيى بن معين: ضعيف الحديث (ت ١٧٤ هـ) ينظر: الرازي التميمي، الجرح والتعديل، ٥/ ١٤٧، الربعي مولد العلماء ووفياتهم، ١/ ٣٩٨، ابن الجوزي، الضعفاء والمتروكين، ٢/ ١٣٦.

(٢) هو دراج بن سمعان، يقال: اسمه عبد الرحمن ودراج لقب أبو السمح القرشي المصري القاص مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، قال عنه يحيى بن معين ثقة (ت ٢٦٢ هـ)، ينظر: البرديجي، أحمد بن هارون يكنى أبا بكر (ت ٣٠١ هـ)، الأسماء المفردة، تحقيق: عبده علي كوشك ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ١٤٧، المزي، تهذيب الكمال، ٨/ ٤٧٧.

(٣) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ١٧، البيهقي، شعب الإيمان، ٣/ ٣٤٤.

(٤) (على العباد) كذا في الأصل، وما أثبته أنسب لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره العبسي أبو جعفر، محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٩٧ هـ) العرش وما روي فيه، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، ط١، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ١/ ٦٨، وأبي نعيم، الحلية، ٦/ ١٧.

(٥) ينظر: العبسي، العرش وما روي فيه، ١/ ٦٨، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ١٧.

(٦) ينظر، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ١٧، البيهقي، كتاب فضائل الأوقات، تحقيق: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي، ط١، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٣٢٠.

(٧) وهذا موافق لحديث رسول الله ﷺ عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ :{إن المؤمن لا يكون لعانا ولا فحاشا ولا كذاب} ينظر: هناد بن السري الكوفي، (ت ٢٤٣ هـ) الزهد لهناد، تحقيق: عبد الرحمن الجبار الفريوائي، ط١، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ٢/ ٦١٢، واللفظ لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ١٧.

(٨) أبو نعيم، الحلية، ٦/ ١٧.

نفسه في رمضان فإني آليت على نفسي من قبل أن أخلق الخلق إنه من عطش نفسه من أجلي أرويه يوم القيامة[١]، يا موسى بن عمران إن كنت مريضاً فمرهم أن يحملوك وإن كنت مسافراً فأقدم، وقل للنفساء والحيَّض والصغير والكبير أن يبرزوا معك حيث يبرز صائمو شهر رمضان[٢]، فاني لو تركت الأرض والسماء لسلمتا عليهم ولكلمتهم ولبشرتهم بما أجيز لهم من الجوائز، فأقول لسمائي وأرضي: اسمعي عبادي الذين صاموا شهر رمضان كيف يحمدوني، يا عبادي ارجعوا إلى رحالكم فقد أرضيتموني، وقد جعلت ثوابكم من صيامكم أن أعتقكم من النار وأن أحاسبكم حساباً يسيرا، وما عشتم في أيام الدنيا أن أوسع عليكم الرزق وأخلف عليكم النفقة وأقيلكم من العثرة، ولا أفضحكم بين يدي أصحاب الحدود، فبعزتي لا تسألوني بعد يومكم هذا وبجمعكم هذا وصيام شهر رمضان شيئا من أمر آخرتكم إلا أعطيتكم، وإن سألتموني في أمر دنياكم نظرت لكم[٣]، يا موسى بن عمران إذا دعوت إلى غداة إفطارك من رمضان فلا تدع شيئا من أمر الدنيا والآخرة إلا سألتنيه فإني لا أرد سائلا، يومئذ لا تخاف فيَّ بخلا أن تسألني عظيما[٤] ولا تستحييني أن [/ ٧٤و] تسألني صغيراً أطلب ما شئت حتى العلف لدابتك، يا موسى بن عمران أما تعلم إني خلقت الخردلة فما فوقها ولم أخلق شيئا إلاَّ وقد علمت إن الخلق سيحتاجون إليه، فمن سألني مسألة وهو يعلم أنى قادر أن أعطي وأمنع أعطيته مسألته مع المغفرة، فان حمدني حين أعطيه وحين أمنعه أسكنته دار الحمَّادين أو أيما عبد لم يسألني شيئا ثم أعطيته كان أشد عليه حين الحساب، ثم إذا أعطيته فلم يشكرني عذبته عند الحساب[٥]. وفي الحلية أيضا عن كعب (أوحى الله تعالى إلى موسى يصوم محمد وأمته في السنة شهراً وهو شهر رمضان فأعطيهم بصيام كل يوم منه أن يتباعدوا من النار مسيرة مئة عام وأعطيهم لكل خصلة من التطوع كأجر من أدى فريضة وأجعل لهم فيها ليلة للمستغفر فيها صادقا ولو مرة واحدة إن مات في ليلته أو شهره أجر ثلاثين شهيداً[٦]، يا

---

(١) ينظر: الروياني، أبو بكر محمد بن هارون، (ت٣٠٧هـ) مسند الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني،ط١، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ١/ ٣٧٤، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ١٧، البيهقي، شعب الإيمان، ٣/ ٤١١.

(٢) ينظر: البيهقي، شعب الإيمان، ٣/ ٣٤٤.

(٣) ينظر أبو نعيم، الحلية، ٦/ ١٧، البيهقي، شعب الإيمان، ٣/ ٣٤٥.

(٤) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ١٧.

(٥) ينظر الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ٢/ ١٣-١٤، أبو نعيم، الحلية، واللفظ له، ٦/ ١٨، المناوي، فيض القدير، ٤/ ١١٠.

(٦) وهذا يوافق حديث رسول الله ﷺ، عن سعيد بن المسيب قال: ثم خطبنا رسول الله ﷺ آخر يوم من شعبان فقال: {يأيها الناس إنه قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك فيه ليلة خير من ألف شهر فرض الله

=

موسى ويحج محمد وأمته بلدي الحرام فيحجون حجة آدم وسنة إبراهيم أعطيهم ما أعطيت آدم، وأتخذهم كما اتخذت إبراهيم[١] ويزكي محمد وأمته فأعطيهم بالزكاة زيادة في أعمارهم، وأعطيهم في الآخرة المغفرة والخلود في الجنة، يا موسى إني وهاب أسأل من عبدي اليسير وأعطيه برحمتي الجزيل، يا موسى نعم المولى أنا أعطيهم قرضا وأسألهم فرضا ولا تفعل الأرباب بعبيدها ما أفعل[٢]، يا موسى إن فعالي لا توصف، يا موسى رحمتي [/ ٧٤ ظ] لأحمد وأمته، يا موسى إن في أمته رجالا يقومون على كل شرف ينادون بشهادة أن لا إله إلا الله، فجزاؤهم عليَّ جزاء الأنبياء، رحمتي عليهم نازلة وغضبي بعيد منهم، لا أسلط عليهم بين أطباق الثرى دوداً ولا منكراً ونكيراً يروعانهم[٣]. يا موسى رحمتي لأمة محمد، قال: إلهي منَّ عليَّ قال: لا أحجب التوبة عن عبد يقول لا إله إلا الله يعيها لسانه، فخر موسى ساجدا فقال: اللهم اجعلني من هذه الأمة، فقيل: إنك لن تدركهم[٤] (يا موسى إن كنت تريد أن أقرب مجلسك يوم القيامة فلا تنهر السائل واليتيم[٥] يا موسى إن أحببت أن لا تدعوني أيام حياتك بدعوة إلا أجبتك يوم القيامة فعليك بحسن الخلق[٦]. قال موسى: فما جزاء من أطعم مسكينا ابتغاء وجهك؟ قال يا

=

صيامه، وجعل قيام ليله تطوعا فمن تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدَّى فريضة فما سواه، ومن أدَّى فيه فريضة كان كمن أدَّى سبعين فريضة، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد رزق المؤمن فيه، من فطر صائما كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار} ينظر: الحارث بن أبي سلمة، الحافظ نور الدين الهيثمي (ت ٢٨٢ هـ) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) تحقيق: د. حسين أحمد صالح البكري، ط١، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ١/ ٤١٠، البيهقي، شعب الإيمان، ٣/ ٣٠٥-٣٠٦.

(١) وهذا يوافق حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: {ثم من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق حتى يرجع رجع كيوم ولدته أمه}. ينظر: البخاري، صحيح، ٢/ ٥٥٣، البيهقي، سنن البيهقي، ٥/ ٢٦١.

(٢) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ١٨.

(٣) وهذا موافق لحديث رسول الله ﷺ حيث قال: {اشهد ثم الله لا يموت عبد يشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله صدقا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة، قال: وقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وإني لأرجو أن لا تدخلوها حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم وذراريكم مساكن في الجنة} رواه أحمد وعند ابن ماجة بعضه، ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/ ٢٠.

(٤) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ١٨.

(٥) وهذا يوافق قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ الضحى، ٨-٩.

(٦) وهذا يوافق حديث رسول الله ﷺ حيث قال: {إن من خياركم آحاسنكم أخلاقاً} ينظر: البخاري،

=

موسى آمر مناديا ينادي على رؤوس[١] الخلائق إن فلان ابن فلان من عتقاء الله)[٢] وروينا في الحلية أيضاً عن كعب قال: أوحى الله إلى موسى يا موسى لولا من يحمدني ما أنزلت من السماء قطرة ولا أنبت من الأرض حبة، يا موسى لولا من يقول: لا إله إلا الله لسلطت[٣] جهنم على أهل الدنيا، لولا من يدعوني يا موسى لتباعدت من خلقي، لولا من يعبدني ما أمهلت من يعصيني طرفة عين[٤]، يا موسى إياك والكبر فإنه لو لقيني جميع خلقي بمثقال حبة من خردل من كبر أدخلتهم ناري ولو كنت أنت ولو كان إبراهيم خليلي[٥]، يا موسى إذا لقيت الفقراء فسائلهم كما [تسائل][٦] [/ ٧٥ و] الأغنياء، فإن لم تفعل فاجعل كل شيء علمت تحت التراب، يا موسى أتحب أن لا أنساك على كل حال؟ قال: نعم، قال: فأحب الفقراء وأنذر المذنبين[٧]، يا موسى أتريد أن أكون

=

صحيح، ٥/ ٥٢٤٥، مسلم، صحيح، ٤/ ١٨١٠.

(١) (روس) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٢) قال رسول الله ﷺ: { أحب الأعمال إلى الله عز وجل من أطعم مسكينا من جوع أو دفع عنه مغرماً أو كشف عنه كرباً } ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ٣/ ٢١٨.

(٣) (لسيلت) كذا في الأصل، وموافق لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٢، الهندي، كنز العمال، ١٦/ ٤٨١.

(٤) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٢.

(٥) وهذا يوافق حديث رسول الله ﷺ عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: { ثم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر}، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس، ينظر: مسلم، صحيح، ١/ ٩٣، وقال رسول الله ﷺ :{لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان} وفي هذا الخبر معنيان اثنان أحدهما: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر، أراد به جنة عالية، للمتكبرين.

وقوله لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، أراد به نارا سافلة المسلمين.

والمعنى الثاني: حبة خردل من كبر: أراد بالكبر الشرك إذاً المشرك لا يدخل جنة من الجنان أصلا.

وقوله: حبة خردل من إيمان: أراد به على سبيل الخلود حتى يصح المعنيان معا. ينظر ابن حبان، صحيح، ١٢/ ٤٩٣.

(٦) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره أبو نعيم الحلية، ٦/ ٣٢.

(٧) وهذا يوافق قول ذا النون ﷺ حيث قال: (ثلاثة من أعلام الاستغناء بالله عز وجل: التواضع للفقراء والمتذللين، وترك تعظيم الأغنياء المكثرين، وترك المخالطة لأبناء الدنيا المتكبرين). البيهقي، شعب الإيمان، ٢/ ١٠٤. أما المذنبين فيقول الله عز وجل في حقهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران، ١٣٥. وهذا يبين لنا إن المذنبين ليس لهم من يغفر لهم ذنوبهم ويتوسلون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً. وقوله تعالى في حق الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ التوبة، ١١٨.

لك حبيبا أيام حياتك وفي القبر مؤنسا؟ قال: نعم قال: فأكثر تلاوة كتابي، يا موسى أتحب أن لا أخذلك في تارات القيامة ؟ قال: نعم: قال: فأصبح وأمس ولسانك رطب من ذكري[١]، يا موسى أتحب أن تحبك جنتي وملائكتي وما ذرأت من الجن والإنس ؟ قال: نعم: قال حببني إلى خلقي قال: يا رب كيف أحببك إلى عبادك ؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة بحق[٢]، أقول لك يا موسى: إنه من لقيني وهو يعرف أن النعمة مني والشكر مني استحييت أن أعذبه ! يا موسى إن جهنم وما فيها تلظى وتلهب على المشرك وعلى عاق لوالديه، قال موسى إلهي ما العقوق؟ قال: العقوق الموجب غضبي إن شكاه والداه في الناس فلا يبالي، ويأكل شهوته ويحرم والديه ! يا موسى كلمة من العقوق تزن جميع الجبال. قال إلهي (ما هي)[٣]، قال: ان تقول لوالديك لا لبيك! يا موسى إن كنفي ورحمتي وعفوي على من إذا فرح الوالدان فرح، وإذا حزن الوالدان حزن معهما، وإذا بكى الوالدان بكى معهما، يا موسى من رضي عنه والداه رضيت عنه، وإذا استغفر له والداه غفرت له على ما كان فيه[٤]، يا موسى أتريد الأمان من العطش يوم القيامة ؟ قلت نعم يا رب، قال: كن مستغفراً للمؤمنين والمؤمنات، يا موسى أقِلَّ العثرة[٥] واعف عمن ظلمك في مالك وعرضك[٦] واجب من

---

(١) وهذا يوافق قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ...﴾ آل عمران: ١٩١.
وفي أحاديث كثيرة تحث على ذكر الله تعالى: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {استكثروا من الباقيات الصالحات قيل: وما هن يا رسول الله قال: التكبير والتسبيح والتهليل والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله} ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٧٥، أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ٢ / ٥٢٤، ابن حيان، صحيح، ٣/ ١٢١، المنذري، الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٠، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى} ينظر :الطبراني، المعجم الكبير،٢٠ / ١٥٧، ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة ،٦/ ٥٨، ابن عبد البر، التمهيد،٦/ ٥٨.

(٢) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٢.

(٣) لمقتضى السياق، وموافق لنص أبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٣.

(٤) وهذا موافق لقول الله تعالى، ولحديث رسول الله ﷺ في الكبائر.
قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾، الإسراء، ٢٢-٢٣.
وقال رسول الله ﷺ:{ثم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين} ينظر: البخاري، صحيح، ٥/ ٢٢٢٩، الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٣١٢.

(٥) العثرة: الزلة، وفي الحديث { لا حليم إلا ذو عثرة} أي لا يحصل له الحلم ويوصف به حتى يركب الأمور وتنخرق عليه ويعثر فيها فيعتبر بها ويستبين مواضع الخطأ فيجتنبها. ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٣٧٩، ابن حيان، صحيح، ١/ ٤٢١، ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٥٣٩.

(٦) وهذا يوافق حديث رسول الله ﷺ حيث قال: {ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة: أن =

دعاك أكن لك كذلك[١]! يا موسى أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات جميع الخلق. قال: نعم يا رب. قال: عُد المرضى[٢]، وكن لثياب الفقراء فاليا. فجعل موسى على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلي[٣] ثيابهم ويعود المرضى. قال الله تعالى: يا موسى حين فعل ذلك ! أما إني قد ألهمت كل شيء خلقته أن يستغفر لك، وألهمت الملائكة يوم القيامة أن يسلموا عليك حين تخرج من قبرك[٤]، يا موسى أتريد أن أكون لك أقرب من كلامك إلى لسانك، قال:نعم ! قال: ومن وسواس قلبك إلى قلبك، ومن روحك إلى بدنك،ومن نور بصرك إلى عينيك،قال: نعم يا رب. قال: فأكثر الصلاة على محمد ﷺ[٥] وأبلغ جميع بني إسرائيل إنه من لقيني وهو جاحد لأحمد سلطت عليه الزبانية، وجعلت بيني وبينه حجابا لا يراني ولا كتابا يبصره ولا شفاعة تناله ولا ملك يرحمه، حتى تسحبه[٦] الملائكة فيدخلوه ناري[٧]. يا موسى بلغ بني إسرائيل انه من آمن

=

تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك} ينظر: معمر بن راشد الأزدي، (ت ١٥١ هـ) الجامع المعمر بن راشد، تحقيق: حبيب الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ١١/ ١٧٢، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ١٥٨، الروياني، مسند الروياني، ١/ ١٤٦. الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ١٧٨.

(١) عن نافع عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :{اذا دعى أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو نحوه} ينظر: أبو داود، سنن أبي داود، ٣/ ٣٤٠، ابن حيان، صحيح، ١٢/ ١٠٣، البيهقي، سنن البيهقي، ٧/ ٦٢، النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٩/ ٢٣٤.

(٢) ما جاء في عيادة المرض:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :{ ثم حق المسلم على المسلم خمس رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس} ينظر: البخاري، صحيح، ١/ ٤١٨، مسلم، صحيح، ٤/ ١٧٠٤.

(٣) أي يخرج القمل أو البرغوث منها.

(٤) ينظر: أبو نعيم: الحلية، ٦/ ٣٣.

(٥) لقد صلى الله تعالى على نبيه والملائكة وحث المؤمنين على المواظبة على الصلاة والتسليم على خير الأنام محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب، ٥٦، وفي فضل الصلاة على النبي ﷺ عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :{ثم أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة} وقال ﷺ: {من صلى علي صلاة، ﷺ بها عشرا وكتب له بها عشر حسنات} ينظر: الدرامي، سنن الدارمي، ٢/ ٤٠٨، الترمذي، سنن الترمذي، ٢/ ٣٥٤، ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ١/ ٢١٨.

(٦) (يسحبوه) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكره أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٣.

(٧) وحذَّر الله تعالى الذين يؤذون الله ورسوله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ الأحزاب، ٥٧.

بأحمد فهو أكرم الخلق عليَّ، يا موسى بلغ بني إسرائيل أنه من صدَّق بأحمد وكتابه نظرت إليه يوم القيامة، يا موسى بلغ بني إسرائيل أنه من رد على أحمد شيئا مما جاء به وإن كان حرفا واحداً أدخلته النار مسحوبا، يا موسى بلغ بني إسرائيل إن الإيمان بأحمد نور ورحمة وبركة، من صدَّق به رآه أو لم يره؟ أحببته أيام حياته ولم أوحشه في قبره ولم أخذله يوم القيامة ولم أناقشه الحساب [/ ٧٦و] في الموقف ولم تزل قدماه على الصراط [١]، يا موسى إن أكرم الخلق عليَّ من لم يكذب بأحمد ولم يبغضه، يا موسى إني آليت على نفسي قبل خلق السماوات والأرض والدنيا والآخرة إنه من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صادقا من قلبه كتبت له براءة من النار[٢] قبل أن يموت بعشرين ساعة وأوصيت ملك الموت يقبض روحه وأن يكون أرفق [به][٣] من والده وحميمه، وأوصيت منكراً ونكيراً إذا دخلا وسألاه بعد موته ألا يروِّعانِهِ وأُضيء عليه ظلمة القبر وأؤنس عليه وحشة القبر، ولا يسألني في القيامة شيئا إلا أعطيته، يا موسى احمدني إذ مننت عليك مع كلامي لك بالإيمان بأحمد، فوعزَّتي لو لم تقبل الإيمان بأحمد ما جاورتني في داري ولا تنعمت في جنتي، يا موسى جميع المرسلين آمنوا بأحمد وصدقوه واشتاقوا إليه وكذلك من يجيء من المرسلين بعدك[٤].

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾[٥] الآية. يا موسى من لم يؤمنوا بمحمد ولم يصدقوه ولم يشتاقوا إليه كانت حسناتهم مردودة عليهم ومنعتهم حظهم من الحكمة، ولا أدخل قبورهم (نور الهدى)[٦] يهتدون به وأمحوا أسمائهم من النبوة، يا موسى حب أحمد كما تحب نفسك[٧]، وأحب الخير لأمته كما تحبه لأمتك[٨]

---

(١) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٤.

(٢) قال رسول الله ﷺ :{ من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه أدخله الجنة} ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ٤١٣. الطبراني ،المعجم الكبير، ٤/ ١٢٧، واللفظ لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٣.

(٣) لمقتضى السياق وموافق لما ذكره أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٤.

(٤) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٦) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره أبو نعيم في الحلية، ٦/ ٣٤.

(٧) وما جاء في حب رسول الله ﷺ من الأحاديث، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده والناس أجمعين} ينظر: مسلم، صحيح، ١/ ٦٧.

(٨) وهذا مقتبس من حديث رسول الله ﷺ: عن أنس عن النبي ﷺ قال: {ثم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه} البخاري، صحيح، ١/ ١٤، مسلم، صحيح، ١/ ٦٧.

أجعل لك ولأمتك في شفاعته نصيبا[١]، يا موسى استغفر للمؤمنين والمؤمنات تعط سؤلك يوم القيامة، فإن محمداً وأمته يستغفرون للمؤمنين والمؤمنات[٢]، يا موسى ركعتين يصليهما محمد وأمَّته بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس من يصليهما غفرت له ما أصاب من يومه وليلته ويكون في ذمتي فلا [/ ٧٦ ظ] ضيعة عليه، (يا موسى)[٣] أربع ركعات يصليها محمد وأمَّته بعد زوال الشمس عن كبد السماء قدر شراك، أعطيهم بركعة منها المغفرة، وبالثانية أثقل موازينهم، وبالثالثة آمر ملائكتي يستغفرون لهم، وبالرابعة تفتح لهم أبواب الجنة، وأزوجهم من الحور العين وتشرف عليهم الحور العين، فإن سألوني الجنة أعطيتهم وزوجتهم من الحور العين، يا موسى أربع ركعات يصليها محمد وأمته بالعشي لا يبقى ملك مقرب في السماوات والأرض إلا استغفر لهم، ومن استغفرت لهم الملائكة لم أعذبه، يا موسى ثلاث ركعات يصليها محمد وأمته حين يغرب ضوء النهار وهو مستغفر لهم، ويغشاهم الليل وهو مستغفر لهم ومن استغفر ولم يعصني استجبت له، يا موسى وأربع ركعات يصليها محمد وآله وأمته حين يغيب الشفق الأحمر تفتح لهم أبواب السماء حيال رؤوسهم[٤] فلا يسألوني حاجة إلا أعطيتهم[٥]. يا موسى ويتنظف محمد وأمته بالماء كما أمرتهم فأعطيهم بكل قطرة من ذلك الماء رفعة في جنة عرضها السماوات والأرض[٦]، يا موسى يصوم محمد وأمته في السنة شهرا وهو شهر رمضان، فأعطيهم بصيام كل يوم منه تتباعد عنهم جهنم مسيرة خمس مئة عام، وأعطيهم بكل خصلة من الخصال يعملون بها من التطوع كأجر من أدى فريضة، وأجعل لهم فيه

---

(١) قال رسول الله ﷺ، في الشفاعة: {هي لمن مات لا يشرك بالله شيئا} ينظر: ابن حيان، ١٦/ ١٨٦، الحاكم المستدرك على الصحيحين، ١/ ١٣٧.

(٢) عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول {من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة} رواه الطبراني وإسناده جيد. ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٠/ ٢١٠.

(٣) يوجد طمس في المخطوطة إلا أنه موافق لما ذكره أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٤.

(٤) (رؤسهم) كذا في الأصل وما أثبته هو الصحيح.

(٥) ما جاء في فضل الصلاة الخمس: عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: {ثم رأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس ما تقول ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئا قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بها الخطايا} ينظر: البخاري، صحيح، ١/ ١٩٧.

وعن عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ قال: {ثم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها} ينظر: مسلم، صحيح، ١/ ٥٠١، ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٤-٣٥.

(٦) ما جاء في فضل الوضوء، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {ثم ألا أُخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط} قال أبو حاتم معناه الرباط من الذنوب لأن الوضوء يكفر الذنوب. ينظر: ابن حبان، صحيح، ٣/ ٣١٣.

ليلة المستغفر [/ ٧٧و] فيها مرة واحدة نادما صادقا، إن مات في ليلته أو في شهره أعطيته أجر ثلاثين شهيدا[١]، يا موسى ويحج محمد وأمته بلدي الحرام فيحجون حجة آدم وسنة إبراهيم، فأعطيهم شفاعة آدم وأتخذهم كما اتخذت إبراهيم[٢]. يا موسى ويزكي محمد وأمته فاعطيهم بالزكاة زيادة في أعمارهم، فان كنت على أولهم غضبان رضيت عن أوسطهم وآخرهم وأعطيتهم في الآخرة المغفرة والخلد في الجنة. يا موسى إني وهاب. قال: إلهي منَّ عليَّ. قال: يا موسى أقبل من عبدي اليسير وأعطيه الجزيل. يا موسى نعم المولى أنا ونعم النصير، أعطيهم قرضا وأسألهم فرضا لا تفعل الأرباب بعبيدها ما أفعل بهم. يا موسى فعالي لا توصف ورحمتي كلها لأحمد وأمته[٣]، فقال: إلهي منَّ عليَّ قال: يا موسى إن في أمة محمد رجالا يقومون على كل شرف ينادون بشهادة أن لا إله إلا الله فجزاؤهم عليَّ جزاء الأنبياء، ورحمتي عليهم وغضبي بعيد منهم، لا أُسلط عليهم بين أطباق التراب الدود، ولا منكراً، ونكيراً يروعونهم. يا موسى أجعل جميع رحمتي لأحمد وأمته، قال: إلهي منَّ عليَّ. قال: لا أحجب التوبة عن أحد منهم ما دام يقول: لا إله إلا الله بقلبه ولسانه .فخر موسى ساجداً[٤] وقال: رب اجعلني من أمة أحمد فقيل له: لا تدركها[٥]. فزعم كعب أن آدم وحواء (عليهما السلام) استغفرا الله [/ ٧٧ ظ] ساعة فغفر لهما، وإن نوحاً استغفر الله ثلاثة أشهر فغفر له وإن إبراهيم استغفر الله من ثلاث خصال قالهن من قبل نفسه انتصب للتوبة ثمانية عشر شهراً فغفر له، ويعقوب وبني يعقوب طلبوا بيان التوبة فبيَّن لهم بعد عشرين شهراً وموسى بن عمران استغفر من الذنب حولا قال [الله][٦] قد غفرت لك[٧]، فقال: رب إذ غفرت لي وفرَّحت بالمغفرة

---

(١) لعظمة الصوم قال رسول الله ﷺ: {ثم إن الله يقول إن الصوم لي وأنا أجزي به} ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٢٣٢، عبد بن حميد أبو محمد بن نصر الكسي (ت ٢٤٩هـ) المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ط١، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ٢٨٨، واللفظ لأبي نعيم ،الحلية، ٦٥ / ٣٥.

(٢) عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال :{ من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كأنما ولدته أمه}، ينظر: ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ٤/ ١٣١.

(٣) فقد حث الله تعالى على الزكاة في قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران ٩٢. ولفظ النص كما أسلفنا لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٥.

(٤) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٦.

(٥) ينظر: الضحاك، عمرو بن أبي عاصم، كتاب السنة، ص ٣٠٥، وأبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٦.

(٦) لمقتضى السياق، وموافق لما في نص أبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٦.

(٧) قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء، ١٧. وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ =

قلبي وأقررت بالمغفرة عيني وأدخلت لذاذة منطقك مسامعي فلا ترني خصمي يوم القيامة. قال: يا موسى أجوراً تسألني ؟ يأتي ملك الموت يوم القيامة قابضا على ذقنك حتى تحثوا بين يدي، فانتفض موسى عليه السلام وقد سمع بالمغفرة فغشي عليه سبع ليالي. فقال له جبريل: يا موسى أتقطع رجاءك بعد إذ سمعت بالمغفرة [١]. فقال: يا جبريل أليس يقول خصمي يا رب قتلني هذا ! فيقول الله: يا موسى قتلته، فإن قلت لا قال: ألست شاهدك، وإن قلت نعم: قال: فلم قتلته، قال موسى عليه السلام أوه فشهق شهقة فغشي عليه شهراً ثم أفاق فسمع كلاما يقول: يا موسى لأذلنَّ اليوم من أمن سخطي وناري وشدة عذابي [٢]، يا موسى ألم أسلم عليك في الكتاب وسلَّمت عليك جميع ملائكتي. يا موسى كن طيب القلب بالتوحيد لجميع ملائكتي ورسلي وجميع فرائضي، وإذا أصبت خطيئة ثم استغفرتني [/ ٧٨ و] لم أخذلك في تارات القيامة ولم أشمّت بك عدواً يوم القيامة، قال موسى: يا رب ومن عدوي يوم القيامة ؟ قال: إبليس وحزبه، يا موسى أنا أرحم الراحمين، يا موسى من لقيني وقد عرف أني أغفر وأرحم لم أناقشه في الكبير من المعصية وغفرت له الصغيرة تطولا عليه بالرحمة، يا موسى قل لبني إسرائيل يحذروني فإني أحب من يحذرني [٣]، يا موسى من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ودعا الناس إلى طاعتي فله محبتي في الدنيا وفي القبر وفي القيامة (في) [٤] ظلي [٥]. يا موسى قل لبني إسرائيل

= عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ الشورى، ٢٥، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء ١١٠. وهذه الآيات تبين أن الإنسان مهما عظم ذنبه يغفر له وهي مذهب جميع أهل السنة، ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٨/ ٣٠٥، ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٦.

(١) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٦.

(٢) أوّل ما يقضي الله تعالى بين الجن والإنس في الدماء فيؤتي بالذي كان يقتل في الدنيا على أمر الله وكتابه، ويؤتي بالذي قتل كلهم يحمل رأسه تشخب أوداجه دما فيقولون ربنا قتلني هذا فيقول الله له وهو أعلم لم قتلت هذا ؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك فيقول الله تعالى له صدقت فيجعل الله لوجهه مثل نور الشمس وتشيعه الملائكة إلى الجنة... ويؤتى بالذي قتل تعززا في الدنيا فيقول الله له: لم قتلت هذا وهو أعلم؟ فيقول: قتلته ليكون العزة لي، فيقول الله تعالى له: تعست ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها، ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم... ينظر: ابن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، ١/ ٩٢، ابن كثير، تفسير، ٢/ ١٤٩.

(٣) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٦.

(٤) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٦، الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ) شرح الزرقاني، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٤/ ٤٩٢.

(٥) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٦، الزرقاني، شرح الزرقاني، ٤/ ٤٩٢.

إذا أدّوا فرائضي يكونوا خاشعين، يا موسى قل لبني إسرائيل لا ينسوني، فإنه من لقيني وقد نسيني لم تفارق روحه جسده حتى أفزعه بالنار فزعة لو أدخلت روعتها في مسامع أهل الدنيا لماتوا أسرع من طرفة عين، يا موسى بحق أقول لك إنه ليس شيء مما خلقته أشد خوفا مني من النار، قال: سبحانك منَّ عليَّ، قال: يا موسى إني خلقتها وأرعبت قلبها وأنا ربك أفعل ما أشاء فامتلأت رعبا وخوفا، يا موسى النار مطيعة وما أنشأت فيها من الجنود لي مطيعون كلهم، قال: سبحانك منَّ عليَّ، قال: يا موسى لهبها وما فيها من الملائكة وسكان السماوات وسكان جناتي لا يدخلونها ولا يسمعون حسيسها، يا موسى قلوب ملائكتي في أجوافها كخفقان الطير[١]. يا موسى ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[٢] ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ [/ ٧٨ ظ] مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٣] (يا موسى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيئا)[٤] يا موسى إني لا أزكي ولا أرحم من حلف باسمي كاذبا، يا موسى إذا قضيت بين الناس فاقض بينهم كقضائك لنفسك وأهل بيتك، يا موسى إن العبد إذا خشيني كنت أحب إليه من نفسه، يا موسى ارحم ترحم وكما تدين تدان[٥]، يا موسى ﴿ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[٦].

وفي الحلية أيضاً قال: قال موسى عليه السلام: حين ناجاه ربه تعالى، يا رب أقريب أنت فأناجيك؟ قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني، قال: يا رب إني أجلُّك أن أناجيك على خلائي أو حين آتي أهلي. قال: يا موسى على أي حال كنت[٧]، ثم قال: أتريد أن أقرب مجلسك مني يوم القيامة، فلا تنهر السائل، ولا تقهر اليتيم، وجالس الضعفاء وارحم المساكين وأحب الفقراء ولا تفرح بكثرة المال، فإن كثرته تقسي القلوب[٨] يا موسى إذا

---

(١) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٦-٣٧.

(٢) سورة طه، الآية: ١٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٤٤.

(٤) الكسائي، قصص الأنبياء، ص ٢٣٠.

(٥) ينظر: عمرو بن أبي عاصم، كتاب السنة، ص ٣٠٥، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٧.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٤، رحم الله تعالى ابن جماعة فقد أقحم هذه الآية في غير محلها: وهذه وصايا نافعة قد أخبر الله تعالى عن لقمان الحكيم ليتمثلها الناس ويقتدون بها، ينظر: ابن كثير، تفسير، ٣/ ٤٤٦.

(٧) ينظر: ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ١/ ١٠٨، ابن أبي عاصم، كتاب الزهد لابن أبي عاصم، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط٢، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١/ ٦٨، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٧، البيهقي، شعب الإيمان، ١/ ٤٥١.

(٨) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٧، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦١/ ١١٧.

رأيت الغنى قد أقبل فقل ذنب قد عجّلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر قد أقبل فقل مرحباً بشعار الصالحين، يا موسى إذا أردت أن لا يبقى ملك في السماوات السبع إلا سلموا عليك وصافحوك يوم القيامة فأكثر التسبيح والتهليل، يا موسى أسمعني لذاذة التوراة في ظلمة الليل أجعل لك ذخراً في المعاد ! يا موسى إن أحببت أن أباهي بك الملائكة في السماء وفي طرقات الدنيا[١]، فأمط الأذى [/ ٧٩و] عن طريق المسلمين[٢]، يا موسى ذلل نفسك لي تواضعاً أرفعك. يا موسى إن أردت أن لا تدعوني أيام حياتك إلا استجبت لك، ولا تسألني في القيامة شيئاً إلا قلت لك نعم! فعليك بحسن الخلق، يا موسى كن في مخالطة الناس كالصبي، يا موسى كن لين الجانب، فإن أبغض الخلق إليَّ الذي في نفسه كبر وفي لسانه جفاء، وفي قلبه قسوة، وأحب الأخلاق إلي الرأفة والرحمة والعطف والرقة، يا موسى عليك بلين القول وطيب الكلام[٣]، يا موسى كفى بالعبد من الشر،: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾[٤] وإذا قال العبد ذلك لعنته أنا وملائكتي، فالويل لمن لعنته، ومن يقوم للعنتي، يا موسى إني إذا لعنته لم يرحمه شيء وأخرجته من رحمتي العظيمة التي[٥] من دخلها دخل الجنة، وكيف يرحمه شيء ولم تسعه رحمتي وأنا أرحم الراحمين[٦]، يا موسى ارحم خلقي أرحمك، يا موسى أنا رحيم أحب الرحماء، يا طوبى للرحماء يا طوبى للرحماء[٧]، يا موسى من رحم رحمته ومن رحمته أدخلته الجنة، يا موسى إن أحببت أن أملا مسامعك يوم القيامة بما يسرك فارحم الصغير كما ترحم ولدك

---

(١) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٨.

(٢) اقتبسه المؤلف رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {ثم الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان} ينظر: البخاري، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ١/ ٢٠٩، الخلال أبو بكر، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد (ت ٣١١ هـ) السنة للخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ٣/ ٥٨٦.

(٣) مقتبس من حديث رسول الله ﷺ، حيث قال :{إن من أخيركم أحسنكم خلقا}، ينظر: البخاري، صحيح، ٥/ ٢٢٤٣، ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

(٥) (الذي) كذا في الأصل وما اشتبه صحيح، وموافق لما ذكره أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٨

(٦) أما من استحق لعنة الله في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾. المائدة، ٦٠. ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٨.

(٧) (الرحماء) هكذا وردت مكررة في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكره أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٨.

وارحم الضعيف، وأعن القوي وارحم الكبير كما ترحم الصغير، وارحم المعافى كما ترحم المبتلى وارحم الجاهل كما ترحم العالم، وارحم القوي كما ترحم الضعيف كل على حياله[١]، يا موسى تعلَّم الخير واعمل به وعلِّمه فإني منوِّر لمعلم الخير ومتعلمه في قبورهم كيلا يستوحشوا في القبور[٢]، يا موسى لينفعك علمك فتيقظ [/ ٧٩ ظ] لي في ساعات الليل وقم به في آناء النهار، ادفع عنك شدة الآخرة والبلاء في الدنيا[٣]، يا موسى أكثر من قول لا إله إلا الله، فإنه لولا أصوات من يُسمعني قول لا إله إلا الله لسلَّطت جهنم على أهل الدنيا يا موسى عليك بكثرة الحمد، فلولا حمد من يحمدني من عبادي لعذَّبت أهل الأرض، قال موسى عليه السلام: يا رب فما جزاء من قال: لا إله إلا الله صادقاً؟ قال: ثوابه رضائي عنه وجواره إياي في دار كرامتي والنظر إلى وجهي، قال :يا رب فما جزاء من شهد إني رسولك وكليمك؟ قال: يا موسى يبشره ملك الموت عند فراقه من الدنيا ويهوِّن الله عليه سكرات الموت، يا موسى لتكثر صلاتك فان المصلي يناجيني. قال موسى: يا رب فما جزاء من قام بين يديك مصلياً؟ قال: يا موسى أباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً، ومن أباهي به ملائكتي لم أُعذبه، يا موسى أطعم المسكين، قال: يا رب فما جزاء من أطعم مسكيناً؟ قال: يا موسى أرحمه رحمة يسمع بها الخلائق وأعتقه من النار[٤]، قال موسى: يا رب فما جزاء من آوى يتيماً حتى يستغني أو كفل أرملة؟ قال: أسكنه جنتي وأظله يوم لا ظل إلا ظلي[٥]. قال: يا رب فما جزاء من عزَّى حزينا؟ قال: ألبسه لباس التقوى وأرديه رداء (الإيمان) [٦] قال: يا رب فما جزاء من شيَّع جنازة؟ قال: شيَّعته ملائكتي وأصلي على روحه في الأرواح[٧] قال: يا رب فما جزاء من عاد مريضاً؟ قال: استغفرت ملائكتي له وخاض في رحمتي[٨]. قال: يا رب فما جزاء من بكا من

---

(١) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٨، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٦١/ ١١٧.

(٢) ينظر: ابن أبي عاصم، كتاب الزهد، ١/ ٦٨، أبو نعيم، الحلية ٦/ ٣٨، السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ١١٨.

(٣) وربما اقتبسها المؤلف رحمه الله من قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾، الزمر، ٩.

(٤) ينظر: الشيخ الصدوق، ابن بابويه (ت٣١٨هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، قم، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢٧٦، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٨- ٣٩، الجزائري، قصص الأنبياء، ص ٣٤١.

(٥) ينظر: عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي (ت١٨١هـ) الزهد لابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلات)،١/ ١٦٤، الهمذاني، الفردوس بمأثور الخطاب،٣/ ١٩٠.

(٦) لمقتضى السياق، موافق لما ذكره عبد الله بن المبارك، الزهد، ١/ ١٦٤.

(٧) ينظر: عبد الله بن المبارك، الزهد، ١/ ١٦٤، البيهقي، شعب الإيمان، ٧/ ١٢.

(٨) ينظر: النسائي ،السنن الكبرى، ٤/ ٣٥٤، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٠٩.

خشيتك [/ ٨٠و] ؟ قال: أؤمنه الفزع الأكبر يوم القيامة وأوقي وجهه لفح النار[١] .قال: يا رب فما جزاء من أحيا أمرك بالوضوء وغسل الجنابة؟ قال: يا موسى له بكل شعرة نور ودرجة يوم القيامة، وبكل تجديد مغفرة جديدة [٢]، قال: إلهي فما جزاء من برَّ والديه؟ قال: أسكنه جنتي وأعطيه من الثواب ما يرضى[٣]، قال: يا رب ما جزاء من عقَّ والديه؟ قال: النار مصيره وحسبه[٤]. قال: إلهي فما جزاء من وصل رحمه؟ قال: أزيد في عمره، وأثمِّر ماله، وأعمِّر داره، وأهوِّن عليه سكرات الموت وتناديه يوم القيامة أبواب الجنة هلمَّ إلينا [٥] قال: إلهي فما جزاء من كفَّ أذاه وبذل معروفه وأكرم جاره؟ قال: يا موسى تناديه النار يوم القيامة لا سبيل لي عليك[٦] يا موسى من أحب أن لا تحرقه النار فليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه[٧]، قال: يا رب فما جزاء من صبر على أذى الناس؟ قال: يا موسى أصرف عنه هول يوم القيامة، قال: يا رب فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه سراً؟ قال: أجعله في كنفي وأظله بظل عرشي[٨]، قال موسى: فما جزاء من تلا حكمتك؟ قال: يا موسى يمرُّ على الصراط كالبرق في يوم تزول فيه الأقدام[٩] قال: إلهي فما جزاء من صبر على مصيبة تصيبه؟ قال: يا موسى له بكل نفس يتنفسه ثلاثة مئة درجة في الجنة، الدرجة خير من الدنيا وما فيها[١٠]، قال: إلهي فأي الصابرين أحب

---

(١) ينظر: عبد الله بن المبارك، الزهد، ١/ ١٦٤، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٩.

(٢) ينظر: الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ٢٧٦، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٩.

(٣) قال النبي ﷺ: {ثم من برَّ والديه طوبى له زاد الله عز وجل في عمره} البخاري، الأدب المفرد، ١/ ٢٢، الحاكم، المستدرك، ٤/ ١٧٠، ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٣٩.

(٤) ورد ذكره في الأصل، ورقة [/ ٧٥ ظ] واستوفى حقه.

(٥) ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد ٥/ ٢٧٩، البزار، مسند البزار، ٢/ ٢٧٤، أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ٧ / ١٣٥.

(٦) ينظر: الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ٧٦، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٩. الجزائري، قصص الأنبياء، ص ٣٤١.

(٧) وهذا موافق لحديث رسول الله ﷺ عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: {لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه} ينظر: البخاري، صحيح، ١/ ١٤، مسلم، صحيح، ١/ ٦٧.

(٨) ينظر: الشيخ الصدوق، لأمالي، ص ٢٧٧، أبو نعيم، الحلية ٦/ ٣٩، الجزائري، قصص الأنبياء، ص، ٣٤٢.

(٩) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦ / ٣٩، المجلسي، بحار الأنوار، ٦٦ / ٤١٢.

(١٠) ينظر: الشيخ الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، ط٢، دار المحجة البيضاء دار الرسول الأكرم ﷺ، ص ٨٨، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٩ -٤٠، المجلسي، بحار الأنوار، ٦٦/ ٤١٢.

إليك؟ قال: يا موسى ما صبر عبدي على شيء أحب إليَّ من صبره عن معصية، ثم صبره على فرائضي، ثم على المصيبة[١]، قال: إلهي فما جزاء من صبر [/ ٨٠ ظ] عمَّا حرمت عليه؟ قال: يا موسى له بكل شهوة يردُّها سبع مئة شهوة في الجنة أعطيهن إياه، وبكل نفس يتنفس به سبع مئة درجة في الجنة، الدرجة خير من الدنيا وما فيها[٢]، قال: إلهي فما جزاء من سعى إلى طاعتك في بياض النهار وظلمة الليل؟ قال: أما من سعى في بياض النهار فأعطيه بعدد كل شيء مرَّ عليه ضوء النهار وضوء الشمس درجات وحسنات وأما من سعى في ظلمة الليل إلى طاعتي فأستره بالنور الدائم يوم القيامة، وأحشوا قلبه في الدنيا نوراً يهتدي به، وأجعل له في السماء نوراً يعرف به، وأعطيه يوم القيامة بعدد كل شيء مرَّ عليه سواد الليل وضوء القمر ونور الكواكب درجات وحسنات[٣]، قال: إلهي (فما جزاء من أحسن إلى خوله[٤] وما ملكت يمينه ولم يكلفه ما لا يطيق ؟ قال: يا موسى، أتقبل حسناته وأتجاوز عن سيئاته وأخفف عليه الحساب يوم القيامة. قال: إلهي. فما لمن تاب من ذنب يأتيه خطأ ؟ قال: يا موسى (هو)[٥] عندي كبعض ملائكتي ومقامه مقامهم ومصيره مصيرهم[٦]، قال موسى: ومم

---

(١) قال رسول الله ﷺ: {إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لما يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده وفي ماله أو ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل} ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ٢٧٢، أبو داود، السنن، ٣/ ٢٨٣، الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣١٨، ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٤٠.

(٢) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٤٠.

(٣) وفي قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ الرحمن: ٦٠. وعن محمد بن المنكدر في قوله: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ قال: هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلا الجنة، ينظر: أبو بكر، عبد الله بن محمد القرشي البغدادي، (ت ٢٨١ هـ) حسن الظن بالله، تحقيق: مخلص محمد، ط١، دار طيبه، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ١٢١، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ الإنسان، ٢٠، ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٤٠.

(٤) أي خدماً وعبيدا، يعني إنهم يستخدمونهم ويستعبدونهم، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٨١، ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٢٢٥.

(٥) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٤٠.

(٦) أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٤٠، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: {أيها الشاب التارك شهوته المتبذل شبابه من أجلي أنت عندي كبعض ملائكتي ولك عندي بكل يوم وليلة، أجر صديق} ينظر: الجرجاني، أبو القاسم، حمزة بن يوسف، (ت ٤٢٧ هـ) تاريخ جرجان، تحقيق: د. محمد عبد المفيد خان، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ١/ ٣٧٧، الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ١٢١، ابن حجر، لسان الميزان، ٣/ ١٦.

ذلك يا رب. قال: إنه استغفرني من غير ذنب وملائكتي يستغفروني من غير ذنب، قال: وكيف ذلك يا رب؟ قال: لأني وضعت عن خلقي الخطأ والنسيان[١]. قال: إلهي فما جزاء من تقرب إليك بالنوافل؟ قال: يا موسى جزاؤه محبتي وأحببه إلى خلقي وأكون [/ ٨١و] عينيه اللتين ينظر بهما، ورجليه اللتين يمشي بهما، ويديه اللتين يبطش بهما، إن استغفرني غفرت له، وإن دعاني استجبت له، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه[٢]، وأحارب من ناوأه[٣]. قال: إلهي ما جزاء من أصرَّ على ذنبه فلم يتب منه. قال: يا موسى: إذا دعاني لم أستجب له، وإذا رحمت عبادي لم أرحمه فأمحقه فيمن أمحق يوم القيامة[٤]. قال إلهي: فما جزاء من أكل الربا فلم يتب منه؟ قال: يا موسى أطعمه يوم القيامة من شجرة الزقوم[٥]. قال: فما جزاء من أدى الأمانة؟ قال: يا موسى له الأمان يوم القيامة ولا يحجب عن الجنة[٦]، قال إلهي: فما جزاء الزناة يوم القيامة؟ قال: يا موسى تفزع أهل الجمع من أصواتهم ويتأذون بالويل من نتن ريحهم[٧]، قال: إلهي فما

---

(١) ينظر: أبو نعيم ، الحلية، ٦/ ٤٠، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/ ٣٩٦.

(٢) ينظر: معمر بن راشد، الجامع لمعمر، ١١/ ١٩٢، عبد الله بن المبارك، الزهد لابن المبارك، ١/ ٣٦٥، ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٤٠.

(٣) أي ناهضهم وعاداهم، يقال: ناوأت الرجل نواء ومناوأة إذا عاديته وفي حديث رسول الله ﷺ: {لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم الدجال } ينظر: الحاكم، المستدرك ٢/ ٨١، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٥/ ١٢٢.

(٤) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٤٠-٤١.

(٥) لقد وصف الله تعالى الذين يأكلون الربا ولم يتوبوا منه مثلهم كمثل الذي ﴿ يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥ وفي آية ثانية أعلن الله تعالى على آكل الربا الحرب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٤١.

(٦) وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ النساء: ٥٨، أي إلى صاحبها إذا طلبها. وقال عمر بن الخطاب ﷺ وهو يخطب الناس: لا يعجبنّكم من الرجل طنطنته ولكنه من أدى الأمانة وكف عن أعراض الناس فهو الرجل. ينظر البيهقي، سنن البيهقي، ٦/ ٢٨٨، ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٤١.

(٧) قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء، ٣٢، وعن أبان بن عثمان ﷺ قال: تعرف الزناة بنتن فروجهم، ينظر: ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ٤/ ٤٦، وعن مكحول رفعه قال: تروح أهل النار برائحة فيقولون ربنا ما وجدنا ريحاً منذ دخلنا النار أنتن من هذه الرائحة فيقول: هذه رائحة فروج الزناة، ينظر: أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، التخويف من أهل النار، ط١، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ١/ ١٤٠، ولفظ

=

جزاء من لم يكف عن معاصيك؟ قال: أعطيه كتابه بشماله ومن وراء ظهره[١]، قال: إلهي فما جزاء من أحب أهل طاعتك ؟ قال: يا موسى من أحب أهل طاعتي أحرِّمه على النار[٢]، قال موسى: يا رب فما جزاء من لم يفتر عن الدعاء والتضرع والاستكانة؟ قال: يا موسى أدفع عنه البلاء في الدنيا وأعينه على شدائد الآخرة[٣]، قال: إلهي فما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً؟ قال: يا موسى لا أقيل له عثرة، ولا أنظر إليه يوم القيامة في حاجة، وأحرِّم عليه ريح الجنة[٤]. قال: إلهي فما جزاء من دعا نفساً كافرة إلى الإسلام؟ قال: يا موسى هو يوم القيامة في زمرة المرسلين[٥]، قال: يا رب فما جزاء من أسبغ وضوءه وصلى الصلوات لوقتها لا يشغله عنها شيء ؟ قال: يا موسى أبيحه جنتي وأعطيه سؤله وأضم عليه ضيعته وأضمِّن الأرض رزقه[٦]، [/ ٨١ ظ] قال: إلهي فما جزاء من صام لك محتسباً؟ قال: يا موسى أقيمه مقاماً لا يرى من البأس شيئاً[٧]. قال: فما جزاء من صام لك رياءً؟ قال: ثوابه كثواب من لم يصمه[٨]، قال: إلهي فما جزاء من أعطى الزكاة على ما أمرته؟ قال: يا موسى أعطيه جنة عرضها كعرض السماء والأرض[٩]، (قال: الهي فما جزاء من لقيك بشهادة أن لا إله إلا الله تكون آخر كلامه من الدنيا ؟ قال: يا موسى لا يحمله قلبك ولا يعيه سمعك كل الذي أعطيه حتى يصير إليه. قال: إلهي فما جزاء من شهد أن لا إله إلا أنت وهو شاك؟ قال: يا موسى أخلده ناري ولم أجعل له نصيباً في رحمتي، ولا حظاً من شفاعة الأنبياء والصديقين، والشهداء والملائكة، قال: إلهي

=

النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٤١.

(١) قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ الحاقة: ٢٥، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝﴾ الإنشقاق، ١٠-١١. ولفظ النص لأبي نعيم، الحلية، ٦/ ٤١.

(٢) ينظر: الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ٢٧٧، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٤١.

(٣) ينظر: الشيخ الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، ص ٨٩، أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٤١.

(٤) وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء، ٩٣. وينظر: الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ٢٧٧، الجزائري، قصص الأنبياء، ص ٣٤٢.

(٥) ينظر: الشيخ الصدوق: فضائل الأشر الثلاثة، ص ٨٩، أبو نعيم الحلية، ٦/ ٤١.

(٦) ينظر أبو نعيم الحلية، ٦/ ٤١، الجزائري، قصص الأنبياء، ص ٣٤٢.

(٧) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٤١، المجلسي، بحار الأنوار، ١٣/ ٣٢٨.

(٨) ينظر أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٤١، الجزائري، قصص الأنبياء، ص ٣٤٢.

(٩) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٤١.

فما جزاء من اعتكف لك؟ قال: جزاؤه المغفرة)[١] فسكت موسى طويلاً فلم يتكلم، فقال له ربه: يا موسى تكلم بما في قلبك، قال: إلهي أنت أعلم بما أقول، قال: نعم، قد علمت إنك أردت أن تقول: إلهي لا يهلك عليك إلا هالك، نعم يا موسى، وعزتي وجلالي لا يهلك عليَّ إلا هالك)[٢].

(١) (م.ن)، ٦/ ٤١.

(٢) أبو نعيم، الحلية، ٦/ ٣٤١-٣٤٢. وهذا موافق لما رواه ابن عباس (رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال: { ثم إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة}. مسلم، الصحيح، ١/ ١١٨، النسائي، السنن، ٤/ ٣٩٦، وقال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾. لمائدة: ٣، وفي الأحاديث أدلة على أن العبد إذا عصى الله وتاب تاب الله عليه ولا يزال كذلك، ولن يهلك على الله إلا هالك، ينظر: الصنعاني محمد بن إسماعيل، سبل السلام، ٤/ ١٨٠. ونحو ذلك من الأدلة على تمام الأمر وإيضاح السبيل، فمن تجرأ على السيئات وأعرض عن الحسنات المتضاعفة فهو الهالك المحروم.

الباب الثامن

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات

وشرَّفه به من الكرامات

وفيه فصول

اعلم أنَّ الأنبياء والرسل (عليهم السلام) معجزاتهم جمَّة، ومعجزات موسى أكثر وأشهر بعد نبيِّنا محمد ﷺ، فإنَّ معجزاته ﷺ أكثر وأشهر من معجزات موسى عليه السلام [/ ٨٢و] ولنذكر منها ما تيسر: فأعظم معجزاته التوراة، ومن معجزاته الآيات التسع التي أخبر الله بها بقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾[١] قال ابن عباس، والضحاك: الآيات المذكورة: العصا، واليد، واللسان، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع والدم[٢]. قال الحسن، والشعبي[٣]: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واليد والعصى والسنين والنقص من الثمرات[٤] وقيل غير ذلك[٥]، فأما العصى فقد [ذكرنا][٦] بعض صفتها فيما تقدم، ولنذكر الآن ما تيسر إيراده، قال ابن زيد: لما اجتمع موسى وفرعون ودعا السحرة انقلبت عصا موسى حية فبلغ ذنبها وراء البحيرة[٧]، وقال غيره فتحت فاها فجعلت تلقف أي تلتقم ما ألقوا من حبالهم

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠١.

(٢) ينظر: الطبري، تفسير، ١٥/ ١٧١، والنحاس، معاني القرآن، ٤/ ٢٠٠، البغوي، تفسير، ٣/ ١٣٩، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ﴾، الأعراف: ١٣٣.

(٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، شعب همدان، فقيه، تابعي (ت١٠٥هـ) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ١٠١، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٤٠.

(٤) ينظر: الطبري، تفسير، ١٥/ ١٧١، البغوي، تفسير، ٣/ ١٣٩.

(٥) مثل: الطمسة، والحجر، ينظر: الطبري، تفسير، ١٥/ ١٧١، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٩٢، ومعنى الطمسة أي أمحيَ وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ أي غيرها، ينظر: الرازي، مختار الصحاح ١/ ١٦٧، ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ١٠١.

(٦) لمقتضى السياق.

(٧) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ١٨٧، والقرطبي، الجامع، ٧/ ٢٥٩.

وعصيهم[١]. قال القرطبي: (وكان معهم فيما روي حبال وعصي ثلاث مئة بعير! فالتقمت الحيَّة ذلك كله)[٢] قال: ابن عباس والسدِّي: إذا فتحت الحيَّة فاها صار شدقها[٣] ثمانين ذراعاً واضعة فكها الأسفل إلى الأرض وفكها الأعلى على سور القصر[٤]. قال المفسرون: لما انقلبت العصا حيَّة قصدت لتبلغ فرعون فوثب من سريره فهرب منها واستغاث بموسى فأخذها فإذا هي عصا كما كانت[٥]. قال وهب: مات من خوف العصا خمسة وعشرون ألفاً[٦] فأي معجزة تداني هذه، أمَّا اليد فقال المفسرون: لَمَّا كان موسى طفلاً أخذه فرعون ووضعه في حجره فلطمه لطمة وأخذ بلحيته فنتفها[٧]، فقال فرعون لآسية: هذا عدوي فهاتِ الذباحين فقالت آسية على [/ ٨٢ ظ] رسلك فإنَّه صبي لا يفرق بين الأشياء، ثم أتت بطستين فجعلت في إحداهما جمراً والآخر جوهراً فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرة ووضعها على لسانه فاحترق لسانه ويده ثم إن موسى عالجها[٨] واجتهد في ذلك فلم تبرأ، ثم أن الله تعالى شفاها[٩] وذلك قوله مخاطباً له ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾[١٠] (أي برص)[١١] وقد ذكرنا في صفته أنه كان أسمر اللون[١٢]

---

(١) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٢٤١، ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٣٨.

(٢) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٥٨.

(٣) الشدق :طفطفة الفم من باطن الخدين، وتشدَّق في الكلام إذا فتح فاه، ينظر: الخليل، العين، ٥/ ٣٤، الجوهري، الصحاح، ٤/ ١٥٠٠.

(٤) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٤٣، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٥٨ .

(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ١٤، البغوي، تفسير، ٢/ ١٨٦، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٥٨، النسفي، تفسير ٢/ ٢٨، البيضاوي، تفسير، ٣/ ٤٦.

(٦) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ١٥، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٥٨، ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٣٧، البيضاوي، تفسير، ٣/ ٤٦.

(٧) تقدم ذكر ذلك بأن الذي بدأ باللطم هو موسى عليه السلام فوجع منها فرعون ينظر: الأصل، ورقة [/ ١٤و].

(٨) قال القرطبي وغيره: فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ، وقد تقدم ذكر ذلك في الأصل، ورقة[/ ١٤و].

(٩) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٥٩، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٢، النسفي، تفسير ،٣/ ٥٤، البيضاوي، تفسير،٤/ ٤٧، السيوطي ،الدر المنثور، ٦/ ٣٩٠ –٣٩١.

(١٠) سورة طه، الآية: ٢٢.

(١١) مجاهد، تفسير، ١/ ٣٩٥، الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق (ت١٦١هـ) تفسير سفيان الثوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١/ ١٩٣، ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د.عبد العال سالم مكرم، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ١/ ٢٧٧.

(١٢) ينظر: الأصل ورقة [/ ٥٠و].

وأن الله تعالى لما أمره أن يجعل يده في جيبه خرجت وعادت إلى لونه[١]. قال ابن عباس (كان ليده نورٌ ساطعٌ يضيء ما بين السماء والأرض)[٢] قال غيره كانت تخرج بيضاء كالثلج تلوح فإذا ردَّها عادت إلى مثل سائر بدنه[٣].

وحكى أهل التفسير أن فرعون قال لموسى لما دعاه إلى الله عز وجل قال: (إلى أي رب تدعوني إليه؟ قال موسى: إلى الذي أبرأ يدي، وقد عجزت عنها[٤] وقد قدمنا السر في كونها لم تبرأ وذلك لأجل أن لا يدخلها مع فرعون في قصعة فتدخل بينهما حرمة المؤآكلة، وأمَّا اللسان فقد ذكرنا سببه وأنه احترق من الجمرة التي وضعها في فيه[٥]. قال المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾[٦]، إن الرتة التي كانت في لسانه زالت بدليل قوله: ﴿ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[٧] قال المفسرون: لَمَّا كلَّم موسى فرعون كلَّمه بلسان ذلق فصيح، ويروى أن تلك الرتة لم تزل كلها بدليل قوله حكاية عن فرعون [/ ٨٣ و] ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[٨] ولأنه لم يقل احلل كلَّ لساني فدلَّ على أنه بقي في لسانه شيء من الاستمساك[٩].

قال القرطبي: وفي هذا نظر[١٠]، قال بعض المفسرين (إن تلك العقدة حدثت بلسانه عند مناجاته ربه حتى لا يكلم غيره إلا بإذنه)[١١] وأما البحر فإنه انفلق لموسى ﴿ فَكَانَ

---

(١) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٥٧، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت٣٢٧هـ) تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا (بلا.ن)، ٥/ ١٥٣٣.

(٢) ينظر: البغوي ،تفسير، ٣/ ٢١٥، واللفظ للقرطبي، الجامع، ٧/ ٢٥٧. فيها مبالغة، وصفها الله تعالى بالبياض أي إذا نظر إليها الإنسان لم يجد فيها سوء أو عاهة تصرفها عن الحقيقة، بل هذا البياض يزيد من جمالها والله أعلم.

(٣) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير، ٨/ ٢٧٦٠، والقرطبي، الجامع، ٧/ ٢٥٧.

(٤) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٢، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٤، البيضاوي، تفسير ،٤/ ٤٧، أبو السعود، تفسير، ٦/ ١٢.

(٥) ينظر: الأصل، ورقة، [/ ١٤ و].

(٦) سورة، طه، الآية: ٢٨.

(٧) سورة طه، الآية: ٣٦، وينظر: الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٩٤، البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٦، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٢، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٤.

(٨) سورة الزخرف، الآية: ٥٢.

(٩) ينظر: القرطبي واللفظ له، الجامع، ١١/ ١٩٢-١٩٣، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٤، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٤٨

(١٠) القرطبي, الجامع، ١١/ ١٩٣.

(١١) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٣، وينظر: الآلوسي، روح المعاني، ١٦/ ١٨٣.

كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١] وسنذكره مستوفياً في نصرة موسى على عدوّه إن شاء الله تعالى. وأما الطوفان والجراد والقمل والضفادع، والدم، فقد نص الله عليها في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ ﴾[٢] والطوفان هو المطر الشديد، نقل المفسرون إنهم أمطروا حتى عاموا فيه، وهذا قول الأكثر[٣].

قال مجاهد، وعطاء: الطوفان الموت[٤]، قال النحاس: (الطوفان في اللغة ما كان مهلكاً من موت أو سيل أي ما [٥] يطيف بهم فيهلكهم)[٦] قال السدي: ولم يصب بني إسرائيل قطرة من ماءٍ بل دخل بيوت القبط حتى عاموا في الماء إلى تراقيهم ودام عليهم سبعة أيام[٧] وقيل: (أربعين[٨] يوماً)[٩] فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا فنؤمن لك فدعا ربَّه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا فأنبت الله لهم في تلك السنة ما لم ينبته قبل ذلك من الكلأ والزرع، فقالوا: كان ذلك الماء نعمة فبعث الله عليهم الجراد، وهو الحيوان المعروف فأكل زرعهم وثمارهم حتى إنها كانت تأكل السقوف والأبواب والمسامير حتى تنهدم ديارهم ولم يدخل دور بني إسرائيل فيها شيء[١٠]، (فعاهد القبط موسى أن يؤمنوا لو كشف عنهم الجراد فدعا فكشف وكان قد بقي من زرعهم شيء، وقالوا: يكفينا ما بقي ولم يؤمنوا[١١] فبعث الله [/ ٨٣ظ] عليهم القمل[١٢] وهو صغار الدبى[١٣]، قاله:

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٣.

(٣) ينظر: الصنعاني، تفسير، ٣/ ١٠٠، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٦٧، البيضاوي، تفسير، ٣/ ٥٢.

(٤) ينظر: مجاهد، تفسير، ١/ ٢٤٤، البغوي، تفسير، ٢/ ١٩١.

(٥) في الأصل (أو ماء) والسيل هو الماء والتكرار غير مستساغ، وما أثبته موافق لما ذكره النحاس، معاني القرآن، ٣/ ٦٩.

(٦) (م.ن)، ٣/ ٦٩.

(٧) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٣٨، البغوي تفسير، ٢/ ١٩١، القرطبي، الجامع، واللفظ له، ٧/ ٢٦٨.

(٨) (أربعون) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح لأنه خبر دام، وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٦٨.

(٩) القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٦٨.

(١٠) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٣٨، البغوي، تفسير، ٢/ ١٩١، القرطبي ،الجامع، ٧/ ٢٦٨. يوجد مبالغة إن كان المسامير من حديد والله أعلم.

(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٦٩، النسفي، تفسير، ٢/ ٣٢.

(١٢) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٣٦، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٦٩، ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٤٢.

(١٣) (الذباب) كذا في الأصل، وما أثبته موافق لما ذكره الصنعاني، تفسير، ٢/ ٢٣٤، النحاس، معاني القرآن، ٣/ ٧٠، الواحدي، تفسير، ١/ ٤١٠، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٦٩.

قتادة والدبى[١]، الجراد الصغير قبل أن يطير)[٢] قال ابن عباس: السوس الذي في الحنطة[٣]، قال ابن زيد: البراغيث[٤]، قال الحسن: دواب صغار[٥]، قال أبو عبيدة[٦]: الحمنان، وهو ضرب من القراد واحدها حمَّانة[٧] فأكلت دوابهم وزروعهم, وكدمت جلودهم كأنها الجدري عليهم, ومنعتهم النوم والقرار[٨]. وقال حبيب ابن أبي ثابت[٩]: القمل الجعلان والقمل عند أهل اللغة ضرب من القردان إلاَّ إنها أصغر منها[١٠].

قال القرطبي: وليس هذا يناقض لما قاله أهل التفسير لأنه يجوز أن تكون هذه الأشياء كلها أرسلت عليهم [١١]، فلما كشف الله عنهم لم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع وهي التي تكون في الماء وهي معروفة فملأت بيوتهم وأوعيتهم وطعامهم وشرابهم فلا يكشف أحد منهم ثوباً ولا طعاماً ولا إناءاً إلاَّ وجد فيه الضفادع حتى أنَّ أحداً منهم ليتكلَّم فتثب الضفدع في فيه[١٢]! فشكوا إلى موسى وقالوا: نتوب فكشف عنهم ذلك، فعادوا إلى كفرهم[١٣]، فأرسل الله عليهم الدم فسال النيل عليهم دماً، وكان الإسرائيلي يغترف منه الماء والقبطي الدم، وكان الإسرائيلي يصبُّ الماء في فم القبط فيصير دماً، والقبطي يصب الماء في فم الإسرائيلي فيصير ماءً زلالاً[١٤]، ويروى أنه كان بين الآية

---

(١) (الذباب) كذا في الأصل ،وما أثبته موافق لما ذكره، الصنعاني، تفسير،٢/ ٢٣٤، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٦٩، الثعالبي، تفسير، ٢/ ٤٨.

(٢) وأرض مدبية: إذ أكل الجراد نباتها، والدبى الجراد الصغير قبل أن يطير، ينظر: الجوهري، الصحاح، ٦/ ٢٣٣٣، البكري، معجم ما ستعجم، ٣/ ١٠٧١، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٢/ ١٠٠.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٣٤، البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٢، السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٥٢٠.

(٤) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٢٤٩، السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٥٢٣.

(٥) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٣/ ٧٠، ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٤٢.

(٦) هو معمر بن المثنى التميمي النحوي البصري أبو عبيدة، من كتبه مجاز القرآن، وغريب القرآن، (ت٢١٠ هـ) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ١/ ٧٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/ ٢٣٥.

(٧) ينظر: البخاري، صحيح ٣/ ١٢٤٦، البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٢، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٣.

(٨) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٦٩.

(٩) حبيب بن أبي ثابت الأسدي واسم أبي ثابت قيس بن دينار، قال أبو بكر بن عياش رأيت حبيب ساجداً فلو رأيته قلت: ميت يعني من طول السجود (ت١١٧هـ) ينظر: أبو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ١/ ٨٤، ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ٣/ ١٠٧، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٥١.

(١٠) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٣/ ٧٠، ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٥٦٩.

(١١) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٣/ ٧٠، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧٠.

(١٢) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٢، ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٤٣، البيضاوي، تفسير،٣/ ٥٣.

(١٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٣٤، الواحدي، تفسير، ١/ ٤١٠، الثعالبي، تفسير، ٢/ ٤٨.

(١٤) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٣٧، البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٢، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٧١.

والآيـة ثمانية أيام[١]، وقيل: أربعين [٢]، وقيل شهراً[٣]. فهذه المعجزات التي ذكرناها هي الآيات البينات التي نطق القرآن بها، ومعجزاته كثيرة نذكر منها ما تيسر إيراده في غير هذا الموضـع من الفصول الآتية [/ ٨٤و] كل معنى في بابه، وقد وعدنا في أول هذا الباب أن نسرد فصولاً في المعجزات .

(١) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٤٠، النحاس، معاني القرآن، ٣/ ٧١.

(٢) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٢٥١.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٤٠، البغوي، تفسير، ٢/ ١٩٣، السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٥٢٤.

الفصل الأول

في نبع الماء الطاهر له

إذ استسقاه قومه وخروجه إليه، قال الله تعالى:﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[1] قد قدمنا السبب في الاستسقاء[2]، وقدمنا أن الحجر كان مربعاً تطرد من كل جهة ثلاثة عيون إذا ضربه موسى تنفجر العيون منه عند الحاجة، وإذا استغنوا عن الماء جفَّت العيون، وكان كل عين لسبط لا يتعداها، وفي كل سبط خمسين ألف مقاتل غير خيلهم ودوابهم قال عطاء: كان يظهر في كل موضع من ضرب موسى من كل موضع مثل ثدي المرأة على الحجر[3].

وفي الإحياء للغزالي أن الله تعالى أمر موسى لما استسقى لبني إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين خرج يستسقي لهم[4] في سبعين ألفاً، أوحى الله إليه كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم، سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين، ويأمنون مكري! إرجع إلى عبد من عبادي يقال له: برخ[5]، فقل له: يخرج حتى أستجيب له. وسأل عنه موسى فلم يعرف، فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود قد أستقبله بين عينيه تراب من أثر السجود، فعرفه موسى بنور الله عز وجل، فسلم عليه وقال له: ما اسمك؟ قال اسمي برخ، قال: فأنت طلبتنا منذ حين، فاخرج فاستسق لنا، فخرج، فقال: إلهي ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك، وما الذي بدا لك! أنقصت عليك غيومك، أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ما عندك! أم اشتد غضبك على المذنبين [/ ٨٤ظ]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(٢) ينظر: الأصل، ورقة [/ ٦٠ظ].

(٣) ينظر: ضمن النص المحقق، ورقة [/ ٦٢ظ].

(٤) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ١/ ٣٠٧.

(٥) برخ: العابد التائب في زمن موسى عليه السلام لم أقف على ترجمة له أكثر من ذلك، ينظر: ابن قدامة المقدسي، عبدالله بن أحمد يكنى أبا محمد (ت٦٢٠هـ)، كتاب التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٧٩.

ومعنى برخ: الرخص، يقال: كيف أسعارهم فيقال: بَرخ أي رخيص بالعبرانية أو السريانية، ينظر: الخليل كتاب العين، ٤/ ٢٥٦، ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ٧.

ألست كنت غفاراً قبل خلق الخطائين ؟ خلقت الرحمة، وأمرت بالعطف، أم ترينا أنك ممتنع، أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة؟ قال: فما برح حتى اخصبت بنو إسرائيل بالقطر وأنبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال: فرجع برخ فاستقبله موسى فقال: كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفني[١] فهمَّ به موسى، فأوحى الله إليه إنَّ برخ يضحكني كل يوم ثلاث مرات[٢]. قلت معنى قوله: يضحكني أي يرضيني. وما وقع لموسى من المعجزة من تفجير الماء من الحجر، فمعجزة نبيِّنا أبهى وأبهر إذ نبع الماء الطاهر من بين إصبعيه ﷺ قال العلماء: معجزة محمد ﷺ أعظم من معجزة نبي الله موسى عليه السلام لأن الماء خرج لمحمد ﷺ من بين لحم ودم, ومعجزة موسى عليه السلام إنما كانت من حجر, والواقع غالباً تفجير الماء من الحجر، فكانت معجزة محمد ﷺ أبهر[٣].

(١) ينظر: ابن قدامة، حيث قال: قدوس قدوس ما عندك لا ينفذ وخزائنك لا تفنى وأنت بالبخل لا ترمى فما هذا الذي لا تعرف به أسقنا الغيث الساعة الساعة، قال: فانصرفا يخوضان الوحل، كتاب التوابين، ص٧٩، الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي، (ت٩٦٦هـ) واللفظ له، مسكن الفؤاد عند فقد الأحبَّة والأولاد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٧٠، المناوي، فيض القدير، ١/ ٨٣. وما نقله ابن قدامة هو الأرجح والله أعلم لتأدب العبد التائب مع ربه عزوجل.

(٢) فقد استوحى المؤلف رحمه الله تعالى قوله هذا من أبي نعيم، وهي قصة مغايرة لهذه، ينظر: الحلية، ٣/ ٢٢٣.

(٣) والحديث في الصحيحين: عن جابر ﷺ قال: {ثم عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقال: رسول الله ﷺ: ما لكم ؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك قال: فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قال: فشربنا وتوضأنا فقلت لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مئة ألف، لكفانا، كنا خمس عشرة مئة} ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٥٢٦، مسلم، صحيح، ٣/ ١٦١٢، ولفظ النص للقرطبي، الجامع، ١/ ٤٢١.

الفصل الثاني

في كلام الحيوانات

كالبقر والذئب والقتيل الذي ضرب ببعض البقرة فأحياه الله عزوجل وأخبر بالقاتل بين يديه

فأما البقرة فقد قال الله عز وجل في كتابه ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾[1] قال المفسرون :(كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى [/ ٨٥و] قرية أخرى وألقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثأره، وجاء بناس إلى موسى يدَّعي عليهم القتل! فسألهم موسى عليه السلام فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى. قال الكلبي فذلك قبل نزول القسامة[2] في التوراة فسألوا موسى أن يدعوا الله ليبين لهم بدعائه فأمرهم بذبح البقرة)[3] فقال موسى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾[4] (تستهزيء بنا، نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة، وإنما قالوا [ذلك][5] لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة)[6]. قال موسى: أعوذ بالله أي أمتنع بالله أن أكون من الجاهلين ،من المستهزئين بالمؤمنين، وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل[7]، فلما علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوها ولو أنهم عمدوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٢) القسامة :اليمين وسميت اليمين في القسامة نفلاً لأن القصاص ينفى بها ومنه حديث علي كرم الله وجهه: لوددت أن بني أميَّة رضوا ونفلناهم خمسين رجلاً من بني هاشم يحلفون ما قتلنا عثمان ولا نعلم له قاتلاً، يريد نفَّلنا لهم (يعني حلفنا لهم بالبراءة من دم عثمان) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣٩/ ٤٥٢، ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٦٧٣.

(٣) ينظر الواحدي، ١/ ١١١، البغوي، واللفظ له، تفسير، ١/ ٨١-٨٢، الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٥) لمقتضى السياق وموافق لما ذكره البغوي، تفسير،١/ ٨٢.

(٦) (م.ن)، ١/ ٨٢.

(٧) لأن المخبر عن الله تعالى بالهزء والسخرية من الجاهلين، فبرأ موسى عليه السلام نفسه مما ظنوا، ينظر: الطبري، =

إلى أذلٍّ بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، وكانت تحته حكمة وذلك أنَّه كان في بني إسرائيل رجل صالح له طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضته[١] وقال: اللهمَّ إني أستودعك هذه العجلة لولدي حتى تكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عوانا[٢]، وكانت تهرب من كل من رآها، فلما كبر الابن كان باراً بوالدته فكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه .فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورَّثك عجلة استودعها الله في غيضته، فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردَّها عليك وعلامتها [/ ٨٥ ظ] إنك إذا نظرت إليها يخيل إليك إنَّ شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تلك البقرة تسمى المذهَّبة لحسنها وصفرتها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال: أعزم عليك[٣] بإله إبراهيم وإسماعيل، وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت: يا أيها الفتى البار بوالدته إركبني فإن ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليَّ أبداً فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بإمك[٤] (فسار الفتى بها إلى أمه فقالت: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق وبع هذه البقرة، فقال: بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتي، وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله تعالى ملكاً ليري خَلقَهُ قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته[٥]، وكان الله به خبيراً فقال له الملك: بكم

=

تفسير ،١/ ٣٣٧، البغوي، تفسير، ١/ ٨٢، أما الحكمة في ذلك ستأتي بعد قليل.

(١) الغيضة: وهي الشجر الملتف، ومنها حديث عمر ﷺ لا تنزلوا المسلمين الغياض فتضيعه (أي إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكن منهم العدو) ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ١/ ٢٧، ابن منظور، لسان العرب ٧/ ٢٠٢.

(٢) العوان من البقر والخيل هي التي نتجت بعد بطنها البكر وهي التي بين الفارض، وهي المسنة، وبين البكر وهي الصغيرة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب ،١٣/ ٢٩٩، الزبيدي، تاج العروس، ٩/ ٢٨٥.

(٣) وقال:أعزم عليك، وردت هذه العبارة مكررة في المتن ولعلها وقعت سهواً من الناسخ، وموافقة لما ذكرها البغوي، تفسير،١/ ٨٢.

(٥) البغوي، واللفظ له، تفسير، ١/ ٨٢، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ١٠٠، السيوطي، الدر المنثور ١/ ١٩٥.

(٥) ومما يؤيد بر الوالدين حديث رسول الله ﷺ عن عبدالله بن مسعود ﷺ ثم سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال: {الصلاة على ميقاتها، ثم أي، قال: ثم بر الوالدين قلت: ثم أي

=

تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي! فقال له الملك: لك ستة دنانير ولا تسامر والدتك، فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضى والدتي: فردها إلى أمّه فأخبرها بالثمن، فقالت: إرجع وبعها بستة دنانير على رضى مني، فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت أمك؟ فقال [الفتى][1] إنها أمرتني أن لا أنقصها من ستة دنانير على أن استأمرها، فقال الملك: فإني أعطيك أثني عشر على أن لا تستأمرها، فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت: إن الذي يأتيك ملك في [/ ٨٦و] صورة آدمي ليجزيك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل فقال له الملك: إذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها[2] دنانير فأمسكوها، وقدر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها، فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلاً منه ورحمة)[3] فذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾[4] (أي ما سنها)[5] قال موسى: إنه يقول يعني سأل الله فقال: إنه يعني أنَّ الله يقول: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ (لا كبيرة ولا صغيرة)[6] (والفارض المسنَّة التي لا تلد، يقال منه فرضت تفرض فروضاً، والبكر الصغيرة التي لم تلد قط وحذفت الهاء منها للاختصاص بالإناث[7]، كالحائض، عوان نصف بين ذلك أي

=

قال: الجهاد في سبيل الله } ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٠٢٥، مسلم، صحيح، ١/ ٨٩.

(١) لمقتضى السياق، وموافق لما جاء به البغوي، تفسير، ١/ ٨٢.

(٢) أي جلدها، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: ثم ماتت شاة لسودة بنت زمعة (رضي الله عنها) فقالت يا رسول الله ماتت فلانة تعني الشاة، قال: { فلولا أخذتم مسكها } فقالت: ينفذ مسك شاة قد ماتت فقال النبي ﷺ: { إنما قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾، فإنه لا بأس بأن تدبغونه فتنتفعون به } قالت فأرسلت إليها فسلخت مسكها فدبغته فاتخذت منه قربة حتى انخرقت، ينظر: الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبو جعفر (ت٢٢٩هـ)، شرح معاني الآثار تحقيق: محمد زهري النجار ،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ١ / ٤٧١، أبو حفص ابن شاهين، عمر بن أحمد بن عثمان (ت٣٨٥هـ) ناسخ الحديث ومنسوخه، تحقيق: سمير بن أمين الزهري، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ١٥٥.

(٣) البغوي، واللفظ له، تفسير، ١/ ٨٢-٨٣، ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ١٠٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٨، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾.

(٥) البغوي، تفسير،١/ ٨٣، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ١٤.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، ص٢٤٢، الجوهري، الصحاح، ٦/ ٢١٦٨.

(٧) (لآيات) كذا في الأصل وما أثبته هو الصحيح، وموافق لما جاء به البغوي، تفسير، ١/ ٨٣.

بين السنَّين، يقال: عونت المرأة تعوينا إذا زادت على الثلاثين[١] قال الأخفش[٢]: العوان التي نتجت مراراً وجمعها عون[٣]، ﴿ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾[٤] (من ذبح البقرة ولا تكرروا السؤال)[٥] ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾[٦] قال ابن عباس: (شديدة الصفرة، قال قتادة: صافٍ[٧]، قال الحسن: الصفراء السوداء، والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع إنما يقال: أصفر فاقع وأسود حالك، وأحمر قاني، وأخضر ناضر، وأبيض بَقِق للمبالغة)[٨] ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ إليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾[٩] أسائمة أم عاملة أنَّ البقر تشابه علينا أي التبس واشتبه أمره علينا ولا نهتدي إليه ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾، إلى وصفها[١٠]، قال رسول الله ﷺ: {وإيمَ الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد}[١١]. ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾[١٢] (مذللة بالعمل)[١٣]

---

(١) (الثلثين) كذا في الأصل. وما أثبته صحيح، ينظر: البغوي، تفسير، ١/ ٨٣.

(٢) هو أبو الحسن، سعيد ين مسعدة البلخي ثم البصري أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه، له كتب في النحو والعروض ومعاني القرآن، (ت٢١٠هـ)، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٣١٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/ ٢٠٦.

(٣) قال الأخفش: هو صفة في المعنى للبقرة، وبقي مرفوعاً والنفي المنصوب لا يكون صفة من صفتها. ينظر: الأخفش، معاني القرآن، ١/ ٢٧٩، واللفظ في الأصل للبغوي، تفسير،١/ ٨٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٨.

(٥) البغوي، تفسير، ١/ ٨٣، الآلوسي، روح المعاني، ١/ ٢٨٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٦٩، لقوله تعالى: ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾.

(٧) (صافي) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، والتنوين هنا عوضاً عن الياء، ولا تكتب بالياء إلا إذا كانت معرفة

(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٣٤٦، الواحدي، تفسير، ١/ ١١٢، البغوي، تفسير،١/ ٨٣.

(٩) سورة البقرة، الآية ٧٠، لقوله تعالى ﴿ لَمُهْتَدُونَ ﴾.

(١٠) ينظر: الواحدي، تفسير، ١/ ١١٢، البغوي، تفسير، ١/ ٨٣، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ١٥.

(١١) أي لولا أن القوم استثنوا فقالوا: ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ لما هدوا إليها أبداً ينظر: سعيد بن منصور ،(ت٢٢٧هـ) سنن سعيد بن منصور، تحقيق: د.سعد بن عبدالله بن عبد العزيز آل حميد، ط١، دار العصيمي، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٢/ ٥٦٥، الطبري ،تفسير، ١/ ٤٩٣، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤٠.

(١٢) سورة البقرة، الآية: ٧١.

(١٣) الواحدي، تفسير، ١/ ١١٢، البغوي، تفسير، ١/ ٨٣، الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٧.

[/ ٨٦ظ] (فقال رجلٌ ذلول بيِّن الذلَّة، ودابة ذلول بيّنة الذلّ)[١] ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾[٢] (تقلبها للزراعة)[٣] ﴿ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ أي ليست ساقية[٤] ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ أي بريئة من العيوب[٥] ﴿ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ (لا لون فيها سوى لون جميع جلدها)[٦] قال عطاء: (لا عيب فيها، قال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد)[٧] ﴿ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه، فطلبوها فلم [يجدوا][٨] بكمال وصفها إلاَّ مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً[٩]، ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[١٠] من غلاء ثمنها.

قال محمد بن كعب[١١]: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها وقيل: وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيه[١٢]، [قوله عز وجل][١٣]: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾[١٤] (هذا أول القصة وإن كانت مؤخرة في التلاوة، واسم القتيل عاميل)[١٥] ﴿ فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ﴾ (أصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف، مثل قوله تعالى: ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ ﴾[١٦] قال ابن عباس ومجاهد: معناه فاختلفتم)[١٧].

---

(١) البغوي، تفسير، ١/ ٨٣، ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٢٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧١، لقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾.

(٣) الواحدي، تفسير، ١/ ١١٢، البغوي، تفسير، ١/ ٨٣.

(٤) لأن التي تثير الأرض لا يعدم منها سقي الحرث، ومن أثارت الأرض كانت ذلولاً، ومعنى ولا تسقي الحرث أي لا يستقي عليها الماء لسقي الزرع، ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ٩٨.

(٥) ينظر: الواحدي، تفسير، ١/ ١١٢، البغوي، تفسير، ١/ ٨٣-٨٤. السيوطي، تفسير الجلالين ،١/ ١٥.

(٦) البغوي، تفسير، ١/ ٨٤، الهائم المصري، التفسير في غريب القرآن، ١/ ٩٤.

(٧) البغوي، تفسير، ١/ ٨٤.

(٨) (يجدوها) كذا في الأصل وما أثبته صحيح، ينظر: البغوي، تفسير، ١/ ٨٤.

(٩) البغوي، واللفظ له، تفسير، ١/ ٨٤، وينظر: الصنعاني ،تفسير، ١/ ٤٩، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ١٥.

(١٠) سورة البقرة، الآية: ٧١.

(١١) محمد بن كعب القرظي مدني تابعي ثقة من عبَّاد أهل المدينة، عالم بالقرآن ،(ت١٠٨هـ) ينظر: العجلي الكوفي، معرفة الثقات، ٢/ ٢٥١، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ٦٥.

(١٢) البغوي، واللفظ له، ١/ ٨٤، وينظر: الثعالبي، تفسير، ١/ ٧٨، أبو السعود، تفسير، ١/ ١١٣.

(١٣) يقتضيها السياق، وينظر: البغوي، تفسير، ١/ ٨٤.

(١٤) سورة البقرة، الآية: ٧٢.

(١٥) البغوي، تفسير، ١/ ٨٤، وينظر: ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/ ٩٠.

(١٦) سورة التوبة ،الآية: ٣٨.

(١٧) البغوي، تفسير، ١/ ٨٤.

قال الربيع بن أنس[١] : (تدافعتم أي يحيل بعضكم على بعض من الدراء وهو الدفع فكان كل واحد يدفع عن نفسه)[٢] ﴿ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ ﴾[٣] مظهر ﴿ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ فإن القاتل كان يكتم القتل ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ ﴾[٤] يعني القتيل ﴿ بِبَعْضِهَا ﴾ أي ببعض البقرة واختلفوا في ذلك البعض، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف[٥] وهو المقتل)[٦].

قال مجاهد وسعيد بن جبير بِعَجب الذَّنَب[٧]؛ لأنه أوّل ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق[٨]، قال الضحاك بلسانها، قال الحسين بن الفضل[٩]: هذا أدل بها لأنه آلة الكلام[١٠]. قال عكرمة والكلبي: (بفخذها الأيمن، وقيل بعضو منها لا بعينه، ففعلوا ذلك فقام القتيل حيًّا بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً وقال: قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه، فحرم قاتله الميراث)[١١]، (وفي [/ ٨٧و] الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة، وفيه إضمار تقديره فضرب)[١٢]، [فحيي][١٣] ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[١٤] كما أحيا عاميل ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (قيل تمنعون أنفسكم من المعاصي)[١٥]

---

(١) الربيع بن أنس من بني بكر بن وائل، بصري لقيَ ابن عمر وأنس بن مالك (ت١٣٦هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ،٧/ ٣٦٩، السيوطي، طبقات المفسرين، ١/ ١٦.

(٢) البغوي، تفسير،١/ ٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٢، لقوله تعالى: ﴿ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٣، لقوله تعالى: ﴿ بِبَعْضِهَا ﴾.

(٥) وذلك العظم هو أصل الإذن فإذا كسر تعذر عليه الحياة، ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ١٠١.

(٦) البغوي واللفظ له، تفسير، ١/ ٨٤، وينظر: ابن كثير، تفسير، ١/ ١١٣، السيوطي، الدر المنثور، ١ / ٩٤، أبو السعود، تفسير،١/ ١١٤.

(٧) هو عظم العصعص في أسفل الصلب عند العجز ،ينظر: الجوهري، الصحاح، ٣/ ١٠٤٥، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣/ ١٨٤.

(٨) ينظر: الجوهري، الصحاح، ٣/ ١٠٤٥، البغوي، تفسير، ابن كثير، النهاية في غريب الحديث ،٣/ ١٨٤.

(٩) الحسين بن الفضل بن عمير بن قاسم بن كيسان البجلي الكوفي، مفسراً (ت٢٨٢هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٤١٤، ابن حجر، لسان الميزان، ٢/ ٣٠٧.

(١٠) (لإزالة الكلام) كذا في الأصل، ولعلَّ ما أثبته أنسب وموافق لما ذكره البغوي في تفسيره، ١/ ٨٤.

(١١) (م.ن) ١/ ٨٤.

(١٢) البغوي، تفسير، ١/ ٨٤.

(١٣) لمقتضى السياق، (م.ن) ١/ ٨٤.

(١٤) سورة البقرة، الآية: ٧٣، لقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

(١٥) البغوي، تفسير، ١/ ٨٤.

وأما تكلم الذئب بين يديه فحكى الكسائي في قصة موسى مع شعيب: أن موسى لَمَّا كان يرعى غنم شعيب إذا بذئب قد أقبل نحو غنمه، قال: فوثب عليه موسى فأخذه وقال: أيها الذئب ألم تعلم أني موسى بن عمران أجير شعيب؟ فنطق الذئب بقدرة الله تعالى وقال: والذي أنطقني بين يديك ما علمت أن غنم شعيب معك وما جئت إلاَّ أن الجوع أجهدني فتصدق عليَّ بشيء يسد جوعتي، فقال: كيف أتصدق بما لا أملك! فوالله إن رجعت إليَّ[1] قطعتك قطعاً ثم أطلقه فمضى هارباً على وجهه[2].

ومن معجزاته أيضاً تسليم الأغنام عليه! حكى الكسائي: أن موسى لما خرج إلى مدين وهو خائف كان موسى يسير وبين يديه أسدان عظيمان يدلاَّنه على الطريق، وإذا هو بغنم بين يديه، فلما نظرت الغنم إليه سلَّمت عليه وقالت بلسان فصيح: إلهنا هذا عبدك خرج من بلده خائفاً جائعاً عطشاناً فاحفظه يا رب حيث توجه إنك على كل شيء قدير، فسمعها الراعي[3] فتعجب وقال: يا موسى قف لأنظر إليك فوقف فقال: أدع الله أن يرزقني ولداً وكان شيخاً فدعى له فرزقه الله أربعين ولداً ذكوراً، وعمَّر حتى لقيه موسى عند الطور فكان من أصحابه[4]. ومن معجزاته تكلم الديك، حكى الكسائي في قصصه: أنه لَمَّا تم لموسى ثمان سنين قعد ذات يوم بين يدي فرعون وإذا بديك [/ ٨٧ظ] في الدار فضرب بجناحيه وسمع لموسى، فقال موسى: صدقت، قال فرعون: ما قال الديك؟ قال: إنه يسبح الله تعالى ويقول سبحان من حكم على ابن الراعي وأنعم عليه وهو يبدل النعم كفراً، قال فرعون: ما له الديك؟ وأنكر فرعون مقالة الديك وقال لموسى: إنما تقوله أنت فدعى موسى بالديك وقال له: تكلم بالذي تكلمت به بلسان يفهمه فرعون، فتكلَّم الديك بمقالته الأولى! فتغيّر وجه فرعون وقال: إنه مسحوراً وأمر بذبحه فذبح فأعاد الله فيه الروح وطار ولم يرَ بعد ذلك[5].

وفي قصص الكسائي أيضاً أنه لَمَّا تمَّ لموسى تسع سنين وكان عند فرعون فقدَّمَت آسية لفرعون جدياً مشوياً، فقال موسى للجدي قم بإذن الله تعالى، فقام فتعجب فرعون من ذلك[6]!.

---

(١) (إليك) كذا في الأصل، وما أثبته أنسب والله أعلم لأن الذئب بين يدي موسى عليه السلام لم يفارقه وسياق الكلام يدل على ذلك في قوله: ثم أطلقه.

(٢) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء.

(٣) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء ،ص، ٢٠٧، ولم أقف على ترجمة الراعي.

(٤) ينظر: (م. ن)، ص٢٠٧.

(٥) ينظر: الكسائي، قصص، الأنبياء، الحنفي، الشيخ محمد بن أحمد بن إياس (لم يذكر وفاته) بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة التحرير، بغداد، (بلا.ت) ص١٢٠.

(٦) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء.

الفصل الثالث

في إبراء ذوي العاهات

حكى المفسرون والمؤرخون: إن فرعون كان له بنت وكان بها برص فعالجها الأطباء فلم تبرأ، وأشار الأطباء على فرعون أن يداويها بالاغتسال بالنيل، وكان فرعون قد جعل داخل قصره بركة لأجلها [١]، ولما وضعت أم موسى موسى أرضعته وجعلته في التابوت وألقته في البحر[٢]، فألقاه البحر إلى أن دخل إلى تلك البركة[٣] فبادرت ابنة فرعون وأخذت التابوت وفتحته فإذا هي بموسى يتلألأ وجهه نوراً فلمسته فبرأت لوقتها[٤].

وحكى القرطبي في تفسيره: إن الأطباء عجزوا في ابنة فرعون وقالوا له: إن ابنتك لا تبرأ إلاَّ من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دواها ريقه ! فلما أخذت ابنة فرعون موسى من التابوت [/ ٨٨و] لطخت برصها بريقه فبرأت ! وقيل: لمَّا نظرت إلى وجهه برأت[٥].

وفي قصص الكسائي عن كعب أنه كان لفرعون سبع بنات ليس فيهنَّ واحدة إلاَّ وبها نوع من البرص وإن ابنة فرعون الكبرى أخذت التابوت فوجدت موسى فلمسته فبرئت لوقتها، وكذلك أخواتها برئن بقدرة الله تعالى[٦].

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٦، أبو السعود، تفسير ،٧/ ٤.
(٢) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٣٠، السيوطي ،الدر المنثور، ٦/ ٣٩٠.
(٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٥، البيضاوي، تفسير، ٤/ ٥٠.
(٤) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٣٢، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٣٩٦.
(٥) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٧٣، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٥، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٦.
(٦) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٢٠٣.

الفصل الرابع

في دعواته المستجابات

وهذا الباب واسع جداً قدمنا منه جملة، ونذكر الآن من هذا المعنى جملاً غير ما تقدم.

نقل البغوي في تفسيره عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[1] قال:(كان مجاب الدعوة)[2] وجاء تصديق ذلك ما نطق به القرآن بقوله:حكاية عن موسى حين دعاه بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾[3].

إن الله تعالى أجاب دعاءه وأرسل إليه، وذلك قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴾[4] وجاء في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ [5] زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[6] ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ ومن دعواته المستجابات إحياء أخيه بعد موته، روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من النبي ﷺ أن الله تعالى أوحى إلى موسى: إني متوف هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون [/ ٨٨ظ] نحو ذلك الجبل فإذا هما بشجرة[7] لم يُر شجر مثلها، وإذا هما[8] فيه ببيت مبني وإذا هما[9] فيه بسرير عليه فرش[10]، وإذا فيه ريح طيبة ! فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه وقال يا موسى: إني لا أحبُّ أن أنام على هذا السرير، قال له موسى: لا ترهب أنا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٢) البغوي، تفسير، ٣/ ٥٤٥.

(٣) سورة طه، الآية: ٢٥-٣١.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٣.

(٥) (وملائه) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٦) سورة يونس، الآية: ٨٨-٨٩.

(٧) (هو بشجر) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكره البغوي في تفسيره، ٢/ ٢٦.

(٨) (هم) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٩) (هم) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(١٠) الجملة غير متزنة وركيكة فمن الأنسب أن نقول: (وإذا هما ببيت مبني فيه سرير وعليه فرش) والله أعلم.

أكفيك ربَّ هذا السرير فنم فقال: يا موسى بل نم معي فإن جاء ربَّ البيت غضب عليَّ وعليك، فلما ناما أخذ هارونَ الموتَ، فلما وجد حسه قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع به السرير إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا: فإن موسى قتل هارون وحسده، لحبِّ بني إسرائيل له، وكان هارون أكف عنهم وألين لهم من موسى، فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم كان أخي أفترونني أقتله ! فلما أكثروا عليه قام فصلَّى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه[١]. وقيل: مات هارون في التيه، وكان موسى خرج معه إلى بعض الكهوف فمات هارون فدفنه موسى وانصرف إلى بني إسرائيل فقالوا: ما فعل هارون؟ قال: مات، قالوا: كذبت ولكنك قتلته لحبِّنا إياه فتضرَّع موسى إلى ربِّه فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى موضع قبره فإني باعثه حتى تخبرهم أنه مات ولم تقتله! فانطلق بهم إلى قبَره فنادى يا هارون فخرج من قبره ينفض[٢] [/ ٨٩ و] رأسه فقال: أنا قتلتك ؟ قال: لا ولكني مت، قال: فعد إلى مضجعك فعاد وانصرفوا[٣].

وسيأتي لنا من دعواته المستجابات نصرته على عدوِّه، ومن دعواته أنه لمَّا كان عند شعيب قال له: قد طالت غيبتي عن أبي وأخي، وأختي، وهم في مملكة فرعون، فقال له شعيب: ألا ترى أني عميت مما أبكي على قومي، دعوتهم إلى الله فلم يجيبوا فأرسل الله عليهم عذاب يوم الظلَّة فهلكوا، فقال موسى: أدع[٤] أنت وأنا أؤمن على دعائك، فبسط شعيب يده وقال: يارب إبراهيم وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، رُدَّ عليَّ قوتي وبصري، وأمَّن موسى على دعائه، فجاء جبريل ومعه شربة من شراب القدس فناولها شعيب فشربها فردَّ الله عليه قوته وبصره، فنهض وعانق موسى ودفع ابنته له[٥]. ومن دعائه المستجاب ما دعاه على قارون ابن عمه[٦] وسببه نفاقه وخروجه عن أوامر

---

(١) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٥٥، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٤٩، البغوي، تفسير، ٢/ ٢٧، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٦٦٦، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٣١٠.

(٢) (ينفظ) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ٢٧، والقرطبي، الجامع، ٦/ ١٣١.

(٣) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٤٩، البغوي، تفسير، ٢/ ٢٧، القرطبي، الجامع، ٦/ ١٣١.

(٤) (أدعوا) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح لأنه فعل أمر مبني على حذف حرف العلة.

(٥) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٢٩. ومعنى (دفع ابنته له) ربما قائل يقول كل هذه المدة التي قضاها موسى عليه السلام عند شعيب عليه السلام لم يزوجه ابنته ؟ فالذي أراه أن شعيب دفع القوة المعنوية في قلب ابنته لإعداد السفر مع زوجها والله أعلم.

(٦) عن أبي جرير رضي الله عنه في قوله: إن قارون كان من قوم موسى عليه السلام وكان ابن عمه أخو أبيه، قارون بن يصهر بن قاهث وموسى بن عرمرم بن قاهث وعرمرم بالعربية عمران، وكان قد قطع البحر مع بني إسرائيل وكان يسمىَّ النور من حسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه الله ببغيه وإنما بغى لكثرة ما له وولده، ينظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص١٤٤، ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٢٠، واللفظ للسيوطي الدر المنثور، ٥/ ١٣٦.

الله عز وجل، ولمَّا أمره موسى أن يخرج الزكاة التي فرضها الله تعالى وكان قد أعطي من الكنوز ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾[١] فصالحه موسى على كل ألف دينار بدينار، وعلى كلِّ ألف درهم بدرهم، وعلى كلِّ ألف شاة بشاة[٢]. ثم إن موسى قال لبني إسرائيل: من قذف[٣] ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت أو [/ ٨٨ظ] رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال: بنوا[٤] إسرائيل يدَّعون إنك فجرت بفلانة! فقال: ادعوها فإن قالت فهو كما قالت، فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة قالت: نعم قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا وكذبوا ولكن جعلوا لي جُعلاً على [أن][٥] أقذفك بنفسي[٦] فوثب وهو يهمهم، فأوحى الله إليه مر الأرض بما شئت، قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم الأرض إلى أقدامهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم، ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى حقبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم، قال فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى ويتضرعون إليه قال يا أرض خذيهم فأطبقت عليهم، فأوحى الله إليه يا موسى يقول لك عبادي يا موسى يا موسى فلم ترحمهم ! أمَّا لو إيايَ دعوا لوجدوني قريباً مجيباً، هذا في رواية ابن عباس[٧]، وفي رواية عنه قال: فأصاب بني إسرائيل بعد ذلك شدة، وجوع[٨] فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك فدعا لهم، فأوحى الله إليه يا موسى أتكلمني في قوم قد أظلم ما بيني وبينهم من خطاياهم، وقد دعوك فلم تجبهم، أمّا لو إيايَ دعوا لأجبتهم[٩] وقيل: إن قارون كان مؤذياً لموسى[١٠]، وكان موسى يصفح عنه لقرابته[١١]. [/ ٩٠ و] فبنى قارون

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٢) لكن قارون بعد أن رجع إلى بيته وحسب ما عليه من دفع الزكاة فوجده كثيراً فلم تسمح نفسه بذلك ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ٢١٩.

(٣) (قزف) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

(٤) (بني، كذا في الأصل) وما أثبته صحيح لأنه فاعل.

(٥) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره الطبري، تاريخ، ١/ ٣١٦.

(٦) ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢١٩، ابن كثير، قصص الأنبياء، ٤٢٢ـ٤٢٣.

(٧) ينظر: ابن شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ٣٣٤، الطبري، تفسير، ٢٠/ ١١٧، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٦/ ٤٤٣، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٢٠. قال الله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ القصص :٨١.

(٨) (وجوعاً) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح لأنه معطوف على ما قبله

(٩) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ١١٧.

(١٠) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦١/ ٩٧، السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ١٣٨.

(١١) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ١١٨.

داراً وجعل بابها من ذهب وضرب على جدارها صفائح الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم طعاماً ويحدثونه ويضحكونه، فلم تدعه شقوته حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة بالخنا، فأرسل إليها فجاءت فقال لها: هل لك أن أمولك وأخلطك بنسائي على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي فتقولين يا قارون ألا تنهى عني موسى قالت بلى، فلما جلس قارون وجاءه الملأ من بني إسرائيل أرسل إليها فجاءت فقامت بين يديه فقلب الله قلبها[1] فأحدث لها توبة، فقالت في نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله، ولأكذبنَّ عدوَّ الله، فقالت: إن قارون قال: لي كذا وكذا فلما تكلمت بما قال قارون سقِط في يدي قارون ونكَّس رأسه، وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع في هلكة. وشاع كلامها في الناس حتى بلغ موسى، فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ وصلَّى وبكى وقال: يا رب عدوَّك لي يؤذيني أراد فضيحتي وشيني يا رب سلطني عليه ! فأوحى الله إليه أن أمر الأرض بما شئت تطيعك، فجاء موسى إلى قارون، فلما دخل عليه عرف الشرَ في وجه موسى فقال: يا موسى [/ ٩٠ظ] ارحمني! قال: يا أرض خذيهم، قال: فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين، وجعل يقول: يا موسى ارحمني، قال: يا أرض خذيهم فاضطربت الأرض وساخت وخسف بقارون وأصحابه إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى يا موسى ارحمنا ! قال: يا أرض خذيهم، قال: فاضطربت داره وساخت وخسف بقارون وأصحابه إلى سررهم وهو يتضرع إلى موسى يا موسى ارحمني، قال: يا أرض خذيهم فخسف به وبداره وبأصحابه[2]. وقيل لموسى: يا موسى ما أفضك ! أما والله لو إياي نادى لأجبته[3]! ويقال إنه قيل لموسى: لا أغير الأرض لأحد بعدك[4]، وعن قتادة قال: ذكر لنا

---

(١) وهذا ما يؤيده حديث رسول الله ﷺ: عن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ يقول :{يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قلت: يا رسول الله إنك تدعوا بهذا الدعاء قال: يا عائشة أو ما علمت أن القلوب أو قال قلب بني آدم بين إصبعي الله إذا شاء أن يقلبه إلى هدى قلبه وإذا شاء أن يقلبه إلى ضلالة قلبه}. ومعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده كيف يشاء. ينظر: ابن أبي شيبة، مصنف أبي شيبة ،٦/ ٢٥، الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٤٤٨، النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢٠٤.

(٢) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٢٣٠، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢١٩، ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٤٢٣، ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٢٦٠، السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ١٣٨.

(٣) قيل: لو أنه استغاثه مرة بالله تعالى لأغاثه، ينظر: مجاهد تفسير، ٢/ ٤٩٢، الكسائي، قصص الأنبياء، ص ٢٣٠، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦١/ ٩٧.

(٤) فلما خسف الله تعالى بقارون الأرض أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم إن موسى إنما دعا على قارون ليستبدَّ بداره وأمواله وكنوزه، فخسف الله تعالى الأرض به وبداره وماله وأوحى الله تعالى لموسى: إني لا أعيد الأرض لأحد بعدك أبداً. ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٢٠، السيوطي، الدر =

أنه يخسف به كل يوم قامة، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة[١]. وعن الضحاك قال: (دعاء موسى عليه السلام حيث توجه إلى فرعون. ودعاء رسول الله ﷺ يوم حنين. ودعاء كل مكروب كنت وتكون وأنت حي لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم، يا حي يا قيُّوم)[٢]، رويناه بسندنا المتصل في حزو الإمام ضياء الدين أبي بكر عبدالله ابن إبراهيم بن عبدالله السخاوي[٣]. ومن دعائه ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد[٤] في تفاسيرهم عن سعيد بن جبير قال: أمر موسى قومه من بني إسرائيل بعد ما جاء قوم فرعون [/ ٩١و] الآيات الخمس[٥] والطوفان، وما ذكر الله في الآية فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال: ليذبح كل رجل منكم كبشاً ثم يخضب كفه في دمه ثم ليضرب به على بابه، فقال: القبط لبني إسرائيل: لم[٦] تجعلون هذا الدم على أبوابكم ؟ فقالوا: إن الله تعالى يرسل عليكم عذاباً يقتلكم وتهلكون، فأصبحوا وقد طعنَ من قوم فرعون سبعون ألفاً، فأمسوا وهم لا يتدافنون[٧]، فقالوا لموسى عند ذلك: ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ ﴾[٨] وهو الطاعون[٩] ﴿ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾، {فدعا ربه فكشف عنهم} مرسل[١٠] جيد الإسناد، كما قاله: شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن

=

المنثور، ٥/ ١٣٨.

(١) ينظر: مجاهد، تفسير، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٢٠، ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٢٢.

(٢) التنوخي، القاضي أبو علي الحسن بن أبي القاسم (ت٣٨٤هـ) الفرج بعد الشدة، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م، ١/ ٣١، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦١/ ٦١.

(٣) لم أقف على ترجمة السخاوي كما مدون اسمه في المخطوطة.

(٤) هو عبد بن حميد بن نصر الكشي، صاحب المسند وأحد أئمة الحديث وكان ممن جمع وصنف (ت٢٤٩ هـ) ينظر: ابن حبان، الثقات، ٨/ ٦٦، الذهبي، الكاشف، ١/ ٦٧٦.

(٥) هي: ﴿ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ﴾، الأعراف، الآية: ١٣٣ .

(٦) (مم) كذا في الأصل ولعلها تكون لهجتهم، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكره الطبري في تفسيره،٩/ ٤٠.

(٧) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٤٠، السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٥٢٥.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٣٤، لقوله تعالى: ﴿ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ .

(٩) إن معاذ بن جبل ﷺ أصابه الطاعون، فقال عمرو بن العاص: لا أراه إلا رجزاً، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٣٥٢.

(١٠) المرسل: هو حديث التابعي الكبير الذي قد أدرك جماعة من الصحابة وجالسهم كعبيد الله بن عدي، وسعيد بن المسيب وأمثالهما. ينظر: ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تأليف أحمد محمد شاكر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٥.

حجر[١]. قال: وقد روي موصولاً[٢] من طريق عن ابن عباس[٣].

ومن دعائه المستجاب ما رويناه عن الحافظ أبي نعيم في الحلية عن كعب قال: (لمَّا أمر الله عزوجل موسى: أن أسر ببني إسرائيل، أمره أن يحمل معه عظام يوسف عليه السلام فلم يدر موسى أين موضع قبره، وكانت امرأة من بني إسرائيل يقال لها: شراج فكانت كلمَّا حضر أجلها مدَّ الله في عمرها إلى أن أدركت موسى عليه السلام فقالت له: أنا أخبرك بموضع [قبر][٤] يوسف)[٥] (على أن تعطيني كل ما [٦] سألتك فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي عز وجل، فأمره الله أن يعطيها، فأعطاها فقالت: إني أريد أن لا تنزل غرفة من الجنَّة إلاَّ نزلتها معك، قال لها: نعم، قالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فاحملني [/ ٩١ظ] فحملها فلماَّ دنى من النيل قالت له: إنه في جرف[٧] الماء، فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر الماء عن القبة [٨]، فقالت: احفره ففعل فحمل عظامه[٩] ففتح لهم الطريق فساروا ﴿ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[١٠] الآيات. ومن دعائه المقبول ما رويناه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: {ألا أعلمكم الكلمات التي تكلَّم بها موسى عليه السلام حين تجاوز البحر ببني إسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال: قولوا اللهمَّ لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم}[١١] قال عبد الله: فما تركتهنّ منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ رواه الطبراني في الصغير[١٢].

---

(١) ينظر: الطبري، تفسير، ٩/ ٣٤، ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٤٣، ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ١٨٣.

(٢) المتصل: ويسمىَّ الموصول، وهو ما اتصل سنده إلى غايته سواء كان مرفوعاً إلى الرسول (ﷺ) أو موقوفاً على الصحابي، ينظر: ابن كثير، الباعث الحثيث شرح إختصار علوم الحديث، تأليف أحمد محمد شاكر، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص٤٣، د. محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحاته، ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٣٥٥ـ٣٥٦، د. حارث سليمان الضاري، محاضرات في علوم الحديث، ط٣، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص٢٧.

(٣) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/ ٢٥١، ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ١٨٣.

(٤) لمقتضى السياق، وموافق لما ذكره أبو نعيم في الحلية، ٦/ ٢٧.

(٥) (م.ن) ٦/ ٢٧.

(٦) (كلما) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، وموافق لما ذكره الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٧.

(٧) (جوف) كذا في نص الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٧، والبغوي، تفسير، ١/ ٧١.

(٨) (القبر) كذا في نص الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٧.

(٩) المعروف أن الأرض لاتأكل أجساد الأنبياء، قال رسول الله ﷺ: {إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء} القزويني، سنن ابن ماجة، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ٨.

(١٠) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨، والنص للطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٧، البغوي، تفسير، ١/ ٧١.

(١١) الطبراني، المعجم الصغير، ١/ ٢١١، المنذري، الترغيب والترهيب، ٢/ ٣٨٤.

(١٢) الطبراني، المعجم الصغير، ١/ ٢١١.

الفصل الخامس

في انقلاب الأعيان له

فسبحان من أعطاه وفضَّله

فمن أعظم ذلك إنقلاب العصى حيَّة ويغيرها من حالة إلى حالة تارة صغيرة وتارة كبيرة وتارة عصىً وتارة حبلاً بحسب الحاجات والضرورات، وقد ذكرنا تلك الصفات فيما مضى[1] ومن ذلك انقلاب الميت حياً بقدرة الله تعالى وإكراماً لنبيه، وقد سقنا هذا المعنى في خبر أخيه هارون[2]، ومن ذلك إبراء ابنة فرعون من البرص وانقلاب الحال من السقم إلى الصحة[3] ومن ذلك انقلاب البحر له وانقلاب حالته من كونه ماءً إلى كونه طريقاً يبساً. قال تعالى مخاطباً له: ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾[4] وسنوضح ذلك بعد [/ ٩٢ و] إن شاء الله تعالى، ومن تتبع فصول هذا الكتاب ظفر بالمطلوب من هذا الباب وفيما ذكرناه كفاية، والله يسعفنا بحسن العناية .

(١) إن معجزة كل رسول موافقة في الأغلب لما هو شائع في أحوال عصره، كما بعث الله تعالى موسى عليه السلام في عصره السحرة بالعصى فإذا هيَ تلقف مَا صنعوا، وفلق البحر يبساً، وقلب العصى حية، وخروج يده من جيبه بيضاء من غير سوء وغيرهما من الآيات التي أبهرت كل ساحرٍ وأذل كل كافرٍ جبار.

(٢) سبق ذكره ينظر: الورقة: [/ ٨٩ظ] من هذه المخطوطة.

(٣) سبق ذكرها، ينظر: الورقة: [/ ٨٨ظ] من هذه المخطوطة.

(٤) سورة طه، الآية: ٧٧.

الفصل السادس

في كفايته ووقايته ممن أذاه وعصمته من القتل

قد قدمنا إن الله تعالى حفظه في صغره من لدن ولادته ونشأته في دار عدوه ووقاه الله شره وكفاه مؤنته إلى أن أظهره الله عليه وزاده فضلاً لديه[١] ولمَّا كبر وعلم ما عليه فرعون وقومه ضج وخرج يوماً إلى شاطئ النيل وتوضأ ووقف يصلِّي وكان إذا مرَّ به أحد من خواص فرعون يقول له: لمن هذه الصلاة ؟ يقول لسيدي ومولاي ! فيقول: أليس عنيت أباك فرعون ؟ فيقول: على فرعون لعنة الله وعليك معه ! قال أحدهم يقول: لأخبرنَّ أباك فرعون بذلك[٢]، فيقول موسى: يا أرض خذيه فتأخذه الأرض فلا تخليه حتى يحلف أنه لا يخبر فرعون ! وكان يتوعدهم لئن قلتم لفرعون لأخلِّيه يقطع أيديكم وأرجلكم من خلاف ويصلبكم، فمضى إلى فرعون واحد منهم أخبره، فسكت حتى فرغ موسى من صلاته فقال له فرعون: لمن كانت هذه العبادة [قال موسى][٣]: لسيدي ومولاي الذي أطعمني وسقاني وكساني وآواني ورباني، قال: صدق موسى ! وفرعون يظن أنه يعنيه وإنما عنى ربَّه تبارك وتعالى ،[٤] (وكان موسى يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس وكان إنَّما يدعى موسى بن فرعون ثم إن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها [/ ٩٢ظ] منف[٥] ودخلها نصف النهار وقد تغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد) [٦]وهي التي يقول الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ ﴾[٧] يقول هذا من بني إسرائيل[٨] ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ يقول من

---

(١) ينظر: الأصل ورقة [/ ١٤و- ١٤ظ].

(٢) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٣٠٥.

(٣) لمقتضى السياق.

(٤) ينظر: الكسائي، قصص الأنبياء، ص٣٠٥.

(٥) منف اسم مدينة فرعون بمصر، أصلها بلغة القبط مافه، فعربت فقيل: منف وهي أول مدينة عمرت بعد الغرق ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٢١٣.

(٦) الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤٣، وينظر: الثعالبي، تفسير، ٣/ ١٧٢.

(٧) سورة القصص، الآية: ١٥ لتتمة الآية: ﴿ مُضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾.

(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤٤، النحاس، معاني القرآن، ٥/ ١٦٥، الثعالبي، تفسير، ٣/ ١٧٢.

القبط ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ[٢] فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا ﴾[٣] (أن يؤخذه)[٤] ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[٥]، ثم أقبل لينصره فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي، قال الإسرائيلي: وفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ له الكلام[٦]، ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[٧]. فتركه وذهب القبطي فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل[٨] ! فطلبه فرعون ليقتله وأذن لأولياء المقتول أن يقتلوا موسى حيث وجدوه، وكان حزقيل مؤمن آل فرعون علم بذلك[٩]، فأقبل إلى موسى وقال له: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١٠] (فلما أخذ يمشي هارباً جاءه ملك على فرس بيده [/ ٩٣و] عنزة فلما رآه سجد له من الفرق[١١]! فقال له: لا تسجد لي ولكن اتبعني فاتبعه فهداه نحو مدين)[١٢] وقال موسى وهو متوجه إلى مدين: ﴿ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٦.

(٢) (م.ن) الآية: ١٧.

(٣) (م.ن) الآية: ١٨ لتتمة الآية: ﴿ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾.

(٤) الصنعاني، تفسير، ٣/ ٨٩، الطبري، تفسير، ٢٠/ ٤٨، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٣٩.

(٥) القصص: الآية ١٨.

(٦) ينظر: الصنعاني، تفسير، ٣/ ٨٩، النحاس، معاني القرآن، ٥/ ١٦٨، الواحدي، تفسير، ٢/ ٨١٥.

(٧) سورة القصص، الآية: ١٩.

(٨) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٠/ ٥١، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٤٠.

(٩) ينظر: النحاس، معاني القرآن، ٥/ ٢٦٨ـ٢٦٩، القرطبي، الجامع، ١٣/ ١٦٢، أبو السعود، تفسير، ٧/ ٧.

(١٠) سورة القصص، الآية: ٢٠ـ٢١.

(١١) الفرق هنا يأتي بمعنى الخوف، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٢٠٩، المقري، المصباح المنير، ٢/ ٤٧١.

(١٢) الطبري، تفسير، ٢٠/ ٥٣، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٤١، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤٠٢.

يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١] فانطلق به الملك حتى انتهى به إلى مدين[٢]. وعصمه الله من القتل إكراماً له، وقد قدمنا ما اتفق له في مدين مع شعيب[٣]، وذكرنا الجواب عن قتله للقبطي في الفصل الرابع من الباب السادس والله أعلم[٤].

(١) سورة القصص، الآية: ٢٢.

(٢) ينظر: مجاهد، تفسير، ٢/ ٤٨٢، البغوي، تفسير، ٣/ ٤٤١، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤٠٣.

(٣) ينظر: ضمن النص المحقق, ورقة [/ ٥٧ظ].

(٤) ينظر: ضمن النص المحقق, ورقة [/ ٦٥ظ].

الفصل السابع

في نصرته على عدوه العنيد بمواهب ربنا الحميد

قد قدمنا إن الله تعالى عصمه من فرعون في صغره، وها نحن نذكر ما اتفق له بعد كبره، قال المفسرون والمؤرخون: لما أوتي موسى الآيات البَينات والبراهين الواضحات أمره الله بالذهاب إلى فرعون[1] بقوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[2].

وإنَّما خصَّه بالذكر دون قومه لأنَّه ادَّعى الألوهية وتكبرَّ وابتدع، فذكره أولى ويظهر لي وجه التخصيص أنه ذكر المتبوع دون التابع اكتفاء لأن قومه لا يخرجون عن طاعته وأمره[3]، ولما أمر موسى بالذهاب إليه قال: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۝٢٨ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَـٰرُونَ أَخِى ﴾[4] (طلب الإعانة لتبليغ الرسالة، ويقال: إن الله أعلمه بأنّه ربط على قلب فرعون وأنه لا يؤمن! فقال موسى: كيف تأمرني أن أتيه وقد ربطت على قلبه؟ فأتاه ملك من خزان الريح فقال: يا موسى انطلق لما أمرك الله عز وجل)[5] فقال موسى عند ذلك: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ وسّعه ونوّره بالإيمان والنبوّة[6] ﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾ (أي سهِّل عليَّ ما أمرتني به من [/ ٩٣ظ] تبليغ الرسالة إلى فرعون[7] ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴾[8] (يعني العجمة التي كانت فيه من جمرة النار التي ألقاها في فيه وهو طفل)[9]

---

(١) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٣٩، الواحدي، تفسير، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٢٦٧، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٧٩٠.

(٢) سورة طه، الآية: ٢٤.

(٣) ينظر: الجصاص، أحكام القرآن , ١/ ٦٩.

(٤) سورة طه، الآية: ٢٥ـ٣٠.

(٥) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٢.

(٦) ينظر: الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٩٣، القرطبي، الجامع ،١١/ ١٩٢.

(٧) الطبري، تفسير، ١٦/ ١٥٩، البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٦، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٢.

(٨) سورة طه، الآية: ٢٧.

(٩) ينظر: مجاهد، تفسير، ١/ ٣٩٦، الطبري، تفسير، ١٦/ ٥٩، واللفظ للقرطبي، إلا أنه ورد في نصه أطفأها بدل من ألقاها، الجامع، ١١/ ١٩٢.

وقد قدمنا ذلك[١] وأن الرتَّة زالت[٢]. وللعلماء في قوله: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ إلى قوله: ﴿ بَصِيرًا ﴾[٣] كلام كثير حاصله: إنَّ الله تعالى لَمَّا أمر موسى بالذَّهاب إلى فرعون وكان تكليفاً شاقاً لا جرم سأل ربَّه أموراً ثمانية[٤] ثم ختمها بما يجري مجرى العلة لسؤال تلك الأشياء المطلوبة، والسَّبب في السّؤال ما حكى الله تعالى عنه بقوله: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾[٥] فسأل الله أن يبدّل ذلك الضيق بالسّعة[٦] وقيل: ﴿ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ فأفهم عنك ما أنزلت علي من الوحي، وقيل: شجعني لأجتريء على مخاطبة فرعون[٧]! واختلف العلماء في سؤال موسى حل عقدة لسانه لماذا؟ (على وجوه أحدها: كي لا يقع في أداء الوحي خلل، الثاني: لإزالة التنفُّر لأن العقدة في اللسان قد تفضي إلى الإستخفاف بقائلها وعدم الإلتفات إليه، الثالث: إظهار المعجزة، كما أن حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزاً في حقه، فكذا إطلاق لسان موسى كان معجزاً في حقه الرابع: طلب السهولة لأن إبداء مثل هذا الكلام على مثل فرعون وجبروته وكبره عسر جداً فإذا انضمَّ [إليه][٨] تعقد اللسان بلغ العسر إلى النهاية، فسأل ربه إزالة تلك العقدة تخفيفاً وتسهيلاً)[٩]، وقول موسى عليه السلام: [/ ٩٤و] ﴿ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾[١٠] (أي يعلموا ما أقوله لهم ويفهموه)[١١] ثم إنَّ موسى سأل ربهَّ فقال: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا ﴾[١٢]

---

(١) ينظر: ضمن النص المحقق، ورقة [/ ١٤و].

(٢) يوجد اختلاف في إزالة الرتة بدليل قوله تعالى: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ وقيل: لم تزل كلها بدليل قوله تعالى: حكاية عن فرعون: ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ ولأنه لم يقل: احلل كل لساني فدلَّ على إنه بقي في لسانه شيء من الاستمساك، ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٥٩، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٢.

(٣) سورة طه، الآية: ٢٥-٣٥.

(٤) هي الآيات الثمانية من قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ طه، ٢٥ـ٣٢.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٣.

(٦) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٦، أبو السعود، تفسير، ٦/ ١٢.

(٧) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٥٩، ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٢٨١، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٣.

(٨) لمقتضى السياق وموافق لما ذكر الفخر الرازي, تفسير، ٢٢/ ٤٨.

(٩) الفخر الرازي, تفسير ٢٢/ ٤٨, وأرجح لئلا يقع في تبليغ الوحي لبس لكي يفهموا ما يقول لهم لأن الأنبياء (عليهم السلام) حريصون كل الحرص أن يؤدوا واجبهم بدقة وأمانة.

(١٠) سورة طه، الآية: ٢٨.

(١١) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٣.

(١٢) سورة طه، الآية: ٢٩.

أي موازراً وإنما سأل أن يجعل له وزيراً لأنه لم يرد إلاَّ أن يكون شريكاً له في النبوَّة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسألة[١] وعيَّن فقال: هارون وانتصب على البدل ويكون منصوباً بإجعل على التقديم والتأخير والتقدير: واجعل لي هارون أخي وزيرا[٢]، ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾[٣] (أي ظهري)[٤] والأزر الظهر من موضع الحقوين، ومعناه أقوي به نفسي[٥]، وكان هارون أكثر لحماً من موسى وأنمى طولاً وأبيض جسماً وأفصح لساناً وكان في جبهته شامة[٦]، قال الله تعالى حكاية عن موسى: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾[٧] (أي في النبوة وتبليغ الرسالة)[٨]. قال المفسرون: (وكان هارون يومئذٍ بمصر فأمر الله موسى أن يأتي هارون وأوحي الله إلى هارون أن يلتقي بموسى فتلقاه إلى مرحلة)[٩] وقيل: إن موسى دخل مصر ليلاً فتضيف إلى أمَّه وهو لا يعرفهم ! فنزل في جانب الدار فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمَّه فأخبرته إنه ضيف! فدعاه وأكل معه فلما أن قعدا تحدثا فسأله هارون من أنت فقال: أنا موسى فقام كل واحد إلى صاحبه فاعتنقه، فلما أن تعارفا[١٠] قال له موسى إنَّ الله أمرني أن آتي فرعون فسألت ربي أن يجعلك معي رسولاً، قال هارون: سمعاً وطاعة[١١] وكان من أمرهما ما قصَّ الله في كتابه أو منحهما من لذيذ خطابه بقوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى ﴾[١٢] [/ ٩٤ظ] وقال هنا: فما المعني ؟ قيل: (أمر الله موسى وهارون في هذه الآية بالنَّفوذ إلى دعوة فرعون، وخاطب

---

(١) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٣.

(٢) ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد (ت٤٣٧هـ)، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: د. حاتم الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ٢/ ٤٦٣، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٣.

(٣) سورة طه، الآية: ٣١.

(٤) الواحدي, تفسير, ٢/ ٦٩٤, القرطبي, الجامع, ١١/ ١٩٣.

(٥) ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢/ ٥٧٨، الزبيدي، تاج العروس، ٣/ ١١.

(٦) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٦، القرطبي، واللفظ له، الجامع، ١١/ ١٩٣.

(٧) سورة طه، الآية: ٣٢.

(٨) البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٦، القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٤.

(٩) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٤٩، ينظر: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ) تفسير البحر المحيط دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض وآخرين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ٦/ ٢٣١، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٥١.

(١٠) (تفارقا) كذا في الأصل وهو تصحيف.

(١١) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٤٠، وابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٤٣، والثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٨٥ والسيوطي، الدر المنثور، ٦/ ١٩٢.

(١٢) سورة طه، الآية: ٤٢.

أولاً موسى وحده تشريفاً له ثم كرر للتأكيد، وقيل: بيَّن بهذا أنه لا يكفي ذهاب أحدهما، وقيل: الأول أمر بالذهاب إلى كل الناس، والثاني: بالذهاب إلى فرعون)[١] إنه طغى وكفر وتجبر وبغى واستكبر[٢]، قال الله تعالى لهما: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[٣] (فيه دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك باللين لمن معه القوة)[٤] وفرعون كنيته (أبو العباس وقيل: أبو الوليد، وقيل: أبو مرَّة)[٥] وفي الإسرائيليات إن موسى قام على باب فرعون سنة لا يجد رسولا ولا [٦] يبلغ كلاماً حتى خرج فجرى ما قصَّ الله في كتابه علينا من ذلك وكان تسلية لمن جاء بعده من المؤمنين في سيرتهم مع الظالمين[٧]، ولما جاء موسى وهارون إلى فرعون أتياه ليلاً فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب، وقال فرعون من هذا الذي يضرب بابي هذه الساعة ؟ فأشرف عليهما البواب فكلمهما فقال له موسى: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٨] فقال: أدخله فدخل، فقال: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٩]، (فعرفه فرعون)[١٠]، ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[١١] (وعن ابن إسحاق قال: خرج موسى لمَّا بعثه الله حتى قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون حتى وقفا على باب [/٩٥و] فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان: إنَّا رسول رب العالمين فأذنوا بنا هذا الرجل فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان على بابه ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يعلمه بشأنهما حتى دخل عليه بطَّال له يضحكه فقال له: أيها الملك إنَّ على الباب رجلاً يقول: قولاً عجبا يزعم أن له إلهاً غيرك، فقال: ببابي أدخلوه فدخل ومعه أخوه هارون وبيده عصاً فلما وقف على فرعون قال له: ﴿ إِنِّى

---

(١) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٩، وينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٢٣٠.

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير، ٣/ ٣٨٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٤) القرطبي، الجامع، ١١/ ١٩٩، الثعالبي، تفسير، ٣/ ٣٠.

(٥) أبو العباس، وأبو الوليد حكاها الثعلبي، وأبو مرّة رواه عكرمة عن ابن عباس، ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٢٨٨، وأبو السعود، تفسير، ٦/ ١٧.

(٦) (ولا) وردت في الأصل مقحمة ليس لها معنى.

(٧) ينظر: الثعالبي، تفسير، ٣/ ٣٠.

(٨) سورة الشعراء، الآية: ١٦، وينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٨٥.

(٩) سورة الشعراء، الآية: ١٦ـ١٧، وينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٨٦.

(١٠) الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٠، ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٤٣.

(١١) سورة الشعراء، الآية: ١٨.

رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] ونقل المفسرون في قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[٢] معنى حسناً[٣] وهو أن موسى عليه السلام قال لفرعون: تؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين على أن لك شباباً لا يهرم إلى الموت وملكاً لا ينزع منك إلى الموت وينسأ في أجلك أربع مئة سنة فإذا مت دخلت الجنة! فهذا القول اللين[٤]. وقال ابن مسعود: القول اللين قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾[٥] وقيل: القول اللين قول موسى: يا فرعون ﴿ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٦] (فسماه بهذا الاسم لأنه كان أحب إليه مما قيل له كما يسمّى عندنا الملك، قال القرطبي: القول اللّين فهو القول الذي لا خشونة فيه، فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولاً ليِّنا فما دونه أحرى بأن يقتدى بذلك)[٧] وقوله: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[٨] (معناه على رجائكما وطمعكما. والتوقع في الآية إنَّما [/ ٩٥ظ] هو راجع إلى جهة اليسر)[٩] قال الزجاج: لعلَّ لفظة طمع وتوقع فخاطبهم بما يعقلون[١٠] وقيل لعلَّ ها هنا بمعنى الاستفهام، والمعنى فانظر هل يتذكر[١١]؟ وقيل هي بمعنى كي[١٢]، وقيل: فهو إخبار من الله تعالى عن قول هارون لموسى ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[١٣] قاله الحسن، وقيل: إنَّ لعلّ وعسى في جميع القرآن

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٦، وينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤١، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٨٥، ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٥٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٣) ينظر: الثعالبي، تفسير، ٣/ ٣٠.

(٤) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٩، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٦، أبو السعود، تفسير، ٦/ ١٨.

(٥) سورة النازعات، الآية: ١٨ـ١٩، وينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٢٣٠، أبو السعود، تفسير، ٦/ ١٧.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٤٦، وينظر: ابن كثير، تفسير، ٢/ ٢٣٦.

(٧) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٠، وهذا يوافق دعوة نبينا محمد (عليه السلام) حيث يقول: {ادع إلى سبيل الرشاد}.

(٨) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٩) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٠. أرجح ما ذهب إليه القرطبي، والله أعلم.

(١٠) ينظر: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٣/ ٣٥٧.

(١١) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٦٩، والسمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٤٣.

(١٢) أي كي يتذكر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٤٧٣.

(١٣) سورة طه، الآية: ٤٤.

لما قد وقع[١]، وقد تذكر فرعون حين أدركه الغرق، فقال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢] ولكن لم ينفعه ذلك)[٣] (وقيل: إن فرعون ركن إلى قول موسى لمَّا دعاه، وشاور امرأته فآمنت وأشارت عليه بالإيمان، فشاور هامان فقال: لا ينفعك بعد أن تكون أن تكون مالكاً تصير مملوكاً ! وبعد أن كنت رباً تصير مربوباً! وقال له: أنا أردّك شاباً فخضَّب لحيته بالسواد: فهو أول من خضَّب)[٤] ثم أن موسى وهارون ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾[٥].

قال الضحاك: يفرط يعجل[٦]، ويطغى يعتدي[٧]، وقيل يفرط يبدر قاله الفراء، وأفرط أسرف، وفرَّط، ترك[٨]، وقرأ الجمهور يَفرط بفتح الياء وضم الراء[٩] ومعناه يعجِّل ويبادر لعقوبتنا [١٠]، (وقرأت طائفة بضم الياء وكسر الراء[١١]، وبها قرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن محيصن[١٢]، ومعناه يشطط[١٣] في أذيَّتنا)[١٤] فقال الله: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[١٥] (قال العلماء: لمَّا لحقهما ما لحق البشر من الخوف على

---

(١) ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ٦٩٦، السمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٤٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٣) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠١.

(٤) ينظر: البغوي، ٣/ ٢١٩، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠١، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٢٨٨، السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٥١٠.

(٥) سورة طه، الآية: ٤٥.

(٦) أي يعجل علينا بمكروه، ينظر: الخليل، العين، ٧/ ٤١٩.

(٧) أي كل من جاوز حده في العصيان فهو طاغ، ينظر: الجوهري، الصحاح، ٦/ ٢٤١٢.

(٨) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٢/ ١٨٠.

(٩) العكبري، عبدالله بن الحسين، بن عبدالله، يكنى أبا البقاء (ت٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن تحقيق: علي محمد البجاوي، إحياء الكتب العربية، (بلا.ت) ٢/ ٢٢١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠١، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٢٣١.

(١٠) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٦٠.

(١١) (الطاء) كذا في الأصل، وهو تحريف، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠١.

(١٢) هو عمر بن عبد الرحمن بن محيصن المكي السهمي القرشي يكنى أبا حفص ثبتاً (ت١٢٣هـ) ينظر: ابن حبان مشاهير علماء الأمصار، ١/ ١٤٤، أما بالنسبة للطائفة التي قرأت بضم الياء وكسر الراء، ينظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص٨٧، قراءة ابن محيصن، وينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠١.

(١٣) (يسقط) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠١.

(١٤) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠١، وينظر: ابن حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٢٣١.

(١٥) سورة طه، الآية: ٤٦.

أنفسهما عرَّفهم الله تعالى أن فرعون لا يصل إليهما ولا قومه)[١] [/ ٩٦و] وهذه الآية ترد على من قال: إن الأنبياء لا يخافون ! وقوله: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ ﴾[٢] (يريد بالنصر والمعونة والقدرة على فرعون وأوله: ﴿ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ عبارة عن الإدراك الذي لا يخفى معه خافية)[٣] قال الله تعالى لهما: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾[٤].

قال المفسرون: في الكلام حذف والمعنى فأتياه فقولا له ذلك :[٥] ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾، أي خلِّ عنهم ولا تعذبهم وتقدم لنا ما كان يصنع بهم في التَّعب والنَّصب والسُّخرية[٦] ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ قال ابن عباس: (يريد العصا واليد)[٧] وقيل: إن فرعون قال له: وما هي؟ فأدخل يده في جيب قميصه ثم أخرجها بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس، غلب نورها نور الشمس ! فعجب منها وتقدم لنا نحواً من ذلك قلت: لم يَرَ[٨] العصى إلاّ يوم الزينة[٩]، كما سيأتي لنا قوله: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[١٠] أي من اتبع الهدى، يسلم من سخط الله تعالى وعذابه[١١]، قال موسى وهارون: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ ﴾[١٢] أي الهلاك والوبال في الدنيا والخلود في جهنم ، ﴿ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾، من كذَّب أنبياء الله تعالى وتولَّى عن الإيمان وأعرض[١٣].

قال ابن عباس (هذه الآية أرجى آية للموحدين لأنَّهم لم يكذِّبوا ولم يتولَّوا)[١٤] قال

---

(١) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٢.
(٢) سورة طه، الآية: ٤٦ لتتمة الآية ﴿ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾.
(٣) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٣، وينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٦٨.
(٤) سورة طه، الآية: ٤٧، لتتمة الآية ﴿ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾.
(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٧٠، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٣.
(٦) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٧١، الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٩٦، الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٦٤ـ٦٥.
(٧) الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٩٦، الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٦١، أبو حيان، تفسير البحر المحيط،٦/ ٢٣١.
(٨) (يري) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح لأن الفعل مجزوم بلم فحذف حرف العلة.
(٩) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢١٩، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٣، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٦٨.
(١٠) سورة طه، الآية: ٤٧.
(١١) الزجاج، معاني القرآن، وإعرابه، ٣/ ٣٥٨.
(١٢) سورة طه، الآية ٤٨، لتتمة ﴿ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾.
(١٣) ينظر: الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٩٦، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٦٨.
(١٤) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤.

فرعون: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾[١] (إنما ذكر موسى دون هارون لرؤوس الآي. وقيل: خصه بالذكر لأنه صاحب الرسالة والكلام والأمر)[٢] وقيل: إنهما جميعاً تلقيا الرسالة وإن كان هارون ساكتاً لأنه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد، فإذا انقطع وازره الآخر وأيده [/ ٩٦ظ] فصار لنا في هذا البناء فائدة علم، إن الاثنين إذا قلّدا أمراً فقام به أحدهما والآخر شخصه هناك موجود يستغنى عنه في وقت دون وقت أيهما أدَّيا الأمر الذي قلداه وقاما به استوجبا [٣] الثواب لأن الله تعالى قال: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[٤] فأمرهما بالذهاب جميعاً وبالقول، ثم أعلمنا في وقت الخطاب بقوله: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا ﴾[٥] إنه كان حاضراً مع موسى قال موسى: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[٦] (أي أنه يُعرف بصفاته[٧] وليس له اسم علم حتى يقال فلان، بل هو خالق العالم، وهو الذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة)[٨].

قال الحسن: (أعطى كلَّ شيء صلاحه وهداه لما يصلحه)[٩] (قال [مجاهد][١٠] أعطى كلَّ شيء صورة، لم يجعل خلق الإنسان في [خلق][١١] البهائم ولا خلق البهائم في خلق الإنسان)[١٢] ولكن ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[١٣] قال الشاعر:

ولـه في كـلّ شـيءٍ خِلقَـه وكـذاك الله مـا شاء فعل [١٤]

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٩.

(٢) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤، وينظر: النسفي، تفسير، ٣/ ٥٧.

(٣) (استوجب) كذا في الأصل، ولعل ما أثبته هو موافق لسياق الكلام لأنه مثنى.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٤، وينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤.

(٥) سورة طه، الآية: ٤٩، وينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤.

(٦) سورة طه، الآية: ٥٠، قال الزمخشري: ولله درّ هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه، وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالباً للحق، الكشاف، ٣/ ٦٥، وينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤.

(٧) (أصنافه) كذا في الأصل، وموافق لما ذكره القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤.

(٨) (م.ن) ١١/ ٢٠٤.

(٩) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٢٣٢.

(١٠) سقطت من الأصل، ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٠، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤

(١١) لمقتضى السياق، ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٠، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤.

(١٢) البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٠، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤، السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٥٨٢.

(١٣) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(١٤) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٤، وقال ابن حيان: هذا قول مجاهد، وعطية، ومقاتل، البحر المحيط ٦ / ٢٣٢.

يعني بالخلق الصورة، وهو قول عطية ومقاتل، وقال الضحاك ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾[١] من المنفعة المنوطة به المطابقة له[٢]. يعني اليد للبطش، والرجل للمشي، واللسان للنطق والعين للنظر، والأذن للسمع. وقيل أعطى كل شيء ما ألهمه من علم وصناعة)[٣] قال الفراء: خلق الرجل للمرأة ولكلّ ذكرٍ ما يوافقه من الإناث، فالتقدير على هذا أعطى كل شيء مثل خلقه[٤]. قال القرطبي: [/ ٩٧و] (وهذا معنى قول ابن عباس، والآية بعمومها تتناول الجميع من الأقوال)[٥] قال فرعون لموسى على سبيل الاستفهام: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ﴾[٦] الذي يعلم الغيب، في كتاب والغيب لا يعلمه إلا الله، وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علاّم الغيوب. وعلم الأحوال من القرون مكتوبة عند الله تعالى في اللوح المحفوظ[٧]. (وقيل :المعنى فما بال القرون الأولى لم يقروا بذلك. أي فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير الله ! وقيل: إنما سأله عن أحوال القرون الأولى، فأعلمه أنه محصاة[٨] عند الله تعالى في كتاب، أي هي مكتوبة فيجازيهم غداً بها وعليها، وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ. وقيل: هو في كتاب مع بعض الملائكة)[٩] ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[١٠]، اختلف في معنى هذا القول على خمسة أقوال الأول: إنه ابتداء كلام تنزيه الله تعالى عن هاتين الصفتين وقد كان الكلام تَمَّ في قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَٰبٍ ﴾[١١] وكذا قال الزجاج[١٢]: ﴿ لَّا

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٥، ابن حيان، البحر المحيط، ٦/ ٢٣٢.

(٣) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٠، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٥.

(٤) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٢/ ١٨١.

(٥) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٥.

(٦) سورة طه، الآية: ٥١-٥٢، ومعنى البال أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود، فكان جواب موسى ﷺ لفرعون لعنة الله عليه: علمها عند ربي لأن التوراة أنزلت إليه بعد هلاكَ فرعون وقومه ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٧٣، البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٠، القرطبي، الجامع، ١١ / ٢٠٥.

(٧) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٢٩١، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٧.

(٨) (محصى) كذا في الأصل، وهو تصحيف، ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٥.

(٩) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٥، وينظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ٢/ ٤٠.

(١٠) سورة طه، الآية: ٥٢.

(١١) سورة طه، الآية: ٥٢.

(١٢) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ٣/ ٣٥٩، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٨.

يَضِلُّ ﴾ (لايهلك)[١] القول الثاني: ﴿ لَّا يَضِلُّ ﴾ لا يخطئ[٢]، (قاله ابن عباس أي لا يخطئ في التدبير، فمن أنظره فلحكمة أنظره، ومن عاجله فلحكمة عاجله)[٣] القول الثالث: ﴿ لَّا يَضِلُّ ﴾ لا يغيب عنه شيء، ولا يغيب عن شيء[٤]. القول الرابع: قاله الزجاج أيضاً، وقال النحاس: وهذا شبهها بالمعنى أخبر الله تعالى أنه لا يحتاج إلى كتاب والمعنى لا يضل عن علمه شيء [/ ٩٧ظ] من الأشياء ولا معرفتها ولا ينسى ما علمه منها[٥]. قال القرطبي: وهذا القول راجع إلى قول ابن عباس وهو خامس أي لا يضل ربي ولا ينسى في موضع الصفة لكتاب أي الكتاب غير ضال عن الله عزّوجل أي غير ذاهب عنه، ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾ أي غير ناس له[٦]، (فهما نعتان لكتاب، وعلى هذا يكون الكلام متصلاً ولا يوقف على كتاب)[٧] قرأ جماعة لا يضِل بضم الياء على معنى لا يضيعه ربي ولا ينسى[٨]. قال ابن عرفة[٩]: الضلالة عند العرب تستلزم سبيل غير القصد، يقال: ضلَّ عن الطريق وأضلَّ الشيء إذا ضاع، ومنه قرء لايُضلُّ أي لا يضيع[١٠] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾[١١] الذي في موضع رفع نعت لربي، أي لا يضل ربي الذي

---

(١) النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، ط٣، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ٣/ ٤١.

(٢) لا يجوز على الله تعالى أن يخطئ شيئاً أو ينساه، يقال: ظللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له، ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٦٦.

(٣) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٨.

(٤) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٠، الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٦٧.

(٥) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ٣/ ٣٥٩، واللفظ للنحاس، إعراب القرآن، ٣/ ٤١.

(٦) أي لا ينسى ربي ما أثبته في الكتاب، وما علم من ذلك لم ينسه ،ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٦٧ السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت٧٥٦هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د.أحمد محمد الخراط، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ٨/ ٥٠.

(٧) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٨.

(٨) منهم: الحسن وقتادة، وعيسى، وعاصم الجحدري، ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ٣/ ٤١، وابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ذكر ابن محيصن، ص٣٠٣، وابن حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٢٣٣.

(٩) هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفه بن سليمان العتكي الأزدي الواسطي المشهور بنفطويه صاحب التصانيف، صنف التفسير واشتهر بتفسير ابن عرفة، وكان ذا فتوة ومروءة وحسن خلق (ت ٣٢٣هـ)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٧٥ـ٧٦، السيوطي، طبقات المفسرين ،١/ ٦٣.

(١٠) ينظر: ابن حيان، البحر المحيط، ٦/ ٢٣٣، السمين الحلبي، الدر المكنون، ٨/ ٥٠، ولم أقف على تفسير ابن عرفة.

(١١) سورة طه، الآية :٥٣.

جعل، ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار أعني[١] ومعنى أزواجاً ضروباً وأشباها، أي أصنافاً من النبات المختلفة الأزواج والألوان[٢] ﴿ مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾[٣].

قال الأخفش: التقدير أزواجاً شتىً من نبات شتىً للنبات[٤]، وشتىً مأخوذ من شت الشيء أي تفرق[٥] ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ﴾[٦] هذا الأمر أمر بإباحة وارعوا من رعت (لازم ومتعد)[٧] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾، أي العقول الواحدة نهية. قال لهم ذلك، لأنهم الذي ينتهى [إلى][٨] رأيهم. وقيل: لأنهم ينهون النفس عن القبائح[٩] وهذا كله من موسى احتجاج على فرعون في إثبات الصانع جواباً لقوله: [٩٨و] قال فرعون: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾[١٠] وبين أنه إنَّما يستدلُّ على الصانع اليوم بأفعاله. ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾[١١]. يعني آدم لأنه خلق من الأرض[١٢]. وقيل: كلّ نطفة مخلوقة من التراب، على هذا يدلّ ظاهر القرآن[١٣]. روى الحافظ أبو نعيم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {ما من مولود إلاَّ وقد دُرَّ عليه من تراب حفرته}[١٤]. رواه في باب ابن

---

(١) ينظر: ابن حيان، البحر المحيط، ٦/ ٢٣٤، السمين الحلبي، الدر المكنون، ٨/ ٥١.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٣.

(٤) ينظر: الأخفش، معاني القرآن، ٢/ ٦٣١.

(٥) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٥٢.

(٦) سورة طه، الآية: ٥٤، لتتمة الآية ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾.

(٧) رعى يكون لازماً ومتعدياً، وجاء في الآية الكريمة متعدياً، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٠، السمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٥٢.

(٨) لمقتضى السياق.

(٩) أي ذو عقل ينهي به عن المقابح، ويدخل به في المحاسن ،ينظر: الغراء، معاني القرآن، ٢/ ١٨١، الزجاج معاني القرآن، ٣/ ٣٥٩، ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٣٤٦.

(١٠) سورة طه، الآية :٤٩. وينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٠.

(١١) سورة طه، الآية ٥٥.وينظر: (م.ن) ١١/ ٢١٠.

(١٢) ينظر: الزجاج ،معاني القرآن وإعرابه، ٣/ ٢٥٩، الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٦٧.

(١٣) ينظر: النحاس، إعراب القرآن ،٣/ ٤١، والفخر الرازي ،تفسير، ٢٢/ ٦٩.

(١٤) ينظر: أبو نعيم، الحلية، ٢/ ٢٨٠، أبو شجاع الهمذاني، الفردوس بمأثور الخطاب، ٤/ ٢٩، وقد ضعَّف ابن تيمية هذا الحديث حيث قال: الجنين في بطن أمه لم يذر عليه تراب، ولكن آدم عليه السلام نفسه هو الذي خلق من تراب ثم خلقنا ذريته من سلالته من ماءٍ مهين. ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٢٧/ ٢٦٠.

سيرين[١]، وقال: هذا حديث غريب من حديث عون[٢] لم نكتبه إلاَّ من حديث أبي عاصم النبيل[٣]، وهو أحد الثقات الأعلام[٤]، وقال عطاء الخراساني: إذا وقعت النطفة في الرحم[٥] انطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيدره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة ومن التراب، فذلك قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾[٦] (أي الآيات والمعجزات الدالة على نبوَّة موسى)[٧] وقيل: حجج الله الدالة على توحيده، فكذَّب وأبى أي لم يؤمن وهذا يدل على أنَّه كفر عناد، لأنه رأى الآيات عياناً لا خبراً نظيره ﴿ وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[٨] قال فرعون مخاطباً لموسى: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾[٩] قال ذلك لما رأى الآيات التي أتاه بها موسى قال: إنه سحر والمعنى [/٩٨ظ] جئت لتوهم الناس إنك جئت بآية توجب اتبّاعك والإيمان بك حتى تغلب علينا وعلى أرضنا[١٠] ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ﴾[١١] أي لنستحرنك بمثل ما جئت به لِنبيِّن للناس أن ما أتيت به ليس من عند الله[١٢]. ﴿ فَٱجْعَلْ

---

(١) هو محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك من فقهاء أهل البصرة وعبَّادهم، تابعي رأى ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يعبر الرؤيا (ت١١٠هـ) ينظر: العجلي الكوفي، معرفة الثقات، ٢/ ٢٤٠، ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ٨٨.

(٢) هو عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهزلي من عباد أهل الكوفة وقرائهم يروي عن أبي هريرة (ت ١٢٠هـ) ينظر: ابن حبان، الثقات، ٥/ ٢٦٣، عمر بن أحمد، تاريخ أسماء الثقات، ١/ ١٨٠.

(٣) اسمه الضحاك بن مخلد بن الضحاك مولى بني شيبان من أهل البصرة (ت٢١٢هـ) ينظر: ابن حبان، الثقات، ١/ ٤٨٤، الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد (ت٣٨٥هـ)، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم تحقيق: بوران الطناوي، وكمال يوسف الحوت، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (بلا.ت) ١/ ١٨٣ ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/ ٢٨٠.

(٤) ينظر: أبو نعيم، الحلية ٢/ ٢٨٠، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٠.

(٥) (الأرض) كذا في الأصل و ما أثبته صحيح ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٠.

(٦) سورة طه، الآية: ٥٥ -٥٦، وينظر الزمخشري، الكشاف، ٣ /٦٧، والفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧٠، واللفظ للقرطبي، الجامع،١١/ ٢١٠.

(٧) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١١.

(٨) سورة النمل، الآية: ١٤، وينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٧٥، وابن كثير، تفسير، ٣/ ١٥٧، والشوكاني فتح القدير، ٣/ ٣٧٠.

(٩) سورة طه، الآية: ٥٧.

(١٠) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١١.

(١١) سورة طه، الآية: ٥٨، لتتمة قوله تعالى: ﴿ لَّا نُخْلِفُهُ ﴾.

(١٢) لقد استخدم فرعون مكره ودهاءه من أجل تنفير قومه من اتباع موسى عليه السلام في قوله لموسى ما جئت إلا لكي تخرجنا من أرضنا، وليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من فرعون وقومه بل إخراج القبط من وطنهم وحيازة أموالهم وأملاكهم، فإذا ما وقع في أذهان القبط أن عاقبة إجابتهم لموسى ما تقدم ذكره، كانوا غير =

بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ أي وعداً وهو مصدر[١]، وقيل: الموعد اسم لمكان الوعد، فالموعد ها هنا مكان[٢]. وقيل: الموعد اسم لزمان الوعد كقوله: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ﴾[٣] (فالمعنى إجعل لنا يوماً معلوماً أو مكاناً معروفاً)[٤].

قال القشيري: والأولى إنه مصدر، ولهذا قال: ﴿ لَّا نُخْلِفُهُۥ ﴾ (أي لا نخلف ذلك الوعد)[٥] والإخلاف أن يعد شيئاً ويخلفه[٦]. وقرأ جماعة لا نخلفه بالجزم جوابا[٧] لقوله: ﴿ فَٱجْعَلْ ﴾[٨]، ومن رفع فهو نعت لموعد، والتقدير موعداً غير مخلف[٩] ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾، بكسر السين وضمها والكسر أفصح[١٠] واختلف في المعنى، فقيل: سوى هذا المكان[١١]، وقيل: مكاناً مستوياً[١٢] يتبين للناس، فأتنا فيه[١٣]، قال ابن عباس:

=

قابلين أو مستجيبين إلى ما يدعو إليه من الخير. ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٢.

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٦٩، والفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧١، والسمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٥٤، وهو الأرجح لقوله: ﴿ لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ ﴾

(٢) ويؤيد بقوله تعالى: ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ فهذا يدل على أنه مكان، ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٥٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٨١، ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧١، وقد رجح الرازي على أنه في هذه الآية: بمعنى المصدر، أي اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه.

(٤) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٢.

(٥) ينظر: ابن حيان، البحر المحيط، ٦/ ٣٣٥.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٨٢، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٢، ابن حيان، تفسير، البحر المحيط، ٦/ ٣٣٥.

(٧) منهم: أبو جعفر، وشيبة، ينظر: ابن حيان، البحر المحيط، ٦/ ٣٣٦، والسمين الحلبي، الدر المكنون، ٨/ ٥٧، والبناء، أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي (ت١١١٧هـ)، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الندوة الجديدة، بيروت، (بلا.ت) ص٣٠٤.

(٨) سورة طه، الآية :٥٨، لتتمة الآية: ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾.

(٩) ينظر: ابن حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٣٣٦، البناء، القراءات الأربعة عشر، ص٣٠٤.

(١٠) قرأ عاصم وحمزة وابن عامر { مكاناً سوى } بضم السين، وقرأ الباقون بالكسر، وهما لغتان أي مكاناً عدلاً وقيل: وسطا بين قريتين، ينظر: أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت في أواخر القرن الرابع الهجري)، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١/ ٤٥٣، النحاس إعراب القرآن، ٣/ ٤٢.

(١١) قاله الكعبي، ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٢.

(١٢) (مستعداً) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٢.

(١٣) قاله ابن زيد، أي مكاناً مستوياً لا يحجب العين ما فيه من الإرتفاع، ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧٢.

مكاناً سواء أي منصفاً[١]. ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾[٢] قيل: هو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه، قاله قتادة والسدي وغيرهما .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير: كان يوم عاشوراء. وقال سعيد بن المسيَّب: يوم سوق عندهم يتزينون فيها، وقال الضحاك: يوم السبت[٣].

وقيل: (يوم [/ ٩٩و] النيروز) ذكر الثعلبي[٤] وقيل يوم يكسر فيه الخليج، وذلك انهم يخرجون فيه فيتفرجون ويتنزهون، وعند ذلك تأمن الديار المصرية من قبل النِيل[٥].

﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[٦] (أي وجميع الناس)[٧] والضحى مؤنثة تصغرها العرب[٨]، قال الجوهري: ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهي حين تشرق الشمس[٩] (وخص الضحى لأنه أول النهار، فلو امتد الأمر[١٠] فيما بينهم كان في النهار متَّسع)[١١] وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله تعالى، وظهور دينه، وكبت الكافرين وزهق الباطل على رؤوس الأشهاد، وفي المجمع الكبير لتقوى رغبة من رغب في الحق ونكل كلَّ مبطل ويَكثر المحدث بذلك الأمر في كل بدو وحضر ويشيع في

---

(١) أي مكاناً تستوي مسافته فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر، قاله قتادة، ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٢٩٤، والفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧٢.

(٢) سورة طه، الآية :٥٩.

(٣) ذكر المفسرون من يوم الزينة وجوهاً متعددة كما تقدم، أرجحها: هو عيد لهم يتزينون ويجتمعون فيه، ينظر: البغوي، تفسير: ٣/ ٢٢١، وابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٢٩٥، والفخر الرازي، تفسير،٢٢/ ٢٧٣، القرطبي الجامع، ١١/ ٢١٣، قال ابن حيان: أن يوم الزينة كان عيداً لهم ويوماً مشهوداً وصادف يوم عاشوراء وكان يوم السبت، تفسير، البحر المحيط ،٦/ ٢٣٧.

(٤) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص١٨٨، الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٦٩.

(٥) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٣، الثعالبي، تفسير، ٣/ ٣٢، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٧١، الألوسي روح المعاني، ١٦/ ٢١٨.

(٦) سورة طه، الآية: ٥٩.

(٧) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٣.

(٨) ينظر: أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ٤/ ٢٩٢، وابن منظور، لسان العرب، ١٤/ ٤٧٥

(٩) ينظر: الجوهري، الصحاح، ٦/ ٢٤٠٦، أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د.إحسان عباس، د.عبد المجيد عابدين ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١/ ٣٣٧.

(١٠) (النهار) كذا في الأصل لا يستقيم به المعنى، وما أثبته لمقتضى السياقي، ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٤، والشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٢٧١.

(١١) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٤، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٢٧١.

جميع أهل الوبر والمدر[١]. ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴾[٢] أي حيله وسحره، والمراد جميع السحرة[٣]. (قال ابن عباس: كانوا اثنين[٤] وسبعين ساحراً، مع كل ساحر منهم حبال وعصيّ)[٥] قيل: كانوا أربع مئة[٦]، وقيل: كانوا اثني عشر ألفاً[٧]. وقيل: خمسة عشر ألفاً[٨]. (وقال ابن المنكدر: كانوا ثمانين ألفاً[٩] وقيل: كانوا مجتمعين على شمعون[١٠] معه اثني عشر نقيباً، مع كل نقيب عشرون عريفاً، مع كل عريف ألف ساحر[١١]. وقيل: كانوا ثلاثمئة ألف ساحر من الصعيد، وثلاثمئة ألف من الريف، وثلاثمئة ألف ساحر من الفيوم[١٢]، فصاروا عند [/ ٩٩ظ] اجتماعهم تسع مئة ألف[١٣]. وفي تاريخ الطبري أن رؤوس السحرة لفرعون أربعة: سابور وعادور وحطحط ومصفى، فهم الذين أمنوا حين رأوا من سلطان الله تعالى. فآمنت السحرة جميعاً، ثم أنَّ السحرة أتوا الميعاد[١٤].

---

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٦٩، الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧٣، ابن حيان، تفسير البحر المحيط ٦ / ٢٣٧. وأهل الوبر والمدر فالعرب تعبر عن أهل الحضر بأهل المدر وعن أهل البادية بأهل الوبر، فالمدر هو قطع طين يابس، أما الوبر فهو صوف الإبل والأرانب وما شابههما، ينظر: الخليل، كتاب العين، ٨/ ٣٨، الجوهري، الصحاح، ٢/ ٨١٢، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٣٥٢.

(٢) سورة طه، الآية: ٦٠.

(٣) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٤، الثعالبي، تفسير، ٣/ ٣٢.

(٤) (اثني) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، لأنه خبر.

(٥) البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١.

(٦) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧٣، النسفي، تفسير، ٣/ ٥٩.

(٧) قال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢١.

(٨) عن وهب بن منبة قال: صفَّ خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٨٥، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦١/ ٦٥.

(٩) البغوي، تفسير، ٢/ ١٨٧، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٤.

(١٠) عن ابن عباس وابن مسعود أن موسى عليه السلام اجتمع مع رئيس السحرة واسمه: شمعون، ولم أقف على ترجمته ينظر: الثعالبي، تفسير، ص٦٥.

(١١) من رواية أبي رجاء يزيد بن أبي حبيب التابعي الثقة (ت١٢٨هـ) ينظر: بن تغري، النجوم الزاهرة ١ / ٥٢.

(١٢) الفيوم بالفتح وتشديد الياء ثم واو ساكنة وميم وهي ولاية وسط مصر كمثل مصر في وسط البلاد، وكانت يومئذ تدعى الجوبة لفضا له ماء الصعيد وهي منخفض والنيل أعلى منها، وفي زمن النبي موسى عليه السلام لما ولي مصر في تلك السنين المقحطة قام بإصلاحها خلال سبعين يوماً، فلما نظر الملك إليه قال لوزرائه هذا عمل ألف يوم فسميت بذلك الفيوم، وأصبحت تزرع كما تزرع مصر.ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٢٨٥ـ٢٨٦.

(١٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٤.

(١٤) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٢، ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٠٣.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ ﴾[١] هذا دعاء عليهم بالويل وهو بمعنى المصدر[٢]. ﴿ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي لا تختلقوا عليه الكذب ولا تشركوا به ولا تقولوا للمعجزات إنها سحر[٣] ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ أي يستأصلكم بالإهلاك[٤]. ﴿ وَقَدْ خَابَ ﴾ خسر وهلك ﴿ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ من ادَّعى على الله ما لم يأذن فيه[٥]. ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ ﴾ تشاوروا ﴿ أَمْرَهُم بَيْنَهُم ﴾ أي السحرة[٦] ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾.

قال قتادة: إن كان ما جاء به سحر فسنغلبه، وإن كان من عند الله، فسيكون الأمر له[٧] وهذا الذي أسرُّوه. قيل الذي أسرُّوا قولهم :إن غَلَبَنا اتبعناه، قاله الكلبي، دليله ما ظهر من عاقبة أمرهم. وقيل: كان سرهم أن قالوا حين ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[٨] ما هذا بقول ساحر[٩]. و﴿ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ المناجاة تكون اسماً ومصدراً[١٠]: ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾[١١] هذا من قول فرعون للسحرة. والمعنى فيه غرضهما إفساد دينكم الذي أنتم عليه[١٢].

كما قال فرعون: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[١٣]

---

(١) سورة طه، الآية: ٦١، لتتمة الآية: ﴿ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾.

(٢) ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ٣/ ٤٢.

(٣) ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ٣/ ٤٣، الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٧٠.

(٤) ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٢/ ١٨٢، الطبري، تفسير، ١٦/ ١٧٧، الزجاج، معاني القرآن، ٣/ ٣٦١، الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧٣.

(٥) ينظر: الواحدي، تفسير، ٢/ ٦٩٨، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٥.

(٦) سورة طه، الآية :٦٢، لتتمة قوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾.

(٧) ينظر: الزجاج، معاني القرآن، ٣/ ٣٦١، الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧٣.

(٨) سورة طه، الآية: ٦١.

(٩) ينظر: هذه الأوجه المتعددة في الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٧٠، الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٧٤، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢١٥. والأظهر هو القول الثاني لما بدر من السحرة في اتباعهم موسى عليه السلام بعد أن ظهر عليهم ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ طه، الآية ٧٠.

(١٠) ينظر: أبو البقاء، العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ٢/ ٢٥٧.

(١١) سورة طه، الآية: ٦٣.

(١٢) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٣، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٠.

(١٣) سورة غافر، الآية: ٢٦.

ومعنى الآية (يذهبا بسيادتكم ورؤسائكم استمالة لهم، أو يذهبا ببني إسرائيل وهم الأماثل وإن كانوا خولا لكم لما يرجعون إليه [/ ١٠٠و] من الانتساب إلى الأنبياء)[١] أو يذهب بأهل طريقتكم، فحذف المضاف والمثلى تأنيث الأمثل كما يقال: الأفضل والفضلى[٢]، قال الكسائي: بطريقتكم بسنّتكم وسمتكم. والمثلى نعت، كقولك إمرأة كبرى[٣]، ثم إنه تعالى لمّا حكى عنهم متابعتهم في التنفير عن موسى والرّغب في إبطال أمره حكى عنهم أن قالوا: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ﴾[٤] (قال مقاتل والكعبي: صفّاً جميعاً)[٥] وقال الزجاج: يجوز أن يكون المعنى ثم أتوا والنّاس مصطفون[٦] فيكون على هذا مصدراً في موضع الحال[٧]. ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ (أي من علي، وهذا كله من قول السّحرة بعضهم لبعض)[٨] وقيل: من قول فرعون لهم[٩] ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾[١٠].

قال السحرة[١١]: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ ﴾ (عصاك من يدك)[١٢] ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾[١٣] قالوا ذلك تأدباً مع موسى. وكان ذلك سبب إيمانهم[١٤]، ﴿ قَالَ بَلْ

---

(١) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٠.

(٢) ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ٣/ ٤٧، والقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٠.

(٣) لم أقف على قول الكسائي، ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٠، وابن حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٢٣٨-٢٣٩.

(٤) سورة طه، الآية: ٦٤، لتتمة قوله تعالى: ﴿ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾.

(٥) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢١، أي اجتمعوا كلكم صفاً واحداً وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة لتبهر الأبصار وتغلبوا موسى وهرون، ينظر: ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٥٨.

(٦) قال الزجاج: ثم أتوا مصطفين مجتمعين ليكون أنظم لأموركم، وأشد لهيئتكم، معاني القرآن وإعرابه، ٣ / ٣٦٥.

(٧) ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ٣/ ٤٧، السمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٦٩.

(٨) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢١.

(٩) عن وهب بن منبه قال: جمع فرعون الناس لذلك الجمع ثم أمر السحرة فقال: ﴿ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٨٤، أرجح من قول السحرة عندما أسروا النجوى، وأعلنها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.

(١٠) سورة طه، الآية: ٦٥، لتتمة الآية ﴿أن تلقي﴾.

(١١) ينظر: البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٤.

(١٢) ينظر: الواحدي، تفسير، ١/ ٤٠٦، البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٤ ،واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٢.

(١٣) سورة طه، الآية: ٦٥.

(١٤) ينظر: الكشاف، ٣/ ٧١، الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٢.

أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[١] وذلك أنهم لطخوا العصي بالزئبق، فلما أصابها حر الشمس ارتهشت واهتزت[٢]، (قال الكلبي: خُيل إلى موسى أن الأرض حيَّات وأنها تسعى على بطونها)[٣] وقرأ «نخيل» إليه بالنون على أنَّ الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء[٤]، ويشبه إليه من سحرهم وكيدهم حتى ظن أنها تسعى[٥]، وتسعى معناه تمشي[٦]. وهنا سؤالان أحدهما كيف يجوز أن يقول موسى: ﴿ بَلْ أَلْقُواْ ﴾ فيأمرهم لما هو سحر وكفر لأنهم إذا قصدوا بذلك تكذيب موسى [/ ١٠٠ ظ] كان كفرا. والجواب من وجوه أحدها: لا نسلم أن نفس الإلقاء كفر، لأنهم إذا ألقوا وكان غرضهم أن يظهر الفرق بين ذلك الإلقاء[٧] وبين معجزة موسى، وكان ذلك [الإلقاء][٨] إيماناً، وإنما الكفر هو القصد إلى تكذيب موسى، وهو عليه السلام إنما أمر بالإلقاء لا بالقصد إلى التكذيب[٩] ثانيها: أن لا يكون ذلك أمراً[١٠]، بل يكون معناه إنكم إذا أردتم فعله فلا مانع منه، جئنا لكي ينكشف الحق. ثالثها: إنّ موسى لا شك أنّه كان كارهاً ذلك، ولا شك أنه نهاهم عن ذلك[١١] بقوله: ﴿ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾[١٢] (فإذا كان الأمر كذلك استحال أن يكون قوله آمراً لهم بذلك، لأن الجمع بين كونه ناهياً وآمراً بالفعل الواحد محال)[١٣] واعلم أن الله تعالى أخبر عن نبيِّه موسى

---

(١) سورة طه، الآية: ٦٦.

(٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٧١، البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٤، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢، البيضاوي تفسير، ٤/ ٥٩.

(٣) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٢، وينظر: السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٤١١.

(٤) وروى الحسن بن أيمن عن أبي حيوة نخيَّل بالنون وكسر الياء، فالمخيَّل لهم ذلك هو الله تعالى ليبتليهم، ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٧١، ابن حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٢٤١.

(٥) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٢، السيوطي، تفسير الجلالين، ١/ ٤١١.

(٦) تخيل إليه أنها ذات سعي، ينظر: الفراء، معاني القرآن، ٢/ ١٨٦، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ٣/ ٣٦٦، النحاس، إعراب القرآن، ٣/ ٤٨. القرطبي، الجامع ،١١/ ٢٢٢.

(٧) (الإنفاق) كذا في الأصل ولا ينسجم مع السياق، ولعلَّ ما أثبته أنسب لمقتضى السياق، ينظر: الفخر الرازي تفسير، ٢٢/ ٨٢.

(٨) لمقتضى السياق، ينظر: (م.ن) ٢٢/ ٨٢.

(٩) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٢.

(١٠) (لم يقع ذلك على سبيل) كذا في الأصل، وهذا لا ينسجم مع سياق الكلام، وما أثبته صحيح والله أعلم، ينظر: (م.ن)، ٢٢/ ٨٢.

(١١) (م.ن) ٢٢/ ٨٢.

(١٢) سورة طه، الآية: ٦١.

(١٣) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٢.

بقوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً ﴾[١] أي أضمر موسى[٢]. وقيل: وجد[٣]. وقيل: أحسَّ أي من الحيَّات وذلك ما يَعْرِض من طباع البشر على ما تقدم[٤] وقيل خاف أن يفتتن الناس قبل أن تلقى العصا[٥]. وقيل: (خاف حين أبطأ عليه الوحي بإلقاء العصا أن يفترق [الناس] [٦] قبل ذلك فيفتتنوا)[٧] فلما علم الله ما في قلبه أوحى إليه بقوله: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٨] (أي الغالب لهم في الدنيا وفي الدرجات العلى في الجنة للنبَّوة والاصطفاء الذي آتاك الله به)[٩] وأوحى الله تعالى إليه بقوله: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ﴾[١٠] إن قيل: (لم لم [/ ١٠١ و] يقل وألقِ عصاك؟ قيل يحتمل أن يكون تصغيراً لها، أي لا تبال[١١] بكثرة حبالهم وعصيِّهم وألقِ العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها)[١٢] قال أهل النقل[١٣]: صفات حبالهم وعصيِّهم كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً[١٤] وقيل: يحتمل أن يكون تعظيماً لعصى موسى فلا تحفل بهذه الأجرام الكثيرة، فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلّها، وهذه على كثرتها أقل شيء وأحقره عندها فالقه

---

(١) سورة طه، الآية: ٦٧.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٢.

(٣) أي وجد في نفسه خوفاً، بنظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٤.

(٤) وهذا من قول الحسن ﷺ ينظر: (م.ن) ٢٢/ ٨٤.

(٥) وهذا قول: مقاتل، ينظر: (م.ن) ٢٢/ ٨٤.

(٦) لمقتضى السياق، ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٤، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٢.

(٧) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٤، واللفظ للقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٢ ،الأرجح أنه خشيَ أن لاتصير العصا حية أو خاف من أنه لايغلبهم.

(٨) سورة طه، الآية: ٦٨ وينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٣.

(٩) القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٣.

(١٠) سورة طه، الآية: ٦٩.

(١١) (لا يقال) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٤، القرطبي، الجامع ١١/ ٢٢٣.

(١٢) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٤، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٣.

(١٣) هم من المحدثين الذين عرفوا من هو مجروح، وعدل، ومتقن، وحافظ، وصدوق، وساقط، ومتروك، ودونوا من الأحاديث صحيحها ونبهوا على باطلها وموضوعها، وكان من أحسنهم، البخاري، ينظر: الخطيب البغدادي الإحتجاج بالشافعي، تحقيق: خليل إبراهيم ملا خاطر، المكتبة الأثرية، باكستان، (بلا.ت)، ١/ ٣٦.

(١٤) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٣، ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٤٤.

يتلقفها بإذن الله تعالى ويمحقها[١] والخطاب بقوله: وألق ما في يمينك هو لموسى[٢]، وقيل: للعصا[٣]. واللقف الأخذ بسرعة[٤] وقد قصَّ الله تعالى خبرهم وأظهر أمرهم بقوله: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[٥] (وألقي السحرة [سجداً] لما رأوه من عظيم الأمر وخرق العادة في العصا، فإنها ابتلعت جميع ما احتالوا به من الحبال والعصي وكانت حمل ثلاثمئة بعير ثم عادت عصا لا يعلم أحد أين ذهبت الحبال والعصي إلا الله تعالى)[٦] وقوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾ ليس المراد منه أنَّهم خرُّوا على السجود، بل التأويل ما قاله الأخفش وهو أنَّهم من سرعة ما سجدوا خرُّوا[٧].

قال الزَّمخشري: (ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيَّهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشّكر والسّجود)[٨] [/ ١٠١ظ]. ولمَّا شاهدوا من تلك المعجزات والدرجات لا جرم قالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[٩] وإنما كان قولهم ذلك لأنّ فرعون ادَّعى الربوبيَّة في قوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[١٠] وفي قوله: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[١١] فلوا أنهم قالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١٢] لكان فرعون يقول: إنهم آمنوا بي[١٣] لا بغيري[١٤] فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة، والدّليل عليه أنهم قدّموا ذكر هارون على موسى لأن فرعون كان يدَّعي ربوبيته لموسى[١٥] بناءً على أنه

---

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٧٢، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٣.
(٢) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٣.
(٣) ينظر: مكي، مشكل إعراب القرآن، ٢/ ٤٦٩، الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٣٧٥.
(٤) ينظر: الجوهري، الصحاح، ٤/ ١٤٢٨، الرازي، مختار الصحاح، ص٣٠٨.
(٥) سورة طه، الآية: ٦٩.
(٦) (م.ن) ١١/ ٢٢٤.
(٧) لم أقف عليه عند الأخفش، ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ١٨٨، والفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٦، النسفي تفسير، ٣/ ٦١.
(٨) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٧٣.
(٩) سورة طه، الآية: ٧٠، وينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٧.
(١٠) سورة النازعات، الآية: ٢٤، وينظر: (م.ن) ٢٢/ ٨٧.
(١١) سورة القصص، الآية: ٣٨، وينظر: (م.ن) ٢٢/ ٨٧.
(١٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢١، وينظر: (م.ن) ٢٢/ ٨٧.
(١٣) (به) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٧.
(١٤) (بغيره) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: (م.ن) ٢٢/ ٨٧.
(١٥) (ربوبية موسى) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: (م.ن) ٢٢/ ٨٧.

ربَّاه، في قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾[١] (فالقوم لما أحترزوا[٢] على إيهامات فرعون لا جرم قدموا ذكر هارون على موسى قطعاً لهذا الخيال)[٣] قال فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُ﴾[٤] أي به[٥] وهي في الأعراف: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾[٦] قاله إنكاراً عليهم أي تعديتم وفعلتم ما لم آمركم به ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾[٧] (وإنَّما أراد فرعون بقوله هذا ليشبه على الناس حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كإيمانهم، وإلاَّ فقد علم فرعون أنهّم لم يتعلموا من موسى بل علموا [السحر][٨] قبل قدوم موسى وولادته)[٩] قال لهم فرعون: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ﴾[١٠] أي عليها فقطَّع وصلَّب حتى ماتوا[١١]، ولما زجرهم وهدَّدهم بتلك التهديدات[١٢] قالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[١٣] قال ابن عباس: من اليقين والعلم[١٤] قال عكرمة وغيره: لَّما سجدوا أراهم الله في سجودهم منازلهم في الجنَّة[١٥] [/ ١٠٢و]، فلهذا قالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[١٦] وكانت آسية امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فقيل لها: غلب موسى[١٧]، وقيل: لم يثق مقدم السحرة لما رأى حتى قال: انظروا إلى هذه الحيَّة هل تجوَّفت فتكون

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٨، وينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٧.
(٢) (أجبروا) كذا في الأصل،، وما أثبته أنسب، ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٧.
(٣) الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٧.
(٤) سورة طه، الآية: ٧١.
(٥) ينظر: الطبري، تفسير، ١٩/ ٩١.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.
(٧) سورة طه، الآية ٧١، وينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٤.
(٨) لمقتضى السياق، وينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٤.
(٩) (م.ن) ١١/ ٢٢٤.
(١٠) سورة طه، الآية: ٧١.
(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٤، وابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٢٩٦.
(١٢) ينظر: ابن حيان، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٢٤٣.
(١٣) سورة طه، الآية: ٧٢.
(١٤) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٩، والقرطبي، الجامع / ١١/ ٢٢٥.
(١٥) ينظر: الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٦، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٥، السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٥٨٧
(١٦) سورة طه، الآية: ٧٢.
(١٧) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٨/ ١٧١، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٥، ابن كثير، تفسير، ٤/ ٣٩٥.

حيَّة أو لم تتجوف فتكون من صنعة الصانع الذي لا يعزب عليه مصنوع فقيل: ما تجوَّفت: قال: أمنت بربِّ هارون وموسى[١]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾[٢] هو معطوف على ما جاءنا من البيِّنات، أي لن نؤثرك على ما جاءنا من البيِّنات ولا على الذي فطرنا أي خلقنا. وقيل: هو قسم أي والله لن نؤثرك[٣]. ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ التقدير ما أنت قاضيه[٤]. قال ابن عباس: (فاصنع ما أنت صانع)[٥] وقيل: فاحكم ما أنت حاكم من القطع والصلب ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ إنما ينفذ أمرك فيها[٦].

قال القرطبي: والتقدير (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا أو وقت هذه الحياة الدنيا)[٧] ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴾[٨] صدقنا بالله وحده لا شريك له، وما جاءنا به موسى ليغفر لنا خطايانا الإشراك الذي كانوا عليه، وما أكرهتنا عليه من السحر[٩].

قال المفسّرون: وليس هذا بقول مكرهين، وإن كان يجوز أن يكونوا[١٠] أكرهوا على تعليمه صغاراً، قال الحسن: (كانوا يعلمون السّحر أطفالاً ثم علموه مختارين بعد)[١١] قال السحرة حين آمنوا. ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ قاله ابن عباس[١٢]. وقيل: الله خير لنا منك[١٣] إن أطعناه، وأبقى عذاباً إن عصيناه[١٤]. قال ابن عباس: (كانوا في أوَّل ذلك النَّهار سحرة

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٧٢، لتتمة قوله تعالى: ﴿ هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾.

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٧٤، والقرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٥، والسمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٧٧.

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع ،١١/ ٢٢٥، والسمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٧٧.

(٥) الطبري، تفسير، ١٦/ ١٨٩، الواحدي، ٢/ ٧٠٠، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٦.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٦، والنسفي، تفسير، ٣/ ٦١.

(٧) القرطبي، الجامع ،١١/ ٢٢٦، وقال السمين الحلبي، التقدير، إن قضاءك في هذه الحياة الدنيا، يعني: إن لك الدنيا فقط، ولنا الآخرة، الدر المصون، ٨/ ٧٩.

(٨) سورة طه، الآية: ٧٣، لتتمة قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾.

(٩) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٨٩، النحاس، إعراب القرآن، ٣/ ٥٠، القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٦.

(١٠) (يكون) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح لمقتضى السياق.

(١١) القرطبي، الجامع ،١١/ ٢٢٦.

(١٢) ينظر: (م.ن) ١١/ ٢٢٦، والثعالبي، تفسير، ٣/ ٣٤.

(١٣) (منذ) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، انظر: القرطبي، الجامع، ١١/ ٢٢٦، ابن كثير، تفسير،٣/ ١٦٠

(١٤) ينظر: الطبري، تفسير، ١٦/ ١٩٠، البغوي، تفسير، ٣/ ٢٢٥، الفخر الرازي، تفسير، ٢٢/ ٨٩، القرطبي الجامع، ١١/ ٢٢٦.

وفي آخره شهداء)[١] ولما أظهر الله موسى عليه السلام على عدوِّه وأيَّده بالنَّصر أقبل فرعون على بني إسرائيل فقال له قومه: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾[٢] وآلهته فيما زعم ابن عباس [/ ١٠٢ظ] كانت البقرة، إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها! ولذلك أخرج لهم [السّامريّ][٣] عجلاً[٤] ثم إنَّ الله تعالى أمر موسى أن يخرج ببني [إسرائيل][٥] فقال: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾[٦] (فأمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا وأمرهم أن يستعيروا الحلي من القبط)[٧] وأمر أن لا ينادي إنسان صاحبه وأن يسرجوا في بيوتهم حتى الصباح[٨]، وإن من خرج يلطخ بابه بكف من دم حتى يعلم أنّه قد خرج، وأن الله عزوجل أخرج كل ولد زنا من القبط في بني إسرائيل إلى القبط حتى أتوا آبائهم، ثم خرج موسى ببني إسرائيل ليلاً والقبط [لا يعلمون][٩] وقد دعوا قبل ذلك على القبط[١٠]، فقال موسى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[١١] فقال الله عز وجل: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾[١٢] فذكر أنَّ طمس الأموال أنّه جعل دراهمهم ودنانيرهم

---

(١) الطبري، تفسير، ٩/ ٢٤، ابن كثير، ٢/ ٢٣٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية :١٢٧.

(٣) يقتضيها السياق وهي في نص القرآن: ﴿ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ طه، ٨٧-٨٨، واسم السامري: موسى بن ظفر، وقع في أرض مصر فدخل في بني إسرائيل، انظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٨٢.

(٤) الطبري، تفسير، ٩/ ٢٥، البغوي، تفسير، ٢/ ١٨٩، ابن كثير، ٢/ ٢٤٠.

(٥) يقتضيها السياق، ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٧٧، القرطبي، الجامع ،١٣/ ١٠٠.

(٦) سورة الدخان، الآية: ٢٣، وينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٧٧، ابن كثير، تفسير، ٤/ ١٤٢.

(٧) الطبري، تفسير، ١/ ٢٨٢. خبر استعارة الحلي من القبط بأمر موسى عليه السلام من الإسرائيليات، يبدو أن بني إسرائيل لما أمرهم موسى عليه السلام بالخروج قدموا على إستعارة الحلي من تلقاء أنفسهم، و ليس لموسى عليه السلام دخل في ذلك، ودليل ذلك بعد مجيء موسى عليه السلام من مناجاة ربه، وإخبار ربه له بأن القوم قد عبدوا العجل من بعده ! فوبخهم موسى، وقرعهم على ذلك الفعل الشنيع ؛ (فشرعوا يعتذرون بالعذر البارد يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر) ابن كثير، تفسير، ٣/ ١٦٣.

(٨) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٥، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٢٩٤.

(٩) لمقتضى السياق، انظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٥، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٢٩٤.

(١٠) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٥.

(١١) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(١٢) سورة يونس، الآية: ٨٩.

حجارة[١]، ثم (قال لهما استقيما فخرجا في قومهما يعني موسى وهارون، وألقى على القبط الموت فمات كل بكر فأصبحوا يدفنونهم فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾[٢] (وكان موسى على ساقة [/ ١٠٣و] بني إسرائيل وكان هارون أمامهم يقدمهم، فقال المؤمن لموسى يا نبيَّ الله أين أمرت؟ قال البحر، فأراد أن يقتحم فمنعه موسى وخرج موسى في ستمئة ألف وعشرين ألف لا يعدون ابن العشرة[٣] لصغره ولا ابن الستين لكبره وإنّما عدَّوا ما بين ذلك سوى الذرية[٤]، وأتبعهم فرعون على مقدمته هامان في ألف ألف وسبع مئة ألف حصان[٥] ليس فيها مأذبانه[٦]، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾[٧] (يعني بني إسرائيل)[٨] ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ ﴾[٩] (فنظرت بنو إسرائيل قد ردفهم)[١٠]، فقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، قالوا: يا موسى ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾[١١]. كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا[١٢] ﴿وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾

---

(١) ينظر: الطبري، تاريخ ،١/ ٢٤٥، الواحدي، تفسير ،١/ ٥٠٦، النسفي، تفسير٢/ ١٣٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٠.

(٣) لا يعدون ابن العشرين لصغره،انظر: الطبري، تفسير،١/ ٢٧٧، البغوي، تفسير١/ ٧٠.

(٤) الذرية تطلق هنا على النساء، عن حنظلة الكاتب قال: ثم كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فمرَّ بامرأة مقتولة والناس عليها فقال: {ما كانت هذه لتقاتل أدرك خالداً فقل له لا تقتل ذرية ولا عسيفاً} (الأجير) ينظر: الصنعاني مصنف عبد الرزاق، ٥/ ٢٠١، ابن حبان، صحيح، ١١/ ١١٢، الزمخشري، الفائق، ٢/ ٧، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٢/ ١٥٧.

(٥) ويبدو لي أن ذلك العدد مبالغ فيه وهو من تخمينات بني إسرائيل. قيل: دَخل يعقوب عليه السلام مصر في ست وسبعين نفساً من ولده وولد ولده، ينظر: القرطبي، الجامع، ١/ ٣٨٩، وإذا ما نظرنالذلك العدد الذي جاء به يعقوب عليه السلام لأرض مصر وعدد الذين خرجوا من مصر مع موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام عدا الذرية والصبيان نجد أنه رقم مبالغ فيه ونجد أن القرآن الكريم والسنة المطهرة لم تذكر أي عدد لهؤلاء، كما أن عدد قوات فرعون مبالغ فيها إذا ما قيست بالترسانة العسكرية اليوم.

(٦) يعني الأنثى، انظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٧٧.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ٥٣ـ ٥٤.

(٨) الطبري، تفسير، ا/ ٢٧٧.

(٩) سورة الشعراء، الآية: ٦١.

(١٠) الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٦.

(١١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩، لتتمة قوله تعالى: ﴿ وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾

(١٢) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٦.

اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا، البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا[١] قال موسى: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٢] (يقول سيكفين)[٣] فقال:﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾[٤] فتقدم هارون فضرب البحر) قيل: إنه بحر القلزم[٥] (فأبى البحر أن ينفتح، وقال: من هذا الجبار الذي يضربني؟ حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد وضربه[٦] ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٧]، يقول: كالجبل العظيم فدخلت بنو إسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقاً في كلِّ طريق سبط وكانت الطرق إذا انفلقت انفلقت بجدران [/ ١٠٣ظ] فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلمَّا رأى ذلك [موسى][٨] دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقات، فنظر أخرهم إلى أولهم وأولهم إلى أخرهم حتى خرجوا جميعاً ثم دنا فرعون و أصحابه إلى البحر فلما رأوه منفلقاً قال فرعون: ألا ترون البحر فرق منِّي قد انفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم[٩]! فذلك قوله عزوجل: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾[١٠] فنزل جبريل على مأذيانه فتشامَّت الحصن ريح المأذيانة فاقتحمت حتى إذا همَّ أولهم أن يخرج ودخل أخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم[١١]، (وتفرد جبريل بفرعون بمقلة من مقل البحر، فجعل يدسها في فيه)[١٢] فقال حين أدركه [الغرق][١٣] ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١٤] فبعث الله ميكائيل

(١) الطبري، تاريخ، ١/ ٢٤٦.، الدر المنثور، ٦/ ٢٩٤.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٢.
(٣) القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت٣٢٩هـ)، تفسير القمي ،ط٣، مؤسسة دار الكتاب، قم، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ٢ / ١٢٢، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٢٩٤.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.
(٥) القرطبي، الجامع، ١/ ٣٩٠، الثعالبي، تفسير، ١/ ٦١.
(٦) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٧٨، السيوطي، تفسير، الدر المنثور، ٦/ ٢٩٤.
(٧) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.
(٨) لمقتضى السياق، الطبري، تفسير، ١/ ٢٧٨، والسيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٢٩٤.
(٩) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٧٨، والسيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٢٩٤.
(١٠) سورة الشعراء، الآية: ٦٤.
(١١) ينظر: الطبري، تفسير، ١/ ٢٧٨، السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٢٩٥.
(١٢) السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٢٩٥.
(١٣) لمقتضى السياق، ينظر: الطبري، تفسير، ١٩/ ٨٢.
(١٤) سورة يونس، الآية: ٩٠. والآن لي وقفة متأمل: لقد عرف عدو الله فرعون أنه على باطل وأن الدين الصحيح هو الإسلام، وفي هذه الكلمة نقض لكل ماكان يدعو إليه وهدم لصرحه الشاهق وزيف دعوته =

يعيره[١] فقال: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٢] فقال جبريل: يا محمد ما أبغضت أحداً من الخلق ما أبغضت رجلين أمَّا أحدهما فمن الجن وهو إبليس حين أبى إبليس أن يسجد لأدم، وأما الآخر فهو فرعون[٣] حين قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٤] ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ مقل البحر فأدخله في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة فيرحمه الله بها[٥]. وقالت بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، الآن يدركنا فيقتلنا فدعا الله موسى [/ ١٠٤و] فخرج فرعون في ستمئة ألف وعشرين ألف عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به[٦].

فذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[٧] تعود لبني إسرائيل آية[٨]. فهذه القصة متضمنة النصر السديد والعز الذي لا يبيد، وكان الإنجاء لموسى والإغراق لفرعون كما ثبت في الكتاب والسنة .

=

عبر السنين الطوال، وليكون عبرة للأجيال اللآحقة، وللطواغيت من أمثاله ...

(١) ينظر: الطبري، تفسير، ١٩/ ٨٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩١.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ١٩ / ٨٢.

(٤) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٥) ينظر: أبو داود، سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي (ت٢٠٤هـ)، مسند الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، (بلا.ت)، ١/ ٣٥٠، والترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٢٨٧، والطبري، تفسير، ١٩/ ٨٢، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنه يدلُّ على رحمة الله الواسعة التي تفوق كل ذي لب.

(٦) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٤/ ٦١.

(٧) سورة يونس، الآية: ٩٢.

(٨) أي علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما قيل إليهم: إنه لا يهلك حتى كذَّبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطرحاً على ممرهم من الساحل، أو لمن بعدك من القرون، يعني إن الإنسان مهما بلغ من الشأن وكبرياء الملك فإنه مملوك ومقهور بعيداً عن مظان الربوبية، ينظر: البيضاوي، تفسير، ٣/ ٢١٣.

الباب التاسع

في رأفته وشفقته خصوصاً على هذه الأمة المرحومة

إعظاماً لنبِّيها وإجلالاً لعلوِّ رتبته قد قدَّمنا من ذلك جملة كبيرة منها: صبره على قومه إذ آذوه ورموه بما ليس فيه، ولذلك قال (عليه الصلاة والسلام): {يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر}[1].

ومن ذلك دعاؤه لقومه لما خرجوا عن أمره واستجاب الله له أن ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المنَّ والسلوى وغير ذلك مما قدمناه[2]، وأعظم شفقة على هذه الأمَّة المرحومة ما رويناه في السنَّة الشريفة من طرق منها عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: {أتيت بالبراق وهو دابة طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فصلّيت فيه ركعتين ثم خرجت[3]، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: أخترت الفطرة[4] [/ ١٠٤ظ] ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ؟ قال جبريل قيل: ومن معك؟ قال محمد، قيل: وقد بعث إليه قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا بآدم فرحَّب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السَّماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ؟ قال جبريل قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريًا [5] ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر

---

(١) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١١٤٨، مسلم، صحيح، ٢/ ٦٣٩، الشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب (ت٣٣٥هـ) مسند الشاشي، تحقيق: د.محفوظ الرحمن زين الله، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ٢/ ٥٥.

(٢) ينظر: ضمن النص المحقق, ورقة [/ ٦ظ].

(٣) ينظر: مسلم، صحيح، ١/ ١٤٥، وأبو يعلي، مسند أبي يعلي ٦/ ١٠٩.

(٤) في قوله ﷺ {ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه} رواه البخاري، صحيح، ٤/ ١٧٩٢، والفطرة بالكسر: الخِلقة المبتدأة، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٧٨، أما قوله: ﷺ فأبواه يهودانه, معنى ذلك لو ‘ترك كل مولود من وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره لأداه إلى الدين الحق وهو التوحيد، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٣٣٩، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم ٣٠).

(٥) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: { ثم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحي بن زكريا } النسائي، السنن الكبرى، ٥/ ٥٠، ابن حبان صحيح، ١/ ٤١٢.

مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر[١] الحسن فرَّحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس فرحَّب بنا ودعا لي بخير[٢]، فقال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[٣] {ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون فرحَّب بي ودعا لي بخير ثم عرج إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى فرَّحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم مسند ظهره إلى البيت المعمور[٤]، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة [/ ١٠٥و] المنتهى[٥] وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال[٦]، قال: فلما غشيها من أمر [الله ما][٧] غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها لحسنها، فأوحى الله إلي[٨] ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت: خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بليت ببني إسرائيل وخَبَرتهم ! قال فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفِّف عن أمتي فحطّ عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمساً قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف فلم أزل أرجع بين يدي ربي وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهنَّ خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرا فتلك خمسون صلاة فمن همَّ بحسنة فعملها كتبت له عشرا ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته

---

(١) شطر الشيء نصفه وجمعه أشطر، وشاطره ماله إذ ناصفه ينظر: الزمخشري، الفائق، ٢/ ٢٤٤، الرازي، مختار الصحاح، ١/ ١٤٢.

(٢) ينظر: مسلم، صحيح، ١/ ١٤٥ـ١٤٦، ابن أبي شيبة، المصنف، ٧/ ٣٣٣، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣ / ١٤٨، القاضي عياض، ١/ ١٧٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٧.

(٤) عن علي ﷺ قال: البيت المعمور في السماء السابعة، يقال له: الضُراح، بضم المعجمة وتخفيف الراء وفي أخره حاء مهملة، وقيل: في السماء الأولى، وقيل: في السماء الرابعة، وقيل: في السادسة، ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٧٩.

(٥) اختيرت سدرة المنتهى لأن شجر السدر يختص بالظل المديد والطعم اللذيذ والرائحة الطيبة، ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٧٩.

(٦) هو بكسر القاف جمع قلة، والقلة: جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر، ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم ،٢/ ٢١٤، السيوطي، الديباج، ١/ ١٩٩.

(٧) لمقتضى السياق، ينظر: مسلم، صحيح، ١/ ١٤٦.

(٨) (إليه) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح، ينظر: (م.ن) ١/ ١٤٦.

فقال: إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربّي حتى أستحييت منه} رواه الشيخان[١]. قال القاضي عياض: جوَّد ثابت هذا الحديث عن أنس ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا[٢]. وقوله في الحديث أُتيت [/ ١٠٥ ظ] بالبراق هو دابَّة[٣]، قال الزبيدي في مختصر العين[٤]، وصاحب التحرير[٥] هي دابَّة .(كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يركبونها، قال النووي: وهذا الذي قالاه من إشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلى نقل صحيح)[٦] قال ابن دريد[٧] اشتقاق البراق من البرق يعني لسرعته، وقيل: سمِّي بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه، وقيل: لكونه أبيض[٨] قوله: (فرجعت إلى ربي معناه رجعت إلى الموضع الذي ناجيته منه أولاً فناجيته فيه ثانياً. قوله: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى، معناه بين موضع مناجاة ربي)[٩] فحط عني خمساً[١٠] .

يخالف ما جاء في حديث آخر رواه مسلم وهو قوله: فراجعت ربي فوضع عني

---

(١) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٤١٠ـ١٤١١، مسلم، صحيح، ١/ ١٤٦، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ١٤٨، القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٧٩.

(٢) القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٧٩.

(٣) تقدم ذكره في المخطوطة، ورقة (١٠٤ظ).

(٤) الزبيدي، أبو بكر الإشبيلي وهو لغوي أندلسي، ونحويها في عصره (ت٣٧٩هـ) ينظر: مختصر العين تحقيق: د.صلاح مهدي الفرطوسي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، بغداد ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ١/ ٢٥، إلا إنني لم أقف فيه على مادة برق أو البراق وما تعنيه هذه الكلمة.

(٥) صاحب التحرير هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني الشافعي أما كتابه: التحرير في شرح صحيح مسلم ولم أقف عليه. ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ١/ ١٤٦.

(٦) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١١٠، ابن حجر، فتح الباري، ٧/ ١٥٨، عن ابن عباس قال: الموت والحياة جسمان فالموت على هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء أنثى وهي التي كان جبريل والأنبياء (عليهم السلام) يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء إلا حيي، وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فألقاها على العجل فحي. ينظر: البغوي، تفسير، ٢/ ١٣٤، القرطبي، الجامع، ١٨/ ٢٠٦.

(٧) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري صاحب التصانيف، كان عالماً بالشعر والأدب (ت٣٢١هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء.

(٨) ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٣، واللفظ للنووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١١٠ـ ١١١.

(٩) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢١٤ـ٢١٥، السيوطي، الديباج، ١/ ١٩٩.

(١٠) تقدم ذكره من رواية الشيخان، مخطوطة، ورقة [/ ١٠٥ظ].

شطرها[١].وأجيب بأن (حط الشطر هنا أنه حط في مرات بمراجعات وهذا هو الظاهر)[٢] وقال القاضي عياض: (المراد بالشطر هنا الجزء وهو الخمس وليس المراد به النصف، وهذا الذي قاله محتمل ولكن لا ضرورة إليه)[٣] وقوله: ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى[٤] جاء في رواية شريك[٥] أنه رأى موسى في السماء السابعة[٦] ولكن رواية الأكثر أنه رآه في السماء السادسة[٧]، وإذا صححنا الروايتين تجاب عن الرواية الواحدة بأن الله تعالى [جعل][٨] الأنبياء أحياء فيحتمل أن ينتقلوا من سماء إلى سماء وهذا [الحديث][٩] الشريف الذي أوردناه [/ ١٠٦و] أدل دليل على رأفة موسى على هذه الأمة المرحومة.

(١) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٢١٧، مسلم، صحيح، ١/ ١٤٨.

(٢) السيوطي، وعبد الغني، والدهلوي، شرح سنن ابن ماجة، ١/ ١٠٠.

(٣) لم أقف عليه عند القاضي عياض، وإنما هو نصاً عند النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٢٢.

(٤) تقدم ذكره في المخطوطة ورقة [١٠٥هـ].

(٥) شريك بن عبدالله النخعي يكنى أبا عبدالله، من العلماء الذين واظبوا على العلم (ت١٧٧هـ) ينظر: ابن حبان, مشاهير علماء الأمصار.، ١/ ١٧٠، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ١٠٤.

(٦) ينظر: القاضي عياض، الشفا، ١/ ١٧٩.

(٧) ينظر: الصنعاني، تفسير، ٢/ ٣٦٨، وابن حبان، صحيح، ١/ ٢٤٣، الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ٤/ ١٧٦.

(٨) لمقتضى السياق.

(٩) لمقتضى السياق.

الباب العاشر

في وفاته

وفيه فصول

الفصل الأول

ما وقع له مع ملك الموت وموضع قبره وما سأل أن يُدفن فيه والدنو من الأرض المقدسة التي هي على التقوى مؤسسة.

رويـنا بسندنا إلى البخاري، قال: حدثنا يحي بن موسى[1] حدثنا عبد الرزاق[2] أخبرنا مُعَمَّر[3] عن ابن طاووس[4] عن أبيه[5] عن أبي هريرة قال: {أُرسل ملك الموت إلى

---

(١) هو يحيى بن موسى بن عبد ربه بن سالم المعروف بخت كوفي الأصل يكنى أبا زكريا وثقة أبو زرعة والنسائي (ت٢٤٠هـ) ينظر: الرازي التميمي، الجرح والتعديل، ٩/ ١٨٨، ابن حبان، الثقات ٩/ ٢٦٧، المزي، تهذيب الكمال، ٣٢/ ٧.

(٢) هو عند الرزاق بن همام بن نافع الحميري أبو بكر الصنعاني تشيع في التاسعة من عمره، وعمي في آخر عمره (ت٢١١هـ) ينظر: أحمد بن حنبل، كتاب بحر الدم، تحقيق: د. أبو أسامة وصي الله بن محمد بن عباس ،ط١، دار الراية، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ١/ ٢٦٩، الباجي، سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد (ت٤٧٤هـ)، التعديل والتجريح، تحقيق: د.أبو لبابة حسين ، ط١، دار اللواء للنشر، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٢/ ٩٢٣، ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد (ت٨٨٤ هـ) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة الرشد النشر، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ٢/ ١٩٣.

(٣) هو معمر بن راشد الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي، طلب العلم وهو حدث فكان من أوعية العلم مع الصدق والتحرِّي والورع والجلالة وحسن التصنيف (ت١٥٢هـ وقيل: ١٥٣هـ) ينظر: العجلي، معرفة الثقات، ٢/ ٢٩٠، ابن حبان، الثقات، ٧/ ٤٨٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٤١٨.

(٤) هو عبدالله بن طاووس بن كيسان الهمداني من شيوخ الأصمعي ومن عبَّاد أهل اليمن وفقهائهم المشهورين ومن رجال الحديث الثقات (ت١٣٢هـ) ينظر: الطوسي، الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) الخلاف تحقيق: سيد علي الخراساني، سيد جواد الشهرستاني، شيخ محمد مهدي نجف، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي قم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ٤/ ٦٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ١٠٣.

(٥) هو طاووس بن كيسان الهمداني الخولاني كنيته أبو عبد الرحمن من فقهاء أهل اليمن وعبّادهم وخيار التابعين وزهّادهم (ت١٠١هـ) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ١/ ١٢٢.

موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطّت يده بكلّ شعرة سنة، قال ربِّ ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن ! قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ: لو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب[١] الأحمر } [٢] ورواه مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة[٣] قال البخاري {وأخبرنا معمَّر عن همام[٤] حدثنا: أبو هريرة عن النبي ﷺ فذكره } [٥] ورويناه في صحيفة همام قال:قال رسول الله ﷺ: {جاء ملك الموت إلى موسى فقال: أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال: فرجع الملك إلى الله تعالى [/ ١٠٦ظ] فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني ! قال: فردَّ الله عليه عينه وقال: إرجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن[٦] ثور فما وارت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة ! قال: ثم مه قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب قال ربي إدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ: لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر}[٧]. وفي رواية تحت الكثيب الأحمر[٨]. وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال :{ كان ملك الموت يأتي الناس عياناً قال: فأتى موسى فلطمه}.. الحديث، وفيه فقال موسى وما بعد هذا

---

(١) الكثيب: هو الرمل المجتمع، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ١/ ٢٣٥.

(٢) البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٥٠.

(٣) ذكر في رواية مسلم: إن موسى عليه السلام فقع عين ملك الموت ثم رد الله إليه عينه، صحيح مسلم، ١٥/ ١٢٧.

(٤) هو همام بن منبه بن كامل الصنعاني المحدث المتقن كنيته أبو عقبة صاحب تلك الصحيفة التي كتبها عن أبي هريرة رضي الله عنه وهي نحو من مئة وأربعين حديثاً، وثقه يحيى بن معين (ت١٣٢هـ) ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/ ١٢٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣١١.

(٥) البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٥٠.

(٦) متن ثور يعني ظهره، ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٢٨.

(٧) ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٣، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ١١٦، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٣١٥ ، ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٧٥.

(٨) ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٢، ابن حبان، صحيح، ١٤/ ١١٣، أما سؤاله عليه السلام الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم، وقال بعض العلماء وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس، وفي هذا استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين. ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٢٨.

قال: الموت، قال: فالآن فشّمه شمّة فقبض روحه[١]، قال يونس[٢]: أحد روات الحديث: فرد الله عليه عينه، وكان يأتي الناس خفية[٣]. ورواه الطبري[٤] أيضاً. وروي أيضاً عن أبي إسحاق قال: (كان صفي الله موسى [قد][٥] كره الموت فلما كرهه أراد الله أن يحبب إليه الموت ويكره إليه الحياة، فحولت النبوة إلى يوشع بن نون وكان يغدوا إليه ويروح فيقول: [/ ١٠٧و] له [موسى][٦] يا نبيَّ الله ما أحدث الله اليك ؟ فيقول له يوشع بن نون: يا نبيَّ الله ألم أصحبك كذا [و][٧] كذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى كنت أنت الذي تبتديء به وتذكره ولا يذكر له شيئاً، فلما رأى موسى كَرَهَ الحياة وأحب الموت)[٨] وروى أيضاً عن وهب أن موسى خرج يوماً لبعض حاجته لاَ يعلِم أحداً من خلق الله فمرَّ برهط من الملائكة يحفرون قبراً فعرفهم فأقبل إليهم حتى وقف عليهم فإذا يحفرون قبراً لم يرقط شيئاً أحسن منه، ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا: نحفره والله لعبد كريم على ربه. قال: إن هذا العبد من الله لبمنزل ما رأيت كاليوم مضجعاً ولا مدخلاً ! وذلك حين حضره من أمر الله ما حضر من قبضه، فقالت له الملائكة: يا صفي الله أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت قالوا: فانزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربك ثم تنفس أسهل نفس تنفسته قط، فنزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوَّت عليه الملائكة[٩]. وتأول العلماء لطم موسى عين ملك الموت، فقيل: إنها كانت عيناً تخيلية لا حقيقية، وهذا باطل لأنه يؤدي إلى ما يراه الأنبياء من صور الملائكة

---

(١) ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٥٣٣، ابن أبي عاصم، السنة لابن أبي عاصم، ١/ ٢٦٧.

(٢) هو يونس بن عبيد بن دينار الكوفي العبدي أحد الأعلام، وكان من سادات أهل زمانه علماً وفضلاً وحفظاً وإتقاناً (ت١٣٩هـ) ينظر: ابن خياط، الطبقات، ١/ ٢١٨، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، بحر الدم، ١/ ٤٨٢ ابن حبان، الثقات، ٧/ ٦٤٧.

(٣) ينظر: ابن أبي عاصم، السنة لأبن أبي عاصم، ١/ ٢٦٧، واللفظ لأحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٥٣٣، والحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٢/ ٦٣٢.

(٤) (الطبراني) كذا في الأصل، ولم أقف عليه عند الطبراني، وما أثبته هو الصحيح ذكره الطبري، ١/ ٢٥٦، وابن كثير، ١/ ٣١٩.

(٥) لمقتضى السياق، الطبري، تاريخ، ١/ ٣٠٤، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٢/ ٦٣٤.

(٦) لمقتضى السياق، الطبري، تاريخ، ١/ ٣٠٤، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٦٣٤.

(٧) لمقتضى السياق، الطبري، تاريخ، ١/ ٣٠٤، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٦٣٤.

(٨) الطبري، تاريخ، ١/ ٣٠٤، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٦٣٤، ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٧٤.

(٩) ينظر: الطبري، تاريخ، ١/ ٢٥٦، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٢/ ٦٣٤، البغوي، تفسير،٢/ ٢٧، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦١/ ١٧٦، ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٧٥.

لا حقيقة له[١] [/ ١٠٧ظ] وقيل: إنها كانت عيناً معنويَّة، وإنما فقأها بالحجَّة وهذا مجاز[٢] وقيل: إنّ موسى لم يعرف ملك الموت وإنه رأى رجلاً دخل منزله بغير إذنه يريد نفسه، فدافع عن نفسه فلطم عينه ففقأها، وتجب المدافعة عن هذا بكل ممكن[٣]، قاله الإمام أبو بكر ابن خزيمة[٤]. قال القرطبي: وهذا وجه حسن لأنه حقيقة في العين والصك، لكن إعتراض ابن خزيمة [على][٥] ما في الحديث وهو أن ملك الموت لمَّا رجع إلى الله قال: يا رب أرسلتني لعبد لا يريد الموت، فلو لم يعرفه موسى لما دافع وإنَّما دافع عن نفسه لمَّا صدّق لهذا القول من ملك الموت[٦]. ونقل العماد بن جماعة[٧] في تعليقته عن القرطبي رأيه في تفسيره، وقد ظهر لي وجه حسن بحسم مادة الإشكال وهو أن موسى عرف ملك الموت بأنه جاء يقبض روحه من غير تخيير، وعند موسى ما قد نصَّ عليه نبيَّنا ﷺ من{ أنَّ الله تعالى لا يقبض روح نبيٍّ حتى يخيره }[٨] فلما جاءه على غير هذا الوجه الذي علم به بادر بشهامته وقوة نفسه إلى ملك الموت ولطمه فانفقأت عينه امتحاناً لملك الموت إذ لم يصرح له بالتخيير، ومما يدل على صحة هذا إنَّه لمَّا رجع إليه ملك الموت يخيره

---

(١) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م، ١/ ٢٧٦، القرطبي، الجامع، ٦/ ١٣٢.

(٢) ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٢٩، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤١.

(٣) ينظر: القرطبي، الجامع، ٦/ ١٣٢، السيوطي، شرح سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات حلب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٤/ ١١٩، ولم أقف عليه في صحيح ابن خزيمة.

(٤) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر النيسابوري، حدث عن الشيخان خارج صحيحهما، قال عنه الدار قطني: كان إماماً معدوم النظير مصنفاته تزيد على مئة وأربعين كتاباً سوى المسائل (ت٣١١هـ)، ينظر: أبو القاسم الجرجاني، حمزة بن يوسف (ت٣٤٥هـ) تاريخ جرجان، تحقيق: د. محمد عبد المفيد خان، ط٣، عالم الكتب، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ،١/ ٤٥٦، أبو إسحاق، الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف (ت٤٧٦هـ) طبقات الفقهاء، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت، (بلا.ت) ١/ ١٩٨ السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٣١٣ـ ٣١٤.

(٥) لمقتضى السياق.

(٦) القرطبي، الجامع، ٦/ ١٣٢.

(٧) هو عماد الدين بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن كنيته أبو الفداء وعرف كأسلافه بابن جماعة ولد ببيت المقدس سنة ٨٢٥ وقرأ على الحافظ ابن حجر، والجلال المحلي وغيرهما ولم يذكر تاريخ وفاته ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ) الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت (بلا.ت) ص٧٦، ولم أقف على تعليقة العماد بن جماعة.

(٨) ينظر: ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي (ت٢٣٨هـ) مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق :د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ط١، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ٢/ ٥٦٣، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٦/ ٢٧٤.

اختار الموت ! [١٠٨و] واستسلم، وهذا الوجه إن شاء الله تعالى أحسن ما فيه وأسلم وبه يندفع إنكار الملاحدة[١]. وقوله: يارب ثم مه هي ما الاستفهامية لمَّا وقف عليها زاد عليها هاء السكت[٢]، (قال: ثم الموت، قال: فالآن)[٣] قال الترمذي الحكيم: إن موسى عليه السلام كان شديد الغضب ولذلك فقأ عين ملك الموت لأنّه كليم الله، كأنه رأى من افترى عليه أو مدَّ إليه يداً بأذى فقد أعظم الخطم[٤] فيه الأيدي[٥]، إنّه احتجّ عليه فقال: من أين تنزع روحي أفمن فمي وقد ناجيت به ربّي أم من سمعي وقد سمعت به كلام ربّي أم من يدي وقد قبضت بها الألواح أم من قدمي وقد قمت بين يديه بالطّور، أم من عيني وقد أشرق وجهي من نوره، فرجع ملك الموت إلى ربهّ مفحماً[٦] وفي الحديث دليل على أن موسى لمَّا خَّيره الله بين الحياة والموت فاختار الموت تشوّقاً للقاء الله تعالى، واستعجل[٧] لما له عند الله من المواهب الربانية واستراحته من الدنيا الدنيَّة. وقوله في الحديث :{ لو كنت ثمَّ لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر[٨] } وقع في بعض الروايات إلى جانب الطريق[٩]، قال القرطبي: (يعني بالطريق طريق بيت المقدس)[١٠] وقد سألني بعض الفضلاء عن السرِّ في كون موسى سأل الدنو من الأرض المقدسة ولو رمية بحجر ولم يسأل نفس الأرض المقدسة ولا مكاناً مخصوصاً معروفاً عند الناس، فخطر لي في ذلك إن موسى عليه السلام إنمَّا سأل الدنو منها لشرفها وإنَّما لم يسأل مكاناً معروفاً خوفاً من أن يعبد وهذا الذي خطر لي رأيته في [/ ١٠٨ظ] تفسير القرآن للقرطبي[١١] ثم على القول إن قبر

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع، ٦/ ١٣٢ـ١٣٣.

(٢) ينظر: السيوطي، شرح سنن النسائي، ٤/ ١١٩. السندي، نور الدين بن عبد الهادي يكنىّ أبا الحسن (ت١١٣٨هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م ٤/ ١١٩.

(٣) البخاري، صحيح، ١/ ٤٤٩، مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٢.

(٤) الخطم: هو الخطب الجليل، فميمه على هذا بدلٌ من الباء، ونظيره: ورأيته من كَثَم وكثب، ينظر: الزمخشري، الفائق، ١/ ٣٨١.

(٥) ينظر: الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ١/ ١٧٨، القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٧.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ٧/ ٢٨٧.

(٧) ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٣٥١، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤٢.

(٨) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ٢/ ٩٣، ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن. بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ١٤/ ١١٧، ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٣٦.

(٩) ينظر: البخاري، صحيح، ٣/ ١٢٥٠، مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٢.

(١٠) القرطبي، الجامع، ٦/ ١٣٢.

(١١) ينظر: القرطبي، الجامع، ٦/ ١٣٢.

موسى في جوف الأرض المقدسة وثبوت الدنو له[١] ينافي الواقع، يجاب بأنه سأل شيئاً فأعطاه الله تعالى فوق ما سأل وهذه صفات الكريم أن يعطي فوق ما يسأل[٢] وجاء في الحديث في قصة الإسراء أن نبيَّنا محمد ﷺ قال :{ مررت على موسى ليلة أسري بي وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيِّب الأحمر}[٣] وتأول العلماء صلاة موسى في قبره فقيل: إن رؤيته رؤية حقيقية في اليقظة وأن موسى حيًّا في قبره يصلي الصلاة التي كان يصلِّيها في الدنيا[٤] .

قال القرطبي: وهذا كله ممكن لا إحالة في شيء منه، وقد صح أن الشهداء أحياء يرزقون[٥]، ويوجد منهم من لم يتغير في قبره بعد سنين كثيرة[٦]، وإذا كان هذا في الشهداء كان في الأنبياء أحرى وأولى[٧] وقد تقدم لنا هذا الجواب[٨]، فإن قيل :كيف

---

(١) (وثبتوا له الدنو) كذا في الأصل، وماأثبته صحيح ،ينظر: (م.ن) ٦/ ١٣٢.

(٢) اشتهر عن قبر بأريحاء، من عنده كثيب أحمر أنه قبر موسى عليه السلام وأريحاء من الأرض المقدسة، ينظر: الصنعاني، مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلسي العلمي (بلا.ت) ١١ / ٢٧٥ وابن حبان، صحيح، ١/ ٢٤٣، ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤٢.

(٣) ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ١٨٤٥، النسائي، سنن النسائي (المجتبى) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٣/ ٢١٥، ابن حبان، صحيح، ١/ ٢٤٢.

(٤) فرآه ﷺ يدعو في قبره إذ الصلاة دعاء، فلما دخل ﷺ ببيت المقدس وأسري به أسري بموسى عليه السلام حتى رآه في السماء السادسة وجرى بينهما ما تقدم ذكره، ينظر: ابن حبان، صحيح، ١/ ٢٤٣.

(٥) عن الحسن رضي الله عنه قال: إن الشهداء أحياء عند ربهم تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الألم والوجع. فإذا أعيدت تلك الأرواح إلى أجسادها استوفت من النعيم جميع ما أعد الله لها من روائح الجنة وطيبها ونعيمها وسرورها مما ترتزق وتنتعش به، ينظر: القرطبي، الجامع، ٤/ ٢٧٤، النسفي، تفسير، ١/ ٨٠ ،البيضاوي، تفسير، ١/ ٤٢٩، أبو السعود تفسير، ١/ ١٧٩.

(٦) عن ابن أبي الزبير سمع جابرا يقول: لما أراد معاوية أن يجري العين التي في أسفل أحد ثم قبور الشهداء الذين بالمدينة أمر منادياً فنادى من كان له ميت فليأته فليخرجه فليحمله قال جابر: فذهبنا إلى أبي فأخرجناهم رطاباً يثنون، قال جابر: فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فتقطر الدم. ينظر: ابن عبد البر، التمهيد، ١٨/ ١٧٣.

(٧) ينظر: الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١٢/ ٣٥٥.

(٨) عن أوس بن أبي أوس قال: قال رسول الله ﷺ :{ ثم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي - فقالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت يعني وقد بليت ؟ قال: إن الله عزوجل حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء }، (صلوات الله عليهم) ينظر: القزويني، سنن ابن ماجة، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ٨، والبزار، أبو بكر أحمد، بن عمرو بن عبد الخالق (ت٢٩٢هـ) مسند البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ٨/ ٤١١.

كانت الصلاة بعد الموت وليس ذلك الحال حال تكليف ؟ فالجواب أن ذلك ليس بحكم التكليف وإنما ذلك بحكم الإكرام والتشريف، وذلك أن الأنبياء في الدنيا حبِّبت لهم عبادة الله والصلاة بحيث كانوا يلازمون ذلك، ثم توفُّوا وهم على ذلك فشرّفهم الله تعالى بعد موتهم بإبقاء عليهم ما كانوا يحبونه وما عرفوا به فتكون عبادتهم الهامية كعبادة الملائكة لا تكليفيّة[١] وقد وقع مثل هذا لثابت البناني[٢] فإنه 'حبب إليه الصلاة حتى كان يقول: اللهم إن كنت أعطيت [أحداً أن][٣] يصلّي لك في قبره فاعطني فأعطاه ذلك [/ ١٠٩و]، فرآه ملحدِه بعد أن سوّا عليه قبره قائماً يصلّي في قبره[٤]، وقد دلَّ على صحة ذلك قول نبيَّنا ﷺ :{ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه }[٥] وقد جاء في الصحيح إنَّ أهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون النَّفس[٦]. قال الإمام أبو حاتم البستي: إنَّ الله عزوجل أخبر موسى في قبره حين مرَّ عليه المصطفى محمد ﷺ ليلة أسري به وذلك أنّ قبر موسى بمدين بين المدينة والبيت المقدس فرآه في قبره يدعوا والصلاة دعاء[٧] انتهى. قال المحققون[٨]: حمل' الصلاة على معناها اللغوي بعيد لا وجه له لأنّ الأصل خطاب الشارع ﷺ بالحقائق الشَرعية[٩]، وقد تقدم لنا هذا المعنى آنفاً[١٠]، وقول البستي: إن قبره بمدين فيه نظر، وذلك أن موسى عليه السلام سأل ربّه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ومدين ليست قريبة من بيت المقدس ولا من الأرض المقدسة، وقد

---

(١) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق: أحمد عبد السلام ،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ٥/ ٦٦٣.

(٢) أبو محمد ثابت بن أسلم البناني البصري، قال عنه أنس بن مالك: إن ثابتاً لمفتاح من مفاتيح الخير (ت ١٢٣هـ - وقيل: ١٢٧هـ) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ٢/ ١٥٩، مسلم، الكنى والأسماء، ١/ ٧٢٣، ابن حبان، الثقات، ٤/ ٨٩، الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، ١/ ٢٩٦.

(٣) في الأصل طمس، ينظر: ابن الجعد، مسند بن جعد، ص٢٠٩، المزي، تهذيب الكمال، ٤/ ٣٤٨.

(٤) ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ٤/ ٣٤٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٢٢.

(٥) نص الحديث عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ:{ ثم يبعث كل عبد على ما مات عليه }، مسلم ،صحيح، ٤/ ٢٢٠٦، ابن حبان، ١٦/ ٣٠٤، أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٣٣١.

(٦) ينظر: مسلم، صحيح، ٤/ ٢١٨١، ابن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٣٨٤، أبو يعلى، مسند أبي يعلى، ٤/ ٤٥.

(٧) ينظر: ابن حبان، صحيح، ١/ ٢٤٣.

(٨) هم من الأصوليين والفقهاء والمحدّثين، ينظر: الزَّبيدي، تاج العروس، ١/ ١٣٠.

(٩) الصلاة في اللغة: الدّعاء، وسميَّت الصلاة الشرعية صلاة لاشتمالها عليه هذا هو الصحيح وبه قال الجمهور من أهل اللغة وغيرهم من أهل التحقيق: وقد بيَّنها النبي ﷺ بالفعل فتطلب المعنى الذي جعلت الصلاة لأجله هل هو التواضع والخشوع أو الأركان المعلومة، ينظر: النووي، المجموع، تحقيق: محمود مطرحي، ط١، دار الفكر بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ٢/ ٥٥٣، الجرجاني، التعريفات، ١/ ٢٦١.

(١٠) ينظر: ضمن النص المحقق، ورقة [١٠٩ظ].

أنكر قول البستي الحافظ ضياء الدين المقدسي[١] وقال: قد اشتهر قبره في الأرض المقدسة وهو قريب من أريحا ويقال: إن ذلك القبر الذي اشتهر أنه قبر موسى فإن عنده كثيب أحمر وطريق[٢]، فالقبة المذكورة اشتهر أمرها وصار ذلك الموضع علماً يقصده الزوّار والنّاس من العلماء والصّلحاء[٣]، وقد بنى القبّة المذكورة الملك الظاهر[٤] بعد سنة [/ ١٠٩ظ] ستين وستمئة[٥]، ونقل بعض الحفاظ عن الشيخ سالم التلّي[٦] قال: ما رأيت إجابة الدّعاء أسرع منها عند قبره هذا المذكور، ، قال العلائي[٧] وحدث الشيخ عبدالله ابن يونس المعروف بالأرموي[٨] إنه زار هذا القبر وإنه نام فرأى في منامه قبّة في هذا الموضع ورأى فيها شخصاً أسمر فسلم عليه وقال: أنت موسى أو قال نبي الله ؟ قال: نعم فقلت: قل لي شيئاً فأومأ إليَّ بأربع أصابع ووصف طولهنَّ، قال: فانتبهت فلم أدر ما قال فجئت[٩] إلى الشيخ ذيّال[١٠] فأخبرته بذلك فقال: يولد لك أربعة أولاد،

---

(١) هو ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي، صاحب التصانيف عالم بالحديث ورع تقي زاهد وعابد مجاهد في سبيل الله (ت٦٤٣هـ) ينظر: الفاسي أبو الطيب، ذيل التقييد، ١/ ١٧٠، ابن مفلح، المقصد الأرشد ،٢/ ٤٥٠ـ٤٥١، السيوطي، طبقات الحفاظ، ١ /٤٩٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٤٤٢.

(٣) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٧٥.

(٤) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل الذي تولى المملكة بعد قتل الملك المظفر سيف الدين قطز رحمه الله تعالى، وكان عالي الهمة شديد البأس (ت٦٧٥هـ) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ١٥٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٧٥.

(٥) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٧٥.

(٦) هو الشيخ الصالح أبو عبدالله محمد بن أحمد بن تمام بن حسان التلي الصالحي اشتهر بالصلاح، وكان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ويرتزق من عمل يده يعمل بالخياطة (ت٧٤١هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١/ ٨٨، ابن الخطيب، الوفيات، ١/ ٣٥٣.

(٧) هو الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي الدمشقي ثم المقدسي مدرس المدرسة الصلاحية وغيرها بالقدس له مؤلفات جمّة منها: تلقيح المفهوم، وتفصيل الإجمال وغيره (ت٧٦١هـ)، ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ١/ ٢٨، أبو الطيب الفاسي، ديل التقييد، ١/ ٢٣٧، الدمشقي، عبد القادر ابن محمد النعيمي (ت٩٧٨هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ١٦.

(٨) هو الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي الزاهد (ت٦٣٢هـ) ينظر: ابن الخطيب، الوفيات، ١/ ٢٢٧، الذهبي سير أعلام النبلاء، ٢٢/ ٣٦٧.

(٩) (فجاء) كذا في الأصل، وما أثبته يستقيم به المعنى.

(١٠) هو ذيال بن أبي المعالي بن راشد العراقي له كرامات (ت٦١٤هـ) قريباً من بيت المقدس وقبره يزار =

فقلت: قد تزوجت إمرأة لم أقربها، فقال: تكون غير هذه. قال: فتزوجت أخرى فولد لي أربعة أولاد، وهذه الرؤية كانت قبل بناء القبة المذكورة بأكثر من عشرين سنة[١].

وجمع الفزاري[٢] خبراً وذكر أن قبره بدمشق[٣]، وذكر أدِلَّة قال المؤرخون: لما قبض الله موسى عليه السلام كان عمره مئة وعشرين سنة[٤]، قال وهب بن منبِّه: إنه لما قبض هارون كان لموسى مئة وسبع عشرة سنة وعاش بعده ثلاث سنين[٥]، وقد أخبرنا جماعة عن الحافظ أبي سعيد خليل [/ ١١٠و] بن كيكلدي العلائي، عنه في موضع قبر موسى عليه السلام[٦]، فقال :

يا طالباً نهجَ النَّجاةِ مُؤمِّلاً ... دَرْكاً يُنالُ بِهِ الأمَانُ مُكَمِّلا
عَرِّجْ عَلَى سَفحِ الكَثِيبِ وَعِجْ بِهِ ... إنْ كنتَ تَبغي أنْ تكونَ مُحَصِّلا
واغْضُضْ هناكَ الطَّرْفَ مِنكَ تَخَشُّعاً ... والزمْ بِهِ الأدبَ الأتمَّ الأكْمَلا[٧]

=
ينظر: ابن مفلح، المقصد الأرشد، ١/ ٣٨٩.

(١) لم أقف عليه.

(٢) هو الشيخ تاج الدين الفزاري، كان فقيهاً ومؤرخاً، وولي قضاء بعلبك، (ت٧٢٣هـ) ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي (ت٨٥٢هـ) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط٢، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ١/ ٥٤٢.

(٣) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/ ١٩٤، والنعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد (ت٩٧٨ هـ) الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م، ٢/ ٢٧٨.

(٤) ينظر: الطبري، قصص الأنبياء، ص٣١٦، الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢١٥، القرطبي، الجامع،٦/ ١٣٣، ابن كثير، قصص الأنبياء ،ص٤٣٧.

(٥) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٥٠، والذي عليه الجمهور أن هارون عليه السلام توفي بالتيه قبل موسى أخيه عليه السلام بنحو من سنتين، ينظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٤٣.

(٦) سبق ذكره، ورقة [/ ١٠٩ظ].

(٧) لم أقف عليه.

الفصل الثاني

فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ

فائدة في تفسير القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ ﴾[1] أي بقولهم قتل أخاه هارون، فتكلّمت الملائكة بموته ولم يعرف موضع قبره إلا الرّخمة[2]، فلذلك جعله الله أصمّ أبكم، كذا رواه الحاكم في المستدرك في كتاب تواريخ الأنبياء[3].

اعلم أنّه يجب على كلّ مسلم تعظيمه وتكريمه ومحبته وذكره بالثناء الجميل وشكره بالوصف الجليل وتنزيهه من كلّ عيب وعصمته[4] من كل ما[5] يوجب الرّيب[6] فإنه عظيم على ربّه منحه من حبّه ووهبه الدنوّ إلى قربه ووصفه بصفات حميدة تفضّلاً منه وتكريماً فقال في حقّه: ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[7] أي عظيماً فقد استحق بذلك أجزل الشّرف وأكمل التّحف وأفخر الثّناء وأبهر السّناء وغير ذلك من صفات الكمال وكمال الخصال[8] إذ هو المبعوث بالحقّ والهدى ومزيح سبيل الغيّ والرّدى [/ ١١٠ظ]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٢) هو طائر أبقع على شكل النسر خِلقَةً إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له: الأنوق والجمع رَخم، وهو موصوف بالقَذَر لأنه يأكل العذِرَة، ومنه قولهم: رخِم السقاء، إذا أنتن. ينظر: الزمخشري، الفائق، ٢/ ٥١ أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي محمود محمد الطناحي، ط١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٢/ ٢١٢، ابن منظور، لسان العرب، ١٣/ ٢٧٨.

(٣) ينظر: الطبري، تفسير، ٢٢/ ٥٢، المحاملي، أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل الضبي (ت٣٣٠هـ) أمالي المحاملي، تحقيق: د.إبراهيم القيسي ،ط١، المكتبة الإسلامية، دار ابن القيم، عمان، الأردن، الدمام ١٤١٢/ ١٩٩٢م، ١/ ١٩٦، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٢/ ٦٣٣، القرطبي، الجامع، ١٤/ ٢٥١

(٤) (تنويهه) كذا في الأصل، وما أثبته لعله أنسب وموافق لما ذكره القاضي عياض، ٢/ ١٤٧.

(٥) (كلما) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح وموافق لما ذكره القاضي عياض، الشفا، ٢/ ١٤٧، والثعالبي تفسير، ٣/ ٣١٩.

(٦) ينظر: القاضي عياض، الشفا، ٢/ ١٤٧، والثعالبي، تفسير، ٣/ ٣١٩.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٨) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٤/ ٢٥٢.

بلَّـغ[1] الرِّسالة وكشف الضَّلالة وبيَّن الحقَّ من الجَّهالة وكان لا يأخذه في الحق لومة لائم ولا يتخوف سطوة حمار وظالم، ولذلك شرَّفه الله وعظّمه وأحبَّه وكرَّمه .

وهـذا الباب واسع جداً لا يحتاج إلى أن نطيل فيه من الكلام والمقصود منه ذكر كليمه بالإكـرام والإعظـام والاحـترام وغـير ذلك من الصِّفات الحميدة والمحاسن الفريدة. والله تعالى يوفقنا إلى اتِّباع محبَّته ومحبَّة نبيِّنا خير أمته .

(١) (أبلغ) كذا في الأصل، وما أثبته صحيح.

الفصل الثالث

في حكم الصلاة عليه وعلى غيره من الأنبياء

أمَّا الصلاة على النَّبي محمد ﷺ فقد أجمع العلماء اتِّباعاً لأمر الله عزوجل ثم اختلفوا فمنهم من قال: تجب في العمر مرَّة[1] ومنهم من قال: تجب في كلِّ صلاة وهو قول إمامنا الشافعي رضي الله عنه[2] ومنهم من قال: تجب كلَّما ذكر واختاره الحليمي واللخمي[3] والطحاوي[4] والشيخ تاج الدين ابن السبكي[5] ومنهم من قال: تجب في كلِّ مجلس، ومنهم من قال: تجب في كلِّ أوّل [١١١و] دعاءٍ وآخره[6].

وقد أنكر القاضي عياض في الشفاء قول الشافعي، قال: وشذ الشافعي في وجوب الصلاة على النبيِّ ﷺ في التّشهد الأخير، وقال: ولم يسبق له في هذا قول ولا سنَّة يتبعها[7] وما قاله مردود بل الدّلائل الصّحيحة موافقة لما قاله الشافعي. روى الحاكم في مستدركه، وابن حبَّان في صحيحه: أنّ أصحاب النبيِّ ﷺ قالوا: قد عرفنا كيف نسلِّم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: {قولوا اللهمّ صلِّ على محمد وآل محمد}[8] إلى آخره.

---

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٥٤٠، وابن دقيق العيد، تقي الدين أبي الفتح (ت٧٠٢هـ) شرح عمدة الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت)٢/ ٧٣.

(٢) ينظر: الشافعي، السنن المأثورة، تحقيق :د. عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، ١/ ١٧٢.

(٣) اللخمي، أبو الحسن علي بن الأنجب أبي المكارم المفضل بن أبي الحسن بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن اللخمي المقدسي الأصل الإسكندراني المولد والدار، المالكي المذهب، كان فقيهاً فاضلاً في الحديث وعلومه (ت٦١١هـ) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ،٣/ ٢٩٠/ ٢٩١.

(٤) ينظر: المرغياني، أبو الحسين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل (ت٥٩٣هـ) الهداية، شرح البداية، المكتب الإسلامي، بيروت، (بلا.ت) ١/ ٥٢، ابن مفلح الحنبلي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبدالله (ت ٨٨٤هـ) المبدع، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١/ ٤٦٧، المرداوي، أبو الحسن علي بن سليمان (ت٨٨٥هـ) الإنصاف للمرداوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت).

(٥) ينظر: السبكي، أبو نصر، طبقات الشافعية الكبرى، ١/ ١٨١.

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٤/ ٢٣٣، الأسنوي، أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن (ت٧٧٢هـ) التمهيد، تحقيق: د.محمد حسن هيتو، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١/ ٢٨٦.

(٧) ينظر: القاضي عياض، الشفا، ٢/ ٦٢.

(٨) ينظر: الدرامي، عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد (ت٢٥٥هـ) سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، =

وفي رواية كيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا ؟ قال :{قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد} إلى آخره[١] فهذا الحديث يقتضي وجوب الصلاة على النبيِّ ﷺ في الصلاة. قال الشافعي: وقد قال تعالى: ﴿ صَلُّواْ عَلَيْهِ ﴾[٢] وأولى أحوال ذلك هو الصلاة[٣]، فظهر بما قلناه ضعف ما قاله القاضي عياض.

وأمَّا الصلاة على غير النبيِّ (صلى الله عليه وعليهم من الأنبياء)، فقال القاضي عياض: (عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي ﷺ[٤] وعليهم أجمعين. وروى ابن [/ ١١١ظ] عباس (أنه لا تجوز الصلاة على غير النبيِّ ﷺ[٥] وروى عنه أيضاً (لا ينبغي الصلاة على أحد إلاَّ النبيين، وقال سفيان: يكره أن يصلِّي إلاَّ على نبيٍّ)[٦] قال القاضي عياض: ووجدت [بخط][٧] بعض شيوخ مذهب مالك إنه لا يجوز أن نصلي على أحد من الأنبياء سوى محمد ﷺ قال: وهذا غير معروف من مذهبه[٨].

وقال مالك في المبسوط، ليحيى بن إسحاق[٩]: أكره الصلاة على غير الأنبياء، وما ينبغي لنا أن نتعدَّ ما أُمرنا به[١٠]، قال يحيى بن يحي[١١]: لست آخذ بقوله ولا بأس

=

خالد السبع العلمي، ط١، دار الكتاب العربي ،بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١/ ٣٥٦، النسائي، السنن الكبرى ١/ ٣٨٢، ابن حبان، صحيح، ٣/ ١٩٣، الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ١/ ٤٠١.

(١) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢٤، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ) الإقناع للشربيني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م،١/ ١٣٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٣) قال الشافعي رحمه الله تعالى: (فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة) الشافعي، الأم ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ١/ ١١٧، وينظر: النووي، المجموع، ٣/ ٤٣٢.

(٤) القاضي عياض، الشفا، ٢/ ٨٠.

(٥) (م.ن) ٢/ ٨٠.

(٦) الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ٢/ ٢١٦، القاضي عياض، الشفا، ٢/ ٨٠.

(٧) لمقتضى السياق وموافق لما جاء به القاضي عياض، الشفا، ٢/ ٨٠.

(٨) ينظر: القاضي عياض، الشفا، ٢/ ٨١، وابن حجر، فتح الباري، ١١/ ١٧٠.

(٩) هو يحي بن إسحاق السلحيني يكنىً أبا زكريا وثّقه أحمد ويحيى وابن سعد، وقالوا: كان حافظاً لحديثه (ت٢١٠هـ) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ،٧/ ٣٤٠، ابن حبَّان، الثقات، ٩/ ٢٦٠، أبو الفضل الهروي عبيد الله بن عبدالله بن أحمد (ت٤٠٥هـ) مشتبه أسامي المحدثين، تحقيق: نظر محمد الفاريابي ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ١/ ٢٦٠.

(١٠) القاضي عياض، الشفا، ٢/ ٨١، وابن حجر، فتح الباري، ١١/ ١٧٠، ولم أقف عليه في المبسوط.

(١١) هو يحي بن يحي بن بكير بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري، قرأ على مالك الموطأ ولازمه مدة للإقتداء به وهو معدود من الفقهاء (ت٢٢٦هـ) ينظر: مسلم، الكنى والأسماء، ١/ ٣٣٦ ،الرازي، التميمي، الجرح والتعديل، ٩/ ١٩٧، المزي، تهذيب الكمال، ٣٢/ ٣٦.

بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم[١]. قال النووي في الأذكار في باب الصلاة على الأنبياء، وعلى آلهم تبعاً: أجمعوا على الصلاة على نبيِّنا ﷺ وكذلك أجمعوا على جوازها واستحبابها على سائر الأنبياء والملائكة إستقلالاً[٢]. قال الشيخ جمال الدين الأسنوي[٣]، قال الرافعي[٤] والنووي في باب الزكاة إفراد ما عدا الأنبياء والملائكة بالصلاة والسلام مكروه[٥]. قال: وكلام الرافعي في أوائل التذنيب يقتضي استحبابها على الآل والأصحاب[٦] قلت وروى إسحاق بن راهويه[٧] [/ ١١٢ و] في مسنده باسناد فيه رجل مجهول عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ {صلوا على أنبياء الله فإن الله بعثهم كما بعثني}[٨] فهذا الحديث الشريف يدلُّ على استحباب الصلاة على جميع الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) وروينا بسندنا إلى[٩] أبي داود صاحب السنن قال: حدثنا

---

(١) القاضي عياض، الشفا، ٢/ ٨١. وابن حجر، فتح الباري، ١١/ ١٧٠.

(٢) ينظر: النووي، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص١٠٨.

(٣) هو جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي، صنَّف تصانيف منها بشرح المنهاج للبيضاوي، والمنهاج للنووي ولم يتمه، والتنقيح لمشكلات التصحيح للنووي، والمسائل الحموية، والمهمات وغير ذلك، توفي بالقاهرة وكانت جنازته مشهودة وتأسف الناس لفقده (ت٧٧٢هـ) ينظر: ابن الخطيب، الوفيات / ٢/ ٢٧٠ـ٢٧٢، حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٤٨٤.

(٤) هو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني، صاحب شرح الوجيز، وكان له مجلس للتفسير وتسميع للحديث بجامع قزوين، قال عنه الإمام النووي هو من الصالحين المتمكنين كانت له كرامات كثيرة ظاهرة (ت٦٢٣هـ) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٢/ ٢٥٢ـ٢٥٤، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٨١، ابن قاض شهبة، طبقات الشافعية، ٢/ ٧٥.

(٥) كراهة تنزيهية، ينظر: النووي، الأذكار، ص١٧٠.

(٦) إذا كانوا تبعاً لهم في الصلاة، فيقال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وأصحابه، وأزواجه وذريته، وأتباعه، للأحاديث الصحيحة في ذلك، وقد أمرنا به في التشهد، ينظر: (م.ن) ص١٠٩.

(٧) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه أبو يعقوب الحنظلي المروزي سكن نيسابور، روى البخاري عنه، وقال أبو حاتم الرازي: إسحاق بن راهويه إمام من أئمة المسلمين (ت٢٣٨هـ) ينظر: الباجي، سليمان ابن خلف بن سعد أبو الوليد (ت٤٧٤هـ)، التعديل والتجريح، تحقيق: د أبو لبابة حسين، ط١، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ١/ ٣٧٢، المزي، تهذيب الكمال، ٢/ ٣٧٨.

(٨) عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني } ينظر: القاضي المالكي، إسماعيل بن إسحاق الجهضمي (ت٢٨٢هـ) فضل الصلاة على النبي ﷺ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ١/ ٤٨، البيهقي، شعب الإيمان، ١/ ١٤٩.

(٩) وردت في الأصل مكررة.

نعيم[١] عن موسى بن عبيدة[٢] عن محمد بن ثابت[٣] عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: {إذا صليتم عليَّ فصلُّوا على أنبياء الله ورسله فإنهم بعثوا كما بعثت}[٤] قال القاضي عياض في الشفاء، وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين لا يصلّي على غير الأنبياء عند ذكرهم، بل هو شيء يختص به الأنبياء عند ذكرهم توقيراً لهم وتعزيزاً كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي ﷺ وسائر الأنبياء (عليهم السلام) بالصلاة والتسليم ولا يشاركه فيه سواهم[٥]. قلت: وقد نطق القرآن العظيم بالسلام على نبي الله موسى الكليم بقول ربِّ العالمين ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٢١ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٦].

قال المفسرون: المعنى يسلمون عليهما تسليما [/ ١١٢ظ] ويدعون لهما فيكون الكلام حكي به على الحكاية[٧]، كقوله تعالى ﴿ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا ﴾[٨] وهذا القول: مذهب أبي العباس المبرد[٩]. والقول الآخر ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﴾[١٠] (أي سلامة له من أن يذكر بسوء)[١١].

(١) هو أبو عبدالله نعيم بن حماد المروزي الخزاعي (ت٢٢٩هـ) ينظر: مسلم، الكنى والأسماء، ١/ ٥٠٥، ابن حبان، الثقات، ٩/ ٢١٩، الجرجاني، عبدالله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ٧/ ١٦.

(٢) هو أبو عبد العزيز موسى بن عبيدة الربزي، قال عنه يحي بن معين: لا يحتج بحديثه (ت١٥٣هـ) ينظر: الرازي التميمي، الجرح والتعديل، ٨/ ١٥١، الجرجاني، عبدالله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ٦ / ٣٣٣ الربعي، مولد العلماء ووفياتهم، ١/ ٣٥٧.

(٣) هو أبو النضر، محمد بن ثابت بن عمرو بن أخطب الأنصاري، قاضي مرو (ت١٤٧هـ) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير ١/ ٥٠، الرازي التميمي، الجرح والتعديل، ٧/ ٢١٦.

(٤) ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ١١/ ١٦٩، والصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت٨٥٢هـ) سبل السلام، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ٤/ ٢١٥.

(٥) ينظر: القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ٨٢.

(٦) سورة الصافات، الآية: ١٢٠ـ١٢٢.

(٧) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٥/ ٩٠، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٤٠٠.

(٨) سورة النور، الآية: ١.

(٩) ينظر: القرطبي، الجامع، ١٥/ ٩٠.

(١٠) سورة الصافات، الآية: ١٢٠.

(١١) القرطبي، الجامع، ١٥/ ٩٠، الشوكاني، فتح القدير، ٤/ ٤٠٠.

الفصل الرابع

في زيارة قبره وقبور الأنبياء (عليهم السلام)

أمَّا زيارة القبور مطلقاً للرجال فإنها سنَّة[1] ويتأكد قبور الأنبياء والعلماء والصلحاء[2]، وكانت الزيارة منهيًّا عنها ثم نسخت بقوله ﷺ{ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها }[3] والمختار أن النساء لا يدخلن ضمن الرجال[4]. وكان النبيّ ﷺ يخرج إلى البقيع فيقول: {السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا بكم إن شاء الله لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد }[5] وأمَّا النساء فإنَّه يكره في حقهنَّ لأنه ﷺ مرَّ بإمرأة على قبر تبكي على صبيٍّ لها فقال لها: {إتقي الله واصبري}[6] متفق[عليه][7] فلو كانت الزيارة حراماً في حقهنَّ نهى عنها. وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قلت كيف أقول يا رسول الله ؟ يعني إذا زارت القبور قال: {قولي السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين منَّا والمستأخرين وإنا إن شاء الله [/ ١١٣و] بكم لاحقون}[8]. وقيل: تحرم الزيارة في حق النسوة لما روى ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة إنَّ النبيَّ ﷺ {لعن زوَّارات القبور}[9] وقيل: يباح في حقهنَّ جزم به في

---

(١) ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٦ـ٤٧، أبو النجا ،موسى بن أحمد بن سالم المقدسي الحنبلي ،(ت٦٩٠هـ) زاد المستقنع، تحقيق: علي محمد عبد العزيز الهندي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، (بلا.ت) ١/ ٦٩.

(٢) ينظر: السيوطي، شرح سنن ابن ماجة ،١/ ١٠٢.

(٣) ينظر: مسلم، صحيح، ٣/ ١٥٦٣، وابن الجارود، عبدالله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري (ت ٣٠٧هـ) المنتقى لأبن الجارود، تحقيق: عبدالله عمر البارودي ،ط١، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ٢١٩، ابن حبان، صحيح، ٣/ ٢٦١.

(٤) لقوله ﷺ: { لعن الله زوَّرات القبور } ينظر: أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٣٣٧، وابن ماجة، سنن ابن ماجة، ١/ ٥٠٢، قال الترمذي: هذا حديث صحيح وقد رأى بعض أهل العلم إن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء، وقال بعضهم إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهنّ، الترمذي، سنن الترمذي، ٣/ ٣٧١.

(٥) ينظر: مسلم، صحيح، ٢/ ٦٦٩، النسائي، السنن الكبرى، ١/ ٦٥٦، ابن حبان، صحيح، ٧/ ٤٤٤.

(٦) ينظر: البخاري، صحيح، ١/ ٤٢٢، مسلم، صحيح، ٢/ ٦٣٧.

(٧) لمقتضى السياق.

(٨) مسلم، صحيح، ٢/ ٦٧٠، النووي، الأذكار، ص ١٥٢.

(٩) ينظر: ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ١/ ٥٠٢، الترمذي، سنن الترمذي، ٣/ ٣٧١.

الإحياء[١] وصححه الرافعي إذا أمن الافتتان[٢]، وهذا كلّه محلّه في غير قبر سيد المرسلين فزيارته من أعظم القربات للرجال والنساء[٣]، ويلحق بذلك قبور الأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء[٤] والمستحب في حق الزائر أن يسلّم ويقول: وعليكم السلام ولا يقول السلام عليكم لأنهم ليسو من أهل الخطاب، ويقرأ ويدعو الرجاء الإجابة[٥].

(١) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤/ ٤٩٠.

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع، ٢٠ / ١٧٠، ومما يؤيد الجواز إنه ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها ثم القبر وتقريره حجة، ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ٣/ ١٤٨.

(٣) عن نافع عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: { من زار قبري وجبت له شفاعتي } ينظر: الدار قطني، سنن الدار قطني، تحقيق: السيد عبدالله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦ م، ٢/ ٢٧٨، البيهقي، شعب الإيمان، ٣/ ٤٩٠.

(٤) ينظر: ابن تيمية، كتب ورسائل ابن تيمية في الفقه، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النّجدي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية، (بلا.ت) ٢٧/ ١٢٠.

(٥) في الجاهلية كان قولهم: عليك السلام لكن معظم الأحاديث الواردة في السلام سواء كان على الأموات والأحياء في تقديم السلام على عليكم والدعاء لهم والتّرحّم عليهم، ينظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤١.

الباب الحادي عشر

وهو ختامها

في وجوه الأحكام فيمن نقّصه أو سبَّه أو عابه من الأنام

وفيه فصل: فيما يستحيل في حقِّه قد قدَّمنا إنه يجب توقيره وتعظيمه:

فمن سبَّه أو عابه أو ألحق به نقصاً أو إزراءً أو عيرَّه بشيء ممَّا جرى له من البلاء والمحنة وقتل القبطي فقد أعظم الفرية[1]، ومن قال: إنَّ الله لم يكلّم موسى قال ابن القاسم[2] يقتل[3]، ومن سبَّه فحكمه حكم من سبَّ محمداً[4]، قال مالك: من شتم الأنبياء أو أحداً منهم أو تنقَّصهم قتِل ولم يستتب[5]. قال الشافعي: من كذَّب بأحد من الأنبياء أو [/ ١١٣ظ] تنقَّص أحداً منهم فهو مرتد إن لم يتب وإلا قتل[6]. وقد وعدنا أن نذكر فصلاً فيما يستحيل في حقِّه، وما يجوز عليه وما يمتنع إضافته إليه. قال القاضي عياض رحمه الله: الأنبياء والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلّغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرّفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقهِ وجلاله وجبروته وسلطانه[7]، فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متّصفة بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء[8] ونعوت الإنسانية وأرواحهم

---

(١) ينظر: القاضي عياض، ٢/ ٢١٤.

(٢) أبو محمد بن القاسم بن محمد بن حميد العمري البغدادي، وثقه قتيبة بن سعيد، ووهاه يحيى بن معين (ت ٢٢٨هـ) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ٧/ ١٥٨، مسلم، الكنى والأسماء، ١/ ٧٣٨، ابن حبان، الثقات ٩/ ١٥، المزي، تهذيب الكمال، ٢٣/ ٤٣٧.

(٣) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ٣/ ١٥٨، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢/ ٤٢٥، القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ٢٧٣.

(٤) عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :{ من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحابي جلد}، الطبراني، المعجم الأوسط، ٥/ ٣٦، وينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ٦/ ٢٦٠، والسيوطي، الجامع الصغير، ٢/ ٦٠٨.

(٥) ينظر: ابن عبد البر، الكافي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١/ ٥٨٥، القاضي عياض، الشفا، ٢/ ٢١٤، النووي، المجموع، ١٩/ ٤٢٦.

(٦) ينظر: القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ٣٠٣، العبدري، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن أبي القاسم (ت ٨٩٧هـ) التاج والإكليل ،ط٢، دار الفكر ،بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ٦/ ٢٨٥.

(٧) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ فصلت، الآية: ٥، وقد خص الله تعالى الأنبياء والرسل واصطفاهم من خلقه من البشر وأرسلوا للبشر لكي يتحمل البشر مقاومتهم والقبول عنهم ولو كان الرسول ملكاً لما أطاق الناس مخاطبته ورؤيته.

(٨) محمد ﷺ وسائر الأنبياء من البشر، يطرأ عليهم ما يطرأ على البشر من الأعراض، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا =

وبواطنهم متّصفة بأعلا من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبِّهة بأوصاف الملائكة سليمة من التغيير والآفات لا يلحقها غالباً عجز البشريَّة ولا ضعف الإنسانيَّة[١]، إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشريَّة كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة، ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخاللتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر[٢] ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متّسمة بنعوت الملائكة بخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ما جاؤوا به[٣]، نعلم من هذا الكلام إنَّ جنابَهم الشريف يجلّ عن النقص والعيب، فموسى الكليم لبمحل وافر، عال، عاطر، وقد حوى تدارس آيات ومشاهد فضل وخيرات ومعاهد براهين ومعجزات عليّه من الله تعالى أفضل الصلوات وأزكى التحيَّات. وهذا ما تيسر إيراده في أوقات قصيرة انتخبناه من فوائد عديدة وفرائد غزيرة مما صح نقله أو حسن من الأخبار الشهيرة. والله تعالى يوفقنا للقول والعمل ويصلحنا من الخطأ والخطل ويعصمنا من الإثم والزّلل والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على أشرف خلقه محمد أكرم من اصطفاه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه ومن والاه وصلّ اللهم وسلم على كافّة المرسلين ورضي الله عن العلماء العاملين والكل وسائر الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وافق الفراغ بسحر يوم الثلاثاء تاسع شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة اثنتين وتسعمئة [/ ١١٤ظ] .

= مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ آل عمران، الآية: ١٤٤ وقوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ المائدة، الآية: ٧٥.

(١) إذا أجساد الأنبياء وظواهرهم متّصفة بصفة البشر، إلاّ أن أرواحهم وبواطنهم متصفة بصفة الملائكة، ودليل ذلك حديث رسول الله ﷺ حيث نهى عن الوصال في الصوم رحمة لهم فقالوا إنك تواصل، قال: { إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقين }، البخاري، صحيح، ٢/ ٦٩٣. وحيث أن الله تعالى فرّق بين نبيه ﷺ وبين أمته في النوم من أن عينيه إذا نامتا لم يكن قلبه ينَام، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: { ثم تنام عيناي ولا ينام قلبي }، ينظر: أبو داود، سنن أبو داود، ١/ ٥٢، الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٥١٨، ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ١/ ٢٩.

(٢) ثم أن محمداً ﷺ { رأى جبريل له ستمئة جناح، ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق } ينظر: البخاري، صحيح، ٤/ ١٨٤١، مسلم، صحيح، ١/ ١٥٨. ويتبين لنا إنه لا يمكن لبشر عادي أن يتحمل ذلك المشهد والله أعلم، إلا إذا كان بنوع آخر لأن الوحي على أنواع يمكن أن يكون على صورته الحقيقية ويمكن أن يكون بصورة رجل، والحديث الذي رواه مسلم في صحيحه متواتر عندما جاء لرسول الله ﷺ والصحابة من حوله ﷺ وسأله عن أركان الإسلام، وأركان الإيمان، ينظر: مسلم، صحيح، ١/ ٣٧، ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١/ ٣٩٠.

(٣) ينظر: القاضي عياض، الشفاء، ٢/ ٩٥، المجلسي، بحار الأنوار، ٦٤/ ٢٥١.

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

ابن الأثير محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠ هـ).

* الكامل في التاريخ، تحقيق : أبو الفداء عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

* النهاية في غريب الحديث، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي ط ٤، مؤسسة إسماعيليان، قم ، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م.

أحمد شلبي .

* موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

أحمد أبو عبد الله ابن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ).

* الأسامي والكنى لابن حنبل، تحقيق : عبد الله بن يوسف الجديع، ط١، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

* الرد على الزنادقة، والجهمية، تحقيق : محمد حسن راشد، المطبعة السلفية القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

* فضائل الصحابة ،تحقيق: وصي الله محمد عباس، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

* كتاب بحر الدم، تحقيق : د. أبو أسامة وصي الله بن محمد بن عباس، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

* مسائل الإمام أحمد، تحقيق : د. فضل الرحمن دين محمد، ط١، الدار العلمية دلهي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

* مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (بلات) .

الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (ت بعد ٢٠٧هـ).

* معاني القرآن، تحقيق : د. عبد الأمير محمد أمين الورد، ط١، عالم الكتب بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

الأدنروي، أحمد بن محمد (لم تذكر وفاته) .

* طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط ١، مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

الأزدي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى (ت٤١٢هـ).
* طبقات الصوفية، تحقيق : عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
ابن إسحاق، محمد بن يسار (ت ١٥١هـ).
* سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث، تحقيق: محمد حميد الله، مهد الدراسات والأبحاث للتعريب، (بلا.ت).
إسماعيل باشا محمد أمين البغدادي (ت ١٣٣٩هـ).
* إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
الإسنوي، أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ).
* التمهيد، تحقيق : د. محمد حسن هيتو، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ).
* مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق : هلموت ريتر، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بلا.ت).
الأصفهاني، إسماعيل بن محمد الفضل التميمي (ت ٥٣٥هـ).
* دلائل النبوة، تحقيق : محمد محمد الحداد، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
الأصفهاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت ٣٦٩ هـ).
* العظمة، تحقيق : رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ)
* حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
* المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، تحقيق : محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
الألوسي، أبو الفضل كامل محمود (ت ١٢٧٠هـ).
* روح المعاني في تفسير القران العظيم، والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت).
امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٨٠ق.م).
* ديوان امرئ القيس، صنفه السندوسي، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٣٥٠هـ / ١٩٣٠م.

الباجي، أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي (ت ١١٧ هـ).
* التعديل والتجريح، تحقيق : د. أبو لبابة حسين، ط ١، دار اللواء للنشر، الرياض، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ)
* الأدب المفرد، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
* التاريخ الصغير، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الوعي، مكتبة دار التراث، حلب، القاهرة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
* التاريخ الكبير، المكتبة الإسلامية، (بلات).
* خلق أفعال الله، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، السعودية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
* صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثيرة، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

البرديجي، أبو بكر أحمد بن هارون (ت ٣٠١هـ).
* الأسماء المفردة، تحقيق : عبده علي كوشك، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق (ت ٢٩٢هـ).
* مسند البزار، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللوائي (ت ؟ هـ).
* تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: د. علي المنتصر الكناني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

البغدادي، أبو بكر محمد بن عبد الغني (ت ٦٢٩هـ).
* التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق : يوسف كمال الحوت، ط١، دار النشر العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٦هـ).
* معالم التنزيل، تفسير البغوي، تحقيق : خالد العك، مروان سوار، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ)
* نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٩م.

البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ).
* معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

البناء، أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي (ت ١١٧هـ).
* إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الندوة، بيروت، (بلا.ت).
البيضاوي أبو سعيد القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٧٩١ هـ).
* تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، تحقيق : عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ).
* الاعتقاد، تحقيق : أحمد عصام الكاتب، ط ١، دار الأوقاف الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
* سنن البيهقي الكبرى، تحقق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
* السنن الصغرى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط١، مكتبة الدار المدينة المنورة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
* كتاب الزهد الكبير، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، ط ٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
* كتاب فضائل الأوقات، تحقيق: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي، ط١، مكتبة المنار، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

الترمذي، محمد بن عيسى السلمي، (ت ٢٧٩هـ).
* سنن الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا. ت).

ابن تغري بردي، أبي المحاسن جمال الدين يوسف (ت٨٧٤هـ).
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، (بلا. ت).

التميمي، أبو بكر بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤ هـ).
* كتاب السبعة في القراءات، تحقيق : د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
التنوخي، القاضي أبو علي الحسن بن أبي القاسم (ت ٣٨٤هـ).
* الفرج بعد الشدة، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م.
ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت ٧٢٨هـ).
* دقائق التفسير، الجامع في التفسير، ابن تيمية، تحقيق : د. محمد السيد الجليند، ط٢، مؤسسة علوم القران، دمشق ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
* كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، (بلا. ت).
* كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية، (بلا. ت).
* كتب ورسائل ابن تيمية في الفقه، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية (بلا.ت).
* منهاج السنة النبوية، تحقيق : د. محمد شاكر سالم، ط١، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
* النبوات، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ / ١٣٦٦م.
الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوق (ت ٨٧٥هـ).
* جواهر الحسان في تفسير القران، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (بلا.ت).
الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٤٧٢هـ).
* قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، المكتبة الشرقية (بلا. ت).
الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق (ت ١٦١هـ).
* تفسير سفيان الثوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
ابن الجارود، أبو محمد عبد الله بن علي النيسابوري (ت ٣٠٧هـ).
* المنتقى لابن الجارود، تحقيق : عبد الله عمر البارودي، ط١، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (لم تذكر وفاته).
* تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، (بلا .ت).
الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد (ت ٣٦٥هـ).
* الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦هـ).
* التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
الجرجاني، أبو القاسم حمزة بن يونس (ت ٣٤٥هـ).
* تاريخ جرجان، تحقيق، د. عبد المعيد خان، ط٣، عالم الكتب، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
الجزائري، نعمة الله (ت ١١١٢هـ).
* النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين (بلا. ت).
الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ).
* النهاية في غريب الأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
ابن الجعد، أبو الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت٢٣٠هـ).
* مسند ابن الجعد، تحقيق : عامر أحمد حيدر، ط١، مؤسسة نادر، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت ٣٩٢ هـ).
* الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت (بلا. ت).
الجهضمي، القاضي المالكي إسماعيل بن إسحاق (ت ٢٨٢هـ).
* فضل الصلاة على النبي ﷺ تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ).
* زاد المسير في علم التفسير، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
* صفوة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، محمد رواس قلعجي، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
* الضعفاء والمتروكين.
* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ).
* الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ).
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت).

الحارث بن أبي سلمة (ت ٢٨٢هـ).
* مسند الحارث، تحقيق: د. حسين أحمد صالح البكري، ط١، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ).
* المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
* تسمية من أخرجهم البخاري، ومسلم، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، مؤسسة الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ).
* تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار، تحقيق : بوران الضناوي، مركز الخدمات، والأبحاث الثقافية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
* الثقات، تحقيق : شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
* صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
* المجروحين، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، (بلا. ت).
* مشاهير علماء الأمصار، تحقيق : فلا يشهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
* الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق : علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
* تغليق التعليق، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القرقي، ط١، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
* تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
* تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
* الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط٢، دائرة المعارف العثمانية.
* فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، محيي الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
* لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

* نـزهة الألـباب في الألقـاب، تحقـيق : عـبد العزيز بن محمد بن صالح السديدي، ط١، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٦م.

الحسيني، أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الدمشقي (ت ٧٦٥هـ).

* ذيـل تذكـرة الحـافظ، تحقـيق: حسـام الـدين القدسـي، دار الكـتب العلمـية، بـيروت (بلا.ت).

الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي الخراساني (ت ٣٢٠هـ).

* نـوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

الحلبي، علي برهان الدين (ت ٩٧٥هـ).

* السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير (ت ٢١٩هـ).

* مسند الحميدي ،تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، القاهرة، (بلا. ت).

الحنبلي، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي (ت ٧٠٩هـ).

* المطلع، تحقيق : محمد بشير الإدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ابن خالوية، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ).

* الحجـة في القـراءات السـبع، تحقـيق : د. عـبد العـال سـالم مكرم، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع، عني بنشره برجشتراسر، دار الهجرة (بلا.ت).

ابن خزيمة، أبو بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ).

* صـحيح ابـن خزيمة، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

ابن الخطيب، أحمد بن حسن بن علي (ت ٨٠٩هـ).

* الوفـيات للقسنطي، تحقيق : عادل نويهض، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.

الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ).

* تـاريخ بغـداد، أو مدينـة السـلام، تحقـيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد (ت ٣١١هـ).

* السـنة للخـلال، تحقـيق: د. عطـية الزهرانـي، ط١، دار الـراية، الرياض، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

ابن خلكان، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ).
* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (بلا.ت).
ابن خياط، خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠هـ).
* الطبقات، تحقيق : أكرم ضياء العمري، ط١، مطبعة العاني، بغداد،١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
خيثمة بن سليمان حيدرة (ت ٣٤٣هـ).
* من حديث خيثمة بن سليمان، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد (ت ٣٨٥هـ).
* ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم، تحقيق: بوران الطناوي، وكمال يوسف الحوت، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (بلا. ت).
* سنن الدارقطني، تحقيق: عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ).
* سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ).
* سنن أبي داود، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (بلا. ت).
الداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ).
* طبقات المفسرين، تحقيق : علي محمد عمر، ط١، مركز تحقيق التراث بدار الكتب، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
ابن دقيق العيد، أبو الفتح تقي الدين (ت٧٠٢هـ).
* شرح عمدة الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا. ت).
الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).
* تاريخ الإسلام، المغازي، تحقيق: د. عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
* سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
* السيرة النبوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨م.

* معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط١، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
* المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز مراد، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
الرازي، التيميمي عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ).
* الجرح والتعديل، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
الرازي، فخر الدين محمد بن العلامة ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤هـ).
* تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١هـ).
* مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاصر، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
الرافعي، عبد الكريم بن محمد القزويني (ت ٥٨٠هـ).
* التدوين في أخبار قزوين، تحقيق : عزيز الله العطاردي ،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي (ت ٢٣٨هـ).
* مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ط١، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
الربعي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر(ت ٣٩٧هـ).
* مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق : د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
الزبيدي، أبو بكر الإشبيلي (ت ٣٧٩هـ).
* مختصر العين، تحقيق: د. صلاح مهدي الفرطوسي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٥٠هـ).
* تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، (بلا.ت).
الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ).
* معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (توفي في أواخر القرن الرابع الهجري) .
* حجة القرارات ،ط٤، تحقيق: سعيد الأفغاني، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
الزرعي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب (ت ٧٥١هـ)
* الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ).
* شرح الزرقاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ).
* البرهان في علوم القران، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
الزركلي، خير الدين (ت ١٤١٠هـ)
* الأعلام، قاموس تراجم، ط ٥، الناشر: دار العلم للملايين، (بلا.ت).
الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ).
* الفائق في غريب الحديث، تحقيق : علي محمد البجاوي، محمد أبوالفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، لبنان، (بلا. ت).
* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
ابن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٥٦هـ)
* الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) تأليف: شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، وولده تاج الدين، كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء وبإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
السبكي، أبو النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ).
* طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، د. محمود الصناجي، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ولإعلان، الجيزة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢هـ.
السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ).
* التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٤م.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ).
* الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت (بلا.ت).
أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ).
* إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، دار احياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت).
سعيد بن منصور (ت ٢٢٧هـ).
* سنن سعيد بن منصور، تحقيق: د. سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ط١، دار العصيمي، الرياض، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت٥٦٢هـ). * الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله البارودي، ط١، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ) .
* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق : د. أحمد محمد الخراط، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
السندي، أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي (ت ١١٣٨هـ).
* حاشية السندي، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
السهمي، حمزة بن يوسف (ت ٤٧٢هـ).
* تاريخ جرجان، ط٤، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (ت ٥٨١هـ).
* الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مجدي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ).
* تفسير الجلالين، ط١، دار الحديث، القاهرة، (بلا.ت).
* الجامع الصغير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
* حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق : محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
* الدر المنثور ،دار الفكر، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
* الديباج، تحقيق: أبو إسحاق الجويني الأثري، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
* شرح سنن ابن ماجة، دار النشر، قديمي، كتب خانة، كراتشي، (بلا.ت).

* شرح سنن النسائي، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات، حلب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
* طبقات الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
* نظم العقبان في أعيان الأعيان، المكتبة العلمية، بيروت، (بلا.ت).
الشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب (ت ٣٣٥هـ).
* مسند الشاشي، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ).
* السنن المأثورة، تحقيق : د. عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.
الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت ٩٤٢هـ).
* سبل الهدى في سيرة خير العباد، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان (ت ٣٨٥هـ).
* ناسخ الحديث ومنسوخه، تحقيق : سمير بن أمين الزهري، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
أبو شجاع، شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني(ت٥٠٩هـ).
* الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
الشربيني، محمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ).
* الإقناع، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ،دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ).
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، (بلا.ت).
* فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الناشر عالم الكتب، (بلا.ت).
ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ).
* مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق : كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الشيخ الصدوق ابن بابويه (ت ٣١٨هـ).
* فضائل الأشهر الثلاثة، تحقيق : ميرزا غلام رضا، ط٢، دار المحبة البيضاء، دار الرسول الأكرم ﷺ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ).
* الاختصاص، تحقيق : علي أكبر الغفاري، الناشر، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية (بلا.ت).
الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ).
* طبقات الفقهاء، تحقيق : خليل الميس، دار القلم، بيروت، (بلا.ت).
الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (ت ٢١١هـ).
* مصنف عبد الرزاق، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
الصنعاني، محمد بن إسماعيل الكحلاني المعروف بالأمير (ت ١١٨٢هـ)
* سبل السلام، شرح بلوغ المرام، من جمع أدلة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.
الصيداوي، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جميع (ت ٤٠٢هـ).
* معجم الشيوخ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
الضحاك، عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ).
* السنة لابن أبي عاصم، تحقيق : الألباني محمد ناصر الدين، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ)
* الأحاديث الطوال، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
* المعجم الأوسط، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج امرير، ط١، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
* المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
* تاريخ الأمم والملوك، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار سويدان، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
* جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة (ت ٣٢١هـ).
* شرح معاني الآثار، تحقيق، محمد زهري النجار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
الطريحي، الشيخ فخر الدين (ت ١٠٨٥هـ).
* مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط٢، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
الطوسي، أبو جعفر شيخ الطائفة الإمام محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).
* الخلاف، تحقيق : أسيد علي الخراساني، جواد شهرستاني، وآخرون، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
الطيالسي، ابو داود سليمان بن داود الفارسي البصري (ت ٢٠٤هـ).
* مسند الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، (بلا.ت).
أبو الطيب، محمد أشرف العظيم آبادي (ت بعد ١٣١٠هـ).
* عون المعبود على سنن أبي داود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
ابن عاشور، محمد طاهر (لم تذكر وفاته).
* تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر (بلا.ت).
ابن أبي عاصم (لم تذكر وفاته).
* كتاب الزهد لابن أبي عاصم، تحقيق : عبد العليّ عبد الحميد حامد، ط٢، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
عبد بن حميد، ابو محمد بن نصر الكسي (ت ٢٤٩هـ).
* المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ط١، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ).
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، (بلا.ت).

عبد الكريم زيدان.
* المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (بلا.ت).
عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٩٠هـ).
* السنة لعبد الله بن أحمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
العبسي، أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٩٧هـ).
* العرش وما روي فيه، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، ط١، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
أبو عبيد البكري (لم تذكر وفاته).
* فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د. إحسان عباس، د. عبد المجيد عابدين، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
عدنان محمد سلمان .
* السيوطي النحوي، ط١، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ الدمشقي، (ت ٥٧١هـ).
* الأربعين البلدانية عن أربعين من أربعين الأربعين في أربعين. تحقيق : مركز جمعة الماجد، قسم التحقيق، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
* تاريخ دمشق، (بلا. ت).
ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤١هـ).
* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، عبد الباسط إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
العقيلي، ابو جعفر محمد بن عمر (ت ٣٢٢هـ).
* ضعفاء العقيلي، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ).
* التبيان في إعراب القرآن، تحقيق : علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، (بلا.ت).
علوي، بن محمد بن أحمد بن بلفقيه.
* القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة في هامش القرآن الكريم، إعداد الشيخ محمد كريم راجح، ط٣، دار المهاجر، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
العليمي، مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٧هـ).
* الإنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، تحقيق : محمد فؤاد الكعابنة، ط١، مكتبة

دندس، الخليل، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
ابن العماد الحنبلي، عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ).
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت).
أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (ت ٣١٦هـ).
* مسند أبي عوانة، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
العيدروسي، محيي الدين عبد القادر بن الشيخ عبد الله (ت ١٠٣٨هـ).
* النور السافر في إخبار القرن العاشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
الغزي، محمد بن محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ).
* اتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، تحقيق : خليل محمد العربي ط١، در النشر الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق : جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
الفخر الرازي، محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ).
* تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط ٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ).
* معاني القران، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ).
* العين، تحقيق : د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.
الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ).
* القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ).
* طبقات الشافعية، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي المالكي (ت ٥٤٤هـ)

* الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت).
ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي (ت ٣٥١هـ).
* معجم الصحابة، تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).
* تأويل مختلف الحديث، تحقيق : محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م.
ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ).
* كتاب التوابين، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
القرشي، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي (ت ٢٨١هـ).
* حسن الظن بالله، تحقيق: مخلص محمد، ط ١، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧٦هـ).
* الجامع الأحكام القرآن، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
القزويني، أبو يعلي الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي (ت ٤٤٦هـ).
* الإرشاد، تحقيق : د. محمد سعيد عمر إدريس، ط١، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري المفسر (ت ٤٦٥هـ).
* تفسير القشيري المسمى لطائف الاشارات، وضع حواشيه وعلق عليه : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
* الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الترجمة، بغداد، (بلا.ت).
القنوجي، صديق بن حسان (لم تذكر وفاته).
* أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
القيسي أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ).
* مشكل إعراب القرآن، تحقيق: د. حاتم الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أبي عبد الله (ت ٧٥١هـ).
* حاشية ابن القيم، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط،

ط١٤، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
* الكتاب المقدس، العصر القديم والجديد. ط١، جمعية الكتاب المقدس، لبنان، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.
الكتبي، أبو عبد الله محمد شاكر الدمشقي (ت ٧٨٣هـ).
* عيون التواريخ، دار الحرية، بغداد، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).
* البداية والنهاية، تحقيق : أحمد ملحم وآخرون، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
* تفسير القرآن العظيم، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
* السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
* الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ. تحقيق : محمد العبيد الخضراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دار العلم، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
* قصص الأنبياء، ط١، مكتبة النهضة، بغداد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
كحالة عمر رضا.
* معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
الكسائي، محمد بن عبد الله .
* قصص الأنبياء (عليهم السلام) تصحيح إسحاق بن ساؤول ايزنبرغ، طبع بمدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٢م.
الكمال بن الهمام (ت ٨٦١هـ).
* إعراب قوله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان) تحقيق : قحطان عبد الرحمن الدوري، ط١، مطبعة جامعة بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
الكوفي، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت ٢٦١ هـ).
* معرفة الثقات، تحقيق : عبد الحليم عبد العظيم البستوي، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت ٤٧٥ هـ).
* الإكمال لابن ماكولا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
ابن المبارك، عبد الله بن واضح المروزي (ت ١٨١هـ).
* الزهد لابن المبارك، تحقيق :حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت).

المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣هـ)
* تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت).
مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي (ت ١٠٤هـ).
* تفسير مجاهد، حققه وعلق على حواشيه : عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث الإسلامية ،إسلام أباد، الباكستان (بلا.ت).
المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ).
* بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
المحاملي، أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الضبي (ت ٣٣٠هـ).
* أمالي المحاملي، تحقيق : د. إبراهيم القيسي، ط١، المكتبة الإسلامية، دار ابن القيم، عمان، الأردن، الدمام، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
محمد فريد بك المحامي (لم تذكر وفاته).
* تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق : د. إحسان حقي، ط٢، دار النفائس، بيروت (بلا.ت).
محمد كرد علي.
* خطط الشام، ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
مخلوف حسنين محمد
* صفوة البيان لمعاني القران، ط٣، (بلا.ت).
المرداوي، أبو الحسن علي بن سليمان (ت ٨٨٥هـ).
* الإنصاف، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت).
المرغيناني، أبو الحسين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل (ت ٥٩٣ هـ).
* الهداية، شرح البداية، المكتب الإسلامي – بيروت، (بلا.ت).
المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ).
* تهذيب الكمال، تحقيق : د. بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ).
* التنبيه والإشراف، (بلا.ت).
* مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٠٦هـ).
* صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت).

المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم (ت ٨١٥هـ).
* التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق : د. فتحي أنور الدابولي، ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
مطهر بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ).
* البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (بلا. ت).
معمر بن راشد الأزدي (ت ١٥١هـ).
* الجامع لمعمر بن راشد، تحقيق :حبيب الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٨٨٤ هـ).
* المبدع، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
* المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق :عبد الرحمن سليمان العثيمين، ط ١، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
المقدسي، محمد بن عبد الواحد أحمد الحنبلي (ت ٦٤٣هـ).
* الأحاديث المختارة، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيس، ط١، مكتبة النهضة الحديثة ،مكة المكرمة، (بلا. ت).
المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ).
* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، (بلا .ت).
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ).
* فضل آل البيت، تحقيق : السيد علي عاشور، (بلا.ت).
الملطي، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشافعي (ت ٣٧٧هـ).
* التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط٢، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت ١٣٣١هـ).
* التوفيق على مهمات التعاريف، تحقق : د. محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
* فيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق : أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ).
* الترغيب والترهيب، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ).
* لسان العرب، دار صادر، بيروت، (بلا.ت).
موسى، أبو النجا بن أحمد بن سالم المقدسي الحنبلي (ت ٦٩٠ هـ).
* زاد المستنقع، تحقيق : علي محمد عبد العزيز الهندي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، (بلا.ت).
النجاد، أبو بكر أحمد بن سلمان (ت ٣٤٨ هـ).
* الرد على من يقول القرآن مخلوق، تحقيق : رضا الله محمد إدريس، مكتبة الصحابة الإسلامية، الكويت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
النجار عبد الوهاب.
* قصص الأنبياء، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بلا.ت).
النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي المصري (ت ٣٣٨ هـ).
* إعراب القرآن، تحقيق : د. زهير غازي زاهد، ط٣، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
* معاني القرآن الكريم، تحقيق أحمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ).
* الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).
* السنن الكبرى، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
* سنن النسائي، المجتبى، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٧١٠ هـ).
* مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (بلا. ت).
النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٧٨هـ).
* الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ).
* الأذكار المنتخبه من كلام سيد الأبرار ﷺ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

* تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت (بلا.ت).
* شرح النووي على صحيح مسلم، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
* المجموع في شرح المهذب، تحقيق : محمود مطرحي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
هبة الله، أبو القاسم ابن الحسن بن منصور اللالكائي (ت ٤١٨هـ).
* اعتقاد أهل السنة، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).
* غريب الحديث، تحقيق : محمد عبد المعيد خان، ط١، دار الكتاب العربي بيروت، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
الهروي، أبو الفضل عبيد الله بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٠٥هـ).
* مشتبه أسامي المحدثين، تحقيق : نظر محمد الفاريابي ،ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب المعافري (ت ٢١٨هـ).
* السيرة النبوية، تحقيق : مصطفى السقا، إبراهيم الأنباري وآخرون، ط٢، (بلا.ت).
الهمذاني، شيرويه بن شهردار بن شهرويه الديليمي (ت ٥٠٩ هـ).
* الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
هناد بن السري الكوفي (ت ٢٤٣هـ).
* الزهد، تحقيق : عبد الرحمن الجبار الفريوائي، ط١، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ).
* مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
* موارد الظمآن، تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا.ت).
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ).
* الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : صفوان عدنان داودي، ط١، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
الواعظ، أبو حفص عمر بن أحمد (ت ٣٨٥هـ).
* تاريخ أسماء الثقات، تحقيق : صبحي السامرائي، ط١، الدار السلفية، الكويت،

١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ).
* كتاب المغازي، تحقيق : د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، (بلا.ت).
ابن أبي الوفاء، عبد القادر محمد القرشي (ت ٧٧٥هـ).
* الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق : مير محمد كتاب خانة، كراتشي، (بلا.ت).
ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ).
* معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (بلا.ت).
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ).
* تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (بلا.ت).
أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧هـ).
* مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

Abstract

In the name of Allah

- I have chose the subject of Moses (peace upon him) because a little of people wrote this subject completely Arranged according to place and time. although many of people wrote this subject partialy.
- What is encouraged me that I found it as autograph in Jordan university as a photocopy from chester Beatty in Irland that contain Moses biography and Quran and hadieth and history .
- So I thanked God and imtened to study the autograph as possible I can because it has valuable resourses and good books to complete this research named (AL Dur AL Natheem Fee Akhbar Mosa AL kaleem) written by–AbilBaka'a Najm al Deen Mohamed Bin Jama'a AL Makdisi, who died 901 AH-1481.
- This research divided in to Two parts . one for research and the other for the context, while the study divided in to 2 chapters and introduction be for and conclusion after.
- First chapter for the author in 2 sections in the first is about IBN.Jama'a, his life, his shaks. His students, his scientific position and his Books. the other section is about AL Dur AL Natheem. his name and belonging to the author, his course and recourses and the negative aspect, about the Book in the second chapter about the original copy of the Book and the investigating course which contain 2 chapters first about the Book classification the other about the investigating way.
- The second part contain the investigating Book context according to the scientific lemets- by God support the pages of the Book completed after I gathered its material from sunn'a, illustrated, dictionaries Books asking for God acceptance adapting auricy and honorable way thanking God at the beginning and the end .

The inquisitor
Mahmood AL-Alw

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٣
مصطلحات التحقيق	٤
شكر وتقدير	٥
المقدمة	٧
تمهيد	٩
الفصل الأول : المؤلف والكتاب	١١
المبحث الأول: نبذة مختصرة عن عصر المؤلف من الناحية السياسية والعلمية.	١٣
أ - عصر المؤلف السياسي	١٣
ب- عصر المؤلف العلمي	١٨
ج – المؤلف	٢١
د - شيوخه	٢٣
هـ - تلاميذه	٢٥
و - منزلته العلمية	٢٦
ز - آثاره	٢٨
المبحث الثاني: الكتاب	٢٩
أ - اسمه، وتوثيق نسبته إلى المؤلف	٢٩
ب- منهجه	٢٩
ج - مصادره	٣٢
د - مآخذ على الكتاب	٣٤
الفصل الثاني: وصف نسخة الكتاب المخطوطة ومنهج التحقيق	٣٧
المبحث الأول : وصف نسخة الكتاب المخطوطة	٣٩
المبحث الثاني : منهج التحقيق	٤١
- الخاتمة والنتائج	٤٣
مقدمة المؤلف	٤٩

الباب الأول: في نسبه المنيف..... ٥٣
الباب الثاني: في مولده الشريف وفيه فصول..... ٥٩
الفصل الأول : في سبب وجوده ومولده ﷺ..... ٥٩
الفصل الثاني: في ذكر رضاعه..... ٧١
الفصل الثالث: في ذكر ما اتفق لموسى مع فرعون في صغره..... ٨٣
الباب الثالث : في نبوته ورسالته وعظيم قدره ومكانته..... ٨٥
الباب الرابع : في ثناء الله تعالى عليه وعظيم شرفه لديه، وفيه فصول..... ٩٩
الفصل الأول : فيما ورد من مكانته ورفعة منزلته..... ٩٩
الفصل الثاني: في كلامه مع ربه ودنوه وقربه..... ١٠٣
الفصل الثالث: مما وصف به من الكرامة والإخلاص والاصطفاء
والاستقامة وعظيم المنزلة يوم القيامة..... ١٢٣
الباب الخامس: في سيادته وما أعطيه من عزيز نعمته من العلم والحلم
وفيه فصل يتعلق بفضله..... ١٣٥
فصل في فضله..... ١٧٥
الباب السادس : في تكليمه وما أوتي من الأفعال الحميدة والأوصاف
المجيدة وفيه فصول..... ١٦٣
الفصل الأول: في صفته شرح غريب صفته المذكورة..... ١٦٣
الفصل الثاني: في خلقه وورعه وتواضعه ورأفته وحيائه..... ١٦٩
الفصل الثالث: في قوته..... ١٧٥
الفصل الرابع: في عصمته من الذنوب والعيوب..... ١٩٥
الباب السابع: في ذكر مناجاته وما منحه الله تعالى من هباته..... ٢٠٣
الباب الثامن: فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشَّرفه به
من الكرامات وفيه فصول..... ٢٣٥
الفصل الأول: في نبع الماء الطاهر له..... ٢٤١
الفصل الثاني: في كلام الحيوانات..... ٢٤٣
الفصل الثالث: في إبراء ذوي العاهات..... ٢٥١
الفصل الرابع: في دعواته المستجابات..... ٢٥٣
الفصل الخامس: في انقلاب الأعيان له فسبحان من أعطاه وفضَّله..... ٢٥٩
الفصل السادس: في كفايته ووقايته ممن آذاه وعصمته من القتل..... ٢٦١
الفصل السابع: في نصرته على عدوِّه العنيد بمواهب ربنا الحميد..... ٢٦٥
الباب التاسع: في رأفته وشفقته خصوصا على هذه الأمة المرحومة..... ٢٩١
الباب العاشر: في وفاته، وفيه فصول..... ٢٩٥

الفصل الأول:ما وقع له مع ملك الموت وموضع قبره وما سأل أن يدفن فيه، والدنو من الأرض المقدسة التي هي على التقوى مؤسسة..... ٢٩٥
الفصل الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ..... ٣٠٥
الفصل الثالث: في حكم الصلاة عليه وعلى غيره من الأنبياء..... ٣٠٧
الفصل الرابع: في زيارة قبره وقبور الأنبياء (عليهم السلام)..... ٣١١
الباب الحادي عشر: وهو ختامها : في وجوه الأحكام فيمن نقَّصه أو سبَّه أو عابه من الأنام وفيه فصل: فيما يستحيل في حقه..... ٣١٣
ثبت المصادر والمراجع ٣١٥
الخلاصة باللغة الإنكليزية..... ٢٣٩
المحتويات..... ٣٤١

AL-DURR AL-NAẒĪM
FĪ AḤBĀR MŪSĀ AL-KALĪM ﷺ

(The biography of the Prophet Moses)

by

Muḥammad ben Ibrāhīm Ibn Jamāᶜah

Edited by

Dr. Mahmood al-Alw

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon